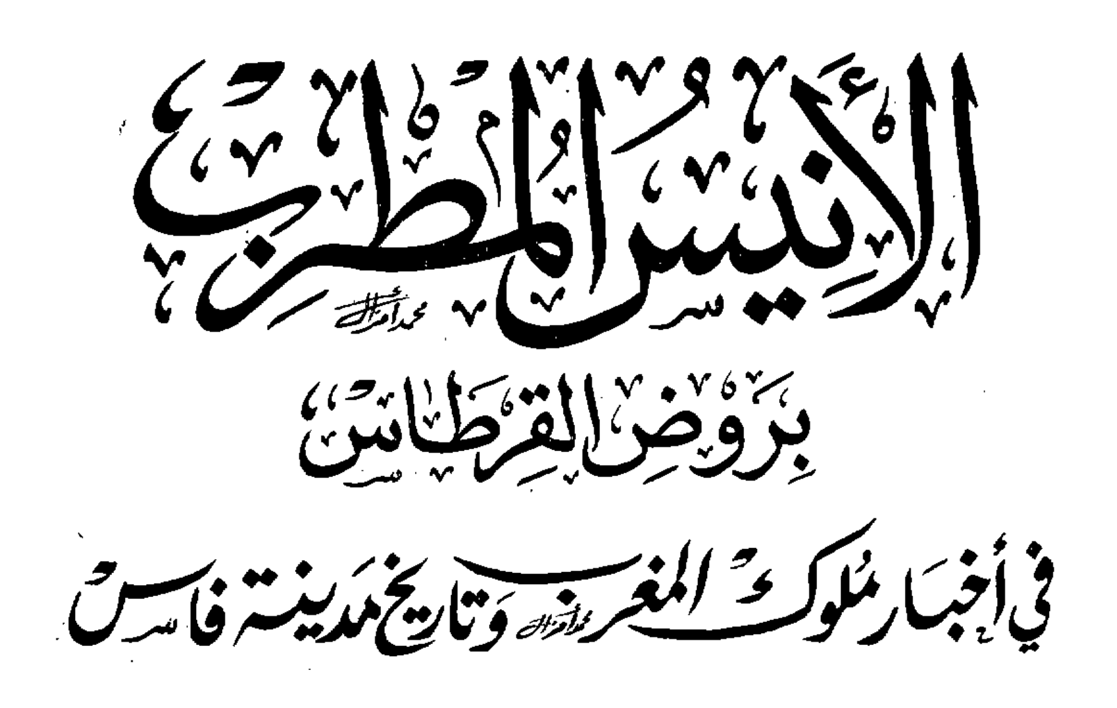


تأليف

علي ابن أبي زرع الفاسي

دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط

1972

تنبيه

تعمدنا ـ أثناء طبع هاذا الكتـاب ـ أن نكتب الألف اللينة ألفاً مطلقاً (الفتا = الفتى ، ورما = رمى) ، وأن نمد رسماً كل ما هو ممدود لفظاً (هاذا = هذا وداوود = داود) مما يحسبه القارىء خطأ مطبعياً وما هو إلا تصويب لأخطاء لا موجب للاستمساك بها وان مضا على العمل بها زمن طويل .

فوجب التنبيه .

هَاذا الكِتَابُ

★ اسمه الكامل على أصح الروايات (الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس) .

★ زعم بعض المستشرقين أن كلمة القرطاس مصحفة عن كلمة الـفـرطاس لقب زيري بن عطية المغراوى غارس الزيتون الذي يمر فى وسطه سور فاس بين باب فتوح وباب الجديد (الحصن الجديد) ، وأن روض القرطاس المحرف الى القرطاس هو زيتون ابن عطية وكان من متنزهات فاس الشهيرة فىالعصر الوسيط ، وبهاذا التأويل يفهم اسم الكتاب .

★ كان الكتاب يعرف باسمه الطويل المسجوع المذكور فى الفقرة الأولا ، ثـم صار يعرف اختصارا باسم القرطاس فقط ، خصوصا فـى القرنين الأخيرين بعدما ألف محمد بن الطيب العلمى كتابا سماه أيضا الأنيس المطرب .

★ نسب الكتاب لابن أبى زرع عدد من المؤرخين الكبار الذين عاصـروه أو كانوا في زمان قريب من زمانه ، مثل علي الجزنائـي فى (جنا زهرة الأاس) ومحمد بن الخطيب السلمانى فى (الاحاطة) ، ومحمد بن مرزوق العجيسـى التلمسانى فى (المسند الصحيح الحسن) ، وعبد الرحمان بن خلدون الحضرمى فى (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) ، وكذا عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين جاءوا من بعدهم مثل أحمد المقرى القرشى التلمسانى صاحب (نفح الطيب) .

★ اسم ابن أبى زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله كما ورد فى (جنازهرة الأاس) ، المؤلف بعد (القرطاس) بقليل ، وسماه أحمد ابن القاضى فى كتابه (لقط الفرائد من حقق الفوائد) أبا عبد الله محمد ، وجعله ممن توفي عام ٧٤١ فى واقعة طريف ، وسماه (أصحاب بيوتات فاس الكبرا) أبا العباس أحمد ، ونعتوه بالشيخ الكبير الامام الخطيب البليغ الواعظ الورع الزاهد الـولـي الصالح العلامة المدرس المفتى ، وذكروا ان العامة قدمته للامامة بجامـع القرويين ، والراجح أن أبا الحسن علي بن عبد الله هو الاسم الحقيقي لابن

أبى زرع مؤلف (القرطاس) لعدة أسباب ، منها :

ـ أن الجزنائى ذكره بهاذا الاسم ، وهو أعرف به ، لأنه معاصر له ٠

ـ أن اسمه كتب كذالك على عـدد مـن نسخ الكتاب المكتوبة بدايـة من القرن الثامن الهجرى ، ومنها النسخة العتيقة المحفوظة بمكتبة أكسفورد ٠

ـ أن محمد بن أبى زرع الذى زعم ابن القاضى أنه مؤلف تاريخ فـاس هو شخص ااخر ذكره الجزنائى فى (جنازهرة الآس) أيضـا وجعله مـن مصادر تاريخه ٠

ـ أن أحمد بن أبى زرع الذى نسب اليه أصحاب (بيوتات فاس الكبرا) تاريخ فاس وردت أخباره فى (جناز هرة الآس) وفى (القرطاس) فى الفصـل المتعلق بخطباء جامع القرويين ، وفى كلا الكتابين وصف الرجل بالـزهـد والصلاح ولم يشر الى اهتمامه بالتاريخ ولا الى تأليفه فى تاريخ فاس على الخصوص ، ولو أنه فعل ذالك لما أغفل الاشارة اليه مؤلفا الكتابين المذكورين، ثم ان المدة الفاصلة بين تقديم أشياخ فاس وفقهائها أحمد بن أبى زرع للامامة بجامع القرويين وبين تأليف (القرطاس) لاتقل عن ٦٠ سنة ، فلو فـرضنا أن عمر امام يقدمه الفقهاء والأشياخ والعامة للامامة بأكبر مساجد المـغـرب لايمكن أن يقل عن ٤٠ سنة يكون ألف (القرطاس) على فرض تأليفه اياه وهـو ابن مئة سنة وذالك مستحيل ، أما النعوت والأوصاف التي أضفاها أصحاب (بيوتات فاس الكبرا) على الامام أحمد بن أبى زرع فهي من وحي الخيال قطعا

★ لايعرف شيء عن حياة ابن أبى زرع مؤلف (القرطاس) سوى ماذكر مـن أنه كان شاهدا بسماط العدول ، والغالب أن ماذكر عنه صحيح ، لأن فى ثنايا الكتاب ماينم عن ذالك ٠

★ أسرة ابن أبى زرع أسرة نبه ذكرها بفاس فى أواخر العصر المـوحـدى وأوائل العصر المرينى ، وقد ذكر منها رجال عرفوا بالصلاح والزهد والفضل، مثل أبى العباس أحمد الذى قدمه الفقهاء والأشياخ للامـامة بجامع القرويين بعد وفاة الامام علي بن حمد ، وأبى عبد الله محمد أول خطباء الجامع الكبير بفاس الجديد ، وأبى عبد الله محمد المتوفا فى وقعة طريف سنة ٧٤١ ، وعلي ابن عبد الله مؤلف (القرطاس) ٠

★ نسب (القرطاس) أيضا الى رجل يسما صالح بن عبد الحليم ، ذكر في بعض الكتب أنه غرناطي ، وفي كتب أخرا أنه من كتاب الدولة المرينية ، وثبت هاذا الاسم في عدد من نسخه التي كتبت ابتداء من أواخر القرن الثامن الهجري ، وقد حاول واحد ممن أسهموا في تأليف (بيوتات فاس الكبرا) التلفيق بين النسبتين ، فزعم أن القرطاس قرطاسان كبير وصغير ، أحدهما من تأليف ابن أبي زرع والآخر من تأليف صالح بن عبد الحليم ، والظاهر أن هاذا التلفيق هو من باب جبر الخواطر ، اذ لايعرف قرطاس ءاخر غير القرطاس المتداول الذي ننشره اليوم ، الا ان يكون المراد بأحد القرطاسين كتاب (الذخيرة السنية ، في تاريخ الدولة المرينية) الذي نشرناه أخيرا ، وهو أيضا من تأليف ابن أبي زرع .

★ صالح بن عبد الحليم أو أبو علي صالح ابن أبي صالح ! رجل تاريخي معروف ينقل عنه أحمد ابن عذاري في (البيان المغرب) ، وهو مصمودي من قبيلة هيلانة (ايلان) كان يقيم في مدينة نفيس ويعيش فيها عيشة خمول ، أشار اليه باقتضاب صاحب كتاب (مفاخر البربر) الذي قد يكون هو ابن عذاري نفسه ، وذكر أنه كان حيا وقت تأليف الكتاب سنة ٧١٢ أما صالح ابن عبد الحليم الغرناطي كاتب الدولة المرينية الذي يزعم البعض أنه مؤلف كتاب القرطاس فهو حتى الآن غير معروف ، والغالب على الظن أنه شخص خيالي .

★ قد يكون صالح بن عبد الحليم الهيلاني أملا كتابا في التاريخ ، وقد يكون له ولد اسمه عبيد الله هو الذي سمع املاءه ودونه ، يرجح هاذا العثور على أوراق تتعلق بالفتح العربي لبلاد المغرب منسوبة الى عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ، نشرها الأستاذ الكبير ليفي بروفانصال في صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد (١) وبعض مافي هاذه الصفحات مطابق لما ينقله ابن عذاري عن صالح بن عبد الحليم ، ولكن لاوجود له في القرطاس ، مما يدل على أنه كتاب ءاخر غيره .

---

1) المجلد الثاني ، العدد 1 ـ 2 ص 215

★ موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا كما يدل عليه اسمه ، بداية من الدولة الادريسية الحسنية الى سنة ٧٢٦ من سنوات عهد السلطان المرينى عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بكنيته أبـي سعيد ٠

★ أسلوب ابن أبى زرع أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة ، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب اليهم كلامهم فى أغلب الحالات ، فلهاذا يوجد فى هاذه العبارات البليغ والمتوسط والـركيك ٠

★ طريقة ابن أبى زرع ليست طريقة الحوليات التـى جـرى عليها أغـلـب المؤرخين المسلمين فى العصر الوسيط ، ولكنها طريقة من يـؤرخ للدول ، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها واحدا واحدا وماقاموا به من أعمال ، ثم يذكر فى نهاية الكلام على كل دولة ماحدث فى أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية كـوفيات الأعيان ورخاء الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الامطـار بغزارة وظهور نجوم غريبة ٠

★ بقي كتاب القرطاس على مافيه من أغلاط من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره ، ولما ظهرت الطباعة الحجرية بفاس طبع بها أربع مرات أولها سنة ١٣٠٣ هـ أما فى الخارج فان الكتاب نـال حظه من اهتمام المستشرقين منذ بداية عصر النهضة ، وأول ترجمة معروفـة لـه هي ترجمة بتس ديلاكروا الى اللغة الفرنسية سنة ١٦٩٣ ثم ترجمه فـي القرن التالى الى الالمانية مستشرق نمساوي يسما فرانز فون دومبي ، ثـم ترجمه الى البرتكالية الراهب خوسى دي سانـطـو انطونيو وطبعت هـاذه الترجمة فى لشبونة سنة ١٨٢٨ كما ترجم كوندى مايختص منه بالأندلس الى اللغة الاسبانية ، وفى سنة ١٨٣٤ نشر المستشرق السويدى ك٠ج٠ طورنبرك قسما منه ، ثم نشر ذالك العالم نفسه بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ نصـه العربي مع ترجمة لاتينية وعدة حواشى فى أربعة مجلدات ، وآخر محاولـة

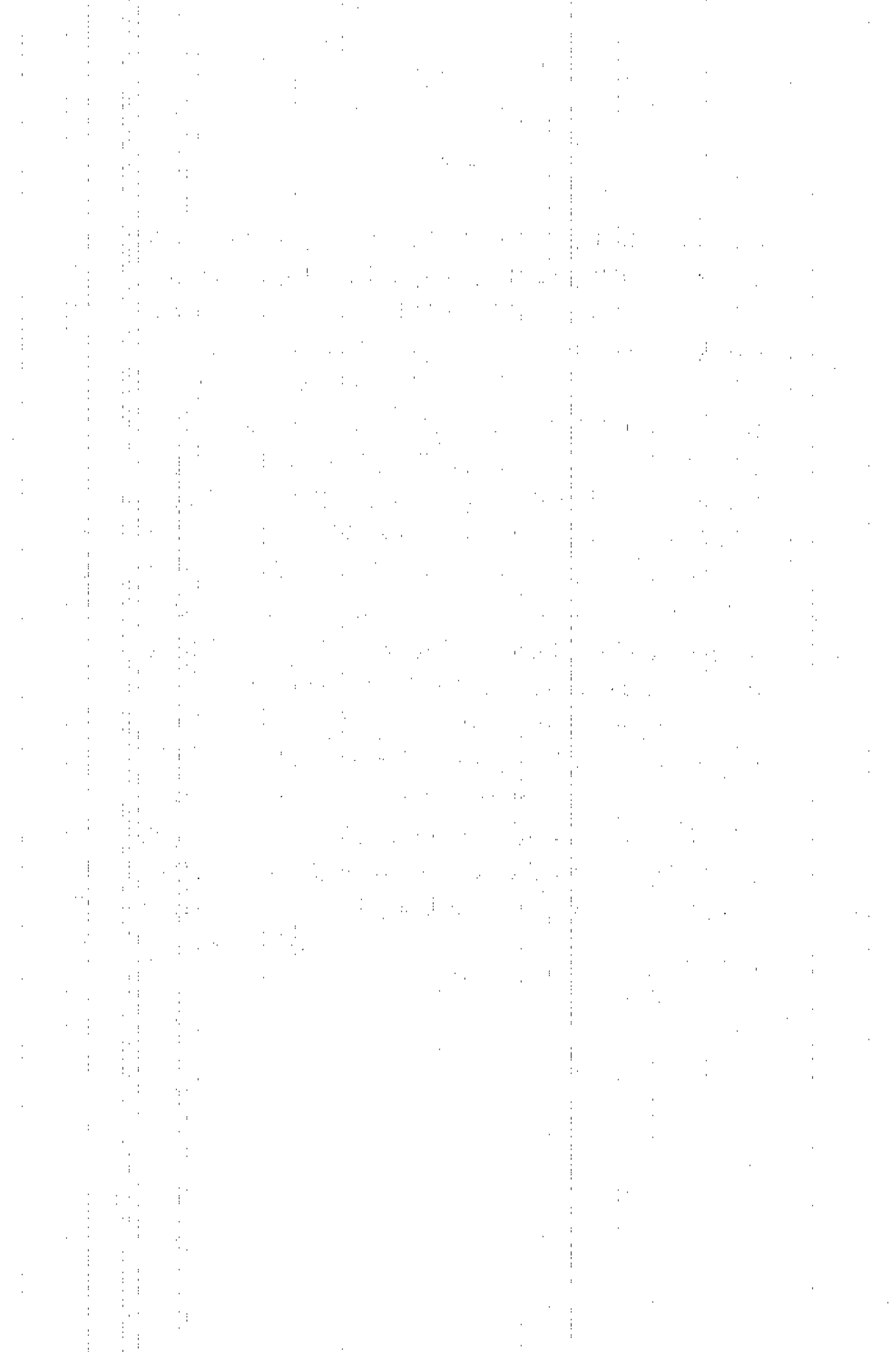
لطبعه هي التى قام بها الأستاذ الجليل السيد الهاشمى الفيلالـى ، فقد حقق نصه وشـرح مايحتاج الـى الشرح مـن عباراتـه وألفاظه ، وقدمه الـى شركة النشر المغربية التى كان انشاها بسلا الأستاذ الوطني المرحـوم سعيد حجى فجزأه الى ثلاثة أجزاء صدر منها جزآن عن المطبعة الوطنية بالـرباط سنة ١٩٣٦ ولم يصدر الجزء الثالث ٠

★ عندما تأسست دار المنصور للطباعة والوراقة فى العام الماضى جعلت من مشمولات برنامجها لبعث التراث العلمى والأدبى والتاريخى لأقطـار المغرب العربى طبع كتاب (القرطاس) ، فقامت بتحقيق نصه على عـدد مـن نسخه المخطوطة فى أزمنة مختلفة وحررته من الأخطاء التي اعتقدت أنها من عمـل النساخ ونبهت على الأخطاء التى اعتقدت أنها مما وقع فيه المؤلف نفسه ٠

★ قامت دار المنصور – علاوة على تحرير النص – بتحقيق الأعلام الواردة فيه ومقابلة التاريخ الهجرى بالتاريخ الميلادى ، وحذف الكنا التى تضيع معها أسماء الناس الحقيقية أو تحدث تشويشا فى أذهان القراء ، واجتنبت الشروح والحواشي الا فيما اعتقدت أن شرحه ضروري أو مفيد ، ووضعت له الفهارس المتنوعة التي تسهل على القراء العثور على مايبغونه بسرعة ، وطبعته علـى الطريقة التى طبعت بها الكتب الصادرة عنها من قبل ٠

★ تعتقد دار المنصور أنها بطبع هاذا الكتاب طبعة كاملة عصرية تخطو خطوة مهمة فى طريق بعث تراثنا التاريـخـى وتؤمل أن تجد مـن معونـة المثقفين وتشجيعهم مايعينها علـى قطع مـراحل أخرا فـى طريق البعث الطويـل ، واللـه ولـي التوفيق

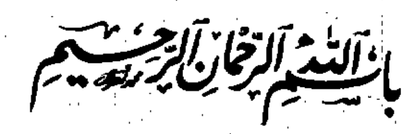
دار المنصـور للطـبـاعـة والوراقـة



الأنيس المطرب بروض القرطاس
فى اخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس

تأليف

علي بن عبد الله ابن أبى زرع الفاسى



وصلا الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله مصرف الأمور بمشيئته وتدبيره ، ومسهل العسير بمعونته وتيسيره ، ومبدع الأشياء بحكمته وتصويره ، خالق الخلق بقدرته وباسط الرزق بتقديره ، أحمده حمد معترف بذنوبه ومقر بتقصيره ، وأشهد أن لا الاه الا الله وحده لاشريك له شهادة مخلص بقلبه وسره وضميره ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله اصطفاه برسالته وحباه بمحبته وتفضيله وتخييره ، صلا الله عليه وعلى ءاله الطيبين وأزواجه الطاهرات الذين أذهب الله عنهم الرجس وخصهم بتطهيره ، ورضي الله عن صحابته السابقين بتصديقه ونصرته وتعزيزه وتوقيره ، وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ما اختلف الليل بظلامه والنهار بنوره ، والدعاء للدولة السعيدة العلية ، المرينية العبد الحقية أعلا الله كلمتها ورفع قدرها ، وابقا على مر الأيام فخرها ، بالتأييد والتمكين ، والنصر والفتح المبين .

أما بعد أطال الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلى الاسلام ورافعه ، ومذل الكفر وقامعه ، تاج العدل وناشره ، وماحى الظلام وهاتكه ، ملك الزمان ، وسراج الاسلام والايمان ، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ،

ابن مولانا الامام المظفر المنصور ، الملك العابد الزاهد المذكور ، الذي تقدم بكل فضيلة وسبق ، الامام العدل القائم بالحق ، أمير المؤمنين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، نصره الله وأعلا كلمته ، وأيده وخلد ملكه وأيامه، وفسح له فى البلاد شرقا وغربا ، وأوطأ له رقاب الأعداء سلما وحربا ، وفتح على يديه الفتح المبين ، وجعل الخلافة كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ولازال للخلافة يحيى آثارها ، ويجدد اظهارها ، ويرفع منارها ويجلو أنوارها ، والسعد مخيم بفنائه وعتباته ، والنصر مقرون براياته ، وقلوب الأمة مجتمعة على طاعته ومحبته ، مامحا النور الظلم ، وغنا الحمام على غصن وترنم •

لا زال يَحمى حما الاسلام مجتهداً **فى الحقّ ينظر للدنيا وللدين**
ينالُ ما شاء من دنياه قاصدُه يُغنى ويُعطى عطاءً غيرَ ممنون

وانى لما رأيت مكارم دولته السعيدة أطالها الله وخلدها ، وأعلا كلمتها وأيدها ، تنتظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تتلا بكل لسان ، وغرر مآثرها وبركاتها تشرق بكل ناحية ومكان ، وغرر أنوارها تلهى عن الغزل ، وتسير سير المثل ، أردت خدمة جمالها ، والتقرب الى كمالها ، والتفيأ بظلالها ، والورود من عذب زلالها ، بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار وملح الآداب ، يحتوى على غرر التاريخ وعجائبه ، ونوادر الأثر وغرائبه ، يخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين ، وأمرائه الماضين ، وأممه السالفين ، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم ، وغزواتهم وأحوالهم فى دولتهم ، وما رسموه بالمغرب من الراسم ، وصنعوا من المصانع والمعالم ، وفتحوا من البلاد والأقاليم ، وبنوا من الحصون والمدن والمكارم ، وأذكرهم أميرا بعد أمير ، وملكا بعد ملك ، وخليفة بعد خليفة ، وأمة بعد أمة ، على حسب تواليهم فى أعصارهم ومراتبهم فى دولتهم وأزمانهم كما وقع فى الزمان ، من أول دولة الامام ادريس بن عبد الله الحسنى الى هاذا الأوان ، أبذل فيه جهدى واظهر جلدى بقدر الوسع والامكان ومساعدة الزمان ، فاستخرت الله تعالا فى تأليفه ، واستعنته

فى تقييده ، فسهل الله تعالا ما أردته من ذالك ويسره بفضله وبـركـات مولانا أمير المومنين الظاهرة الباهرة ، فألفت هاذا المجموع المقتضب ، انتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها ، والمرجوع اليها ، سوى مارويته عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب ، وقيدته عن الرواة الثقات الأنجاب ، وحذفت فيه الاسناد خيفة الاكثار والامتداد ، مع الميل الى ترك الاسهاب والتطويل ، وتجنب الاختصار والتقليل ، وجعلته كتابا مخرجا على التوسط فهو خير الأمور ، ومعتمدى فى ذالك على ماروواه الجمهور ، عن النبي صلا الله عليه وسلم من الحديث المأثور ، اذ قـال يؤدب أمته ويبسطها : (خير الأمور اوسطها) .

وسميته (**الأنيس المطرب بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**) ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، ويجنبنا الخطأ فى القول والعمل ، ويبلغ السؤل والأمل ، ويبقى لنا أمير المسلمين تعلو على الدولات دولته ، وتمضى فى الأعداء صولته ، منصورة أعلامه ، محمودة أيامه ، لارب غيره ، ولاخير الا خيره .



الخبر عن ملوك المغرب

من الأدارسة الحسنيين وذكر قيامهم وبنيانهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان السبب فى دخول الأدارسة الحسنيين المغرب وتملكهم عليه أن الامام محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم كان قام على أمير المسلمين أبى جعر المنصور العباسى بالحجاز ، منكرا لجوره وعسفه ، وذالك فى سنة خمس وأربعين ومئة (١) **(وكان الامام محمد يدعا بالنفس الزكية لنسكه وكثرة عبادته وزهده وورعه وعلمه وفضله ، وكان له ستة اخوة ، وهم : يحيا ، وسليمان ، وابراهيم ، وموسا ، وعيسا ، وادريس ، فبعث اربعة منهم دعاة الى الأمصار يدعون الى طاعته وبيعته ، وبعث عيسا الى أفريقية فأجابه بها خلق كثير من قبائل البربر ، وبقي هناك الى ان توفي ولم يتم الأمر ، وبعث أخاه يحيا الى خراسان ، فأقام بها حتى مات أخوه محمد ففر الى بلاد الديلم فأسلم على يديه خلق كثير ، ودعا لنفسه فبايعه عالم عظيم فقوي أمره ، وذالك فى أول خلافة الرشيد ، فلم يزل الرشيد يبعث اليه الجيوش ويدبر له الحيلة حتى أتاه سلما فأقام عنده مدة الى أن مات مسموما فى أيام الرشيد ، وبعث (اي الامام محمد النفس الزكية) ايضا أخاه سليمان الى بلاد مصر داعيا للبيعة ، ولما اتصل به قتل أخيه سار**

---

1) هنا خلط ابن أبى زرع بين ثورة الامام محمد النفس الزكية على الخليفة أبى جعفر المنصور سنة 145 وبين ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى على الخليفة موسى الهادى سنة 169 فجعل الثائرين ثائراً واحداً ، وتبعه فى الخلط كل من نقل عنه من المؤرخين المغاربة وقد تصرفنا فى الفقرات التى وقع فيها الخلط — وهى المطبوعة بحروف غليظة — تصرفاً أعاد الحقائق التاريخية الى نصابها .

الى بلاد النوبة ، ثم الى بلاد السودان ، ثم خرج الى زاب أفريقية ، ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها ، وذالك فى أيام أخيه ادريس ، فكان له بها أولاد كثيرون ، ، فكل حسنى هناك من نسل سليمان ابن عبد الله بن حسن ، وقد دخل ولده الى بلاد دكالة والسوس الأقصا وبعث أخاه ابراهيم الى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس ، وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فملكها ، وبعث عاملا الى اليمن ، ودعا لنفسه وخطب عن منبر رسول الله صلا الله عليه وسلم وتسما بالمهدي ، وحبس رباح بن عثمان المرى عامل المدينة) .

(ولما بلغ الخبر الى أبى جعفر المنصور أشفق من أمره وكتب اليه كتابه المشهور ، ثم عقد على حربه لابن عمه عيسا بن موسا بن علي ، فزحف اليه فى العساكر وقاتله بالمدينة فهزمه وقتله فى منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ، ولحق ابنه علي بالسند الى أن هلك هناك ، واختفا ابنه الآخر عبد الله الأشترالى أن هلك فى أخبار طويلة ، ورجع عيسا الى المنصور فجهزه لحرب ابراهيم أخي محمد النفس الزكية الداعي له بالبصرة ، فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه وقتله)

(ثم خرج فى أيام الخليفة الهادي الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنا ، وذالك فى سنة تسع وستين ومئة ، وسار الى مكة ، وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي ، وكان قدم حاجا من البصرة فولاه حربه فقاتله يوم التروية بفخ على ثلاثة أميال من مكة ، وهزمه وقتله وافترق اصحابه ، وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله الكامل ، وبقي القتلا من أصحابه فى موضع المعركة حتى اكلتهم الطيور والسباع لكثرتهم ، وكانت هاذه الوقعة بوم السبت ، وهو يوم التروية ، الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومئة) .

(ولما قتل الحسين بن علي وشيعته فر عمه ادريس) بنفسه مستترا فى البلاد يريد المغرب ، فسار من مكة حتى وصل مصر ومعه مولا له

اسمه راشد فدخل اليها والعامل عليها **للهادى** (٢) علي بـن سليـمـان الهاشمي ، فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان فى شـوارعها ويجولان بطريقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيأة فوقفا ينظران اليها ويتأملان حسن بنائها واتقانها ، واذا بصاحب الدار (٣) قد خرج وسلم عليهمـا ، فردا عليه ، فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشـد ياسيدى انه أعجبنا حسن بنائها واحكام اتقانها وشكلها ، قال أظنكـمـا غريبين عن هاذه البلاد ، قال راشد : جعلت فداك ، ان الأمر كما ذكرت قال : فمن أي الأقاليم أنتما ؟ قالا من الحجاز ، قال من أي بلاده ؟ قالا من مكة ، قال واخالكما من شيعة الحسنيين الفارين من وقعة فـخ ، فأرادا أن ينكرا له حالهما ويخفيا عنه أمرهما ، ثم انهما توسما فـيـه الخير والفضل ، فقال له راشد : ياسيدي أرا لك صورة حسنة ، وقـد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرك ، ولابـد ان تكون أفعالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرأيـت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا أكنت تستر علينا ؟ قال نعم ورب الكعبة أكتم أمركما وأصون سركما وأبذل جهدى فى صلاح حالكما ، قال راشد : ذالك الظن بك والثقة بفضلك ، هاذا ادريس بن عبد الله بـن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، وأنـا مـولاه راشد ، فررت به خوفا عليه من القتل قاصدا الى بلاد المغرب ، فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما ، فانى من شيعة أهل البيـت ومواليهم ، وأولا من كتم سرهم وستر أمرهم وبذل جهده فـى حقهم ، فلاتخافا ولاتحزنا فأنتما من الآمنين ، ثم أدخلهما الى منزله ، فأقامـا

---

2) فى الأصل للمهدى ، والصواب أن الهادى هو الذى كان خليفة ببغداد عند فرار ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب بعد مقتل الحسين بن علي بفخ يوم 8 ذى الحجة سنة 169 وقد كانت وفاة المهدى والد الخليفة موسى الهادى فى شهر محرم قبله ، أما علي بن سليمان الهاشمى فقد كان حقاً عاملا على مصر ، وليها من قبل الخليفة موسا الهادى فى آخر سنة 169 .

3) واضح مولا صالح بن المنصور ، وكان صاحب البريد بمصر ، رافضى النزعة ، وقد ضرب الخليفة الهادى — وقيل هارون الرشيد — عنقه وصلبه لما بلغه خبر تهريبه ادريس الى المغرب (الكامل لابن الأثير 5 : 76) .

عنده مدة فى اكرام ونعيم ، فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر ، فبعث الى الرجل الذى هما عنده ، فقال له انه قد رفع الي خبر الرجلين اللذين هما عندك فى منزلك مخفيان ، وأن أمير المومنيـن قد كتب الي فى أمر الحسنيين والبحث عن من وجد منهم ، وقد بـعـث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد في أطراف البلاد ، فلايمر أحد مـن الناس حتى يعرف ويعلم صحة نسبه وحاله ، ومن أين قدم والى أيـن يسير ، وانى أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت أو أن ينالهم أذا بسببى ، فلك الأمان ولهما ، فسر اليهما وأعلمهما بمقالتي لك وقل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرهما الى الهادى (٤) فيخرجكم من يدي ، وقـــد أجلتكم فى الخروج ثلاثة أيام ، فسار الرجل الى ادريس ومولاه راشـــد فأعلمهما الخبر فعزما على الخروج الى المغرب ، فاشترا الرجـل لهما راحلتين ولنفسه أخرا وصنع لهما زادا يبلغهما الى أفريقية وقال لراشد: اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع ادريس على طـريـق غامض لاتسلكه الرفاق وموعدنا مدينة برقة (٥) أنتظرك بها حيث الامن عليه من الطلب ، فقال : الرأي مارأيت ، فخرج راشد مع الرفقة علـى الجادة فى زي التجار ، وخرج ادريس مع الرجل المصرى على البريـة حتى وصل به مدينة برقة ، فقعدا بها حتى لحق بهما راشد ، فجدد لهما الرجل هناك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر ، وسار ادريس مع مولاه راشد الى أفريقية يجدان السير حتى بلغا الى القيروان، فأقاما بها مدة ثم خرجا الى المغرب الأقصا .

وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لأهل البيت رضي الله عنهم ، فعمد الى ادريس حين خرج بـه الى القيروان ، فألبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليـظـة وصيـره

---

4) فى الأصل المهدى ، انظر التعليق نمرة 2 .

5) هى مدينة المرج الحالية الواقعة على الطريق الداخلي الذى يربط بين بنغازى وطلميثة على بعد 44 كلم الى الشرق من الأولا و 26 كلم الى الجنوب الغربى من الثانية ، أنشاهـا اليونان فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

كالخادم له يأمره وينهاه ، كل ذالك خوفا عليه وحياطة له ، فلم يزالا على ذالك حتى وصلا الى مدينة تلمسان ، فاستراحا بها أياما ، ثم ارتحلا عنها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا السوس الأدنا وحده من وادي ملوية الى أم الربيع ، وهو أخصب بلاد المغرب واعظمها بركة ، والسوس الأقصا من جبل دون الى بلاد نول ، فسار ادريس ومولاه راشد حتى نزلا بمدينة طنجة ، وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه ، إذ لم يكن بالمغرب مدينة أعظم ولا أقدم منها ، وقد ذكرنا تاريخها ومن بناها فى كتابنا الكبير المسما بأزهار البستان ، في أخبار الزمان .

فلما وصل ادريس طنجة أقام بها أياما ، فلم يجد بها مراده ، فرجع مع مولاه راشد حتى نزل مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون ، وكانت وليلى متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل ، فنزل بها ادريس رضي الله عنه على صاحبها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد (٦) الأوربي المعتزلى فأقبل عليه اسحاق وأكرمه وبالغ فى بره ، فأظهر له ادريس أمره وعرفه نفسه ، فوافقه فى حاله (٧) وأنزله معه فى داره وتولا خدمته والقيام بشؤونه .

وكان دخول ادريس رضي الله عنه المغرب عام مئة وسبعين (٨) . ونزوله على اسحاق بمدينة وليلى فى غرة ربيع الأول المبارك من سنة مئة واثنتين وسبعين (السبت ٩ غشت ٧٨٨ م) فلما دخل رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد اخوانه وقبائل أوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرابته من رسول الله صلا الله عليه وسلم وشرفه

---

6) فى الأصل عبد الحميد وهو خطأ ، والصواب هو أن صاحب وليلى فى زمن وصول الامام ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب كان هو اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى ، ذكر ذلك مؤرخون كبار متقدمون على ابن أبى زرع .

7) الذى يظهر من سياق الكلام أن اسحاق هو الذى وافق الامام ادريس ، أما المؤرخون قبل ابن أبى زرع فيذكرون أن الامام ادريس هو الذى وافق اسحاق فى مذهبه الاعتزالى .

8) فى الأصل (المغرب ونزوله) والصواب هو ما ذكره المؤرخون الذين تقدموا على ابن أبى زرع فى الزمان من أن الامام ادريس وصل الى المغرب سنة 170 ونزل على اسحاق سنة 172 .

وعلمه وكمال خلال الفضائل المجتمعة فيه ، فقالوا له الحمد لله الذى اتانا به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه ، فما تريد منا ؟ قال تبايعونه ، قالوا سمعا وطاعة ، مامنا من يتوقف عن بيعته ومايريد •

الخبر عن بيعة الامام إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام القائم بالمغرب الأقصا ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، بويع له بمدينة وليلى يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة (٦ يبراير ٧٨٩ م) ، وكان أول من بايعه قبائل أوربة ، بايعوه على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم ، وكانت أوربة فى ذالك الوقت أعظم قبائل المغرب واكثرها عددا واشدها قوة وبأسا وأحدها شوكة ، ثم بعد ذالك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب منهم زواغة ، وزواوة ، ولماية ، وسدراتة ، وغياثة ، ونفزة ومكناسة وغمارة ، فبايعوه ودخلوا فى طاعته ، فقويت أموره وتمكن سلطانه ، ووفد عليه الوفود من سائر البلدان ، وقصد اليه الناس من كل صقع ومكان ، فاستقام أمره بالمغرب ، وأخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ، فخرج بهم غازيا الى بلاد تادسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد تادلة ففتح معاقلها وحصونها ، وكان اكثر هاذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل ، فأسلم جميعهم على يديه ، ثم قفل الى مدينة وليلى فدخلها فى آخر شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وسبعين المذكورة فأقام بها شهر محرم مفتتح سنة ثلاث وسبعين حتى استراح الناس •

ثم خرج برسم غزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقـــل والجبال والحصون المنيعة ، فلم يزل الامام ادريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها ، وفتح بلادهم ومعقالهم ، وأباد من أبا الاسلام منهم بالقتل والسبي ودمر بلادهم وهدم معاقلهم ، منها حصون فندلاوة ، وحصون مديونة وبهلولة ، وقلع غياثة وبلاد فازاز ٠

ثم رجع الى مدينة وليلى فدخلها فى النصف من جمادا الأخيـرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بها بقية جمادا المذكورة والنصف من رجب التالى له حتى استراح جيشه ، ثم خرج فى نصف رجب المذكور (٨ دجنبر ٧٨٩ م) برسم مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن ، فوصل مدينة تلمسان ، ونزل بخارجها ، فأتاه أميرها محمد بـن خزر بن صولات المغراوى الخزرى فطلب منه الأمان فأمـنـه ادريس ، وبايعه محمد بن خزر وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة ، فدخـل ادريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنا مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرا وكتب عليه :

(باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، وذالك فـــى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة) ٠

فاتصل بالرشيد أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وبايعه كافـة من به من القبائل ، وأنه قد فتح مدينة تلمسان وبنا مسجدهـا ، وأخبر بحربه وحاله وكثرة جنوده وشدته فى الحرب ، وأنه قد عزم على غــزو أفريقية ، فخاف الرشيد أن يعظم أمره فيصل اليه لمـا يعلم مــن فضله وكماله ومحبة الناس فى أهل بيت النبي صلا الله عليه وسلم ، فاغتنـم لذالك غما شديدا وعظم عليه شأنه ، فبعث الى وزيره القائم بأمر مملكته وصلاح سلطانه ، يحيا بن خالد بن برمك ، فأخبره بأمر ادريس واستشاره فى أمره ، وقال له انه ولد علي بن أبى طالب وابــن فاطمة بنـت النبـي

صلا الله عليه وسلم وقد قوي سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر أمره واسمه ، وفتح مدينة تلمسان وهي باب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار ، وقد عزمت على أن أبعث له جيشا عظيما لقتاله ، ثم اني فكرت فى بعد البلاد وطول المسافة وتنائى المغرب عن المشـرق ، ولاطاقة لجيوش العراق على الوصول الى السوس من أرض المغرب ، فرجعت عن ذالك ، وقد هالنى أمره ، فأشر علي برأيك فيه ، فقال يحـيـا ياأمير المومنين أرا من الرأي أن تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهـاء ولسان واقدام وجرأة فيقتله وتستريح منه ، فقال الرأي ماذكرت ، مـن يكون الرجل ؟ فقال ياأمير المومنين ، أعرف بحاشيتى رجلا اسمه سليمان ابن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالـجـدال والكلام والمكر والدهاء تبعث به اليه ، فقال أسرع بذالك الآن ، فـخـرج الوزير يحيا الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يـريـد منه أمير المومنين ووعده على ذالك الرفعة والمنزلة العالية والصلات السنية وأعطاه أموالا جزيلة وتحفا مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه ، فخرج سليمان بن جرير من بغداد يجد السير مظهرا النزوع (الى ادريس) فيمن نزع ومتبرئا من الدعوة العباسية ، ومنتحلا للطب حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس رضي الله عنه بمدينة وليلى ، فسلم عليه ، فسأله الامام ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وماسبب قدومه الى المغرب ، فذكـر له أنه من بعض موالى أبيه ، وأنه اتصل به خبره ، فأتاه برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت ، اذ لايعدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم، فأنس به ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وركن اليه وحـل من قلبه بمنزلة رفيعة ، فكان لايقعد ولايأكل الا معه ، لأنه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره ، وذالك لجهل أهل المغرب في ذالك الوقت وجفاء طباعهم ، ولما ظهر له ايضا من سليمان بن جرير من النبل والأدب والظرف والبلاغة ، فحل منه محلا رفيعا •

فكان سليمان بن جرير اذا جلس الامام ادريس رضي الله عنه بين رؤساء البرابر ووجوه القبائل يتكلم فيذكر فضائل أهل البيت ، وعظـيـم

بركاتهم ويقيم الدلائل على امامة ادريس رضي الله عنه وانه الامام لا امام غيره ، ويأتى على ذالك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وبأحاديث تعجب ادريس ، فكان ادريس يتعجب من فصاحته وبلاغته ومعرفته بالجدال ويستظرفه ويحبه ، فلم يزل سليمان بن جرير عند ادريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلايجد الى ذالك سبيلا من أجل مولاه راشد الذي لايزايله ولا يفارقه ، الى أن غاب راشد ذات يوم فى بعض شؤونه ، فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده ، فجلس بين يديه على عادته ، فتحدث معه مليا ، فلم ير لراشد أثرا ، فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة ، فقال ياسيدى جعلت فداك ، انى جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها، ثم انى رأيت هاذه البلاد ليس بها طيب فرأيت ان الامام اولا بها منى ، فخذها تطيب بها فقد أاثرتك على نفسى ، وهو من بعض مايجب لك علي ، ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه ، فشكره ادريس على ذالك ، ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ، فلما رأا سليمان بن جرير الامام ادريس قد فتح القارورة وشمها وتحصل بمراده منه وتمت حيلته فيه جعل يده فى الأرض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسا من عتاق الخيل وسباقها كان أعدها لذالك ، وخرج من مدينة وليلي يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة ، فلما استنشق ادريس الطيب صعد السم فى خيشومة وانتها الى دماغه فغشي عليه وسقط بالأرض على وجهه لايفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد مابه ولا ما أصابه ، فاتصل خبر غشيته بمولاه راشد ، فأقبل اليه مسرعا فدخل عليه فوجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت لايقدر أن يبين الكلام ، فقعد عند رأسه متحيرا فى أمره لايعلم ما به ، حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الأرض ، وأقام ادريس فى غشيته الى عشي النهار ، فتوفي رحمه الله ، وكانت وفاته فى مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومئة (الثلاثاء ١٦ يوليوز ٧٩٣ م) فكانت امارته بالمغرب خمسة أعوام وسبعة أشهر ، واختلف فى سبب وفاته ، فقيل سمه فى طيب كما تقدم وقيل سمه فى حوت من الشابل، وقيل سمه فى سنون لأنه كان يشتكى باسترخاء لثاته ، والله أعلم

بصحة ذالك ٠

فلما توفي ادريس رضي الله عنه نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فسأل عنه ، فأخبر انه لقي على أميال كثيرة من البلاد ، فعلم حينئذ أنه هو الذي سمه ، فركب فى جمع كثير من البربر وخرج فى طلبه وجد المسيرة طول ليلته ، وتقطعت الخيل فى أثره فلم يلحق به أحد من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز نهر ملوية ، فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنا وشجه فى رأسه ثلاث شجات وجرحه فى جسده ، كل ذالك لايصيب له مقتلا ، وعيي جواد راشد ، وفر سليمان بن جرير وهو مثخن بالجراح حتى وصل العراق فأخبر بعض الناس أنه رأاه بالعراق ببغداد مبطولة (٩) يده اليمنا وبرأسه وجسده اثر الجراحات قد برئت ، فرجع راشد من تبع سليمان بن جرير الى مدينة وليلى ، فدفن بقربها ادريس رضي الله عنه ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته رحمه الله تعالا ، ولم يكن لادريس حين وفاته ولد الا ان ام ولده تركها حبلا ٠

قال أبو محمد عبد الملك بن محمود الوراق فى كتاب المقباس ، والبكرى ، والبرنسى وغيرهم ممن اعتنا بتاريخ أيام الأدارسة : ان الامام ادريس بن عبد الله لم يترك ولدا مولودا الا أنه ترك جارية له مولدة من تالد البربر اسمها كنزة حامل منه فى الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن ادريس ، فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة وهي فى الشهر السابع من حملها ، وقال لهم فان رأيتم أن تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرا ربيناه ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية النبي صلا الله عليه وسلم ، وان كان جارية نظرتم لأنفسكم من ترضونه وترونه أهلا لذالك ، فقالوا له أيها الشيخ المبارك مالنا رأي الا مارأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان ادريس وتصلى بنا ، وتحكم فينا بما يقتضى الكتاب والسنة حتى تضع الجارية ، فان وضعته غلاما

---

9) اى مشلولة ، والكلمة من العامى المغربى الفصيح .

ربيناه وبايعناه ، وان وضعت جارية نظرنا في أمرنا ، على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك ، فشكرهم راشد على ذالك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد بأمر البربر حتي أتممت الجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس رحمه الله ، فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه ، فقالوا هاذا هو ادريس بعينه كأنه لم يمت، فسماه راشد باسم أبيه وقام بأمره وأمر البربر وكفله حتى فطم وشب فأدبه أحسن أدب ، وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ودربه مع ذالك على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكايد الحروب ، فلما أدب في ذالك كله وكملت له من السنين احدا عشرة سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل المغرب فبويع له بجامع مدينة وليلى .

الخبر عن دولة الامام إدريس بن إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، أمه أم ولد مولدة نفزية اسمها كنزة مولده في يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومئة (١٤ أكتوبر ٧٩٣ م) ، كنيته أبو القاسم ، صفته صفة أبيه ، كان أبيض اللون مشوبا بحمرة أكحل أجعد تام القد جميل الوجه أقنا الأنف مليح العنين واسع المنكبين شثن الكفين والقدمين أبلج أفلج أدعج ، فصيحا بليغا أديبا عاملا بكتاب الله تعالا قائما بحدوده ، راويا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ورعا تقيا جوادا كريما حازما بطلا شجاعا ، له عقل راجح ، وحلم واسع واقدام في مهمات الأمور .

قال داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربى :

شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلا ركعتين ودعا الله تعالا ثم ركب فرسه وقدم للقتال ، فقاتلناهم قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب فى هاذا الجانب مرة ثم يكر فى الجانب الثانى ، فلم يزل كذالك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته ، فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم ، فأعجبنى مارأيت منه من شجاعته وقوة جأشه ، فالتفت نحوى فقال لى ياداوود مالى أراك تديم النظر الى ؟ قلت أيها الامام انه أعجبنى منك خصال لم أرها فى غيرك ، قال وماهي ياداوود ؟ قلت أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك، ومن طلاقة وجهك ، وماخصصت به من البشر عند لقاء عدوك ، قال ذالك من بركة جدنا رسول الله صلا الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا واراثة عن أبينا علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، قلت أيها الامام وأراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق فى فمى فلا أجده ، قال ياداوود ذالك لاجتماع عقلي وقوة بأسى عند الحروب ، وعدم الريق من فمك لطيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب ، قال داوود فقلت أيها الأمير وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك فى سرجك وقلة قرارك فى موضعك ، قال ذالك منى زمع الى القتال وحزم وصرامة ، وهو أحسن فى الحرب ، فلاتظنه رعبا ، وأنشأ يقول :

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصا بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولانشتكى مما يؤول الى النصب

وكان ادريس رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، وكان بهلول بن عبد الواحد (١٠) رئيسا معظما فى قومه ، وكان من خاصة ادريس ، فكاتبه

---

١٠) المدغرى ، ينظر عنه الحلة السيرا الجزء الأول ص III وص 55 ولادريس أشعار اخرا تنظر فى ص 55 من الكتاب المذكور .

ابن الأغلب عامل الرشيد على أفريقية واستهواه بالمال فمال اليه وبايع الرشيد ، فكتب اليه ادريس بن ادريس :

أبهلول قد شممت نفسك خطة — تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره — فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب — غدا آاخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون مامنتك نفسك خاليا — ومناك ابراهيم شوك قتاد

وزيره عمير بن مصعب الازدى ·

قاضيه عامر بن محمد بن سعيد القيسى ·

كاتبه أبو الحسن عبد الله بن مالك المالكى الأنصارى ·

ولما كمل الامام ادريس بن ادريس من العمر احدا عشرة سنة وخمسة أشهر عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر وغيرهم ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلب عامل أفريقية ، فحاول قتل راشد ، فاندس اليه من أبلغ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر فاستهواهم بها فقتلوا راشد ، وذالك فى سنة ثمانية وثمانين ومئة ·

فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، فأخذ له البيعة على جميع قبائل البربر ، وذالك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومئة (١٦ يبراير ٨٠٤ م) بعد قتل راشد بعشرين يوما وهو ابن احدا عشرةسنة وخمسة أشهر ، قاله عبد الملك الوراق فى تاريخه، وفى قتل راشد يقول ابراهيم بن الأغلب فى بعض ماكتب به الى الرشيد يعرفه بخدمته ونصيحته :

ألم ترنى بالكيد أرديت راشدا — وأنى بأخرا لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره — بمحتومة قد هياتها المكايد
فتاه أخوعك بمقتل راشد — وقد كنت فيه شاهدا وهوراقد

يريد بأخى عك محمد بن مقاتل العكى والى أفريقية للرشيد ، لأنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد فتهيأ له كتب العكي الى الرشيد يعلمه انه هو الذي فعل ذالك ، فكتب صاحب البريد صحة الخبر الى الرشيد وأعلمه

أن ابن الأغلب هو الفاعل لذالك والمتولى له ، فضح ذالك عند الرشيد وكذب العكى وصدق ابن الأغلب ، وكان ابن الأغلب من قواد أفريقية فكتب الرشيد بعزل العكى عن أفريقية وولاها ابن الأغلب .

قال البكرى والبرنسى :

ان راشد لم يمت حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب ، وان الامام ادريس رضي الله عنه لما كمل احدا عشرة سنة ظهر من ذكائه وعقله ونبله وفصاحته وبلاغته مااذهل عقول العامة والخاصة فأخذ له راشد البيعة على سائر قبائل البربر ، وذالك يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومئة ، فصعد ادريس رضي الله عنه المنبر وخطب الناس في ذالك اليوم فقال :

«الحمد الله أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به من شر نفسي وشر كل ذى شر ، وأشهد أن لااله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلا الله وسلم عليه وعلى أال بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس : انا قد ولينا هاذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن - والحمد لله - على قصد جميل فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا ، فان ماتطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا» .

ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه .

ثم نزل فسار الناس الى بيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه ، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر ، فتمت له البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد ، والله أعلم، فاستقام الناس لادريس بن ادريس بالمغرب وتوطأ له الملك وكثر سلطانه ، وقويت جنوده ، وأتباعه ، وعظمت جيوشه وأشياعه ، ووفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس نحوه من كل ناحية ومكان ، فاقام بقية سنة ثمان

وثمانين التى ولي فيها يعطى الأموال ويصل الوفود ويستميل الـرؤسـاء والأشيـاخ ٠

وفي سنة تسع وثمانين ومئة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود العرب من بلاد أفريقية وبلاد الأندلس فى نحو الخمسمئة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتـهـم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي ، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدى ، وكان من فرسان العرب وسادتها ، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بأفريقية والأندلس ، ومشاهد فى غزو الروم كثيرة ، واستقضا منهـم عامر بن محمد بن سعيد القيسى من قيس عيلان ، وكان رجـلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثورى وروا عنهما كثيرا ، ثم خـرج الى الأندلس برسم الجهاد ، ثم جاز الى العدوة فوفد منها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق ، فكثر الناس وضاقت بهم مدينة وليلى ٠

فلما رأا ادريس رضي الله عنه أن الأمر قد استقام له وعظم ملكه وكثر جيشه وضاقت بهم المدينة ، عزم على الانتقال عنها وأراد ان يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب فى خاصة من قومه ورؤساء دولته وخرج يتخير البقاع ، وذالك فـى سنة تسعين ومئة ، فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاختط مدينة بسنده مما يلى الجوف وشرع فى بنائها ، فبنا جزءا من سورها ، فأتا سيل من أعلا الجبل فى بعض الليالى فهدم جميع ماكان بناه من السور المذكور ، وحمل ماحوله من خيام العرب ، وأفسد كثيرا من الزرع ، فلما رأا ذالك ادريس رضي الله عنه رفع يده من البناء وقال : هاذا موضع لايصلح للمدينة ، فالسيول تركبه من رأس الجبل ، قاله ابن غالب فى تاريخه ٠

وقيل ان ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما وصل الى جبل زالغ

صعد فى لبته فأعجبه ارتفاعه واشرافه على جميع الجهات ، فجمع قواده ووجوه دولته وحشمه فأمرهم ببناء الديار فى سند الجبل فبنوا الديار ، وحفروا بالجبل الآبار ، وغرسوا الزيتون والكرم والأشجار وشرع هو فى بناء المسجد والسور ، فبنا من سورها جزءا يزيد على الثلث ، فلما كان في بعض الليالى نزل مطر عظيم وابل ، فهبط السيل من أعلاَ الجبل دفعة واحدة ، فهدم جميع ماكان مبنيا وأفسد جميع ماكان غرس ، وحمل ذالك كله حتى رما به في نهر سبو وهلك فيه خلق كثير ، فكان ذالك سبب رفع اليد من بنائها .

فأقام الامام ادريس رضي الله عنه الى أن دخل شهر المحرم مفتتح سنة احدا وتسعين ومئة ، فخرج يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبنى فيه ماقد عزم عليه ، فوصل الى وادي سبو حيث هي حمة خولان (١١) فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هنالك ، فعزم على ان يبني به المدينة ، وشرع فى حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ، ثم نظر الى وادى سبو وكثرة مايأتى به من المدود العظيمة فى زمن الشتاء ، فخاف على الناس الهلكة فبدا له فى بنائها ورفع يده عنها ورجع الى مدينة وليلى ، فبعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعا يبنى فيه المدينة التي أراد ، فسار عمير فى جماعة من قومه يرتاد له ماطلب ، فاخترق تلك النواحى وجال فى تلك الجهات يختبر الأرضين والمياه حتى وصل الى فحص سايس ، فوجد فسحة الأرض واعتدالها وكثرة المياه فأعجبه مارأاه من ذالك ، فنزل هنالك على عين غزيرة من ماء تطرد فى مروج مخضرة ، فتوضأ وصلا بهم صلاة الظهر حولها ، ثم دعا الله تعالا أن يهون عليه مطلبه ، وان يدله على موضع يرتضيه لعبادته ، فركب وأمر قومه ان ينتظروه عند تلك العين حتى يعود اليهم ، فنسبت العين اليه وسميت به عين عمير الى الآن ، وعمير هاذا هوجد بنى الملجوم منبيوتات فاس (١٢) ، فسار عميرفي

11) حمة سيدى حرازم الحالية .

12) أنظر عن بيت بنى الملجوم **بيوتات فاس الكبرا** ص 10 طبع دار المنصور .

فحص سايس يطلب ماخرج اليه حتى وصل الي العيون التى ينبعث منها نهر مدينة فاس ، فرأا عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصرا ومياهها تطرد في فسيح لأرض ، ورأا حول العيون شجرا من الطرفاء والطخش والعرعر والكلخ وغيره ، فشرب من ذالك الماء فاستطابه ، فقال هاذا ماء عذب وهواء معتدل ، وهو أقل ضررا واكثر نفعا ، وحوله من المزارع أكثر مما حول نهر سبو ، ثم سار مع مسيل الماء حتى وصل الى موضع مدينة فاس ، فنظر الى مابين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار ، مطردة العيون والأنهار ، وفى بعض منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبنى يرغثن ، فرجع عمير الى ادريس وأعلمه بما وقع عليه من الأرض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها واعتدال الهواء فأعجبه مارأاه من ذالك ، وسأل عن مالك الأرض فقيل له قوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فقال ادريس رضي الله عنه هاذا فال حسن ، فبعث اليهم واشترا منهم مواضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذالك وشرع فى بناء المدينة .

وقيل كان يسكن مدينة فاس قبيلتان من زناتة وزواغة وبنى يرغثن، وكانوا أهل أهواء مختلفة ، منهم على الاسلام ، ومنهم على النصرانية ومنهم على اليهودية ، ومنهم على المجوسية ، ومنهم بنو يرغثن وكانوا يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلس الآن ، وكان بيت نارهم بالشيبوبة (١٣) وكانت زواغة بحومة عدوة القرويين ، فكان القتال بين القبيلتين لايزال على مر الأيام ، فلما أتا ادريس رضي الله عنه مع عمير لينظر الى الموضع الذي ارتاده له وجد زواغة وبنى يرغثن يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض ، فبعث ادريس اليهم ، فحضر الفريقان بين يديه ، فأصلح بينهما ، ثم اشترا منهم الغيضة التي بنا فيها المدينة ، وكانت عظيمة لاترام لكثرة المياه والأشجار والسباع

I3) مازال مكان الشيبوبة معروفاً الى اليوم ، وهو واقع بين قنطرة بين المدن وحدادى النخالين .

والخنازير ، فرضوا جميعا ببيعها واخراجها من يد الفريقين ، ثم شرع فى البناء .

وقيل انه اشترا موضع عدوة الأندلس من بنى يرغش بألفي درهم وخمسمئة درهم فدفع لهم المال ، وكتب العقد بشرائها منهم كاتبه الفقيه أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى الأنصارى ، وذالك فى سنة احدا وتسعين ومئة ، فنزل به ادريس رضي الله عنه وشرع فى بناء السور، وضرب أبنيته وقبابه بالموضع المعروف اليوم بجرواوة (١٤) ودور عليها جدرا من الخشب والقصب فسمي الموضع جرواوة الى اليوم ، ثم اشترا موضع عدوة القرويين من بنى الخير الزواغيين بثلاثة ألاف درهم وخمسمئة درهم وشرع فى بنائها .

الخبر عن بناء الامام إدريس بن إدريس

رضي الله عنهما مدينة فاس وذكر ما خصت به من الفضائل والمحاسن التى تفوق بها جميع المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه :

لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين ، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها ، وهي كانت دار مملكة الأدارسة الحسنيين الذين اختطوها ودار مملكة زناتة من بنى يفرن ومغراوة وغيرهم من ملوك المغرب فى الاسلام ، ونزلها لمتونة فى أول ظهورهم على المغرب ، ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها لقربها من بلادهم بلاد القبلة ، فأتا الموحدون بعدهم فنزلوا مراكش واتخذوها دار ملكهم لقربها من بلادهم وكونها مبنية فى جوارهم وبين قبائلهم ، ومدينة فاس لم تزل أم بلاد المغرب فى القديم والجديد ، وهي الآن

---

14) مازالت حومة جرواوة معروفة بهاذا الاسم الى اليوم .

قاعدة ملوك بني مرين أطال الله أيامهم ، وأعلا أمرهم ، وخلد سلطانهم، فهي منهم في المحل الرفيع ، والشكل البديع ، وقد جمعت مدينة فاس بين عذوبة الماء ، واعتدال الهواء ، وطيب التربة ، وحسن الثمرة، وسعة المحرث وعظيم بركته ، وقرب المحطب وكثرة عدده وشجره ، وبها منازل مؤنقة ، وبساتين مشرقة ، ورياض مورقة ، وأسواق مرتبة منسقة ، وعيون منهمرة ، وأنهار متدفقة منحدرة ، وأشجار ملتفة ، وجنات دائرة بها محدقة .

وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي : النهر الجارى ، والمحرث الطيب ، والمحطب القريب ، والسور الحصين ، والسلطان ، اذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها ، وقد جمعت مدينة فاس هاذه الخصال التى هي كمال المدن وشرفها ، وزادت عليها بمحاسن كثيرة نذكرها بعد ان شاء الله تعالا .

فلها من المحرث العظيم سقيا وبعلا على كل جهة منها ماليس هو على مدينة من مدائن المغرب ، وعليها المحطب في جبل بني بهلول الذى الذي في قبلتها (١٥) يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال حطب البلوط والفحم مالا يوصف كثرة ، ونهرها يشقها نصفين ، ويتشعب في داخلها أنهارا وجداول وخلجانا ، فتتخلل الأنهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها وأسواقها وحماماتها ، وتطحن به أرحاؤها ، ويخرج منها وقد حمل أثفالها (١٦) وأقذارها ورماداتها .

وقد أنشد الفقيه الصالح الزاهد يوسف ابن النحوى (١٧) في مدحها ووصفها :

---

15) كانت قبيلة بني بهلول تسكن الجبال الواقعة شمالي غربي فاس حيث حمة مولاى يعقوب الحالية ، وتمتد مساكنها عبر سهل سايس الى جبال صفرو حيث قرية البهاليل الحالية وهاذه الجبال الأخيرة هي الواقعة في القبلة وهي التى يعنيها المؤلف .

16) جمع ثفل ، ما يرسب من كدرة في أسفل الشيء ، والكلمة من العامي الفصيح الجارى على ألسنة العامة الى اليوم .

17) أبو الفضل ، أنظر عنه **التشوف** ع 9 **وجذوة الاقتباس** ص 346 .

يافاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هاذا نسيمك أم روح لراحتنا ؟ وماؤك السلسل الصافى أم الورق ؟
أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

وكان الفقيه يوسف ابن النحوى من أهل العلم والدين والورع والفضل ، ذكر صاحب كتاب التشوف (١٨) أنه من أكابر رجال المغرب .

وللفقيه الكاتب البارع أبى عبد الله المغيلى (١٩) فى وصفها ويتشوق اليها حين ولي القضاء بمدينة أزمور :

يافاس حيا الله أرضك من ثرا وسقاك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التي أربت على حمص بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها ماء ألذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت بجداول كالأيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره أنس تذكره يهيج تبلبلى
وبصحنه زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا به واكرع بها عنى فديتك وانهل

قال المؤلف

ويخرج نهر مدينة فاس فيسقى جناتها وبحائرها الى أن يصب بوادى سبو على مقدار الميلين منها .

وماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها ، يخرج من عيون بأعلاها فى بسيط من الأرض من ستين عنصرا كلها تتبعث من جهة القبلة ، وثلاثة عناصر من قبل المغرب على نحو عشرة أميال من المدينة ، فيجتمع مايخرج من تلك العناصر من المياه فيصير نهرا كبيرا ، فيجرى فى بسيط من الأرض على الكرفس والسعدا من منبعه حتى ينحدر على المدينة فى مرج لايزال كذالك صيفا وشتاء حتى

---

18) **التشوف** ع 9 .

19) أنظر عنه **مستودع العلامة** ص 48 وجذوة **الاقتباس** ص 145 ودرة **الحجال** I : 273 .

يدخل البلد ، وينقسم فى داخلها على جداول كثيرة كما قدمنا ٠

ومن فضائل ماء هاذا النهر انه يفتت الحصا ، ويذهب الصنان لمن اغتسل به وداوم على شربه ، ويلين البشرة ، ويقطع القمل ، ويسرع الهضم ، ويشرب على الريق فلايعدى ، ومن يستكثر من شربه فلا يضره، وذالك لأجل جريانه على الكرفس والسعدا فهو فى نهاية الخفة والعذوبة

ومن فضائل هاذا النهر ماذكره ابن جنون المتطبب أنــه ينبه شهوة الجماع اذا شرب على الريق ، ومن فضله أنه يغسل بــه الثياب من غير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصــا ورائـحـة طيبة كما يفعـل الصابون ، فيقسم عليها أنها غسلت بالصابون ٠

ومن فضائل نهر مدينة فاس أنه يخرج منه الصدف الحسن الذي يقوم مقام الجوهر النفيس ، تباع الحبة منه بمثقال ذهب وأقل وأكثر ، وذالك لحسنه وصفائه وعظم جـرمه ، ويوجد فــى مياه هاذا النهــر السراطين وليست توجد فى مياه الأندلس الا نادرا ، ويخرج فيه أيضا أنواع من الحوت من اللبيس والبورى والسيناخ والبوقة ، وهو حــوت لذيذ الطعم كثير المنفعة ، وعلى الجملة ان نهر مدينة فــاس يفوق مياه المغرب فى العذوبة والخفة وكثرة المنفعة ٠

وتفوق مدينة فاس غيرها من البلاد بمعدن الملح الذى عليها ليس فى معمور كرة الارض ملح مثله ، وهو على نحو ستة أميال منها ، وطول هاذه الملاحة نحو ثمانية عشر ميلا أولها من مجشر الشاطبى ، وأاخرها بوادى مكس عند دمنة البقول ، وفى هاذه الملاحة أصناف من الملح لايشبه بعضها بعضا فى الألوان والصفة ، فالملح بالمدينة كثير جدا يباع عشرة أصوع بدرهم وأقل وأكثر ، بحسب مايجلب ٠

ومن بركة هاذه الملاحة أنها كلها تحرث بالزرع ، فتجد فداديــــن الزرع فى وسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلا من الله تعالا وبركة منه ، وكان الملح قبل هاذا يباع حمل بدرهــم لايجد بائعه مـــن يشتريه منه لكثرته ، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من فاس جبال بنى يازغة

حيث يقطع خشب الأرز فيجلب الى المدينة منه فى كل يوم مالايحصا كثرة، ومن هاذه الجبال ينبعث نهر سبو (٢٠) من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس على مقدار الميلين منها فيصيد أهل المدينة الشابل والبورى وأصناف الحوت ، ويحملون منهاأحمالا الىالمدينة فتصلطرية لم تتغير ، وأكثر نزهات أهل المدينة نهر سبو ، وبالقرب أيضا من مدينة فاس حمة عظيمة تعرف بحمة خولان ، وماؤها أشد مايكون من السخانة وبالقرب منها ايضا حـمـة وشتاتـة (٢١) وحـمـة ابـى يعقوب (٢٢) وهي من الحمات المشهورة بالمغرب ٠

وسكان مدينة فاس أحد أهل المغرب أذهانا ، وأشدهم فطـنـة ، وأرجحهم عقلا ، وألينهم قلوبا ، وأكثرهم صدقة ، وأعزهـم نفوسا ، وألطفهم شمائل ، وأقلهم خلافا على الملوك ، وأكثرهم طاعة لولاتـهـم وحكامهم ، وكيفما تقلبت الأحوال فهم يسمون على أهل بلاد المغرب عملا وفقها ودينا ٠

ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوا الغربـاء ، مـن دخلها استوطنها وصلح حاله بها ، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، فهي فى القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية ، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدى بهم جميع فقهـاء المغرب ، لم يزل ذالك على مر الزمان ، وذالك ببركة بانيها مولانـــا ادريس رضي الله عنه ، فانه لما اراد الشروع فى بنائها رفع يده وقال : (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك وتقام بها حدودك ، واجعـل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها) ، ثم أخذ المعول بيده فابتدأ بحفر الاساس ، فلم تزل منذ بنيت الى يومنا هاذا وهو عام ستة وعشرين

---

20) قرب قرية مصدورة جنوبى غرب جبل خمدة .

21) حمة صغيرة تقع فى السفح الشمالى لجبل زلاغ ، فيهاجميع خواص مياه حمة مولاى يعقوب ، ولكن مياهها قليلة ، فلذالك لا يستحم فيها الا أهل القرى والمداشر المجاورة لها .

22) حمة مولاى يعقوب الحالية ، وهو يعقوب بن الأشقر البهلولى المتوفا سنة 689 هـ انظر ترجمته فى **سلوة الأنفاس** 3 : 216 وانظر أيضاً **بيوتات فاس الكبرا** ص 14 .

وسبعمئة دار علم وفقه وسنة ، والجماعة بها قائمة ·

ويكفى من فضلها وشرفها ماورد عن النبي صلا الله عليه وسلم فى وصفها ، فانه وجد فى كتاب دارس بن اسماعيل أبى ميمونة بخط يـــده رحمه الله تعالا : حدثنى ابن أبى مطر بالأسكندرية قال : حدثنى محمـد ابن ابراهيم المواز ، عن عبد الرحمان ابن القاسم ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن شهاب الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هــريـرة رضي الله عنه ، عن النبي صلا الله عليه وسلم أنه قال : ستكون مدينة تسما فاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة ، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لايزالون متمسكين به لايضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة ·

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضي الله عنه لما عزم على بنائها ووقف فى موضعها يختطها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارا وقد نيف على مئة وخمسين سنة كان مترهبا فى صومعة قريبة من تلك الجهة ، فوقف بادريس وسلم عليه ، ثم قال له أيها الأمير ماتريد أن تصنع بين هاذين الجبلين ؟ فقال أريد أن أختط بينهما مدينة لسكناي وسكنا أولادى من بعدى ، يعبد الله تعالا بها ويتلا بها كتابه وتقام بها حدوده ، قال أيها الأمير ان لك عندى بشرا ، قال وماهي أيها الراهب ؟ قال انه أخبرنى راهب كان قبلى فى هاذا الدير توفي منذ مئة سنة أنــه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهاذا الموضع مدينة تسما ساف خربت منذ ألف وسبعمئة سنة ، وأنه يجددها ويحيى داثرها ويقيم دارسها رجل من آال بيت النبوءة يسما ادريس ، يكون له شأن عظيم وقدر جسيم لايزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة ، فقال ادريس رضــي الله عنه : الحمد لله أنا ادريس ، وأنا من آال بيت الرسول صلا الله عليه وسلم ، وأنا بانيها ان شاء الله ، فكان ذالك مما قوا عزم ادريس على بنائها ، فشرع فى حفر اساسها ·

قـــال المـؤلـف :

ويدل على صحة هاذه الرواية مارواه البرنسى أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار يبنيها لسكناه بقنطرة عزيلة من المدينة المــذكـورة ، والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط والطرفاء وغير ذالك ، فوجــد فى الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرهــا بــالقلم المسند «هاذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيــعــة للعــبــادة» ٠

وكان تأسيس الامام ادريس لمدينة فاس على ماذكره المؤرخون الذين اعتنوا بتاريخها وأنبأوا عن ابتداء أمرها فى يوم الخميس غرة ربــيــع الأول عام اثنين وتسعين ومئة (٤ يناير ٨٠٨ م) ، أسس عدوة الأنــدلس منها وأدار بها السور ، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين ، وذالــك غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وتسعين ومــئــة (٢٢ ينايــر ٨٠٩ م) ، وابتدأ ببناء سور عدوة الأندلس القبلى فأدار السور على جميعها ، وبنا بها الجامع الذي برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ (٢٣) ، وأقـــام فيه الخطبة ، ثم شرع فى بناء عدوة القرويين فى سنة ثلاث وتسعــيــن المذكورة ، وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة ، فبقي يقطع الشجـــر والخشب ويبنى فى موضعه ، وأعجبه مارأا من كثرة العيون فيها وتدفق الأنهار ، فانتقل عن عدوة الأندلس اليها ، ونزل منها بموضع يــعــرف بالقرمدة ، وضرب فيه قيطونه ، وأخذ فى بناء الجامع ، وهو المســجــد المعروف الآن بجامع الشرفاء (٢٤) ، شرفه الله بذكره ، وأقام فيه الخطبة ثم أخذ فى بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون (٢٥) الــتــى يسكنهــا الشرفاء الجوطيون من أولاده ، ثم بنا القيسارية الى جانب المســجــد الجامع ، وأدار الأسواق حوله من كل جانب ، وأمر الناس بالبناء والغرس

---

23) هو المسجد الواقع بأعلا عقبة الصفاح عند بداية زنقة سيدى بوجيدة ، ويعرفه بالجامع الأنور (جامع النوار) ٠

24) هو المسجد الواقع أمام باب الحفاء من ضريح الامام ادريس الثانى ٠

25) بجانب مسجد الشرفاء المتقدم امام الباب الذى يصحن مسجد الضريح الادريسى ٠

وقال لهم : (من ابتنا موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو لــه هبة ابتغاء وجه الله تعالا) ، فابتنا الناس الديار ، واغترسوا الثمار ، وكثرت العمارة والغبطة ، فكان الرجل يختط مــوضع منزله وبنيانــه وبستانه من الشعراء ثم يقطع منه الخشب فيبنى به لايحتاج الى خشب غــيــره .

ووفد عليه فى تلك الأيام جماعة من الناس من بلاد العراق فأنزلهم بناحية عين علون ومنهم بنو ملولة (٢٦) ، وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ، وكان بها عبد أسود يقطع الطريق ، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحامونها ولا يمرون بتلك الناحية ولايقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور والتفاف الأشجار وخرير المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية بها ، فكان الرعاة يتحامونــهــا بمواشيهم ، ولايسلكها الا الجماعات من الناس ، فعرف ادريس رضــي عنه بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة القرويين فأمر بالقبض عليه ، فخرجت الخيل فى طلبه ، فقبض عليه وأتي به اليه فأمر بقتله وصلبعلى شجرة هناك كانت على رأس العين المذكورة ، فبقي علون مصلوبا علــى تلك العين حتى تمزقت أشلاؤه وتقطعت أوصاله ، فسميت العين به الى الآن (٢٧) وأدار الامام ادريس رضي الله عنه سور عــدوة القرويين ، وابتدأه من رأس عقبة عين علون ، وصنع برأس العقبة بابا وســمــاه باب أفريقية ، وهو أول باب صنع بالمدينة المذكورة ، ثم هبط بالسور على عين دردورة حتى وصل به الى عقبة السعتر (٢٨) فصنع هنالك بــابــا وسماه باب حصن سعدون (٢٩) ثم هبط بالسور الى أول أغلان (٣٠) فصنع هنالك بابا وسماه باب الفرس ، ثم أدار السور مع أغلان حتى وصل

---

26) فى الأصل ملونة بالنون ، وعند أصحاب **بيوتات فاس الكبرا** بلامين انظر ص 38 .

27) وحتى الآن ، أسفل عقبة الشرابليين .

28) العقبة الواقعة بين العشابين وباب الجيسة ، حيث ضريح سيدى أحمد بن يحيا .

29) هو أصل باب الجيسة الحالى ، والمكان الذى بنى فيه هو مكان قوس ساباط حومة الحفارين فوق رحبة الزرع القديمة ، انظر **سلوة الأنفاس** I : 190 .

30) هو مكان حومتي فندق اليهودى والبليدة ، انظر **جنا زهرة الآس** ص 101 ..

به شفير الوادى الكبير الفاصل بين العدوتين ، فصنع هنالك بابا وسماه باب الفصيل (٣١) وهو الباب الذي يخرج منه الى بين المدينتين ، ثم جاز الوادي بالسور وطلع به مع ضفة الذهر خمس مسافات ، وصنع هنالك بابا سماه باب الفرج ، وهو الذي يسمى الآن باب السلسلة ، ثم جاز النهر أيضا بالسور الى عدوة القرويين وطلع به مع النهر الكبير فى أسفل القلعة الى عيون ابن اللصاد الى الجرف ، وصنع هنالك بابا سماه باب الحديد ، وهو فى أعلا القلعة مما يلى الجرف ، ثم سار بالسور من باب القلعة المذكور الى باب أفريقية ، فجاءت مدينة عدوة القرويين متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والأرحاء لها ستة أبواب ، وابتدأ أيضا سور عدوة الأندلس من جهة القبلة ، فبنا بها باب الفوارة هناك ، ومنه يخرج الى مدينة سجلماسة ، وهو الآن مبنى يعرف بباب زيتون ابن عطية لم ينفتح من سنة عشرين وستمئة ، وهبط بالسور على المخفية الى الوادي الكبير ، الى برزخ (٣٢) وعمل هنالك بابا يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور على الشيبوبة ، وفتح هنالك بابا يعرف بباب الشيبوبة مقابلا لباب الفصيل من عدوة القرويين، ثم سار بالسور الى رأس حجر الفرج ، فصنع هنالك بابا سماه باب أبى سفيان ، ومنه يخرج الى بلاد غمارة والى الريف ، ثم سار بالسور على جرواوة ، فصنع هنالك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسة ، ومنه يخرج الى بلاد تلمسان ، ومنه يخرج الى حارة المرضا ، فلم يزل الباب على مابناه ادريس الى أن هدمه عبد المومن بن علي أيام ظهوره على المغرب وفتحه لمدينة فاس ، وذالك فى سنة أربعين وخمسمئة ، فلم يزل الباب مهدوما الى أن بناه الناصر بن المنصور الموحدي حين جدد سور المدينة، وذالك فى سنة احدا وستمئة ، وسماه باب الخوخة ، وكانت حارة المرضا بخارج هاذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرا الريح الغربية فتحمل

31) هو باب النقبة الحالى .

32) حومة سيدى العواد الحالية ، انظر **سلوة الأنفاس** I : 307 .

الرياح أبخرتهم ولا يصل الى أهل المدينة منها شيء ، وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ، فلما كانت المجاعة العظما التى خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات ، وذالك من سنة تسع عشرة الى سنة سبع وثـلاثين وستمئة لـما أراد الله انقراض الدولـــة الموحدية وظهور الدولة المرينية بالمغرب أطالها الله وخلدها ، فانتــقــل الجذما فى أيام المجاعة والفتنة من خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين ، وهي الكهوف التي بقرب الوادي بن مطامر الزرع وجنة المصارة (٣٣) فأقامــوا هنالك الـــى أن ظهرت الدولة المرينية على المغرب ، واستقام امرها ، وأشرق نــور عدلها ، وشمل الناس بركتها ، فانجبرت الناس وعمرت البلاد وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، فرفع الى يعقوب بن عبد الحق رحمه الله أمر الجذما وتصرفهم وغسل ثيابهم وآنيتهم وأقذارهم فى نهر مديـنـة فاس لقربهم منه ، وان ذالك ضرر لأهل المدينة ، فأمر رحمه الله عـامله على المدينة وهو الشيخ ادريس ابن أبى قريش أن ينقلهم من هنالك ليبعدوا عن ماء النهر ، فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين ، وذالك فى سنة ثمان وخمسين وستمئة .

وبنا أيضا الامام ادريس رضي الله عنه باب عدوة الأندلس القبلى، وسماه باب القبلة ، فلم يزل الباب على مابناه ادريس الـــى ان هدمـــه دوناس حين غلب على عدوة الأندلس فدخلها بالسيف فبناه الفتوح بـــن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الزناتي المغراوي فى أيام ولايته علـــى المدينة المذكورة ، وقيل ان الذي بناه الفتوح بن دوناس المغراوي بن معنصر اليفرنى وبه سمي .

---

33) المصارة فى عرف المغاربة والأندلسيين القدماء هو الفضاء الفسيح الواقع خارج أسوار المدن والمعدود من متنزهاتها ، وروض المصارة بفاس هو الروض أو الرياض الملوكية التى كانت تمتد جنوبى القصر الملكى حيث المدينة الحديثة (دار الدبيبغ) وقد بقى هاذا اللفظ يستعمل فى الرسوم والعقود الى عهد السلطان الحسن الأول ، انظر ما كتبه عن كلمة المصارة الأستاذ محمود على مكى فى تعليقه على جزء من **المقتبس** لابن حيان القرطبي ص 294 .

قال ابن غالب في تاريخه : قال عبد الملك الوراق : وكانت مدينة فاس في القديم بلدين ، لكل بلد منها سور محيط بها وأبواب تختص بها ، والنهر بين البلدين فاصل ، وهو الوادي الكبير الداخل من ناحية باب الجديد من أبواب عدوة القرويين ، فيجري بين العدوتين حتى يخرج من موضع يسما بالرميلة قد صنع له هنالك فى السور بابان عظيمان يخرج عليهما بشبابيك من خشب الأرز مزردة وثيقة يخرج منها الماء ، وكذالك صنع له فى موضع دخوله باب كبير عليه شباك محكم وثيق ، وأسوار المدينة منيعة مرتفعة ، وأبوابها حصينة ، فلعدوة القرويين فى سورها الغربى باب الجديد ، ومنه يخرج الى واديها والى جبل فازاز ومعدن عوام ، وباب سليمان بابها الأعظم ، ومنه يخرج الى مدينة مراكش وبلاد المصامدة وغير ذالك من بلاد المغرب ، ولها ايضا فى سورها باب الجوف ، وهو باب المغيرة ، ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التى فى رأس العقبة ، سد فى زمان المجاعة سنة سبع وعشرين وستمئة فلم يزل على حاله الى الآن ، ولها أيضا فى سورها الجوفى باب حصن سعدون ، وهو الباب الذى كان أنشأه ادريس رضي الله عنه بعقبة السعتر ، فلما كثر الناس بالمدينة واتسعت الأرباض بخارجها فى أيام زناتة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سورا ، وصنع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسماه باسمه باب عجيسة ، كما فعل أخوه الفتوح فى عدوة الأندلس ، فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زناتة وأيام لمتونة الى أيام أمير المومنين محمد الناصر الموحد حين أمر ببناء سور المدينة الذى كان هدمه جده عبد المومن عام أربعين وخمسمئة ، فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا كبيرا وسماه باب عجيسة وترك باب عجيسة على حاله ، ثم أمر بتغيير اسم الباب الذى بناه وترك اضافته الى عجيسة وأسقط الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضا منها فقالوا الجيسة ، ولم يزل باب الجيسة على مابناه عليه الى أن تهدم وتخرب اكثره بمر السنين عليه وتوالى الايام والليالى ، فعرف أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه بأمره وهو ببلاد الأندلس ، فنفذ أمره الكريم من الجزيرة الخضراء ببناء الباب

واصلاحه ، فجدد بأسره ماعدا القوس البرانى فانه وجد صحيحا فترك على حاله وذالك فى سنة أربع وثمانين وستمئة ، وكذالك أمر أيضا أمير المسلمين يعقوب رحمه الله باصلاح السور القبلى من عدوة الأندلس ، فجدد أكثره ورم ماتخلق منه وهدم من باب زيتون ابن عطية الى باب الفتوح على يد قاضيه الفقيه أبى أمية الدلائى ، فأصلحه وأتقنه وذالك فى سنة احدا وثمانين وستمئة ·

ودور مدينة فاس أكثرها على طبقتين بالأعلا والأسفل ، ومنها مايكون على ثلاث طبقات وأربع طبقات ، وذالك لعقد تربتهم ، وكثرة خشب الأرز عندهم ، وهو أطيب خشب الأرض ، يعمر العود منه فى سقف البيت ألف سنة لايعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء مالم يصبه الماء ·

ولم تزل الخطبة تقام فى عدوتي مدينة فاس من حين بنيت حتى الآن: خطبة بعدوة الأندلس ، وخطبة بعدوة القرويين ، وقيسارية ودار سكة بكل عدوة منها ، وكان بها أيام زناتة سلطانان أخوان شقيقان ابنا الأمير **دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية** ، وهما الفتوح وعجيسة ، فكان **الفتوح** بعدوة **الأندلس** وعجيسة بالقرويين ، وكل واحد منهما له جيش وحشم ، وألقا الله تعالا بينهما العداوة والبغضاء ، كل ذالك على طلب الرياسة وتنافسا على الظهور فى الدنيا ، فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان والقتال بينهما على ضفة الوادى الكبير بموضع يعرف بكهف الرماد ، بين المدينتين ، وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة ، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة فى البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب ، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس ، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين ·

وبمدينة فاس من أصناف الأزهار والفواكه مالايوجد فى غيرها من البلاد الا مفترقة فى أقاليم شتا ، وتوجد فى مدينة فاس مجتمعة فى نهاية الحسن والطيب ، وتختص عدوة القرويين بكثرة الأنهار والأرحاء

والعيون العذبة والآبار القريبة الطيبة ، وبها الرمان السفرى الذى ليس فى المغرب مثله حلاوة ولذة وولادة ، والتين الشعرى والسبتى الطيب الحسن ، والعنب والخوخ والجوز والعناب والسفرجل والأترج ، وسائر الفواكه الخريفية تأتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والحلاوة ، وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وطيبها كالتفاح الطرابلسى الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ، ولذة مطعمه وخفته ورقة قشره وطيب رائحته واعتدال خلقته، والتفاح الليوبى والطلحى والكلخى ، وأصناف الكمثرا والمشمش والبرقوق والتوت ، كل ذالك بها فى نهاية الطيب والحسن ، وبخارج باب بنىمسافر من أبوابها موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الأشجار مرتين فى كل سنة فيأكل الناس التفاح والكمثرا بالمدينة الصيف والشتاء ، ويحصد الزرع بفحص المصارة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين عن أربعين يوما .

قال المؤلف للكتاب :

قد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة فى خامس عشر من شهر أبريل وحصد فى فى أاخر مايه ، منشاه فى الطيب والبركة عن خمسة وأربعين يوما ، وذالك فى سنة تسعين وستمئة وهو عام الريح الشرقية ، دامت فيه الشرقية أربعة أشهر ، ولم ينزل مطر تلك السنة ، ولم ترو الأرض الا فى الثانى عشر من شهر أبريل المذكور ، فحرث الزرع مخاطرة فجاء كما ذكرنا .

ومما تفوق به مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها ماءين ، ماء العيون وماء الأنهار ، فمياه العيون باردة فى الصيف حين يراد ذالك منها لتبرد الحر ، وتقطع الظمأ وهي أيضا سخنة فى الشتاء حين يحتاج الى ذالك منها ، ومياه الأنهار بالعكس فى ذالك سخنة فى الصيف باردة فى الشتاء ، فلايزال الماء السخن والبارد موجودين بها فى الشتاء والصيف، فهي بسبب ذالك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف .

واختلف الناس في السبب الذي سميت من أجله : فقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالا ورجاء الأجر والثواب ، فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وفضة ، فكان ادريس رضي الله عنه يمسكه بيده ويبتدىء به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة ، فكثر عند ذالك ذكر الفأس على ألسنتهم في طول مدة البناء ، فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس ، خذوا الفأس ، احفروا بالفأس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذالك ، قاله صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الامصار (٣٤) ويقال انه لما شرع في حفر أساسها في جهة القبلة وجد في الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار ، وسعته شبر ، وزنته ستون رطلا ، فسميت المدينة به وأضيفت اليه، وقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع في بنائها قال له خاصته أيها الأمير كيف نسميها ؟ قال : سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان ألثغ ، وقال اسمى فارس فأسقط الراء من لفظه لاجل اللثغة ، فقال الامام ادريس سموها كما نطق بها فقالوا فاس ، وقيل سميت فاس لأن قوما من الفرس نزلوها مع ادريس رضي الله عنه حين أسسها ، فسقط عليهم جرف ، فماتوا من حينهم ولم ينج منهم الا قليل ، فسميت مدينة الفرس ، ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ، ثم أسقطوا الراء من اللفظ اختصارا فقالوا مدينة فاس ، وقيل لما تمت بالبناء قيل لادريس رضي الله عنه كيف نسميها ؟ قال نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني الراهب أنه كان هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمئة سنة وكان اسمها مدينة ساف ، ولكن اقلبوا اسمها وسموها ، فقلبوه فأتا منه فاس فسميت مدينة فاس ، وهاذا أصح مايكون في تسميتها والله أعلم .

ولما فرغ الامام ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب أنزل القبائل ، كل قبيلة بناحية ، فنزلت العرب

---

34) لا وجود لهاذه الحكاية في كتاب الاستبصار .

القيسية من باب أفريقية الى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين ، ونزلت الأزد على حدتهم ، ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الاخرا، ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيخان كل قبيلة بناحيتها ، فأمرهم ادريس رضي الله عنه بغرس الأرض وعمارتها ، فغرسوا جانبي الوادى من منبعثه بفحص سايس الى مصبه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار ، فعمرت الأرض بالحراثة والغراسة ، وأينعت الثمار ، وأطعمت الأشجار والكرم من سنتها ، وذالك ببركة الامام ادريس رضي الله عنه وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم ورحمته ، ونيته الصالحة وطيب التربة وعذوبة الماء واعتدال الهواء ، فظهرت البركات وتوالت الخيرات ، وزادت العمارات ، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات ، وأتاها من رغب في جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفا صلا الله عليه وسلم ، ومن ركن الى الأمن والعافية ، فاجتمع بها خلق كثير من اليهودوغيرهم ممن رغب فى العافية،فنزلهمبناحية أغلان الىباب حصنسعدون وفرض عليهم الجزية ، فكان مبلغ جزيتهم فى كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وأنزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقاته ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة .

فأقامت مدينتا فاس على مابناه الامام ادريس رضي الله عنه طول مدته وأيام ولده من بعده الى أيام زناتة ، فكثرت العمارات بها وكثرت الأرباض، واتصل البناء حولها من كل جهة ، فبنيت بها الفنادق والحمامات والأرحاء والمساجد والأسواق من باب أفريقية الى عين اصليتن ، وبنا الناس أيضا من الجانب الجوفى والقبلى والشرقى ، ونزلت القبائل من زناتة ولواتة ومغيلة وجراوة وأوربة وهوارة وغيرهم ، واقتطعوا الجهات ، فنزلت كل قبيلة جهة مثل حارة لواتة وحارة الربط ، وأغلان ، وطريانة ، وحارةابن أبى برقوقة ، وبرزخ ، وحارة ابن أبى عامر ، والجرف الأحمر ، وغير ذالك ، ودارت الأرباض بكل جهة بالمدينة ، واتصل البناء بعضه ببعض .

وأما أهل الأندلس بقرطبة حين أوقع بهم الامام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس الى العدوة فصعدوا الى مدينة فاس وكانوا ثمانية ألاف بيت، فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها فى البناء يمينا وشمالا الى ناحية الكدان ومصمودة وفوارة وحارة البادية والكنيف الى الرميلة فسميت عدوة الأندلس ، وسميت عدوة القرويين ، لان أول من نزلها مع ادريس رضي الله عنه ثلاثمئة بيت من أهل القيروان ، فسميت بهم ونسبت اليهم ، وبنا بعدوة القرويين فىأيام زناتة حمام قرقف وحمام الأمين وحمام الرشاشة(٣٥) وحمام الرياض ، وبني بعدوة الأندلس حمام جرواوة ، وحمام الكدان ، وحمام الشيخان ، وحمام الجزيرة ، وبنوا الفنادق ، وزادوا مساجد كثيرة، وأزالوا الخطبة عن جامع الشرفاء الذى بنا ادريس رضي الله عنه لصغره وأقاموها بجامع القرويين لسعته ، ولم يزل مسجد الشرفاء على مابناه ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لم يزد فيه أحد من الملوك ولا من الرعية تحريا منهم وتبركا بابقاء مابناه ادريس رضي الله عنه بها الى أن خر سقفه وتخلقت جدرانه وأشرف جميعه على السقوط والانكباب لتقادم العهد ومرور الأيام عليه ، فانتدب لبنائه الفقيه الموفق الحاج المبارك شعيب ابن الفقيه الحاج المبرور المرحوم محمد بن أبى مدين ابتغاء وجه الله تعالا ورجاء مغفرته وثوابه ، فشرع فى نقضه وبنائه ، ورد على ماكان عليه من غير زيادة ولانقصان ، وذالك فى سنة ثمان وسبعمئة .

وبلغت مدينة فاس أيام المرابطين وأيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، وانتها عدد مساجدها فى أيام المنصور وولده الناصر الى سبعمئة واثنين وثمانين مسجدا .

واحصاء مابها من السقايا وديار الوضوء مئة واثنان وعشرون موضعا ، منها اثنان وأربعون موضعا فى ديار الوضوء ، وباقيها سقايات، منها بمياه العيون ، ومنها بمياه الأنهار .

---

35) بالحومة المسماة الى اليوم وادى رشاشة .

وأحصيت الحمامات منها المبرزة للناس فى تلك المدة فكانت ثـلاثـة وسبعين حماما ·

وأحصيت الأرحاء التى دار عليها سور المدينة فوجدت أربعمئة حجر واثنين وسبعين حجرا دون مابخارجها من الأرحاء ·

وأحصيت الديار بها فى أيام الناصر ، فكانت تسعة وثمانين الـف دار ومئتي دار وستا وثلاثين دارا ، وتسعة عشر الف مصريـة واحـــدا وأربعين مصرية (٣٦) ·

ومن الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء أربعمئة فندق وسبعة وستين فندقـا ·

وأحصيت الحوانيت بها فى المدة المذكورة فكانت تسعة ألالاف حانوت واثنتين وثمانين حانوتا ، وقيساريتان ، احداهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس على وادي مصمودة ·

وأحصى مابها من الترابيع (٣٧) والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة ألالاف موضع وأربعة وستين موضعا ·

وكان بها من الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا ، ومن ديار الدباغ ست وثمانون دارا ، وديار الصباغ مئة دار وست عشـــرة دارا ، وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك النحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفيه مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة ·

وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف فـرن ومئة وسبعـون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ، وبخارجتها من الديـار المعدة لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا ·

وكان بضفتي الوادي الكبير الذى يشقها من حيث يبتدىء الدخـول

---

36) دور وبيوت صغيرة ومتوسطة تبنا فوق الحوانيت ومداخل الدور الكبيرة ونحوها نسبت الى مصر لأن شكل بنائها منقول منها .

37) جمع تربيعة ، سوق صغير مربع الشكل يعمل به بعض الصناع كالخياطين ونحوهم ، ولا تزال هذه الترابيع موجودة بفاس ومسماة بهاذا الاسم الى اليوم .

الى البلد الى أاخرها حيث يخرج بالرميلة بالجانبيـن منه دار الصباغين وحوانيتهم ودار الدباغ ودار الصبانين وحوانيت الخياطين والقصـابين والسفاجين والكوش والأفران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم مما يحتاج الـى الماء ، وفى أعلا ذالك كله أطرزة للحياكة ، ولم يكن بالمدينة واد يظـهـر حاشا الوادى الكبير المذكور ، وباقى أنهارها بني عليها ديار ومصارى(٣٨) وحوانيت ، ولم يكن بداخلها رياض ولاغرس حاشا زيتون ابن عطية خاصة وكان بها أربعمئة حجر لعمل الكاغد ، وخرب ذالك كله فى أيام المجاعـة والفتنة التى كانت فى أيام العادل وأخيه المامون ، وذالك مـن سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة ، وكان مدة توالـى الخراب عليها عشرين سنة الى أن ظهرت الدولة المـرينية ، فانجـبـرت البلاد وتأمنت الـطـرقـات ٠

قال المؤلف رحمه الله :

نقلت ذالك كله من تقييد بخط الشيخ الفقيه المشرف علي بن عـمـر الأوسى ، نقله من زمام بخط المشرف القويـقـى مشرف المدينة فى أيـام الناصر الموحدى ٠

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضي الله عنه لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى أاخر خطبته فقال :

(اللهم انك تعلم أنى ما اردت ببناء هاذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولامكابرة ، وانما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلا بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلا الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه ، واكفهم مؤونـة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، انك على كل شيء قدير) ٠

---

38) جمع مصرية على غير قياس .

فأمن الناس على دعائه ، فكثرت الخيرات بالمدينة ، وظهرت البركات، فكان الزرع فيها فى أيام ادريس رضي الله عنه وأيام ذريته لايبـاع ولا يشترا لكثرته ، فبلغ وسق القمح بها فى أيامهم درهمين ، ووسق الشعير بدرهم ، والقطنية مالها سوم ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة بـأربعة دراهم ، والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم ، والفاكهة لاتباع ولاتشترا من كثرتها ، دام ذالك خمسين سنة ·

ولما فرغ ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وأقام بها الى سنة سبع وتسعين ومئة ، فخرج الى غزو نفيس (٣٩) وبلاد المصامدة ، فوصل اليها فدخل مـدينة نفيس ومدينة أغمات ، وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس فأقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومئة ، فخرج منها بـرسـم غزو قبائل نفزة ، فسار حتى غلب عليهم ، ودخل مدينة تلمسان ، فنظهر فـى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبرا ، قال أبو مروان عبد الملك الوراق : دخلت مسجد تلمسان فى سنة خمس وخمسين ومئتين ، فرأيت فى رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هناك مكتوب فيه : «هاذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم فى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومئة)، فأقام ادريس رضي الله عنه بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين ، ثـم رجع الى مدينة فاس ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله سنة ثـلاث عشرة ومئتين ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منها ، وقيل دفن بقبلتها ، وقال البرنسى : توفي ادريس بن ادريس رضي الله عنه بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى ليلة اثني عشر من جمادا الآخرة سنة ثلاث عشرة ومئتين المذكورة (٢٩ غشت سنة ٨٢٨ م) ، وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط وليـلـى ، وكان سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ، فكانـت

---

39) أنظر عن نفيس كتاب **الاستبصار** ، **فى عجائب الأمصار** ص 208 .

أيامه بالمغرب ستا وعشرين سنة ، وخلف من الولد اثني عشر نكــرا ، أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسا ، وادريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحيا ، والقاسم ، وعمر ، وعلي ، وداوود ، وحمزة ، فــولــي بعده منهم محمد وهـــو أكبرهـــم ٠

الخبر عن دولة الامير محمد بن الامام ادريس

ابن إدريس الحسنى رضي الله عن جميعهم

هو الأمير محمد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حســن ابن الحسن ابن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ٠

أمه حرة من أشراف نفزة ٠

صفته : أسمر اللون ، حسن القد ، شاب السن ، مليح الــوجــه ، جــعــد الشــعــر ٠

لما ولي قسم المغرب بين اخوته ، وذالك برأي جدته كنزة أم أبيه ، ولا أخاه القاسم مدينة طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبــلاد مصمودة وما والا ذالك من البلاد والقبائل ، وولا أخاه داوود بلاد هوارة وبلاد تسول ومكناسة وجبال غياثة وتازة ، وولا أخاه عيسا على شــالــة وسلا وأزمور وتامسنا وما والا ذالك من القبائل ، وولا أخاه يحيا مدينة البصرة ومدينة أصيلة ومدينة العرائش الى بلاد ورغة ، وولا أخاه عمر مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة وما والاها ، وولا أخاه أحمد مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلة ، وولا أخاه عبد الله مدينة اغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس ، وولا أخاه حــمــزة مدينة تلمسان وأعمالها ، وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم، وتصاغر الباقون عن الولاية فبقوا فى كفالة جدتهم مع أخيهم محمد الأكبر، فاقام الأدارسة ولاة على بلاد المغرب ، فضبطوا ثغورهم ، وحكموا بلادهم، وأمنوا سبلهم ، وحسنت سيرتهم الى أن خرج على الامام محمد أخوه عيسا

بمدينة شالة ومدينة تامسنا ونكث طاعته ونبذ بيعته واستبد بنفسه ، فكتب الامام محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبتة يأمره بحربه ، فامتنع من ذالك وأحجم عنه (٤٠) فكتب الامام محمد الى أخيه عمر صاحب مدينة تيكساس وبلاد غمارة بمثل ما كتب به للقاسم ، فامتثل أمره وسارع اليه وجمع عسكرا عظيما من قبائل البربر من غمارة وأوربة وصنهاجة وغيرهم وسار نحو عيسا ، فلما قرب من أحوازه كتب الى أخيه محمد يستمده بألف فارس من قبائل زناتة وفرسانهم ، فمضا عمر لوجهه فأوقع بأخيه عيسا وهزمه هزيمة عظيمة وأخرجه عن مدينة شالة وسائر أعمالها ، وكتب الى أخيه محمد بالفتح والهزيمة ، فكتب اليه الأمير محمد يشكر فعله ويوليه عمله ويأمره بالمسير الى قتال أخيه القاسم الذي عصا أمره وامتنع من حرب عيسا ، فسار الأمير عمر بجيوشه الى قتال أخيه القاسم حتى نزل عليه بمدينة طنجة ، فخرج القاسم الى لقائه ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم فيها القاسم ، واحتوا عمر على مابيده من البلاد ، وسار القاسم الى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلة ، فبنا هنالك مسجدا على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدارت فأقام يتعبد فيه وزهد في الدنيا الى أن مات رحمه الله تعالا ، وأقام الأمير عمر بن ادريس رضي الله عنه عاملا لأخيه محمد على ماكان بيده ويد أخيه القاسم الى أن توفي بموضع يقال له فج الفرس من بلاد صنهاجة ، فحمل الى مدينة فاس فدفن بها وصلا عليه أخوه محمد الامام .

وعمر بن ادريس هاذا هو جد الحموديين القائمين بالأندلس بعد الأربعمئة للهجرة ، وترك عمر بن ادريس من الولد عليا ، أمه رقية بنت اسماعيل الأزدى ، وادريس ، أمه زينب بنت القاسم الجعدى ، وعبد الله ومحمد ، أمهما جارية مولدة اسمها رباب ، وأقام الامام محمد بعد وفاة أخيه عمر سبعة أشهر ، وتوفي بمدينة فاس ، فدفن بشرقي جامعها مع

---

40) أنظر القطعة الشعرية التى أعتذر بها القاسم بن ادريس لأخيه محمد عن مقاتلة أخيهما عيسا فى **الحلة السيرا** I : 132 .

أبيه وأخيه ، وذالك فى شهر ربيع الثانى سنة احدا وعشرين ومئتـيـن (أبريل سنة ٨٣٦ م) فكانت أيامه بالمغرب ثمانية أعوام وشهرا واحـدا ، واستخلف ولده عليا فى موضعه الذي مات فيه .

الخبر عن دولة الامير على بن محمد بن ادريس

الحسنى رحمهم الله تعالا ورضي عنهم

هو الأمير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس ، أمه حرة اسمهـا رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدى ، بويع يوم وفاة أبيـه باستخلافه له فى حياته ، وسنه يوم بويع تسعة أعوام وأربعة أشهر ، فظهر منه من الذكاء والنبل والفضل مايقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ، وساربسيرة أبيه وجده فى العدل والفضل والدين والحزم واقامة الحق وتأسيس البلاد وقمع الأعداء وضبط البلاد والثغور ، فكان الناس بالمغرب فى زمانه فـى أمن ودعة الى أن توفي فى شهر رجب من سـنـة أربع وثـلاثين ومئتيـن (يبراير ٨٤٩ م) فكانت أيامه بالمغرب نحو الثلاث عشرة سنة ، وولي أخوه يحيا بـن محمد .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ادريس بن ادريس

الحسنى رحمهم الله

هو الأمير يحيا بن محمد بن ادريس بـن ادريس بـن عبد اللـه ابن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ولي بعد وفاة أخيه علـي وبعهده اليه فى حياته ، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده ، وفى أيامه كثرت العمارة بفاس ، وقصد اليه الناس من الأندلس وأفريقية وجميع بلاد المغرب

فضاقت بسكانها ، فبنا الناس الأرباض بخارجها وبنا الأمير يحيا بـهـا الحمامات والفنادق للتجار وغيرهم ، وفى أيامه بني جامع القرويين شرفـه اللـه بـذكـره .

الخبر عن جامع القرويين وصفته

وما زيد فيه في كل زمان من حين أسس إلى وقتنا هاذا وهـو عـام ستة وعشرين وسبعمئة

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل الخطبة بجامع الشرفاء الذى بناه الامام ادريس رضي الله عنه بعدوة القرويين وبجامع الأشياخ من عدوة الأندلس طول أيام الادارسة وكان موضع جامع القرويين أرضا بيضاء يعمل بها أصـنـاف الجص ، وبها أيضا أصناف من الشجر لرجل من هوارة كان قد حازها والده مـن قبله حين بنيت المدينة ، فأتا وفد القيروان الى ادريس رضي الله عنه فى جمع كثير بعيالهم وأولادهم ، فأنزلهم حوله بعدوة القرويين ، وكـانـت فيهم امرأة مباركة صالحة اسمها فاطمة ، وتكنا ام البنين بنـت محـمـد الفهري القيرواني ، أتت من أفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور ، فتوفي زوجها وأختها ، فورثت منهما مالا جسيما حلالا طيبا ليس فيه شبهة لم يتغير ببيع ولاشراء ، فأرادت ان تصرفه فى وجوه البر وأعمال الخير ، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه فى الآخرة، يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ، فاشترت مـوضع القرويين ممن كان حازه ، ودفعت اليه المال ، ثم شرعت فى حفر أساسه وبنائه ، وذالك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين (٢دجنبر ٨٥٩ م) فبنته بالطابية والكذان ، وحفرت فى وسطه ، فصنـعـت كهوفـا واقتطعت منها الكذان ، وأخرجت منها التراب والحجر والرمـل الأصفر

الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره ، وحفرت البئر التى فى الصحن ، فكان البناءون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم حتى فرغ من بنائه ، ولم تصرف فيه سواه احتياطا منها وتحريا من الشبهة ، ولم تزل فاطمة القروية المذكورة صائمة من يوم شرع فى بنائه ، الى أن تم ، وصلت فيه شكرا لله تعالا الذى وفقها لأعمال الخير ، وكان المسجد الذي بنته فاطمة المذكورة أربعة بلاطات وصحنا صغيرا ، وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبيرة الآن ، وجعلت طوله من الحائط الغربى الى الحائط الشرقى مئة وخمسين شبرا ، وبنت فيه صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التي على رأس العنزة الآن ، فتم الجامع أربعة بلاطات وصحنا صغيرا ، ذكره أبو القاسم بن جنون فى تفسيره فى تاريخ مدينة فاس ٠

وقيل هما أختان فاطمة ام البنين ، ومريم ، بنتا محمد الفهرى المذكور ، فبنت فاطمة جامع القرويين المذكور ، وبنت مريم جامع الأندلس من مال حلال طيب موروث عن أبيهما واختيهما ، فلم يزل المسجدان على مابنتهما الأختان المذكورتان بقية أيام الأدارسة كلها حتى تقضت أيامهم ، وتملكت زناتة على البلاد واستقام ملكهم بالمغرب ، فبنوا الأسوار على رباط العدوتين الأندلس والقرويين ، فزادوا فى الجامعين القرويين والأندلس زيادة كثيرة حدودها ظاهرة باقية الى الآن ، وكثر الناس ، وضاق مسجد الشرفاء بالناس لصغره فأزالوا عنه الخطبة وأقاموها بجامع القرويين لكبره وسعته ، وصنعوا به منبرا من خشب الصنوبر وذالك فى سنة خمس وأربعين وثلاثمئة ٠

وكان أول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارسي ، وقيل ان أول من نقل الخطبة من مسجد الشرفاء الى جامع القرويين الأمير حامد بن حمدان الهمدانى عامل عبيد الله الشيعى على المغرب ، وذالك فى سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، ونقل الخطبة من مسجد الأشياخ بالعدوة الى جامع الأندلس ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح أبو الحسن بن محمد الصدفى ، فلم يزل الأمر على ذالك ، ولم

يزل الجامعان على حاليهما : القرويين والأندلس ، الى أن تغلب أميـر المومنين عبد الرحمان الناصر لدين الله الأموى ملك الأندلس على بـلاد العدوة ، فبايعته مدينة فاس فيمن بايعه ، فولا عليها عاملا له من زناتـة يعرف بأحمد بن أبى بكر الزناتى ، وكان رجلا فاضلا من أهل الدين والفضل والورع ، فكتب الى أمير المومنين يستأذنه فى اصلاح مسجد القرويـين واتقانه والزيادة فيه ، فأذن له بذالك ، وبعث له بمال كثير من أخـماس غنائم الروم ، وأمره ان يصرفه فى بنائه ، فأصلح جامـع القرويين وزاد فيه من ناحية المشرق وناحية المغرب والجوف ، وهدم صومعته القـديمة التي كانت فوق العنزة ، وبنا الصومعة التي به الآن ٠

الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره

لما شرع الأمير أحمد بن أبى بكر فـى بناء صومعة القرويين جعل سعة كل وجه منها سبعة وعشرين شبرا فيتجمل (٤١) فى الأربع جهات مئة شبر واحدة وثمانية أشبار وهو الذى فى ارتفاعها بلا شك ولاريب ، وكذالك يجب ان تكون من جهة البناء والنظر الهندسى ، وجعل بابها من جهة القبلة ، وكتب عليه فى مربعة بالجص وحشاه باللازورد :

«باسم الله الرحمن الرحيم ، الملك لله الواحد القهار ، هاذا ما أمر به أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن أبى سعيد عثمان بن سعيد الزناتى هـداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله تعالا وجزيل احسانه» ٠

وابتدأ العمل فى هاذه الصومعة فى يوم الاثنين غرة رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمئة (٢ اكتوبر ٩٥٥ م) ، وفرغ من بنائها وتشييدهـا فى شهر ربيع الأاخر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة (يولـيـوز — غشت ٩٥٦ م) وكتب فى طرف المربعة «لااله الا الله محمد رسول الله» ، وجعل

---

41) يتحصل جملة .

مربعة أخرا من جهة الصحن فيها مكتوب : «قل ياعبادي الذين أسرفـوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انـه هو الغفور الرحيم» ، وركب على رأس المنار تفافيح صغارا مموهة بالذهب وركب فى أعلاها سيف الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنهما الذى بنا المدينة تبركا به ، وسبب القائه فى أعـلا المنار أن الأمير أحمد بـن أبى بكر الزناتى لما فرغ من بناء الصومعة اختصم اليه بعض حفدة ادريس رضي الله عنه فى السيف المذكور ، وطلب كل واحد أن يحوز السـيـف لنفسه ، فطال نزاعهم فيه بين يديه ، فقال لهم الأمير أحمد بن أبى بكر ، هل لكم أن تبيعوه وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا وماتصنع به أيها الأمير ؟ قال أجعله فى أعلا هاذه الصومعة التي بنيت تبركا به ، قالوا له أيـهـا الأمير أما اذا تفعل هاذا فنحن نهبه لك طيبة بذالك نفوسنا ، فوهبوه له ، فجعله فى أعلا المنار ، ولم تزل الصومعة على مابناه أحمد بن أبـى بكر بالحجر المنجور المحكم ، وبها أثقاب يعشش بها أصناف الطير من الحمام والزرازير الى أن ولي الفقيه الشيخ الخطيب الصالح محـمـد بن أبـى الصبر (٤٢) خطة القضاء مع الخطابة والامامة بالجامع المذكور ، وذالك فى سنة ثمان وثمانين وستمئة ، فاستشار فى تبيضها واصلاحها أمـيـر المومنين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فأذن له فى ذالك ، وأمره ان يأخذ من أموال أعشار الروم مايحتاج اليه ، فقال له ان فى مال الأحباس مافيه كفاية أن شاء الله ، فشرع فى تبييضها ، فلبس الصومعة بالجص والجير ، وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء ، فدخل فيها من المسامير ثلاثة عشـر ربعا (٤٣) ونصف ربع ، فلما فرغ من تلبيسها دلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ، فانقطعت منها اذاية الطير فحسنت ، وبنا أيضا الغرفة الـتـي

---

42) قاضي السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى ، توفى سنة 706.

43) أى ربع قنطار ، ومازالت الكلمة مستعملة بهاذا المعنا الى اليوم ، وكان الناس يهدون لبعضهم فى الولائم (الكبش والربع) من الدقيق .

على بابيها لمبيت المؤذنين والمخاوصين (٤٤) وبقي الجامع المكرم على مازاد فيه الأمير أحمد بن أبى بكر الى أيام هشام المؤيد ، فتغلب حاجبه المنصور بن أبى عامر ، فبنا بالجامع المبارك القبة التي على رأس العنزة فى وسط الصحن حيث كان المنار القديم ، ونصب على أعلاها طلاسم وتماثيل كانت قبل ذالك على رأس القبة فوق المحراب مما صنعه الأوائل ، ومنه ماصنع فى أيام الشيعة ، فجعل الطلاسم على أعمدة من حديد فوق القبة ، منها طلسم للفار ، فكان الفار لايدخلها ولا يعيش فيها ولا يفرخ وان دخلها افتضح وقتل ، ومنها طلسم للعقرب ، وهو صورة طائر فى منقاره شبه ذنب عقرب ، فالعقرب لايدخل الجامع المكرم أصلا ولا يفرخ فيه ، وان أدخله بعض المصلين فى ثوبه ملصقا خمد فلا يتحرك ، قال الحاج الفقيه ابن هارون لقد شاهدت عقربا ظهر به فى يوم جمعة جاءت فى ثياب بعض المصلين أو فى بعض أمتعتهم فوقعت بين الصفوف خامدة لاتتحرك كمثل الميت حتى كملت الصلاة والناس قد فسحوا من حولها خوفا من أذاها ، فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحركت حين قتلت ، وهاذا غايتها ، ومنها طلسم على رأس عمود من نحاس أصفر فيه تفافيخ يذكر أنه للحية ، فهي أيضا لاتفرخ فيها ولاتدخلها ، وان دخلتها افتضحت وقتلت ، وقيل ان ماوجد فيها من الحيات فهو من عمار الجن ، وهاذا لاينكر ولم يوجد قط على قديم الزمان وحديثه من لسعته فيه حية ولاعقرب .

وبنا أيضا الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر الساقية المستطيلة بازاء باب الحفاة ، وجلب اليها الماء من وادي حسن الذي بخارج المدينة من ناحية باب الحديد ، وصنع بالجامع منبرا من خشب العناب والأبنوس وكتب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه ، على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور ابن أبى عامر وفقهم الله تعالى ، وذالك فى

---

44) الموقتون على مجاز بعيد .

شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمئة» ، فكان ذالك المنبـر يخطب عليه الى أيام لمتونة ، ولم تزل الأمراء والملوك يهتمون بالـزيـادة فى الجامع المكرم واصلاح ماتهدم منه تبركا به وابتغاء ثواب الله تعالا حتى قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه ، وجاءت دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونى ، فكثرت العمارة بالـمدينة وتناهـت الغبطة ، فضاق الجامع بكثرة الناس فى أيام الجمعة حتى أنهم يصلـون بالأسواق والشوارع والطرق ، فاجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا فى ذالك مع قاضى المدينة ، وهو الفقيه محمد بن داوود ، وكـــان أحد القضـاة الفضلاء من أهل العلم والعدل والورع ، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما رفع اليه من أمر الجامع المكرم واستأذنه فى الزيادة ، فأذن له وقال له : يكون الانفاق فى ذالك من بيت المال ، فقال له القاضى : نســأل اللــه أن يغنيه عنه من ماله الذى تجمع من أحباسه بأيدى الوكلاء ، فأمره علي بن يوسف بتقوا الله تعالا والتحرى فى ذالك من الشبهات ، والاجتهاد فــى أمر الجامع وبنائه والزيادة فيه ، والنظر فى أحباسه وجميع أحــوالــه واستخراجها ، فدعا له وانصرف عنه الى مجلس قضائه ، فسأل عـــن الأحباس ، فوجدها فى أيدي أقوام قد أكلوها وحسبوها مــن أموالهم ، فأزالها عن أيديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يوثق بدينـهـم ، وحاسـب المعزولين الذين كانت بأيديهم ، وطالبهم بغلة الرباع والأرضين المحبسة ، فخرج عليهم بالمحاسبة أموالا كثيرة ، فأغرمهم اياها وأضاف اليها غلات تلك السنة ، فاجتمع من ذالك مايزيد على الثمانين ألف دينار ، ثم شرع فى الزيادة فى الجامع من قبلته وشرقه وغربه ، فابتدأ بشراء الأمـلاك والديار التي بقبلة الجامع وغربه وشرقه ، فاشترا منها ما أحب واحتاج اليه بأحسن شراء وأتم ثمن دون غبن على أحد فى ذالك ، وكان أكثرها فى ديار اليهود لعنهم الله ، ومن امتنع من البيع قوم عليه موضعه ودفع له الثمن بالزيادة اقتداء بعمل أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين زاد فى المسجد الحرام ، فلما كمل له من شراء الدور ماأراد ومايصلح به أخذ فى هدمها وبيع نقضها ، فاجتمع له فى نقضها مثـل

قيمتها التي اشتريت بها ، وبقيت الأرض زيادة ببركة من الله تعالا ، فأضافها للجامع وأخذ فى البناء ، فبنا اولا الباب الكبير الغربي وهـو باب الفخارين القدماء ، ويعرف الآن بباب الشماعين ، وكان يجلس على بنائه بنفسه ، فحسنه فى طوله وارتفاعه وعرضه واتساعه ، وركب عليه أبوابا عظيمة ، وحسن قواعده حتى لايمكن أن يصنع مثله ، وصنع على ظهر الباب من داخل المسجد قبة فيها مكتوب «صنع هاذا الباب والقبة وكملا بالبناء والتركيب فى شهر ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمئة»

ولما حفر أساس هاذا الباب وجد تحت رتاج المصراع الذى عـن يسار الداخل فى الباب المذكور حيث هي الدكانة الآن عينا من ماء معين، عليها تربيع مثل الصهريج ، طوله ثمانية أشبار وعرضه كذالك ، والبناء عليه مقبو ، لايعلم أحد كم له من السنين ، فخيل لهم أنه كنز مـدفـون فهدم الأقباء فلم يجدوا غير صهريج يتدفق بماء معين فيه سلحفاة قـد ملأت الصهريج بأسره من أوله الى ألاخره ، فأرادوا اخـراجها منه فلم يستطيعوا ذالك ، فاستشار القاضى ابن داوود الفقـهـاء فى رأيـه ، فاجتمع رأيهم أن تترك فى موضعها ويعاد عليها الأقباء كـمـا كـان ، فسبحان الله العظيم القائم برزقه لما يشاء ، لااله الا هو ، واليه المصير، فبنا عليه موضعه وطلع عليه الأساس ، وطبع الباب ، وجعلت قواعـده من نحاس أحمر ، قاله أبو القاسم بن جنون .

قـال المؤلف للكتاب :

رأيت تقييدا بخط الحاج الفقيه الصالح أبى الحسن بن محمد بن برون الأزدى أن الأقباء المذكور انما وجد فى موضع رتاج المصراع الذى عن يمين الداخل من ناحية القرسطون ولم يزل الباب على مابناه أبـو عبد الله بن داوود الى أن احترق السوق فى ليلة أربع وعشرين مـن شهر جمادا الآخرة من سنة احدا وسبعين وخمسمئة (٩ يناير ١١٧٦ م) طلع الحريق بالناس من سوق باب السلسلة حتى وصل الـى الباب ، فاحترقت القبة التى كانت تم من الخشب واحترق اكثر الباب ، فجددت

القبة والباب على يد السيد عمر بن أمير المومنين يوسف بن عبد المومن ابن علي وبأمره ، وذالك فى شهر جمادا الأخيرة سنة ستمئة ، وكـــان الناظر فى بنائها أبا الحسن بن محمد الأزرق العطار ، والانفاق فيها من بيت مال المسلمين وعلى يد القاضى أبى يعقوب بن عبد الحق ، وتوفـي الفقيه أبو عبد الله بن داوود فولي القضاء بعده مكانه الفقيه المبـارك عبد الحق بن عبد الله بن معيشة فحذا حذوه واقتفا أثره فى ذالك ، وجمع أهل البناء والنظر السديد ، وكان من نظره أن يجعل المحراب من القرويين على عين قرقف فلم يمكنه ذالك لأجل دار الفقيه أبى علي بن أبى الحسن التي تعرضت له فى طريقه ، فكان الذى أجمع عليه رأيهم من الزيـادة ثلاثة بلاطات ومحرابا ، ومنبرا ، وزاد فيه من ناحية الغرب البـلاط المرتفع على الأرض المذكورة من القبلة الـى الجوف ، وزاد فيه مـن ناحية المشرق بلاطين من القبلة الى المستودع ، بنا ذالك بترابها الـذي خرج منها لم يدخل فى بنائها من تراب الكهوف والمقاطع التي يبنى الناس منها شيء ، وكذالك الكذان الذي بنيت به انما قطع منها ، لأنه حفر فى وسط البلاط الثانى من القبلة حفيرا ، فظهر كهف بعيد الغور لايظـهـر قعره ، فكان الفعلة يقطعون الكذان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤوسهم للبنائين فيبنون به ، ولم يصرفوا فى جميع بنائه ماء حاشا ماء البئر التي فى الصحن ، كل ذالك تحريا من الشبهات أن لاتدخله ، وتوثق فى بنائه غاية وتحفظ ، ورأا من رأيه السديد أن يجعل الأبواب كلها مغشاة بالنحاس الأصفر ، ويبدلها مما هي عليه ، ويعمل أمام كل باب قبة ويزيد فى سعته وكماله ، ويبدل الصومعة ، فشرع فى بناء المحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب وللازورد وأصناف الأصبغة ، وتـم ذالك على غاية الجمال والكمال ، وكان يبهت الناظرين اليه من حسنه ، ويشغل المصلين ، فلما دخل الموحدون المدينة وذالك فـى يـوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة أربعين وخمسمئة (٥ اكتوبر ١١٤٥ م) خاف فقهاء المدينة وأشياخها ان ينتقد عليهم المـوحـدون ذالـك النقش والزخرف الذي فوق المحراب ، لأنهم قاموا بالتقشف والتقلل ، فقيل لهم

ان أمير المومنين عبد المومن بن علي يدخل غدا المدينة مع أشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين ، فخافوا لذالك ، فأتا الحمامون الجامع تلك الليلة ، فنصبوا على ذالك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض ودلك ، فنقضت تلك النقوش كلها وصارت بياضا ، وصنع المنبر الذي به الآن من الأبنوس والصندل والعاج والنارنج والعناب وأصناف الخشب العظيم ، وكان الذي عمله ونجره الشيخ الأديب أبو يحيا العتاد ، عمر طويلا حتى نيف على المئة ، وكان اماما فى اللغة والشعر ، روا عنه الفقيه أبو محمد بن زيدان ، أدركه وقد أخذت منه السن العالية ، ولما تم المنبر الشريف صنع له غشاأين أحدهما من جلد معزي والثاني من مقيرة ، وبلغت فيه النفقة ثلاثة ءالاف دينار وسبعة عشر درهما ، وشرع فى تغشية الأبواب بالصفر، فغشا منها ثلاثة ، وجاءته العزلة ، فعزل والمنبر والبناء وباب الجنائز وصحنه كل ذالك كأن لم يتم ، فولي بعده قضاء المدينة المذكورة الفقيه الحافظ العالم المشاور عبد الملك بن بيضا القيسى ، فتم ذالك كله على يديه على مابدأه عبد الحق بن معيشة ، حاشا نقشه باقي الأبواب بالصفر وابدال الصومعة ، فانه لم يصنع فى ذالك شيئا ، بل وقف فيه حيث انتها ابن معيشة ، وكان الفراغ من هاذه الزيادة المذكورة وحجرة الجامع وباب الجنائز والمنبر فى شهر شعبان المكرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة .

وأول خطيب خطب عليه الشيخ الفقيه الصالح مهدى بن عيسا ، وكان من أفصح الناس وأكثرهم قريحة ، كان يخطب كل يوم جمعة بخطبة لاتشبه الأخرا ، فلما دخل الموحدون المدينة بدلت أحوال بأحوال ، ورجال برجال ، وبدل الخطباء والأئمة بجميع البلاد ، فكان لايؤم ولا يخطب الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري .

وأما الصحن الذى بالجامع المكرم فعمل وفرش فى أيام الفقيه القاضى أبى عبد الله ابن داوود ، وكان الذي نزل فرشه وبناءه صخر ابن مسعود البناي ، وكان من أعرف الناس بالبناء والنجارة ، وكان قد

فرشه قبله غيره ، فلم يرض عمله ولم يكمل ، فحفره العريف محمد بن أحمد ابن محمد الخولانى ، واشترط على نفسه أن لايبقى فيه تحصينا ولا رقدة، وأنه انصب أعلاه قلة ماء انحدرت فى أسفله مجموعة لاينقص منها شيء لشدة اعتداله ، وكان رحمه الله باع أربعة من الديار أصولا موروثة عن آبائه ، فصنع بأثمانها آجر شبه البجماط (٤٥) نصف آجرة فى الطول، وصنع الجير ، فبناه العريف المذكور بماله ويده هو وصخر بن مسعود المذكور حتى كمل عمله واتقانه ، ولم يأخذ عليه شيئا الا ابتغاء ثـواب الله تعالا نفعهما الله بنياتهما ، وكان جملة مادخله من اللاجـور (٤٦) لفرشه أربعة وأربعين ألف آجرة ، لأن طول الصحن أحدعشر قوسا ، فى القوس الواحد من القبلة الى الجوف عشرون صفا ، فى كل صـف مئتا آجرة ، فيتجمل فى كل قوس أربعة آلاف آجرة ، ويتجمل فى أحد عشر قوسا أربع وأربعون ألف آجرة ، وحوله طرد دائر فـيـه ثمانية آلاف آجرة فيجتمع فى الجميع كله اثنان وخمسون ألف آجرة ٠ دون شـك ولاريب ، وكان فرش الصحن وبناء الباب الكبير المقابل القرسطون على يد القاضى ابن داوود المذكور سنة ست وعشرين وخمسمئة ، ولما تـم الصحن بالفرش والبناء أمر القاضي فصنع له بكاكير وشرائط غليـظـة وقلاع من شقق الكتان مبطنة بالمقيرة على قدر الصحن وما يظله ، فكان اذا أتا زمن الصيف واشتد الحر شدت البكاكير وجبذت (٤٧) الشرائط فيرتفع القلاع فى الهواء على الصحن كله ، فسيتظل الناس تحتها من حر الشمس فيكون فيه الظل ، وجعل فى القلاع أبوابا للرياح تدخل منها ليلا يهلك الناس بالغم والحر ، فلم تزل القلاع تنصـب فى زمـن الصيف فيستظل بها الناس فى زمن الحر كله حتى تمزقت بطول السنين ومـر

---

45) واحدته بجماطة ، قطع رقيقة محمرة من خبز معجون بسكر ونافع وزنجلان ، يتزود بها المسافرون الأثرياء فى الأسفار ونحوها ، وتقدم فى الولائم الى المدعوات فى حجم صغيـر وتسما حينئذ الفقاص .

46) استعمل المؤلف كلمة اللاجور واللاجورة بمعنا الآجر والآجرة كما تنطق بهما العامة ، وقد أبقينا هاذه الكلمة هنا على حالها فى المتن كمثال ورددناها الى أصلها فى غيره .

47) يستعمل المغاربة جبذ بمعنا جذب ، ومعناهما واحد ، وكلاهما فصيح .

الأيام والليالى ، فلم يقدر أحد أن يعمل مثلها ·

وأما الخصة والبيلة التى بالصحن فعملت فى سنة تسع وتسعين وخمسمئة على يد موسا بن حسن بن أبى شامة ، وهو صانعها ، وكان من أهل الهندسة والمعرفة بالبناء ، وكان الذى أنفق فيها ماله الفقيه المبارك أبى الحسن السجلماسى نفعه الله تعالا بقصده ، وكان من أهل الدين واليسار والايثار ، كان يتصدق كل يوم بعشرة دنانير من طيب ماله وربحه ، ولما شرع فى عملها أخرج من المعدة (٤٨) الكبيرة قادوسا من رصاص ، فشق به فى الصحن حتى وصل الى البيلة الكبيرة والخصة المذكورتين ، وهي بيلة من رخام أبيض ، لم ير مثلها لحسنها وصفائها وشدة بياضها وطولها ، وفيها عشرون ثقبا من جهة اليمين وعشرون ثقبا من جهة الشمال ، وينصب الماء الى البيلة من أنابيب خمسة ، فاذا امتلأت انحدر الماء فى الأربعين ثقبا التى فى اليمين والشمال فيصير الى الخصة ، وهي خصة من نحاس أحمر مموه بالذهب قامت على ساق من نحاس أحمر مموه منقوش ، طوله خمسة أشبار من الأرض ، وقسم الساق بنصفين ، يصعد الماء من النصف الواحد فيفور فى وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة أنابيب فيملأ الخصة ، ثم يفور فى أثقاب بجوانب الخصة لأنها بطاقتين ، ثم ينحدر فى النصف الثانى من العمود المذكور ، فلاتزال البيلة والخصة مملوءتين بالماء تجريان ولايسيل على الأرض منها قطرة واحدة والناس يشربون منها وينتفعون بمائها ، وصنع حول الخصة أكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها ، وفوق البيلة شباك من رخام أبيض آية فى الزمان ، وتحته كتاب منقوش فى حجر أحمر نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما

---

(48) مجمع للماء مربع أو مستدير يتفرق منه الماء على الدور وغيرها بمقادير معلومة من مشارب بنيت بدقة ، وقد يكون أصل الكلمة المعدا أى المكان الذى يعدو منه الماء ويجرى الى الجهات التى يراد جريه اليها ، وقد يكون المكان المذكور شبه بالمعدة .

يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ، كملت في جمـادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمئة) ويصير فضل ماء الخصـة والبيلة المذكورتين الى مياضى عين قرقف ، فينتفع به هنالك فى البيوت والسقاية، ثم يصير الى دار الصباغ ، وهنالك يغور وتتم منفعته ٠

وأما العنزة التى يصلا اليها فى زمن المصيف فكانت القديمة مـن خشب الأرز ، ألواحا سانجة فى أعلاها كتابة ، وهي (صنـعـت هاذه العنزة فى شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمئة) ، وأماالعنزة التي بها الآن فصنعها الفقيه الخطيب قاضى الجماعة وخطيبها محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بمدينة فاس ، وأنفق فيها من مال الأحباس ، وابتدأ فيها العمل فى أول شهر ذى القعدة عام سبعة وثمانين وستمئة (السبت ٢٧ نونبر ١٢٨٨ م) وفرغ من عملها وركبها فى موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمـئـة موافق الثامن عشر من شهر مارس العجمى (١٢٩٠ م) ٠

وعدد سوارى المسجد المكرم مئتا سارية واثنتان وسبعون سارية ، منها قديمة ومنها جديدة ، وعدد المسقفة منها ستة عشر بلاطا من القبلة الى الجوف ، ومن غرب الى شرق تربيع لا اعوجاج فيه من كل الجهات، يحمل كل بلاط أربعة صفوف ، فى الصف الواحد من الناس مئتان اثنتان وعشرة رجال ، لأن فى كل بلاط احدا وعشرين قوسا ، يجلس فى كـل قوس عشرة من الرجال فيكمل من العدد فى كل بلاط ثمانمئة وأربعون رجلا لاشك فيها ولاريب ، وعدد البلاطات ستة عشر بلاطا ، فيتجمل فى جميعها من عدد الرجال ثلاثة عشر ألف رجل وأربعمئة رجل وأربـعـون رجلا بلاشك ولاريب ، وكسر مابين السوارى منه ، فوجد يحمل خمسمئة وستين رجلا ، فيتجمل من العدد أربعة عشر ألفا ، وكسر الصحن فوجد يحمل ألفين وسبعمئة رجل ، وحجر الجامع يصلى فيها صفوف من الناس غير معتدلة فصحح العدد فيها بألف وخمسمئة رجل ، وحول الجامـع رحاب وأسواق يصلى فيها الناس يوم الجمعة كسرت بأربعة ألالاف رجل وخمسمئة رجل ، فتجمل فيها من عدد المصلين يوم الجمعة اثنان وعشرون

ألفا وسبعمئة تنقص قليلا وتزيد قليلا ، والامام واحد ، وذالك فى سنى الرخاء والعمارة .

وعدد القرمود الذى فى سقف الجامع المكرم أربعمئة ألف قرمود وسبعة وستون ألف قرمودة وثلاثمئة قرمودة .

وعدد أبوابه خمسة عشر بابا كبيرا لدخول الرجال ، وبابان صغيران للنساء لايدخل عليهما رجل ، والأبواب القديمة منها أبواب الشرقى وأبواب الغربى ، وأبواب القبلة والجوف محدثة ، وآخر ما أحدث بها الباب الكبير المدرج الذى بالقبلة ، أحدثه وبناه الفقيه علي بن محمد بن عبد الكريم الحدودى أيام ولايته على فاس ، وصنع به باب حفاء مضاهيا ومقابلا لباب الحفاء الذي بجامع الأندلس ، وجلب اليه الماء من عيون ابن اللصادى المعروفة الآن بعيون الكوازين فأتا بالماء حتى وصل به الى رحبة الزبيب ، فصنع هنالك سقاية واجرا بها من ذالك الماء ، ثم سار حتى وصل به الى الباب المذكور ، وكان فتح هاذا الباب وبناؤه وجلب مائه فى سنة تسع وثمانين وستمئة ، وكان فتح هاذا الباب المذكور من غير استئذان ولا مؤامرة لأمير المومنين يوسف بن أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فلما عرف أمير المومنين بفتحه للباب قبلة الجامع المذكور أنكر ذالك عليه وقبح فعله ، ونكبه بسببه ، اذ أحدث بالجامع المذكور مالم تدع اليه ضرورة ، ولم يستأذنه فيه ، فأمر بالباب فسد .

وأما الثريا الكبرى فصنعت فى أيام الفقيه الصالح الخطيب الورع عبد الله بن موسا المعلم ، وهو الذى اجتهد فى عملها ، وكان قبلها فى موضعها ثريا مثلها فى الجرم ، ولكنها تخلقت بطول الدهر فتكسرت ، فهبطت ونقضت وسبكت وزيد عليها نحاس مثلها ، واستأجر الصناع على عملها ، فقامت بسبعمئة دينار وسبعة عشر دينارا ودرهمين ونصف درهم ، وعدد قناديلها خمسمئة قنديل وتسعة قناديل ، وزنتها سبعة عشر قنطارا ونصف قنطار ، وثلاثة عشر رطلا من النحاس ، والذى تحمله

قناديلها من الزيت قنطار واحد وسبع قلل ، وعدد قناديل الجامع كلها اذا أوقدت ألف قنديل وواحد وسبعمئة قنديل ، يسرج فيها من الزيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان ثلاثة قناطر ونصف قنطار ، ولم تزل هاذه الثريا الكبرا تسرج في ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة الى أن ولي قضاء المدينة الفقيه يوسف بن عمران ، فأمر باسراجها في أول ليلة من رمضان الى آخر الشهر ، فلم يزل الأمر على ذالك الى أن توفي القاضي المذكور يوم عرفة سنة سبع عشرة وستمئة ، وفي أيامه فتح الباب بالوراقين وعملت عليه القبة العظيمة المقربصة بالجبس ، وذالك سنة سبع‌عشرة وستمئة المذكورة،فأقامت الثريا الكبيرة تسرج‌بعده سنةواحدة واختلفت الأحوال ، وجاءت أيام المجاعة والفتن ، فقلت الجبايات بالمدينة ، ومات أكثر الناس جوعا ، وقل الانفاق على الجامع وعدم الزيت ، وكانت تشعل في ليلة سبع وعشرين خاصة الى أن ولي القاضي الحيوني فأمر أن لايشعل منها كأس واحد في ليلة سبع وعشرين ولا غيرها ، وقال انا لانعبد النار ، وانما نعبد الله فلم يزل الأمر على ذالك الى أن ولي الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبي الصبر) قضاء المدينة في سنة سبع وثمانين وستمئة ، فاستشار في اسراجها أمير المسلمين يوسف بن أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم، فنفذ أمره بايقادها في ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة ، فدام العمل على ذالك الى الآن .

وأما الدفف الحمر التي على باب القبلة حيث يخرج الى باب الجنائز فكانت لأبي القاسم بن الملجوم المعروف بابن رقية ، صنعها للعلية التي كانت بداره من حارة لواتة ، وقامت عليه العلية والأبواب بمال جليل لما حسن من بنائها ، فرفع عنه الى أمير المسلمين يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن أنه يكشف من تلك العلية على الديار وعلى مسلخ حمام بنت البان المجاور لها ، فينظر منه الى النسوة اذا تجردن في مسلخ الحمام المذكور ، وشهد عليه بذالك عند الخليفة ، فنفذ أمره الى قاضي المدينة أبي محمد التادلي بهدم العلية وتعفية أثرها فهدمت في يوم

الأربعاء ثالث يوم من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، فبقيت الدفف عند ورثته ، فلم يروا لها أحسن من تصريفها فى جامع القرويين المكرم ، فوهبوها له طيبة نفوسهم بذالك ، وفى الدفف صنعة مكتوبة فيها اسمه واسم الصانع الذي عملها ، وفى آاخرها : (وكان عملها فى شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمئة) فركبت هاذه الدفف بالقرويين فى سنة عشرة وستمـئـة ٠

وأما المستودع فصنع فى أيام الفقيه الصالح أبى محمد يسكر ، فحفر أرضه وركز بالتراب والجير وجعل طبقة من حجارة الرخام وطبقة من الرمل والجير ، وكان المتولى لبنائه الفقيه أبو القاسم بن حميد حتى تم ، وجعل له مفاتيح ثلاثة فى أول باب ، وثلاثة فى الباب الثانى وجعل فيه صناديق كثيرة عليها أبلاج (٤٩) وثيقة ، ولكنه احتيل عليه ودخل وأخذ جميع مافيه من أموال الأحباس وربعات الجامع وكتب وأمانات الناس ، وذالك فى أيام القاضى الفقيه أبى عمران ولم يعلم من فعل ذالك ٠

وأما الحائط الشرقى منها مع ماقرب منه فانه عمل من قديم وأشرف على السقوط والانكفاء وذالك فى أيام المجاعة والفتن وخراب المدينة ، ولم يكن لأحد فى ذالك الوقت قدرة على بنائه ، فرمم وترك على حاله ، فبقي كذالك الى سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، فاستشار والي المدينة أبو عبد الله الحدودى أمير المسلمين القائم بالحق ، يعقـوب بن عبد الحق ، فى نقضه واصلاحه ، فنفذ أمره الكريم رضي الله عنه ببنائه واصلاح مايحتاج اليه الجامع المكرم ، وان يكون الانفاق فى ذالك من مال الجزية والأعشار اذا نفد مال الأحباس ، فبني الحائط الشرقي وماوالاه من السقف ، وأنفق فى ذالك مالا كثيرا ٠

وأما الحائط الجوفى فانه تخلق أيضا بمر السنين عليه وأشرف على السقوط ، فاستأذن الفقيه القاضى أبو غالب المغيلى أمير المسلمين

---

49) أبلاج : أقفال ، وصانعها البلاج ، وفى فاس سوق يعرف بسوق البلاجين الى الآن ، ومازالت كلمة بلج معنا أقفل مستعملة حتى اليوم بناحية جبالة .

يوسف فى بنائه فنفذ أمره رضي الله عنه ببنائه واصلاحـه ، وأعطاه خلخالين من الذهب زنتهما خمسمئة دينار ، وقال له اصرفه فى بـناء الحائط المذكور فانهما حلال محض ، كان صعنهما والدى أمير المسلمين لوالدتى مما أفاء الله تعالا عليه من أخماس غنائـم الروم من بـلاد الأندلس ، فورثتهما عنها ، فلم ار لتصريفهما موضعا أوجب من هاذا ، فعسا الله تعالا ان ينفع به الجميع ، فنقض الحائط من باب الحفاء الى آلخر بيت النساء ، وبـنـي من المال المذكـور ، وذالـك فى سنة تسـع وتسعين وستمئة ٠

وأما السقاية الكبرا فصنعت فى أيام الفقيه الامام الفاضل الزاهد الورع المبارك أبى محمد يسكر نفعنا الله به ، وكـان المنفق فيها الشيخ الموفق المبارك موسا بـن عبد الله بن سداب أتا من جبل بنى يازغة بمال كثير ، فاستوطن مدينة فاس ، وكان يألف الشيخ الفقيه يسكر المذكور ، فذكر له يوما أنه جاء بمال طيب ويريد ان يصرفه فيما يحتاج الـيـه الجامع ، وان المال حلال ورثه عن أبيه عن جده لم يتغير ببيع ولاشراء ، وأصله من الحرث والماشية ، فامتنع الفقيه يسكر أن يقبل منه شيئا او يصرف منه درهما فى الجامع المذكور فألح عليه أن يعمل سقايـة ودار وضوء بازاء الجامع تكون عونا للمصلين ، فلم يتركه ولم يقبل منه حتى أخذ بيده وحمله الى محراب الجامع المكرم ، وأعطاه ختمة من الكتاب العزيز فاستحلفه فيها فى وسط المحراب أن ذالك المال حلال طيب مـن تركة والديه وجده لم يتغير ببيع ولا شراء ، فلما حلف قال له اشرع الآن فيما أردت من عمل الميضأة والسقاية ، والله تعالا ينفعـك بقصـدك ، فاشترا فندقا كان هنالك فى موضع دار الوضوء مقابـلا لباب الحفاء ، وشرع فى نقضه وبناء الميضأة والسقاية فى مكانه ، وذالك فى غرة صفر من سنة ست وسبعين وخمسمئة ، فكتب الشيخ الفقيه يسكر الـى أمير المسلمين يعلمه بالأمر ويستأذنه فى جلب الماء ، فأذن لـه بظهيـر ، وان يشق حيث شاء من شوارع المدينة وطرقها ، فجمع العرفاء والبنائـيـن وأهل الهندسة وأمرهم أن ينظروا فى المواضع التي يمكن ان يأتي الماء

منها ، فلم يجدوا أوفق من عيون دار الدباغين ، فلم يستحسنها الفقيه يسكر لسبب أوساخ الدباغين المجاورين لها ، وكون الموضع كثير الأزبال والشعر ، فتركوه ووجدوا بالقرب من دار الدباغ المذكورة دار صباغ وبها عين عظيمة تعرف بعين خومال ، فاشتراها موسا بن سداب المذكور، فأكثر في قيمتها اضعافا بسبب العين التي بها ، وهاذه العين تخرج من بيت مقبو تحت الأرض شبه بيت الحمام ، والماء يفور فيه من موضعين ، من كل موضع فوارة ، ويخرج من حجر صلد ، وهي في غاية العذوبة والطيب ، الا أن فيه ثقلا ، فحصر الماء الى قادوس يخرج منه الى صهريج ملبس بالرصاص مربع ، في كل وجه عشرة أشبار ، والصهريج الى جانب البيت ، ثم أخرج الماء من الصهريج في قواديس الرصاص التنورية ، فشق في وسط عقبة سوق الدخان الى القرسطون في قبلة جامع الشرفاء ، ثم في سماط سوق القيسارية ، ثم في سوق الخرازين ، ثم في تربيعة القزازين الى أن وصل الى المعدة التي بالموثقين ، وهي معدة من رصاص في آلاخر حانوت من سماط الموثقين الملصق بالجامع ، وينصب الماء من المعدة المذكورة الى صهريج مربع من رصاص ، ومنه يفترق الماء الى جميع السقايات والخصة والبيلة وبباب الحفاء ودار الوضوء وبيوتها وسقاية الشباك ، فيصير الى كل موضع القدر الذى يصلح له لايزيد ولا ينقص ، وفرشت بيوت دار الوضوء بالرخام ، وهي خمسة عشر بيتا ، يدخل الماء كل بيت منها على حدة ، وجعل في وسط الميضأة بيلة متسعة تشبه الصهريج ، وفي وسط البيلة جعبة من نحاس مموه بالذهب ، فيها أنابيب ينصب منها الماء الى الصهريج في غاية الحسن ، وجعل سمك هاذه الميضأة قبة عظيمة كبيرة مقربصة بالجص منقوشة باللازورد وأصناف الأصبغة ، ويقابل هاذه الميضأة باب الحفاء من الجامع المكرم ، وهو باب كبير يدخل منه الى الصحن ، واتساع هاذا الباب إكثر من ارتفاعه ، فيه بيلة من رصاص بطوله تندفق فيها المياه المعينة وينصب منها على رخام أزرق وأخضر وأحمر يغسل عليه الحفاة أرجلهم ، وسائر الباب مفروش كله بالرخام حتى الى الصحن ،

فرشة الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بالمدينة المذكورة ، وكان قبل ذالك مفروشا بالأجر من جنس الصحن ، وبجانب باب الحفاة السقاية القديمة المستطيلة التى بناها عبد الملك المظفر ، يتوضأ منها الناس للصلاة ويسقى منها الساقون بالزقاق ويخرج فيضها الى ميزاب بخارج السقاية فيسقى منه الخدم والصبيان .

الخبر عن خطباء القرويين

فى الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية أطالها الله وخلدها

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أول خطيب خطب على منبر القرويين الذي صنعه القاضي عبد الحق بن معيشة الفقيه الخطيب الصالح الورع مهدى بن عيسا ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وأفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا ، وكانت موعظته تؤثر فى القلوب لصدقه واخلاصه ، وكان يخطب كل جمعة خطبة لاتشبه الأخرا ، فأقام يخطب عليه مدة من خمسة أشهر ، ودخل الموحدون المدينة فعزلوا مهدى وقدموا مكانه الفقيه الصالح المبارك أبا الحسن بن عطية لأجل حفظه للسان البربري ، لأنهم كانوا لايقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري ، فتقدم فى أول جمعة من شهر جمادا الأولا من سنة أربعين وخمسمئة ، فكان يخطب بها الى أن توفي رحمه الله فى يوم السبت الثامن لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

ثم ولي بعده الفقيه الصالح الورع يسكر بن موسا الجورائي ، وهو أحد أشياخ المغرب فى الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات ، فانه كان موسرا له غنم وماشية كثيرة ببلده ورثها

عن أابائه ، وكان يؤم ولايخطب ، لأنه كان أعجمي اللسان شديد العجمة، فقدم من ينوب عنه فى الخطبة ، وهو الفقيه الزاهد محمد بن حسن بن زيادة الله المزنى ، فلم يزل يخطب الى أن توفي رحمه الله يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادا الأولا سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة .

فخطب بعده الفقيه عبد الرحمان بن حميد باستخلاف الفقيه يشكر له في ذالك ، فأقام الفقيه يشكر اماما بالقرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوما واحدا فى صلاته لشدة حضوره ، وتوفي الفقيه عبد الرحمان بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة احدا وثمانين وخمسمئة .

فاستخلف مكانه للخطبة الفقيه الصالح الورع موسا المعلم ، كان يقريء الصبيان فى قنطرة أبى رؤوس ، وكان له صوت شجي حسن يبكى كل من يسمعه يقرأ القرآان ، فلما وصله الأمر بالخطبة داخلته دهشة وأطلق صبيانه ثم أخذ يبكي ويدعو ويقول : اللهم لاتفضحنى بين عبادك يا أرحم الراحمين ، فلما كان بكرة يوم الخميس خرج الى الرابطة التى بخارج باب أصليتن ، وجعل يتمشى بين مقابر الصالحين ويدعو ويبكى حتى جاء الليل فدخل الرابطة وبات بها مع جماعة من الناس ، فأقام الليل كله يصلى ويتلو القرآان ويدعو ويبكى والناس يبكون لبكائه وخشوعه حتى أصبح ، فصلا بهم صلاة الصبح ، ثم أخذ فى البكاء والدعاء حتى قام المؤذنون بالانذار الأول من يوم الجمعة ، فلبس أحسن ثيابه وسار الى الجامع المكرم والمؤذنون حوله ، فقعد فى حجرة الجامع حتى قرب الأذان ، فصعد المنبر والناس ينظرون اليه وهو يبكى ويرعد حتى فرغ المؤذنون من الأذان ، فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتلجلج ، ثم دخل المحراب ، فأتا بالحكمة وفصل الخطاب ، وبكا وأبكا من سمعه ومن كان خلفه ، فلما تمت الصلاة أقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ، ولم يزل خطيبا الى أن وصل الفقيه القاضى محمد بن ميمون الهوارى فكان أول سؤاله لأهل المدينة عن خطيب القرويين ، فذكروا له فيه خيرا وأثنوا عليه كثيرا ، فلما جاءت الجمعة رأاه فلم تعجبه صورته

واستبشعه وقال فيه قولا ، فقال له بعض من حضر لو سمعت خطبته لأعجبك ، فلما سمع خطبته بكا وطلب منه المغفرة والدعاء ، وكان الفقيه المعلم سريع الدمعة ، كثير الخشوع ، الغالب على أحواله الخوف ، فمات يشكر في اليوم الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ، فاستبد الفقيه موسا المعلم بالخطبة والامامة ، فلم يزل عليهما الى أن مات فى الموفى عشرين لشهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسمئة. وكان بين وفايتهما ثلاثة أشهر نفعنا الله بهما .

فولي بعده ولده الفقيه عبد الله بن موسا المعلم وسنه يوم ولي المحراب ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الحسن والجمال والعلم والدين المتين والفضل والورع العظيم والصوت الحسن ، ولم تكن له صبوة فى شبابه ، ولم يزل من صغره مشتغلا بالعلم وطلبه منقطعا للعبادة ولم يدخل محراب القرويين من يوم بنيت الى يومنا هاذا امام شاب دون لحية سواه ، وذالك لاجتماع خلال الخير والفضل فيه واجماع الناس على فضله ودينه وورعه ، وكان له من حسن الخلق مايطابق صورته الحسنة ، ولما مرض والده موسا قيل له استخلف ولدك للمحراب فانه أهل له ، فقال لهم ان علم الله فيه خيرا فهو يستخلفه الى خدمة بيته ، فلما توفي موسا وحمل الى قبره ووضع على شفيره ضج الناس بالبكاء وذكروا من يصلى عليه بالناس ، فقال القاضى لولده تقدم فصل على أبيك ، فقام وكبر وصلا على أبيه وانصرف الناس ، فقدم فى موضع والده للامامة فكان يصلى بالناس ، فلما جاءت الجمعة لبس ثياب أبيه التي كان يخطب بها ، وأعطاه أبو مروان ابن حيون برنسا أبيض ، فطلع به المنبر فأتا بالحكمة في خطبته وقراءته ، فاستحسنه الناس وكان شابا صيتا كثير الخشوع والبكاء ، ولما أتا محمد الناصر أمير المومنين الى مدينة فاس بعث اليه ليصله ويراه ، فطلع اليه فى ضحا يوم الاثنين فدخل عنده الى قصره الذى على وادى فاس فاجتمع به وسلم عليه ، وبقي يحادثه ويستحسن كلامه وألفاظه الى أن حان وقت صلاة الظهر ، فقال له قم فصل بنا ، ففعل ، فقال له من تركت فى موضعك ؟ فقال تركت

فيه من هو خير مني ، وهو معلمي الذي قرأت عليه كتاب الله العزيز ، فانه لما جاءني رسولك تحيرت فيأمر المحراب والصلاة بالناس وقلت : لا أعلم متى يكون رجوعي ، فمررت بمعلمي الذي هو سيدي ومولاي ، لـقـول رسول الله صلا الله عليه وسلم : مولاك من علمك آية مـن كتاب الله تعالا ، فأعلمته القضية واستخلفته في مكاني ، فقال له الناصر : جزاك الله خيرا ، ثم أمره بالانصراف ، وأتبعه مملوكا بسبعة أثواب وخريطة فيها الف دينار ، فرجع الى أمير المومنين فشكره ودعا لـه بخير ، وقال له يا أمير المومنين : اما الثياب فقبلتها ، وأما الدراهيم فلا حاجة لـي بها ، فاني رجل نساخ أتعيش من نسخ يدي ، فقال له : تستعين بـهـا وتصرفها فيما يصلح لك ، فقال له : يا أمير المومنين لاتفتح علي هذا الباب واعفني من أخذها ، فانت أحق بها ، تفرقها في الأجناد والغزاة وتصرفها في مصالح المسلمين وسد ثغورهم ، فانصرف ولم يأخذ منها شيئا ، ولم يزل اماما وخطيبا الى أن توفي رحمه الله يوم الأحد الحادي عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمئة .

وكان قد استخلف في مرضه الفقيه ابو محمد القضاعـــي (٥٠) معلمه للكتاب العزيز ، فلما توفي قام ابو محمد القضاعي يؤم ويخطب عوضا منه ، فانتقد عليه ، وطعن فيه بعض الفقهاء والأشياخ ، وقالوا : يبعث الصبيان الى النفائس (٥١) ، فكتب الفقيه أبو محمد بن نمير الى أمير المومنين يخبره ، فقال لهم : ان الذي قدمه للصلاة اقر بين يدي أنه خير منه ، فاتركوه على حاله ، فحينئذ ترك الفقيه أبو محمد القضاعي المكتب واعتكف بالجامع ، وسكن الدار المحبسة على الأئمة الى أن توفي

---

50) سمي في بعض النسخ الخطية بعبد الله وكني بأبي محمد ، وفي بعضها الآخر سمي بالقاسم ولقب بأبي محمد ، فأثرنا الاكتفاء في تسميته بالكنية المتفق عليها .

51) جمع نفيسة ، أي النفساء بلغة العوام ، وكان من عادة معلمي الكتاتيب القرآنية (المسايد) اذا عسر الوضع على حامل أو لم يسقط خلاصها بعد ولادتها أن يرسلوا أطفالهم يتجولون في الزنقات والطرق ممسكين بأطراف رداء وهم ينشدون : (النفيسة طال بها النفاس ، يارب واعطها الخلاص ، حرمة طه ويس ، والقرآن الحكيم) ، واصحاب الحوانيت والمارة يرمون في وسط الرداء بفلوس وبعض الفواكه اليابسة كالتمر والتين والزبيب ، ولا يزال أطفال المسيد يتجولون حتى يأتي الخبر بولادة النفساء وخلاصها أو موتها !

رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة خمس عشـرة وستمئة ٠

فخطب بعده الفقيه الصالح الورع محمد بن عبد الرحمان الشلبى وكان من أهل الدين والعلم والفضل وكان لـه صوت حسن ومعرفـة بالأوقات والنجوم ، وفى مدة امامته جاء الفقيه المؤذن يوسف بن محمد بن علي القسطى من قصر كتامة وكان له صوت حسن فى الأذان والاقامة ومعرفة بالأوقات ، فأمر الفقيه القاضي يوسف بن عمران الخطيب محمد الشلبى أن يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهر بذالـك ويرتسم فى زمـام الخطباء ، فتمارض الشلبى وخطب فى موضعه ، وكان يخطب بجامـع القصبة اذا مرض خطيبها ، وتوفي الفقيه محمد الشلبى فى سنة تسـع وعشرين وستمئة ٠

فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع أبـو محمد عبد الغفار نحو ستة أشهر وتأخر ٠

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع المبارك المجاب المدعـوة ، الحاج الخطيب ؟ الى أن توفي فى سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فخطب بـعـده الشيخ الفقيه الصالح المبارك علي بن الحاج الى أن توفي فى سنة ثلاث وخمسين وستمئة ٠

فولي بعده الشيخ الامام العالم المجتهد المشاور الصالـح الـورع محمد ابن الشيخ الحاج الصالح المبارك المبرور يوسف المـزدغى نفعنا الله به ، فقدم ولده الفقيه الصالح الزاهد المبارك محمد (أبا القاسـم) للخطابة ، وبقي هو للامامة ، ولما دعي للامامة استرجع ثـلاث مرات ، فقيل له فى ذالك ، فقال : أخبرنى الشيخ الحافظ الصالح الحافظ المحدث أبو ذر الخشنى وأنا أروى عليه كتاب الأحكام يوم توفي الامام أبو محمد موسا المعلم وولي القضاعى نظر الي مليا ثم قال لى : يامحمد ، انـك تلى أمر الصلاة بالناس فى جامع القرويين ، وذالك فى آخر عمرك ، فلما دعيت للامامة تذكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلى قـد قـرب ،

فاسترجعت ، فأقام الفقيه محمد المزدغى اماما وولده محمد (أبو القاسم) خطيبا الى أن توفي الامام محمد المذكور .

فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع علي بن حمد ثم توفي الخطيب محمد (أبو القاسم) المزدغى المذكور ، فتولا مكانه الفقيه محمد بن زيادة الله المدنى الى ان توفي ، وتوفي الامام علي بن حمد المذكور ، فقدم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك ، قارىء الكتاب بالجامع المذكور أحمد بن أبى زرع اماما ، والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل أبا القاسم بن مسونة خطيبا مدة من سبعين يوما ، فوصل ظهير كريم من قبل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور محمد بن أيوب (أبى الصبر) اماما وخطيبا فلم يزل كذالك الى أن توفي رحمه الله فى سنة أربع وتسعين وستمئة .

فقدم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بعده للامامة الشيخ الفقيه المحدث الورع أحمد ابن الفقيه العالم المرحوم أبى عبد الله ابن راشد ، امام عصره فى علم الأصول والاعتقادات ، وقدم أيضا للخطبة الفقيه المحدث الصالح ، الفاضل المبارك يحيا (أبو الحسن) ابن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم محمد (أبو القاسم) المزدغى ، فبقي أبو العباس ابن راشد اماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة أعوام ، ثم أخر ، واستبد الفقيه يحيا (أبو الحسن) المزدغى بالامامة والخطبة الى أن كبر سنه وضعف عن الخطابة ، فقدم للخطابة ولده الفقيه الفاضل الصالح المبارك محمد (أبو الفضل) ، أبقا الله بركتهم بمنه وفضله ، انه كريم مجيب .

جامع الأندلس

واما جامع الأندلس فلم يزل على مابني عليه أولا ، لم يزد فيه أحد زيادة الى سنة ستمئة ، فأمر أمير المومنين محمد الناصر ببنائه واصلاحه

وتجديد ماتهدم منه ، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفى المدرج الذى بصحنه ، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر ، وأمر بعمل السقاية والميضأة، وجلب الماء الى ذالك كله من خارج باب الحديد من أبواب المدينة المذكورة

وأما الخصة والبيلة التي بالصحن فأمر بعملها السيد يحيا نجل الخلفاء (الموحدين) ، وأنفق فيها من ماله على يد صانعها أبى شامة الجباس ، فلم يزل الجامع على ذالك الى سنة خمس وتسعين وستمئة فاعتل كثير منه ، فعرف خطيبه وامامه الشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل المبارك محمد بن مسونة أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بذالك ، فنفذ أمره باصلاحه، فأصلح وجدد كثير منه من مال الأحباس ، ولم تزل الخصة والبيلة والسقاية والميضأة بماء العين المجلوب من خارج باب الحديد الى أن خرب ذالك فى سنى المجاعة ودرست اثاره ، فجلب اليها عوضا منه ماء نهر مصمودة ، فلم يزل ماء النهر المذكور الى أن ولي أمير المسلمين أبو ثابت بن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ، فرد ماء العين المذكور الذي جلبه الناصر الموحدى الى الجامع فدثر ، فجدد واتبع اثره ، فجلب حتى وصل الى الجامع وجرا فى الخصة والسقاية والبيلة كما كان ، وكان المتولى لبنائه والنظر فيه العريف أحمد الجيانى ، والانفاق فى ذالك من بيت المال ، وذالك فى سنة سبع وسبعمئة ٠

ورجع الخبر الى أيام الأدارسة ، ولما توفي الأمير يحيا بن محمد ابن الامام ادريس رضي الله عنه الذى بني جامع القرويين فى أيامه ، ولي بعده ولده يحيا بن يحيا بن محمد ابن ادريس ، فأساء السيرة ، ودخل على جارية من بنات اليهود ، فى الحمام اسمها حنة وكانت من أجمل نساء عصرها ، فراودها عن نفسها فاستغاثت ، فبادر اليه الناس منكرين لفعله ، وتغير عليه أهل المدينة ، فبادر اليه عبد الرحمان بن أبى سهل الجذامى ، فلما رأت زوجة يحيا الحسنى وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه ان زوجها يحيا بادر اليه العامة مع عبد

الرحمان بن أبى سهل ليقتلوه أمرته بالفرار ، ففر أمامهم مـــن عدوة القرويين الى عدوة الأندلس ، فمات بها من ليلته فقعة وندامة لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة ، فقام بأمر المدينة بعده عبد الرحمان بن أبى سهل ، فلما علمت عاتكة أن زوجها يحيا قد مـات ورأت عبد الرحمان بن أبى سهل قد ثار بالمدينة كتبت الى أبيها علي بن عمر بن ادريس رضي الله عنه تعلمه بصنيع زوجها يحيا وموته وثورة عبدالرحمان ابن أبىسهل بالمدينة بعده ، وكان والدهاعلي بنعمر بنادريس رضي الله عنه صاحب بلاد صنهاجة وغمارة ، فلما وصله الكتاب جمع جيوشه وحشمه وقصد الى مدينة فاس ، فدخل عدوة القرويين على عبد الرحمان بن أبى سهل الجذامى الثائر بها ، فبايعه أهل المدينتين القرويين والأندلس ، وخطب به على جميع منابر أعمال المغرب ، وانتقل الأمر مـن بنى محمد الى بنى عمهم عمر ابن ادريس الحسنى .

الخبر عن دولة الامير على بن عمر بن ادريس

الحسنى بمدينة فاس وأعمال المغرب

هو الأمير علي بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي ابن أبى طالب رضي الله عنهم ، بويع له بمديـنـة فاس وسائر أعمال المغرب بعد وفاة ابن عمه يحيا بن يحيا بن محـمـد ادريس الحسنى ، واستقام له الأمر الى أن خـرج عليه عبد الـرزاق الفهرى الخارجى وكان منأهل وشقة منبلاد الأندلس ، قامبجبال بويبلان(٥٢) من أعمال فاس على مسافة يوم ونصف منها ، فاتبعه خلق كثير مـن البربر من مديونة وغيرهم ، فبنا قلعة منيعة بجبل سهل بـجـوار بـلاد

52) فى الأصل جبال ويلان ، والصواب بويبلان الجبال الواقعة الى الجنوب الشرقى من فاس حيث قرية هرمومو .

مديونة وسماها وشقة باسم بلده ، وهي باقية فى تلك الناحية حتى الآن، ثم قصد الى قرية صفرو فدخلها وبايعه كافة البربر ، فرجع بهم الى مدينة فاس ، فخرج اليه الأمير علي بن عمر بن ادريس رضي الله في عسكر عظيم فكانت بينهم حروب عظيمة ، كان الظفر فيها لعبد الرزاق الخارجي ، فهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده ، وفر علي بنفسه الى بلاد أوربة ، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس ، فملك عدوة الأندلس وخطب له بها ، وامتنع منه أهل عدوة القرويين ، وبعثوا الى يحيا بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه المعروف بالمقدم (٥٣) ، فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ، وقاتل عبد الرزاق الخارجي حتى هزمه وأخرجه من عدوة الأندلس ، فدخلها وبايعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين الذين نزلوا بها من الربضيين ، فاستعمل الأمير يحيا بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبد الله من أهل الربض من شذونة ، فلم يزل وليا عليها الى أن توفي ، فقدم الأمير يحيا مكانه ولده عبد الله المعروف بعبود ، ثم توفي ، فولي بعده ولده محارب بن عبود بن ثعلبة ، وهو من الأزد من ولد المهلب بن أبى صفرة ٠

الخبر عن دولة الامير يحيا بن القاسم بن ادريس

الحسنى المعروف بالمقدم

بويع له بمدينة فاس عند هروب ابن عمه علي بن عمر عنها ، وقاتل عبد الرزاق الخارجي حتى أخرجه من عدوة الأندلس ، واستعمل عليها عامله ثعلبة بن محارب ، وخرج الى قتال الصفرية ، فكانت لهم حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولم يزل يحيا بن القاسم ملكا على فاس وأعمالها الى أن خرج لقتاله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومئتين ، فقتل

53) وفى بعض النسخ المعروف بالعوام .

رحمه الله فى السنة المذكورة ، وولي مكانه حفيد عمه يحيا بن ادريس ابـن عمر بـن ادريس ·

الخبر عن دولة الامير يحيا بن ادريس بن عمر

ابن ادريس بن ادريس الحسنى

قام يحيا هاذا بعد قتل ابن عمه المقدم يحيا بن القاسم بن ادريس ، فبايعه أهل مدينتي فاس القرويين والأندلس وخطب له بهما ، وعاد الأمر الى بنى عمر بن ادريس ، فملك الأمير يحيا بن ادريس بن عمر بن ادريس جميع أعمال المغرب ، وخطب له على جميع منابره ، وكان يحيا هاذا أعلا بنى ادريس قدرا وصيتا ، واطيبهم ذكرا ، وأقواهم سلطانا ، وأوسعهم ملكا ، وأكثرهم عدلا ، وأغزرهم كرما ، وكان فقيها حافظا للحديث ، ذا فصاحة وبيان ولسان ، ومع ذالك كان بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه ، ولم يزل على مملكة المغرب الى أن قدم اليه مصالة بن حبوس المكناسى قائد عبيد الله الشيعى القائم بافريقية ، وذالك فى سنة خمس وثلاثمئة ، فخرج يحيا مدافعا لمصالة المذكور ، فهزمه مصالة ، ودخل يحيا مدينة فاس مهزوما فتحصن بها منه ، فحاصره مصالة مدة الى أن صالحه يحيا بمال ، وكتب بالبيعة لعبيد الله الشيعى صاحب أفريقية ، وارتحل مصالة راجعا الى القيروان·

وكان موسا بن أبى العافية صاحب تسول وبلاد تازة قد خدم القائد مصالة وهاداه وتقرب اليه بالاحسان وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب، فلما انصرف مصالة الى القيروان قدمه على المغرب ، واختصه من بين سائر أمرائه ، فكان موسا بن أبى العافية كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد فيه غمره يحيا بن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله، وقطع عليه كل مايريده ، فكان على قلبه منه حمل ثقيل ، فلما قدم مصالة المغرب فى كرته الثانية ، وذالك فى سنة تسع وثلاثمئة ، سعا موسا بن

أبى العافية بيحيا بن ادريس عنده حتى اوغر صدره عليه ، فعزم مصالة على القبض عليه ، فلما قرب من مدينة فاس خرج اليه الأمير يحيا بن ادريس يسلم عليه فى قوم من وجوه عسكره ، فقبض عليهم مصالة وقيد يحيا بالحديد ، ودخل مصالة مدينة فاس ، ويحيا بن ادريس بين يديه مقيد على جمل ، فعذبه بأنواع من العذاب حتى أخرج اليه ماله وذخائره، فلما قبض مصالة الأموال أطلقه ونفاه الى مدينة أصيلة وقد ساءت حاله، وانفض جمعه ، فأقام بمدينة أصيلة مع بنى عمه مدة ، فأعطوه مالا ووصلوه وعملوا له مايقوم به ، فلم يرتض بذالك ، فارتحل عنهم يريد أفريقية فقبض عليه فى طريقه موسا بن أبى العافية المكناسى فسجنه سجنا طويلا بمدينة ألكاى (٥٤) ثم أطلقه ، وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس رضي الله عنه دعا عليه أن يميته الله جوعا فى أرض غربة ، فخرج يحيا من سجن ابن أبى العافية الى أفريقية وهو فى ذلة وضيق وفقر، فانه أقام فى سجن ابن أبى العافية نحو العشرين سنة ، فوصل المهدية وهو على تلك الحال فوافق فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى وحصاره للمهدية ، فمات بها جوعا فى غربة فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة ·

ولما قبض مصالة على يحيا بن ادريس وثقفه قدم على مدينة فاس ريحان المكناسى ورجع الى أفريقية ، فأقام ريحان المكناسى عاملا على مدينة فاس وأحوازها مدة من ثلاثة أعوام الى أن قام عليه بها الحسن ابن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى فأخرجه عنها ·

---

54) فى بعض النسخ الأكسر ، والصواب الكاى ، قلعة منيعة يظن أنها كانت بناحية جبالة حيث قبيلة جاية (لجاية) الحالية .

الخبر عن دولة الامير الحسن بن محمد بن القاسم

ابن ادريس بن ادريس الحسني المعروف بالحجام

هو الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ويلقب بالحجام، وعرف بذالك لأنه كانت بينه وبين عمه أحمد بن القاسم حرب شديدة حمل فيها الحسن على فارس من جند عمه فطعنه في المحاجم ثم فعل ذالك بثان وثالث ، كل ذالك لايطعنهم الا في موضع المحاجم ، فقال له عمه أحمد انما ابن أخي حجام ، فلزمه ذالك الاسم ، فعرف به ، وفي ذالك يقول بعضهم :

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لطعن في مكان المحاجم

دخل مدينة فاس خفية مع بعض رجاله ، فأقام بها وذالك في سنة عشر وثلاثمئة ، فبايعه أهلها ، وأجلا عنها عاملها ريحان المكناسي ، وبايعه أكثر قبائل البربر ، وملك مدينة لواتة (٥٥) وصفرو ومدينة مديونة ، ومدائن مكناسة ، ومدينة البصرة ، واستقام أمره بالمغرب ، وفي سنة احدا عشرة وثلاثمئة خرج الأمير الحسن المعروف بالحجام الى قتال موسا بن أبي العافية فالتقا معه بفحص الزاد (٥٦) على مقربة من وادي المطاحن ، فأوقع به الحجام وقعة عظيمة لم يقع في دولة الأدارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن ابي العافية ألفان وثلاثمئة رجل منهم ولده منهل (٥٧) بن موسا ، ومات من عسكر الحسن بن

---

55) مدينة مغربية مسماة باسم قبيلة لواتة التي أسستها وسكنتها ، تقع الى الشمال الشرقي من مدينة صفرو ، بينها وبين قرية بير طمطم ، قرب مجرا نهر سبو ، وهي اليوم مجرد قرية صغيرة .

56) في بعض النسخ فحص الطواد ، وفي نسخ أخرا فحص أذاد ، ذكر ابن خلدون أن هاذا الفحص هو الذي سمي فيما بعد بوادي المطاحن ، وأنه يقع بين تازة وفاس .

57) في بعض النسخ سهل .

محمد نحو من سبعمئة رجل ، فرجع الحسن الى مدينة فاس ، فترك عسكره بخارج المدينة ودخل وحده منفردا دون جيش ، فغدر به عامله بها حامد ابن حمدان الهمداني الأوربى وهو من قرا افريقية ، دخل عليه ليلا فـــى داره فقيده وحبسه عنده وغلق أبواب المدينة فى وجه العسكر ، ثم أرسل الى موسا بن أبى العافية يخبره بصنعه ويأمره بالقدوم عليه ليمكنه من المدينة ، فسارع نحوه ، فأدخله عدوة القرويين ، ثم قاتل عدوة الأندلس حتى غلب عليها ، فلما ملك مدينتي فاس قال لحامد بن حمدان : مكنى من الحسن الحجام أقتله بولدى منهل ، فدافعه حامد بن حمدان وسوفه ، وكره المجاهرة فى سفك دماء أهل البيت ، فلما جن الليل سار حامد بن حمدان الى الحسن الحجام فأزال عنه قيده وأدلاه من سور المدينة دون حبل ، فسقط وانكسرت ساقه ، وسار الى عدوة الأنـدلس فمات بـهـا مستخفيا لثلاثة أيام من تلك الليلة ، فأراد ابن أبى العافية قتل حامد بن حمدان الذي مكنه من البلد حين أطلق الحسن الحجام ، ففر حامد منه الى المهدية ، فكانت دولة الحسن الحجام بفاس نحو العامين ٠

الخبر عن دولة موسا بن أبى العافية

بفاس وكثير من أعمال المغرب

هو الأمير موسا بن أبى العافية بن أبى باسل بن أبى الضحاك بن مجدول بن تامريس بن فارديس بـن ونيف بـن مكناس بـن ورصطيف المكناسى أمير مكناسة كلها ، ملك مدينتي فاس فـى سنة ثـلاث عشرة وثلاثمئة ، وملك بلاد تازة وتسول والكاى ومدينة طنجة والبصرة وكثيرا من أعمال المغرب ، ولما دخل فاس وبايعه أهلها واستقام أمره الح على حامد بن حمدان فى قتل الحسن الحجام، فكره ذالك حامد ، وندم على ماكان منه من الغدر وجعل يسوفه الى أن أكثر عليه فى الطلب ، ففعل بالحسن ماذكرناه أولا ، واستولا ابن أبى العافية على جميع بلاد المغرب،

وبايعته القبائل والأشياخ ، فاجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخـرجهم من ديارهم ، وملك مدينة أصيلة ومدينة شالة وغيرهما مـن بـلادهم ، وساروا بأجمعهم الى قلعة حجرالنسر (٥٨) مقهورين مغلوبين ، فانحصروا بها ، وهي حصن منيع بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بـن ادريس رضي الله عنه ، طلع فى عنان السماء ، فنزل عليهم ابن أبـى العافية واشتد عليهم الحصار ، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذالك رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته ، وقالوا له : أتريد ان تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هاذا شيء لانوافقك عليه ولا نتركك له ، فاستحيا لذالك وارتحل عنهم الى مدينة فاس وخلـف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى الف فارس يمنعهم من التصـرف ، وذالك فى سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، فأقام موسا بن أبى العافية بمدينة فـاس الى ان قدم المغرب حميد بن يصليتن قائد عبيد الله الشيعي من المهديـة فى جيش عظيم ومعه حامد بن حمدان الهمدانى ، وذالك فى سنة عشرين وثلاثمئة ، وسبب قدومه أن ابن أبى العافية لما ارتحل عـن قلعة حـجـر النسر سار الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما وقتل عـامله على عـدوة الأندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود ، وولا مكانه أخاه محمد ابن ثعلبة ، ثم عزله وولا مكانه طوال ابن ابـى يزيد ، فلم يزل عامـلا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية ، واستعمل على عدوة القرويين ولده مدين ، وارتحل الى مدينة تلمسان فملكها وتغلب علـى أحوازها ، وكان ذالك بيد الحسن بن أبي العيش بن عيسا بن ادريس بن محمد بن سليمان الحسنى ، فأخرجه عن تلك البلاد بأسرها وملكـهـا ، وذالك فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وهرب الحسن بن أبى العيش الى مدينة مليلة من نواحي ملوية فتمنع بها ، وزحف ابن أبى العافية بـعـد ملكه تلمسان الى مدينة نكور (٥٩) فملكها وجميع احوازها ، وذالك فى

---

58) بقبيلة سوماتة من اقليم تطوان .

59) مدينة مغربية قديمة كانت تقع قرب الوادى المسما باسمها غير بعيد عن الحسيمة ، مازالت أطلالها موجودة الى اليوم بتلك الناحية .

شهر شعبان من سنة عشرين وثلاثمئة (غشت ٩٣٢ م) فلما ملك ابن أبى العافية مدينة تلمسان ونكور وفاس بايع عبد الرحمان الناصر لدين الله ملك الأندلس ، وقام بدعوته ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فاتصل الخبر بعبيد الله الشيعى بالمهدية ، فبعث اليه قائده حميد بن يصليتن الكتامى فى عشرة ألاف (٦٠) فارس ، فالتقا بموسا بن أبى العافية بفحص مسون (٦١) ، فكانت بينهم حروب عظيمة وسجال ، ثم ان حميد ابن يصليتن بيته ليلة فضرب فى عسكر موسا بن أبى العافية فانهزم موسا بن أبى العافية وأصحابه وفر الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها ، وارتحل حميد بن يصليتن الى مدينة فاس ، فلما قرب منها هرب مدين بنموسا ، فدخلها وولا عليها حامد بنحمدان الهمدانى وانصرف الى أفريقية ، وتظاهر بنو ادريس الذين بحجر النسر على أبى الفتح قائد ابن أبى العافية ، فهزموه ونهبوا عسكره ، وذالك حين بلغتهم هزيمة ابن أبى العافية وهروب مدين ابنه عن مدينة فاس وتملك حامد عليها فى سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، وأقام حامد بن حمدان الهمدانى عاملا على فاس الى أن ثار عليه أحمد بن أبى بكر بن عبدالرحمان بن أبىسهل ، فقتل حامدا وبعث برأسه وبولده الى موسا ابن أبى العافية فبعث بهم موسا الى أمير المومنين الناصر لدين الله بقرطبة ، وأقام أحمد بن أبى بكر عاملا على فاس لموسا بن أبى العافية الى أن قدم ميسور الفتا قائد أبى القاسم الشيعى ، وذالك فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة ، الى المغرب على اثر والده عبد الله الفهرى ؟ فحاصر ميسور مدينة فاس أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبى بكر مبايعا ، وأخرج له هدية عظيمة ومالا جسيما، فقبض منه المال والهدية وثقفه فى القيود وبعث به الى المهدية ، فسد أهل مدينة فاس مدينتهم فى وجه ميسور الفتا ولم يمكنوه من دخولها ، وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتى ، فحاصرهم ميسور مدة

---

60) فى بعض النسخ : عشرين ألف فارس .

61) بين قرية كرسيف وبين قصبة مسون الواقعة الى غربها فى طريق تازة ، ويسما هاذا الفحص أيضا فحص جل .

من سبعة أشهر فلم يقدر عليهم بشيء ، فصالحهم ميسور على أن أعطوه ستة ٱالاف دينار واقطاعا ولبودا وقربا للماء واثاثا ، وكتبوا بيعتهم لأبى القاسم الشيعى ، وكتبوا اسمه فى سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فقبل ميسور ذالك منهم ، وارتحل عنهم نحو موسا بن أبى العافية حتى لحق به ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ولي معظم تلك الحروب بنو ادريس ، قاتلوه حتى هرب الى الصحراء أمامهم ، وتملك الأدارسة أكثر ماكان بيد موسا ابن أبي العافية قائمين بدعوة أبى القاسم الشيعى ، فلم يزل ابن أبى العافية شريدا فى الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده ، وذالك من مدينة كرسيف الى مدينة نكور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية ، وذالك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، وقيل قتل فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة قاله البرنسى ·

فولي بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسا بن أبى العافية الى أن توفي فى سنة ستين وثلاثمئة ، فولي عمله بعده ولده محمد ، وعليه انقرضت ايام بنى أبى العافية المكناسيين سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٩٧٤ م) ·

وذكر بعض المؤرخين لأيامهم انه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسا بن أبى االعافية ولي بعده القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستاصل بلاده حتى قطع شأفة ذرية موسا بن أبى العافية من المغرب ، وكانت أيامهم فيه من سنة خمس وثلاثمئة الى سنة خمس وأربعين وأربعمئة ، فذالك مئة وأربعون سنة من أول دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله الى قيام لمتونة ·

وأما القائد ميسور فانه لما صالح أهل مدينة فاس وأخذ بيعتهم لأبى القاسم الشيعى صاحب افريقية أقر حسن بن القاسم اللواتى على عمالتها، فلم يزل عاملا عليها الى ان قدم أحمد بن أبى بكر من المهدية مطلقا مكرما، فتخلا له عما كان بيده ، وذالك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، فكانت

ولاية حسن بن القاسم على مدينة فاس ثمان عشرة سنة من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة الى سنة احدا وأربعين المذكورة ٠

قال ابن البان فى تاريخه المسما بجلاء الأذهان : لما فر موسا بن أبى العافية أمام ميسور القائد صارت الرياسة بالمغرب بعد فراره عنه لابني محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى رضي الله عنه ، وكانا أخوين شقيقين : كنون وابراهيم ابني محمد بن القاسم بن ادريس فتقدم منهم للرياسة وللامامة كنون ٠

الخبر عن دولة الامير القاسم بن محمد بن القاسم

ابن إدريس الحسنى الملقب بكنون

هو القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، قدمه بنو ادريس على جميعهم بعد فرار موسا بن أبى العافية عنهم ، فملك أكثر بلاد المغرب الا مدينة فاس فانه لم يملكها ، وكان سكناه بقلعة حجز النسر فأقام على امارته الى أن توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فولي بعده ولده أبو العيش أحمد بن كنون ٠

الخبر عن دولة الأمير أبى العيش

أحمد بن القاسم كنون الحسنى

هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وكان أبو العيش هاذا عالما فقيها دينا ورعا حافظا للسير عالما بتواريخ الملوك وأيام الناس وانساب قبائل العرب والبربر ، عاقلا حليما

شجاعا كريما ، كان يعرف فى بنى ادريس بأحمد الفاضل ، وكان مائلا الى بني مروان متشيعا فيهم ، لما ولي بعد أبيه قطع الدعوة فى جميع بلاده على العبيدين ، وبايع لعبد الرحمان الناصر لدين الله صاحب الأندلس ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فلم يقبل ذالك منه الناصر، وقال له : لاأقبل لك بيعة الا أن تمكننى من طنجة وسبتة ، فامتنع أبو العيش من ذالك ، فبعث اليه الناصر بالقطائع والجيوش لقتاله وضيق عليه فصالحه على ماطلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقي أبو العيش واخوته وبنو عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة تحت بيعة الناصر وفى كنفه متمسكين بدعوته ، وجاز قواد الناصر وجيوشه من الأندلس الى العدوة يقاتلون من خالفهم من البربر ويستألفونهم ويحملون الطائع على المخالف ، والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقوى لمن ضعف بماله ، حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعه أكثر القبائل من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على منابره من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ، ماعدا سجلماسة فانه قام بها فى ذالك الوقت منادر البربرى ، وبايع أهل مدينة فاس الناصر فيمن بايعه من بلاد العدوة ، فولا عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى ثم الزناتى ، وكان من أبسط ملوك زناتة يدا ، وأعظمهم شأنا ، وأحسنهم الى ملوك بنى أمية انحياشا ، وأخلصهم طوية ، وذالك بولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه لجدهم صولات ابن وزمار اليفرنى (٦٢) واسلامه على يده ، وتقديمه اياه على قومه من زناتة ، فصارت المحبة لبنى أمية وراثة فى بنيه من بعده ، فأقام محمد بن الخير أميرا على مدينتي فاس نحو سنة ، ثم ارتحل عنها الى الأندلس برسم جهاد الروم ، واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتى ، وهو الذى بنا الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، وفى سنة سبع

---

62) فى الأصل لجدهم حرب بن حفص بن صولات بن وزمار ، والصواب أن الذى أسلم على يد عثمان هو صولات بن وزمار كما ذكر ذالك ابن خلدون وغيره ، وصولات هو جد الأمراء من بني خزر أمراء تلمسان .

وأربعين وثلاثمئة ولا الناصر بمدينة طنجة وأحوازها يـعـلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن ، فنزلها فى قبائل يفرن ، فلـمـا رأا أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدوة كتب اليه الى قرطبة يستأذنه فى الجهاد ، فأذن له ، وأمر أن يبنا له فى كل منزل ينزل فـيـه قصر من الجزيـرة الخضراء الى الثغر ، وأن يجرا له فيه ألف دينار فى كل يوم ضيافة ، ومن الفرش والأثاث والطعام والشراب مايقوم بالقصر ، فلم يزل فى ذالك حتى وصل الى الثغر ، فكانت منازله فى رحلته من الجزيرة ثلاثين منزلا، ولما خرج أبو العيش الى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون ، فمات أبو العيش فى جهاد الروم سنة ثـلاث وأربعين وثلاثمئة رحمه الله تعالا .

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون

هو الحسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنـى ، ولي بعد انصراف أخيه الى الغزو الذى مات فيه ، وهو أاخر مـلـوك الأارسة بالمغرب ، ولم يزل مبايعا للمرانيين متمسكا بدعوتهم الـى أن اتصل الخبر بالشيعى صاحب أفريقية بغلبة الناصر الأموي على جميع بلاد العدوة ، وأن جميع من فيها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا فى بيعة بنى أمية ، فعظم الأمر على معد بـن اسماعيل ، فبعث قائده جوهرا الرومى فى جيش عظيم يزيد على عشرين الف فارس مـن قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وأمـره ان يطـأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطـأتـه عليهم ، فخرج جوهر مـــن القيروان يريد بلاد المغرب ، وذالك فى سنة سبع وأربعين وثـــلاثمئة ، فاتصل خبر قدومه بيعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدوة ، فحشد بنى يفرن وجميع قبائل زناتة وتلقاه فى جيوش عظيمة على مقربة من مدينة تاهرت ، فالتحم الحرب بـيـن

الفريقين فأخرج القائد جوهر الأموال وبذلها فى قواد كتامة ، فضمنوا له قتل أمير زناتة يعلا بن محمد اليفرنى ، فلما اشتد القتال صممت عصابة من قواد كتامة وأنجادها وقصدوا الى يعلا بن محمد أمير بنى يفرن فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوابه الى جوهر ، فأعطاهم أموالا جليلة بشارة عليه ، وبعث برأسه الى مولاه معد بن اسماعيل ، فطيف به فى القيروان ، وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم بعد قتل أميرهم ، وبعد مدة التأم ملكهم واجتمع فلهم على ولده يدو بن يعلا بن محمد اليفرنى ، وانصرف جوهر بعد قتل يعلا الى سجلماسة ، وكان قد قام بها محمد بن الفتح الخارجى المعروف بواسول بن ميمون بن مدرار الصفرى ، وادعا الخلافة وتسما بأمير المومنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب بها السكة وكتب عليها اسمه ، وسكته معروف بالشاكرية ، وكانت فى غاية الطيب،

وكان محمد بن الفتح غاية فى اظهار العدل واقامة السنة ، وكان مالكي المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بها وضيق عليه حتى دخلها عنوة بالسيف ، وقبض على الشاكر ، وتفرقت عنه جموعه ، وقتل رجاله وحماته من الصفرية ، وأوثقه فى الحديد ، وأتا به أسيرا بين يديه حتى نزل على مدينة فاس ، وذالك فى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة ، فحاصرها وأدار بها القتال من كل ناحية مدة من ثلاثة عشر يوما حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها خلقا كثيرا ، وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر الزناتى الذى ولاه الناصر الأموى عليها حين بايعه أهلها ، وقتل حماتها وأشياخها ، ونهب المدينة وسبا أهلها وهدم أسوارها ، وكان الحادث بها عظيما ، وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموفى عشرين لشهر رمضان المعظم سنة تسع وأربعين وثلاثمئة (١٣ نونبر ٩٦٠ م) ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين ، ويفتح البلاد والمعاقل، وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ، فانفذ الأمر بالمغرب ثلاثين شهرا، ثم انصرف الى مولاه معد بن اسماعيل العبيدى بعد أن دوخ بلاد المغرب وأثخن فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة بها للمروانيين وردها للعبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، فوصل القائد جوهر الى المهدية ،

وحمل معه أحمد بن أبى بكر الزناتى أمير فاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها ومحمد بن الفتح أمير سجلماسة أسارا بين يديه فى أقفاص من خشب على ظهور الجمال وعلى رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة مذبتة بالقرون ، فطيف بهم فى أسواق القيروان ، ثم حملهم الى المهدية فأدخلهم بين يديه ، ثم حبسهم بها حتى ماتوا فى سجنها ، وكان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر الى أفريقية فى آخر تسع وأربعين وثلاثمئة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى بيعة المروانيين وتمسك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفا منهم لامحبة فيهم لقرب بلاده منهم ، فلم يزل فى طاعتهم قائما بدعوتهم الى أن قدم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى من أفريقية قاصدا الى المغرب لأخذ ثأر أبيه ، فقتل زناتة واستأصلهم ، وملك المغرب بأسره ، وقطع أيضا منه دعوة المروانيين وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لمعد بن اسماعيل كما فعل جوهر قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته ونصره وقتل أولياء المروانيين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب الحسن ابن كنون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه فى ذالك وعمل فيه جهده ، فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه فى ذالك ، فلما انصرف بلكين ابن زيرى الى أفريقية بعث الحكم قائده محمد بن القاسم فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون ، فجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى خلق عظيم وعدد كثير وقوة وعدة كاملة ، وذالك فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (دجنبر ٩٧٢ م) فزحف الى قتاله الحسن ابن كنون فى قبائل البربر ، فالتقا الجمعان فى أحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ فكان بينهما حرب عظيم قتل فيها محمد ابن القاسم قائد الحكم المستنصر ، وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة فتحصنوا بها وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم قائد عسكره وصاحب حروبه غالبا مولاه ، وكان غالب على غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والاقدام ، فاعطاه الحكم أموالا

جليلة وعدة كثيرة وجيوشا وافرة وأمره بقتال العلويين واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : (ياغالب سر مسير من لا اذن له فى الرجوع ، الا حيا منصورا ، أو ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال ، وابسط يدك به يتبعك الناس) ، فخرج غالب بالعساكر والجيوش والعدد ، والأموال عن قرطبة فى أاخر شوال من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (غشت ٩٧٣ م) فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون ، فخاف منه وأخلا مدينة البصرة ، وحمل منها حريمه وجميع أمواله وذخائره الى حصن حجر النسر القريب من سبتة ، واتخذه معقلا يتحصن فيه لمنعته ، فجاز غالب البحر من الخضراء الى قصر مصمودة فتلقاه الحسن بن كنون هنالك بجيوشه فقاتله أياما ، وأخرج غالب الأموال فبعثها الى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم وأمنهم ، ففروا عن الحسن وأسلموه حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله ، فلما رأا ذالك سار الى حصن حجر النسر فتحصن به ، واتبعه غالب فحاصره به ونزل بجميع جيوشه عليه ، وقطع عنه الموارد ، وأمده الحكم بالعرب الذين ببلاد الأندلس كافة ورجال الثغور ، فوصل المدد الى غالب فى غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢ أكتوبر ٩٧٣ م) فاشتد الحصار على الحسن بن كنون ، فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيصير معه الى قرطبة فيكون بها ، فأجابه غالب الى ذالك وعاهده عليه ، فنزل الحسن بأهله وماله وأسلم الحصن الى غالب فملكه ، واستنزل جميع العلويين الذين بأرض العدوة من معاقلهم ، وأخرجهم عن أوطانهم ، ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم ، وسار الى مدينة فاس فملكها ، واستعمل عليها محمد بن علي بن قشوش فى عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس ، فلم تزل فى يد بنى أمية الى أن غلب عليها زيرى بن عطية الزناتى المغراوى ، وانصرف غالب الى الأندلس ، فحمل معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الأدارسة، وقد وطأ جميع بلاد المغرب ، وفرق العمال فى جميع النواحى ، وقطع دعوة بنى عبيد من جميع أافاقه ، ورد الدعوة الى الأموية الحكمية ،

فخرج بهم غالب من مدينة فاس فى آخر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢٤ يونيو ٩٧٤ م) فوصل الى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخضراء ، فكتب الى الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه وبمن معه من العلويين ، فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب فى جمع عظيم من وجوه أهل دولته ، فتلقاهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة أول يوم من شهر محرم سنة أربع وستين وثلاثمئة (الاثنين ٢١ شتنبر ٩٧٤ م) فسلم الحسن بن كنون على الحكم ، فأقبل عليه وعفا عنـــه ، ووفا له بعهده ، وأوسع له ولرجاله فى العطاء ، وكانوا سبعمئة رجـل أنجادا يعدلون سبعة آلاف من غيرهم ، وأسكنه قرطبة ، فبقي الحســن ابن كنون بقرطبة الى سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وكان له قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ، ظفر بها فى بعض سواحله من بلاد العدوة أيام ملكه بها فسواها منشورة يتوسد بها ، فبلغ أمير المـومنين الحكم خبرها ، فسأله حملها اليه وضمها الى ذخائره على أن يرضيه عنــهـا بحكمه ، فامتنع من ذالك وأبا أن يسلمها اليه ، فنكبه عليها وأخذ أمواله وسلبه من جميعها وأخذ القطعة ، فبقيت فى خزانته الى أن ظهر علي بن حمود الحسنى على ملك الأندلس ودخل قرطبة وسكن القصر وظفر ببنى أمية ، فأصاب تلك العنبرة متاع ابن اعمه الحسن بن كنون قـد عقبتها الأيام حتى صارت الى أيدى العلوية اربابها ، ولما نكب الحسن بن كنون وأخذ أمواله أمر به وبالعلوية فأخرجهم من قرطبة وأجلاهم الى الشرق فجوزوا من المرية الى تونس ليستريح من نفقاتهم ، وذالك فى سنة خمس وستين وثلاثمئة ، فسار الحسن وبنو عمه الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فاقبل عليهم نزار وبالغ فى اكرامهم ، ووعد الحســـن النصرة والأخذ بثاره ، فأقام عنده مدة طويلة الى أن دخلت سنة ثـلاث وسبعين وثلاثمئة فى أيام هشام المؤيد ، فكتب له نزار بن معد بعهده على المغرب ، وأمر عامله على أفريقية بلكين بـن زيرى بن مناد أن يقويــه بالجيوش ، فسار الحسن الى بلكين فأعطاه جيشا من ثلاثة آلاف فارس، فاقتحم بهم بلاد المغرب ، فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، فشـــرع

في اظهار دعوته ، فاتصل خبره بالمنصور بن أبى عامـر حاجـب هشام المؤيد القائم بملكه ، فبعث اليه ابن أبى عامر الوزير أبا الحكم عمر بن عبد الله بن أبى عامر فى جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله ، وأمره بحرب الحسن بن كنون ، فنفذ لوجهه وجاز البحر الـى سبتة ، وخرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره أياما ، ثم جوز المنصور ابن أبى عامر ولده عبد الملك المظفر فى أثر الوزير أبـى الحكم بجيوش حيلة ، فطلب الأمان على نفسه على أن يصير الى الأندلس كمثل حالـه الاول ، فأعطاه الوزير أبو الحكم ماوثق به ، وكتب الى ابن أبى عامـر المنصور بخبره ، فأمره بتعجيله الى قرطبة موكلا به من يحفظه ، فبعثه ، ووصل الخبر الى المنصور بقدومه وجوازه ، فلم يمض أمان ابن عمـه وأنفذ اليه بقتله فى طريقه ، فقتل وقـطـع رأسه ودفن جسـده ، وحمل الرأس الى المنصور ، ودخل فى جمادا الأولا سنة خمس وسبعين وثلاثمئة كثيرة ممدا له ، فلما رأا ذالك الحسن بن كنون سقط فى يده ولم يـجـد (شتنبر – اكتوبر ٩٨٥ م) فكانت دولة الحسن بن كنون الأولا بـالمغرب ست عشرة سنة ، من سنة تسع وأربعين الى سنة أربع وستين وثلاثمئة، ومدة اقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة أشهر ، فركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم ، وبقي منهم جماعة بقرطبة ، فكانوا فى ديـوان السلطان فى جماعة المغاربة الى أن ملك علي بن حمود الأنـدلس فسما ذكرهم ، ولما قتل الحسن بن كنون هبت ريح عاصفة فى الوقت ، فاحتملت رداء الحسن فلم يوجد بعد ، وكان الحسن بن كنون على ماذكره ابـن الفياض فظا غليظا شديد الجرأة قاسي القلب قليل الشفقة ، كان اذا ظفر بأحد من أعدائه أو سارق او قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعته المسماة بحجر النسر ، ويهوى به الى الأرض مـد البصر يدفع الرجـل بخشبة تمد اليه فلايصل الى الأرض الا وقد تقطع .

قـال المـؤلف للكتاب

فانقرضت أيام الأدارسة بالمغرب بـمـوت الحسن بن كنون اخر ملوكهم ، وكانت مدة ملكهم به من يوم بويع مولانا ادريس بن عبد الله

ابن حسن بمدينة وليلى وذالك يـوم الجمعة الرابـع من شهر رمضـان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة الى أن قتل الحسن بن كنون فى شهـر جمادا الأولا سنة خمس وسبعين وثلاثمئة ، وذالك مئتا سنة اثنتان وثلاث سنين سوى شهرين وكان عملهم بالمغرب من السوس الأقصا الى مـدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ، وكانوا يكابـدون مملكتين عظيمتين وغالبين كبيرين : دولة العبيديين بمصر وأفريقية ، ودولة بنى أمية بالأندلس ، وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الخلافة ويقعدهـم ضعف سلطانهم وقلة مالهم ، وكان سلطانهم اذا اشتد وقوي الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لايجاوز سلطانهم البصرة وأصيلة وحجر النسر ، الى أن اعتراهم الادبار والفرقة وانقضت أيامهم وانقطعت مدتهم ، والبقاء لله وحده ، لارب غيره ولا معبود سواه ٠

الخبر عن الاحداث التى كانت بالمغرب

في أيامهم إلى انقضائها

كان الرخاء بالمغرب متواليا من سنة ثمان ومئتين الى سنة سبع وأربعين ومئتين ، بيع القمح بمدينة فاس فى أكثر سنى هاذه المدة ثلاث دراهم للوسق وأقل وأكثر ..

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين قحط بلاد الأندلس حتى هلكت المواشى وأحرق الكرم والشجر وكثر الجراد وغلت الأسعار فى جميع الأندلس ، فكانوا يمتارون من بلاد العدوة .

وفى سنة سبع وثلاثين ومئتين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوءة ، وتأول القرآن على غير وجهه وتأويله ، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء ، وكان من بعض شرائعه أنه ينها عن قص الشعر وتقليم الأظفار ونتف الابطين والاستحداد وأخذ الزينة ، ويقول : لاتبديل ولا تغيير لخلق الله ، فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسا هنين الى بلاد الأندلس ، فشاع بها خبره وأمره ، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة ، فبعث اليه ملك الأندلس ، فاستتابه فلم يتب ، فقتله وصلبه وهو يقول عند قتله : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ! .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومئتين توفي الامام عبد الرحمان بن الحكم

وفى سنة ثلاث وخمسين ومئتين كان ببلاد العدوة والأندلس قحط كثير ، وغاضت المياه ولم يزل القحط يتوالا من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين .

وفى سنة أربع وخمسين ومئتين كسف القمر كله من أوائل الليل حتى أصبح ولم ينجل .

وفى سنة ستين ومئتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وأفريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها حتى رحل الناس عن مكة

الى الشام ، وبقيت خالية ليس بها الا نفر يسير وسدت الكعبة ، فبقيت كذالك مدة ، وكان فى بلاد الأندلس والغرب وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الاقوات ، فمات فيها خلق كثير ·

وفى سنة ست وستين ومئتين كانت بالسماء حمرة عظيمة من أول الليل الى أاخره ، ولم يعهد قبل ذالك مثلها ، وذالك فى ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة (١١ أكتوبر ٨٧٩ م) ·

وفى سنة سبع وستين ومئتين فى يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال (٢٢ ماي ٨٨١ م) منها كانت زلزلة عظيمة ماسمع الناس بمثلها قبلها تهدمت منها القصور ، وانحطت منها الصخور والجبال ، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور ، وفرت الطيور عن أوكارها وفراخها ، وماجت فى الهواء زمانا حتى سكنت الزلزلة ، وعمت هاذه الرجفة بلاد العدوة من طنجة الى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهولها وجبالها من البحر الشامى الى أقصا المغرب ، الا أنها لم يمت فيها أحد لطفا من الله تعالا بخلقه ·

وفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين توفي الامام محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم ملك الأندلس وولي بعد المنذر ·

وفى سنة ست وسبعين ومئتين طبقت الفتنة جميع بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية ·

وفى سنة خمس وثمانين ومئتين كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، ثم أعقب ذالك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس مالا يحصا ، فكان يدفن فى القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتا وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسل ولاصلاة ·

وفى سنة تسع وثمانين ومئتين كان الكسوف العظيم للشمس ، كسفت الشمس كلها ، وذالك في يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال

من السنة المذكورة (الثلاثاء ٦ اكتوبر ٩٠٢ م) وذالك بعد صلاة العصر، فبدر أكثر الناس بالأذان فى المساجد للمغرب ، فغاب القرص كله وظهرت النجوم ، ثم انجلت بعد ذالك وعادت مضيئة قدر ثلث او نصف ساعة ، ثم غربت وأعاد الناس الأذان والاقامة والصلاة ٠

وفى سنة ست وتسعين ومئتين تغلب الشيعى على أفريقية وأخرج عنها بنى الأغلب وقطع ملكهم ٠

وفى سنة سبع وتسعين ومئتين قطع الشيعى دعوة بنى العباس من أفريقية وأظهر مذهبه وتسما بأمير المومنين وتلقب بالمهدى ، وهو أول نقش دراهمه وتسما بأمير المومنين فى أيامه ٠

وفى سنة ثلاث وثلاثمئة كانت بالأندلس والعدوة وأفريقية فتن كثيرة ومجاعة عظيمة شبهت بمجاعة عام ستين ومئتين ، بلغت فيها الحاجة مبلغا لاعهد للناس بمثله ، وصل مد القمح ثلاثة دنانير ، ووقع الموت فى الناس حتى عجزوا عن دفن موتاهم ٠

وفى سنة خمس وثلاثمئة أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة ، وأحرقت أسوار مدينة فاس ، وأحرقت أرباض مدينة بياسة من بلاد جوف الأندلس ، وأحرقت أسوار قرطبة ، وذالك فى شهر شوال من سنة خمس وثلاثمئة المذكورة ، (مارس — أبريل ٩١٨ م) ، فسميت سنة النار ٠

وفى سنة سبع وثلاثمئة كان بالمغرب وبالأندلس وأفريقية رخاء مفرط ووباء كثير وطاعون ، وفيها كانت الريح الشديدة السوداء التي قلعت الأشجار وهدمت الديار بمدينة فاس ، فتاب الناس وخافوا ولزموا المساجد، وارتدعوا عن كثير من الفواحش والفساد ٠

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ملك الأمير موسا بن أبى العافية مدينة فاس واستولا على جميع أعمال المغرب ٠

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ادعا النبوءة رجل يسما حاميم فى جبال غمارة ودخل فى دينه خلق كثير من غمارة ، والديانة التي شرعها

لهم صلاتان بالنهار ، واحدة عند طلوع الشمس والأخرا عند غروبها ، ثلاث ركعات فى كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ، وجعل لهم قرأانا يقرأونه بلسانهم بعد تهليل يهللون به وهو : (خلنى من الذنوب يامن خلا النظر ينظر فى الدنيا ، خرجنى من الذنوب يامن أخـرج يونس من بطن الحوت وموسا من البحر) • ثم يقول فى ركوعه أامنت بحاميـم وبأبى يخلف صاحبه ، وأامنت بتاليت عمة حاميم ، ثم يسجد ، وكـانـت تاليت هاذه امرأة كاهنة ، وفرض عليهم صوم يوم الاثنين وصوم يـوم الخميس الى الظهر ، وصوم يوم الجمعة وصوم عشـرة أيـام من شهـر رمضان ويومين من شوال ، ومن أفطر فى يوم الخميس عمدا فكفارتـه أن يتصدق بثلاثة أثوار ، ومن أفطر فى يوم الاثنين فكفارته ثوران ، وفـرض عليهم الزكاة والعشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والوضوء والتطهر من الجنابة ، وأحل لهم أكل كل انثا خنزير ، وقال : انما حرم قرأان محمد الذكر ، وجعل الحوت لايؤكل الا بذكاة ، وحرم عليهم أكل البيض وأكـل رأس كل حيوان ، فبعث عليه الناصر ملك الأندلس ، فقبض عليه وقـتـل وصلب بقصر مصمودة ، وبعث برأسه الى قرطبة ، ورجع أتباعه الـى الاســـلام •

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة دخل القائد ميسور الشيعى مدينة فاس ، فقتل بها ثلاثة أالاف رجل ، وفيها دخل أيضا وارزيـغـت (٦٣) ومـدينة عوسجة من مدائن مكناسة دخلها بالسيف فقتل بهما مايزيد على سبـعـة الاف رجل.

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمئة كانت سنة الغمام ، أقـام الغمام بالمغرب خمسة أيام لايرا الناس فيها شمسا ولا يرا واحد من الأرض الا موضع قدمه ، فخاف الناس لذالك وأخرجوا الصدقات فتابوا ، فكف الله عنهم ذالك الغمام •

---

63) قرية ورزيغة الحالية القريبة من مكناسة الزيتون .

وفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة توفي موسا بن أبى العافية أميـر مكناسة كلها ،

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة دخل أبـو يزيـد مخلد بـن كيداد اليفرنى مدينة القيروان وغلب على جميع افريقية .

وفى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة دخل جوهر قائد الشيعى مـدينة فاس بالسيف وقتل خلقا كثيرا ، وحمل أشياخها أسارا الى أفريقية ، وفتح سجلماسة وقطع دعوة بنى مدرار عنها ، وفيها ملك عبد الرحمان الناصر مدينتي سبتة وطنجة من بلاد العدوة وبناهما فأصلح أسوارهما ، وقيل بل ملكهما فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، نزل برد عظيم كبير الحجر ، زنة الحجر رطل وأزيد ، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس ، وكسر الثمار والشجر ، وكان ذالك اثر قحط شديد وغلاء عام .

وفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة نزل أيضا برد عظيم لم يعهد مثله، قتل المواشي وأهلك الثمار ، واستسقا الناس فيه هاذه السنة واستصحوا، وجائت السيول العظيمة بجميع المغرب ، وكـان بها الـرعـود القاصـفـة والبروق الشديدة ، ودام ذالك أياما كثيرة ، وفيها كانت الريح الشديدة التي هدمت المبانى .

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس، هلك فيه أكثر الخلق ، وفيها ملك الناصر لـديـن الله مدينة تلمسان مـن أرض العدوة .

وفى سنة خمسين وثلاثمئة توفي عبد الرحمان الناصر لدين الله (٦٤)

وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمئة كانت ريح شديدة قلعت الأشجار وهدمت الديار وقتلت الرجال ، وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهـر رجب الفرد منها (١٠ يوليوز ٩٦٦ م) ظهر فى البحر شهاب ثاقب مائـــل

---

(٦٤) فى الأصل بمدينة تلمسان من أرض العدوة وهو غير صحيح .

كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وشبهت بليلة القدر ، وقارب ضوءوها ضوأ النهار ، وفي هاذا الشهر كسفت الشمس والقمر ، كسف القمر ليلة أربع عشرة منه ، وطلعت الشمس مكسوفة في اليوم الثامن والعشرين منه

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ملك الشيعي مصر ٠

وفي سنة احدا وستين كان الجراد بالمغرب ٠

وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمئة دخلت زناتة المغرب وتملكوه ، وتعرف هاذه السنة بسنة لقمان المغراوي ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسماعيل ٠

وفي سنة خمس وستين وثلاثمئة توفي معد بن اسماعيل الشيعي ملك مصر وأفريقية ٠

وفي سنة ست وستين وثلاثمئة توفي الحكم المستنصر ملك الأندلس، وولي ولده هشام المؤيد ، وهو ابن عشرة أعوام ، وفيها دخل يعلا بن يدو اليفرني مدينة مكناسة الزيتون بالسيف ٠

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة غلب يعلا بن يدو اليفرني على مدينة لـواتـة ٠

وفي سنة تسع وتسين وثلاثمئة دخل بلكين بن زيرى بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس ، فقتل سلاطينهم محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس ، وسار الى سبتة ، ثم عاد الى أفريقية ٠

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة ملك زيرى بن عطية على قبائل زناتة

وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمئة زحف عسكلاجة (٦٥) الى مدينة فاس من الأندلس فدخلها بالسيف وملكها ، وخطب بها لبني أمية ، وبقي محمد بن عامر المكناسي عامل العبيديين بعدوة القرويين الى سنة ست

---

65) لقب عمرو بن عبد الله بن أبي عامر ، ابن عم المنصور بن أبي عامر .

وسبعين وثلاثمئة ، وهو عام أبى بياش ، فأتى أبو بياش واسمه يطوت بن بلكين المغراوى ، فدخل عدوة القرويين بالسيف فقبضها ، وقتل عاملـهـا محمد بن عامر المكناسي ، وخطب بها أيضا لبنى أمية •

وفى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة عم الجراد الكثير بلاد المغرب وفتك بـهـا •

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة بلغ الفيض الذي فاضت فيه أودية المغرب الى غاية لم تعهد •

وفى سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقية بالمغرب ، دامت الـى ستة أشهر فأعقبها الوباء العظيم والأمراض الكثيرة •

وفى سنة ثمانين وثلاثمئة كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب ، فكان الزرع لايجد من يشتريه لكثرته ، وكان الحراثون يتركونه فى فدادينـهـم ولا يحصدونه لرخصه •

الخبر عن دولة زناتة المغراوين واليفرنيين

بالمغرب وقيام ملكهم

أول ملك منهم بالمغرب زيرى بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بـن محمد بن خزر الزناتي المغراوى الخزرى ، ملك على زناتة فى سنة ثمان وستين وثلاثمئة ، فقام فى المغرب بدعوة هشام المؤيد وحاجبه المنصور ابن أبى عامر ، وذالك بعد انقطاع أيام الأدارسة وبنى أبى العافية المكناسيين منه ، فغلب زيرى على جميع بوادى المغرب وملك مدينة فاس ، دخلها قواده عسكلاجة وأبو بياش ، ثم أتا هو بعدهما فدخلها واستوطنها وصيرها دار ملكه ، وذالك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما ملك مدينة فاس استقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شانه ، وخالف ابو البهار ابن زيرى بن مناد الصنهاجى على ابن أخيه منصور بن بلكين أمير افريقية

وظهير الدولة العبيدية ، وخلع دعوة العبيديين ومال الى دعوة المروانيين، وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة وهـران وشلف وشـرشال وجبال ونشريس والمدية وكثير من بلاد الزاب ، وخطب للمؤيد وحاجبـه المنصور ابن أبى عامر ، وبعث بيعته لهم ، وذالك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما وصلت بيعته للمنصور ابن أبى عامر بعث اليه بعهده على مابيده من البلاد وهدية وخلع وأربعين الف دينار ، فلما قبض المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ، ثم خلعهم وعاد الى العبيديين ، فبلغ ذالك المنصور فغاظه وكتب لزيرى بن عطية بعهده على جميع بلاد ابى البهار ، وأمره بقتاله عليها ، فسار زيرى بن عطية من مدينة فاس في جيوش لاتحصا من قبائل زناتة وغيرهم ، ففر أبو البهار بنفسه أمامه ولحق بابن أخـيـه منصور بن بلكين وترك البلاد ، فملك زيرى بن عطية مدينة تلمسان وسائر أعمال أبى البهار ، فانبسط سلطانه بالمغرب مـن السوس الأقصا الـى الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور ابن أبى عامر ، وبعث له بهدية عظيمة فيها مئتا فرس من عتاق الخيل وخمسون جملا مهرية سوابق ، والـف درقة من اللمطية وأحمال كثيرة من قسي الزارة (٦٦) وقطوط الـزبـد والزرافة وأصناف من الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره ، وألف حمل من التمر الجيد في جنسه ، وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة ، فسر بها المنصور وكافأه عليها ، وكتب له بتجديد عهده على المغرب ، وذالك فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة ، وأقام زيرى بن عطية بمدينة فـاس ، وأسكن قبيله فى أنحائها وبالقرب منها فى قياطينهم الى سنة اثنتيـن وثمانين فاستدعاه المنصور أن يقدم عليه ، فاستخلف على المغرب ولـده المعز ، وأمره بسكنا تلمسان ، واستخلف على عدوة الأندلس من مـدينة فاس عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة ، وعلى عدوة القرويين علي بن محمد بن علي بن قشوش ، وولا قضاء المدينتين الفقيه الفاضل قاسـم

66) ذكر ياقوت في معجم البلدان أنها قرية باقليم طرابلس تصنع بها القسي الفائقة ، وربما كانت هي قرية الزارات الواقعة قرب قابس بالقطر التونسى .

ابن عامر الأزدى ، وسار الى الاندلس ، وحمل بين يديه هدية عظيمة ، من جملتها طير فصيح يتكلم بالعربية والبربرية ! ودابة من دواب المسك ومهاة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان فى قفصين من حديد وتمر كثير فى غاية الفخر ، التمرة منه تشبه الخيارة من عظمها وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمئة فارس وثلاثمئة راجل ، فصنع لـه المنصور بروزا عظيما وانزله بقصر جعفر الحاجب ، ووسع لـه فـى الجرايات والاكرام ، ولقبه باسم الوزير ، وأعطاه مالا جسيما وخلعـا نفيسة وصرفه الى عمله ، وجدد له عمله على المغرب وعلى جميع ماغلب عليه منه ، فجاز البحر وحصل بمدينة طنجة ، فلما استقر بها ودخلهـا وضع يده على رأسه وقال : الآن علمت أنك لى ، واستقل ماوصله بـه المنصور واستقبح اسم الوزارة التى سماه بها ، ولقد خاطبه بها بعضهم، فنهاه عن ذالك ، وقال : ويحك ، وزير ! لا والله الا أمير ابنأمير ، واعجبا لابن أبى عامر ومخرقته ، لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، ولو كان بالأندلس رجل ماتركه على حاله ، وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى انتهز الفرصة فى غيبة زيرى بن عطية بالأندلس ، فزحف الى مدينة فاس ، فدخل منها عدوة الأندلس بالسيف وملكها ، وذالك فى شهر ذى القعدة سنـة اثنتين وثمانين وثلاثمئة ، فلما جاز زيرى بن عطية الى طنجة اتصل بـه خبر يدو بن يعلا وغلبته على فاس ، فأسرع السير نحوه ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى مضاهيا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال ، أمير بنى يفرن كلها ، ويفـرن ومـغـراوة أخوان شقيقان ابنا يصليتن بن سيرى بن زاكيا بن ورسيح بن جانا بـن زناتا ، وكان يدو بن يعلا قد قام بأمر بني يفرن بعد قتل أبيه يعلا بـن محمد حين قتله جوهر بأمر الشيعى سنة سبع وأربعين وثـلاثمئة ، فملك كثيرا من بوادى المغرب ، فكانت بينه وبين زيرى بن عطية حروب كثيرة ومنازعة على الامارة والرياسة ، كان الأمير يدو بن يعلا اذا غلب دخل مدينة فاس ، واذا هزم وغلب زيري بن عطية أخرجه عنها وملكها ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، فلما دخلها فى غيبة زيرى قتل بها خلقا كثيرا مـن

مغراوة فأتاه زيرى حتى نزل قريبا من المدينة ، فكانت بينهم حروب عظيمة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن الى أن هزمه زيرى ودخل عليه فاسا عنوة فقتله ومثل به ، وذالك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وبعث برأسه الى المنصور ابن أبيعامر بقرطبة ، وقوي أمرزيرى ابن عطية بالمغرب ، ولم يبق له منازع وهابته الملوك ، وبقي الأمر بينه وبين المنصور ، فبنا مدينة وجدة ، وشيد سورها وقصبتها وركب أبوابها، وسكنها بأهله وحشمه ، ونقل اليها أمواله وذخائره ، وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده ، وكان اختطاط زيرى بن عطية لمدينة وجدة فى شهر جب الفرد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (غشت ـ شتنبر ٩٩٤ م) ولم يزل زيرى بن عطية فى علو سلطان ، وارتفاع شان ، الى سنة ست وثمانين وثلاثمئة ، ففسد مابينه وبين المنصور واتصل بالمنصور أن زيرى يستنقصه ويعرض فى شأنه ويتكلم فيه بالقبيح فقطع عنه المنصور ماكان يجريه له فى كل سنة ، فعزم زيرى على خلافه وقتاله ، فقطع ذكره من الخطبة وترك الدعاء له ، واقتصر على ذكر هشام المؤيد خاصة ، فلما وصل المنصور ان زيرى خلع طاعته وطرد عماله من المغرب وأجلاهم الى سبتة ، واقتصر على الدعاء للمؤيد خاصة ، أنفذ اليه مولاه واضحا الفتاقى جيش عظيم لمحاربته ، فجاز واضح البحر واستقر بمدينة طنجة ، فأتاه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهما ، فبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبائل زناتة ، وأعطاهم الخلع والاموال ، وبعث اليه المنصور من كان معه بالأندلس من أجناد البربر ، فتكاملت جيوشه ، فخرج بهم واضح نحو زيرى بن عطية من طنجة ، فاتصل خبر قدومه بزيرى بن عطية ، فخرج اليه من مدينة فاس فى عساكر زناتة وغيرهم ، فالتقا الجمعان بوادي ردات (٦٧) فكانت بينهم حروب شديدة مدة من ثلاثة أشهر الى أن هزم واضح الفتا وقتل اكثر جيوشه ، وفر واضح الى طنجة فدخلها مهزوما ، وكتب الى المنصور يخبره بحاله

---

67) وادٍ شهير قرب مشروع ابن القصيرى بدائرة سوق أربعاء الغرب من اقليم القنيطرة.

وهزيمته ويطلب منه ان يمده بالخيل والأموال والرجال ، فخرج من قرطبة فوصل الجزيرة الخضراء ، فجوز ولده عبد الملك المظفر بجميع عسكر الأندلس وجيوشها وقوادها ، وبقي المنصور وحده ، وأمره بحرب زيرى ابن عطية ، فركب عبد الملك المظفر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فبلغ زيرى جواز عبد الملك لحربه ، فخافه وأخذ فى الاستعداد للاقاته ، وكتب الى جميع قبائل زناتة يستنصرهم ، فأتته الوفود من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وسائر بوادى زناتة ، فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر ، وخرج عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتا فى جيوش لاتحصا ، فالتقا الجمعان بوادى منى ؟ من أحواز طنجة، فكانت بينهم حروب لم يسمع قط بمثلها (استمرت) يوما كاملا من طلوع الشمس الىغروبها ، فأتاغلام أسود اسمهسلام كان زيرى قتل أخاه ، فوجد الفرصة فيه لأخذ ثأره منه ، فضربه بسكين فى لبته يريد نحره ، فجرحه ثلاث جراحات ولم يقض عليه ، فسار الأسود الى عبد الملك المظفر فأعلمه بضربه لزيرى ، فأمكنت عبد الملك الفرصة ، فشد بجميع جيشه على زناتة وهم فى حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم ، واستمرت الهزيمة على زيري وأصحابه وكثر القتل فيهم ، واتبعهم عبد الملك بالقتل والسبي ، وملك محلة زيرى بأسرها ، واحتوا على جميع مافيها من المال والسلاح والابل والكراع والعدة ، فأخذ من ذالك مالايوصف ولايحصا بعدد ، وسار زيرى حتى وصل لموضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مدائن مكناسة فأقام به واجتمع اليه الفل من قومه ، فعزم على الرجوع لمناهضة عبد الملك المظفر ، فاتصل خبره بالمظفر ، فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس وقدم عليهم واضحا الفتا ، فالتقا بهم وضرب على محلتهم وهم بمضيق الحية ليلا وهم فى غفلتهم آمنون ، وذالك فى نصف شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين وثلاثمئة (الثلاثاء ٢١ شتنبر ٩٩٧ م) فأوقع بهم وقعة عظيمة وأسر من أشراف مغراوة نحو الفي رجل ، فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم ، فكانوا من جنده ، وفر زيرى الى مدينة فاس فى شرذمة من أصحابه وبنى عمه ، فغلق أهلها الأبواب فى وجهه ،

فسألهم ان يخرجوا عياله وأولاده ، فأخرجوهم اليه ، وأعطوه الزاد والدواب ، فأخذهم وانصرف الى الصحراء هاربا أمام المظفر ، فنزل بلاد صنهاجة ، وسار المظفر الىالمدينة فدخلها ، واستقبله أهلها مستبشرين به، فأحسن لقاءهم ، وكان دخول المظفر الى مدينة فاس يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين المذكورة (الخميس ٤ نوفمبر ٩٩٧ م) ، وكتب الى أبيه بالفتح ، فقريء الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقا وغربا ، وأعتق المنصور الفا وخمسمئة مملوك وثلاثمئة مملوكة شكرا لله تعالا ، وفرق أموالا كثيرة لأهل الفقر وذوى الحاجات ، وكتب الى ولده المظفر بعهده على المغرب ، وأوصاه بحسن السيرة والعدل ، فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين ، وذالك في يوم الجمعة ألخر ذى القعدة (٤ دجنبر) من السنة المذكورة ، وانصرف واضح الى الأندلس ، واستوطن عبد الملك مدينة فاس ، وعدل فى أهلها عدلا لم يروه من أحد قبله ، فاقام بها ستة أشهر ، ثم صرفه والده عنها الى الأندلس ، وبعث اليها عوضا منه عيسا بن سعيد صاحب الشرطة، فأقام واليا عليها الى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وثلاثمئة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاه من بلاد العدوة ، وولا على ذالك واضحا الفتا ، وانصرف عنها عيسا بن سعيد الى الاندلس ، وذالك فى سنة تسع وثمانين المذكورة ، ووصل زيرى بن عطية الى بلاد صنهاجة فنزل بها ، فوجدهم قد اختلفوا على ملكهم بادريس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه منصور ، فبعث زيرى الى قبائل زناتة فأتا منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم ، فاغتنم زيرى تلك الفرصة وزحف بهم الى صنهاجة ، فأوغل فى بلادهم وهزم جيوشهم ، ودخل الى مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب ، فملك ذالك مع تلمسان وشلف والمسيلة ، وأقام بها الدعوة المؤيدية ، وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة ، وبقي عليها يقاتلها بالغدو والرواح الى أن انقضت عليه جراحاته التى جرجه الأسود ، فمات فى سنة احدا وتسعين وثلاثمئة (١٠٠١ م) فولي بعده ولده المعز، فبايعته قبائل زناتة وضبط أمرهم وقام بملك أبيه ، وصالح المظفر المنصور

ابن ابــى عامر وقلده أمــر المغرب ، فكانت مــدة ملكه بالمغرب نــحــو عشريــن سنــه ٠

الخبر عن دولة الامير المعز بن زيرى بن عطية

المغراوى بفاس وبلاد المغرب

هو المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ، أمة حرة اسمها تكاتــيــون بنت مناد بن تبادلت المغراوى ٠

ولي ملك المغرب بعد وفاة أبيه ، وبايعه قبائل زناتة ، فضبط ملكــه وقام به أتم قيام ، وصالح المنصور ابن أبى عامر ، وقام بدعوته ورجع الى طاعته ، ولم يزل كذالك الى أن توفي المنصور وولي ولــده عبد الملك المظفر ، فبايعه أيضا ودعا له على منابره ، فعزل المظفر واضحا عــن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الأندلس ، وكتب الى المعز بن زيرى ابن عطية بعهده ، على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبواديه ، وذالك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة ، وشرط له المعز أن يعطيه فى كل سنة خيلا ودرقا ومالا معلوما يوصله الى قرطبة ، وأعطاه المعز مع ذالك ولده معنصر رهينة ، ، فأقام معنصر بقرطــبــة الى أن قامت الفتنــــة بالأندلس وانقضت الدولة العامرية ، والبقاء لله وحده ، ولامعبود سواه، فانصرف معنصر الى أبيه المعز (٦٨) ولم تزل بلاد المغرب أيام المعز فــى غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن الى أن توفي فى جمادا الأولا سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة (أبريل — ماي ١٠٣١ م) فكانت أيامه بالمغرب ثلاثا وثلاثين سنة ، وولي بعده ولد عمه حمامة بن المعز بن عطية الزناتى المغراوى ، وقال بعض المؤرخين ولي بعده ولده حمامة بن المعز بن زيرى،

---

68) سيــاتى للمؤلــف مــا يخالف هــذا . انظر حوادث ســنــة تسع وثلاثمئة فى فصل (الاحداث التى كانت فى أيام زناتــة) الآتى .

ابن عطية وليس بصحيح ، وانما ذالك غلط ووهم منهم اذا اتفقت أساميهما وأسامى اابائهما ، وانما الوالى بعده ابن عمه حمامة بن المعز ابن عطية المذكور ، وقيل انه لم يكن للمعز بن زيرى ولد الا معنصر خاصة

الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية

الزنـاتى المغراوى

هو حمامة بن المعز بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك المغرب بعد وفاة ابن عمه المعز بن زيرى بن عطية المذكور ، فقام بأمر زناتة واستوطن مدينة فاس ، فقام عليه بمدينة سلا الأمير تميم بن زيرى (٦٩) بن يعلا بن محمد بن صالح اليفرنى وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل بنى يفرن ، فخرج اليه حمامة بن المعز من مدينة فاس فى قبائل مغراوة ، فالتقا الجمعان ، فكان بينهم قتال عظيم مات فيه خلق كثير من مغراوة ، وانهزم حمامة بن المعز أمام تميم اليفرنى وفر الى مدينة وجدة من أحواز تلمسان ، ودخل الأمير تميم الى مدينة فاس ٠

الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها

وهي الدولة الأولا له بها

وهو الأمير ابو الكمال تميم بن زيرى بن يعلا الزناتى ثم اليفرنى أمير بنى يفرن كلها فى وقته ، ملك مدينة فاس بعد هروب حمامة عنها

---

(69) فى الأصل تميم بن تميم بن زيرى ، ولعل الصواب تميم بن أبى تميم ، والى الله المشتكا من هذه الكنا والالقاب .

وبهزيمته ، وذالك فى شهر جمادا الأاخرة سنة أربع وعشرين وأربعمئة (ماي ١٠٣٢ م) فأوقع فيها باليهود ، فقتل منهم خلقا كثيرا يزيد على الستة ألالاف يهودي ، وأخذ أموالهم وسبا نساءهم ، وكان تميم اليفرنى رجلا مصمما فى دينه الغالب عليه الجهل ، وكان مولعا بجهاد برغواطة ، كان يغزوهم فى كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبى ، فلم يزل على ذالك الى أن مات فى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، فلما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمئة وقتل ولده فى حرب لمتونة أتوابه ليدفنوه الى جانب قبر أبيه تميم ، فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا ، فنبشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء ، فرأاه بعض قرابته فى النوم تلك الليلة وقال له : ماذالك التسبيح والتكبير والتشهد الذي سمعنا من قبرك ؟ قال ملائكة وكلهم الله تعالا بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون أجر ذالك لى فلا يقطع لى عمل الى يوم القيامة ، قال له : وبم نلت ذالك وبلغت من الله تعالا هاذه المنزلة حتى أكرمك هاذه الكرامة ؟ قال بجهادي فى الكفرة برغواطة وفعلى فيهم فى كل سنة ، فأقام الأمير تميم بمدينة فاس مدة من سبعة أعوام ، ووصل حمامة بن المعز الى وجدة فأقام بها سنة وقد تفرقت عنه جيوشه وتمزقت جموعه ، فلما رأا ذالك خرج من مدينة وجدة الى مدينة تنس ، وكتب الى قبائل مغراوة ، فاجتمعوا اليه بها ، وأقام حركة وزحف بجيوش مغراوة الى مدينة فاس فملكها ، وفر عنها تميم اليفرنى الى مدينة شالة ، وذالك فى دولته الثانية فى ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمئة ، وأقام حمامة بن المعز على ملك مدينة فاس وكثير من أعمال المغرب ومدنه الى أن توفي فى سنة أربعين وأربعمئة فكانت أيامه بالمغرب ثمان عشرة سنة ، غلب فيها تميم اليفرنى بمدينة فاس نحو خمسة أعوام أو سبعة على اختلاف فى الروايات ، وولي بعد حمامة ولده دوناس .

الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة

هو دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي ، ولي بمدينة فاس وأحوازها وجميع ماكان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه ، وكانت أيامه ايام دعة وهدنة ورخاء كثير ، وفى أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحى والبلاد ، فأدار دوناس السور على الأرباض ، وبنا المساجد والحمامات والفنادق ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشتغل دوناس من يوم ولي الى أن توفي الا بالبناء والتشييد ، وتوفي دوناس بمدينة فاس فى شهر شوال من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة (نوبر ١٠٦٠ م) ، فولي بعده ولداه الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح على عدوة الأندلس ، وعجيسة على عدوة القرويين ، وكانت أيام دوناس بن حمامة اثنتين وعشرين سنة تنقص قليلا

الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة

ابني الأمير دوناس بن حمامة

لما توفي دوناس ولي بعده الفتوح وهو الأكبر ، فاستوطن عدوة الأندلس من مدينة فاس ، وولا أخاه عجيسة على عدوة القرويين ، وكان أصغر منه سنا الا أنه كان شهما ، فقام عليه بعدوة القرويين ، فكان بينهما الحرب على الدوام ، وبنا الفتوح بعدوة الأندلس قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان ، وبنا أيضا أخوه عجيسة قصبة مثلها برأس عقبة الصعتر من عدوة القرويين ، وكثرت العداوة ، فكانا لايزالان يقتتلان ليلا ونهارا ، فكثر الخوف فى أيامهما بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن فى جميع نواحى المغرب ، وظهرت لمتونة على أطراف البلاد فملكوها ، والحرب بين الأخوين عجيسة

والفتوح على الدوام والاستمرار ، ليس لأهل المدينة شغل الا القتال أثناء الليل وأطراف النهار الى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله ·

والفتوح بن دوناس هو الذى بنا باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلى وبه عرفت الآن ، وأخوه عجيسة هو الذى بنا باب عجيسة من أبواب عدوة القرويين برأس عقبة الصعتر من ناحية الجوف وسماها باسمه ، فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذى بناه أخوه وترك اضافته اليه ، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضا منها الألف واللام ، فقالوا الجيسة ، فبقي ذالك الى الآن ، وكانت مدة اقامة الفتوح يحارب أخاه عجيسة ثلاثسنين متوالية الى أن دخل عليه عدوة القرويين ليلا بالغدر فقتله وملك العدوتين ، ولم يزل الفتوح على ملك مدينة فاس الى أن أتاه لمتونة ، فنزلوا عليه وضيقوا عليه بالحصار والغارات ، فتخلا عنها ووليها ابن عمه معنصر بن حماد ابن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، وذالك فى سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، وكانت أيام الفتوح خمسة أعوام وسبعة أشهر ، وكلها فى شدة وخوف ومجاعة وحرب وغلاء مفرط ، أعاذنا الله واياكم منه ·

الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر

ابن المعز بن زيرى بن عطية المغراوى بمدينة فاس

لما تخلا الفتوح بن دوناس عن ملك مدينة فاس ولي ابن عم أبيه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، فبايعته قبائل مغراوة الذين بها ، وذالك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وخمسين وأربعمئة (غشت ١٠٦٥ م) وكان معنصر ذا حزم ورأي وتدبير واقدام وشجاعة ونجدة ، فبقي أميرا على مدينتي فاس يحارب لمتونة الى أن اشتد عليه الأمر وعظمت الحروب فى بعض الوقائع ففقد ، فلا يدرى

مافعل الله به وذالك فى سنة ستين وأربعمئة (٧٠) ودخـــل اللمتونيون مدينة فاس مع اميرهم يوسف بن تاشفين الصنهاجى بعد فقد معنصر بن حماد بخمسةأيام ، وهيالدخلة الثانية (٧١) لهم بهادخلوها طلحا بالأمان فأقام الأمير يوسف بن تاشفين أياما ، ثم ارتحل عنها الـى جبل غمارة وترك بها عامله فى مئة فارس من لمتونة ، فأتا تميم بنمعنصر فى جمع عظيم من زناتة ، فدخلها على من بقي من لمتونة وقتلهم ومثل بهم بالحرق والصلب ، واقام بها ملكها وضبطها ، ولم يزل يقاتل بها الى أن اشتـد عليه الحصار فدخلها عليه الأمير يوسف بن تاشفين عنوة بالسيف بعد حروب كثيرة ، وهي الدخلة الثالثة (٧٢) الكبرا قتل بها مـن مغـراوة وبنى يفرن فى جوامعها وأزقتها مايزيد على العشرين ألف رجل ، وذالك فى سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، فكانت أيامه بها نحو سنتين ، وكانت أيام مغراوة وبنى يفرن بالمغرب نحو مئة سنة ، وذالك مـن سنة اثنتين وستين وثلاثمئة الى سنة اثنتين وستين وأربعمئة وفى أيامهم تمدنت فاس وعظم شأنها . وبنيت الأسوار على أرباضها . وحصنت أبوابها . وزيد فى جامعيها القرويين والأندلس ، زيادة كثيرة ، واتسع الناس فـــى أيامهم فى البناء ، فكبرت المدينة وكثرت الخيرات بها ، واتصل الأمـن والرخاء بطول أيامهم الى أن ظهر المرابطون بالمغرب وقد ضعفت أحوال مغراوة ونقص ملكهم وجاروا على رعيتهم فأخذوا أموالهم وسفكـــوا دماءهم وتعرضوا لحرمهم ، فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف فـــى البلاد ، وغلت الأسعار ، وتبدل الرخاء بالشدة ، والأمن بـالخوف ، والعدل بالجور ، وتوالا منهم ظلم وعدوان على رعيتهم ، وغـلاء مفرط لم يسمع بمثله ، وفتنة شديدة ، فاتصل الجوع والغلاء ، وعدمت الأقوات في مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس وأيام ابن عمه معنصر

70) دخل المرابطون فاس الدخلة الأولا سنة 455 هـ .
71) فى الأصل الدخلة الأولا .
72) فى الأصل الدخلة الثانية .

وأيام ولده تميم بن معنصر الى أن بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها مـن البلاد المغربية القريبة منها أوقية بدرهم ، وعدمت الأقوات فيها بالكلية ، فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فيأخذون مايجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ، ويـأخـذون أموال التجار ، فلا يقدر أحد ان يصدهم عن ذالك ولايتجرأ أن يكلمهم فيه، ومن لم يوافقهم فى شيء من ذالك أو صدهم عنه قتلوه ، وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على جبل العرض (٧٣) فينظرون الى الـديار التـي بالمدينة ، فأي دار رأوا فيها دخانا قصدوا اليها فدخلوها وأخذوا مـا يجدون بها من الطعام ، فلما فعلوا ذالك سلبهم الله ملكهم ، وغير نعمته لديهم ، فان الله لايغير نعمة قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فسلط اللـه عليهم المرابطين ، فأزالوا ملكهم وشتتوا جمعهم وقتلوهم وأخرجوهم عن بلاد المغرب بأسره ، وفى أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب ، فاتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم وديارهم للخزن والطحن والطبيخ ليلا يسمعـوا دوي الرحا ، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا أدراج لها ، اذا كان عشـي النهار طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده ، ثم رفع السلم مـعـه ليلا يدخل عليه فجأة .

الخبر عن الأحداث التى كانت بالمغرب

فى أيام زناتــة من مغراوة وبنى يفرن

وذلك من سنة 380 إلى سنة 462

فى سنة احدا وثمانين وثـلاثمئة كان قحط شديد بـبـلاد المغرب والأندلس وأفريقية ، جفت من أجله المياه جفوفا كثيرا ، وجاء هاذه السنة بوادى سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله ولم ير بتلك الأرض كلها فـى

---

73) حيث قبب بنى مرين .

تلك السنة مطر ، فعجب الناس من ذالك ·

وفيها كانت المجاعة الشديدة بأفريقية والأندلس والمغرب ، ودامت المجاعة ثلاث سنين ، من سنة تسع وسبعين الى سنة احدا وثمانين ·

وفيها ظهر نجم فى السماء ، وذالك فىليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر رجب من العام المذكور (٥ أكتوبر ٩٩١ م) ، كان هاذا النجم فى رأي العين كالصومعة العظيمة ، طلع من جهة المشرق وتهافت جريا من بين المغرب والجوف ، وتطاير منه شرر عظيم فزع الناس منه ودعوا الله تعالا فى صرف مكروهه عنهم ، وكسف بالشمس فى أاخر هاذا الشهر ، قاله ابن الفياض فى كتاب القبس ، وقال ابن مزين : كان ذالك فى سنة ثمانين وثلاثمئة ·

وفى أاخر احدا وثمانين أغاث الله تعالا الأمة وتداركهم بالرحمة ومطر الناس مطرا عاما ، وأكلأت الأرض وحطت الأسعار ، وحيي الناس وانتعشت البهائم والدواب ·

وفيها أتا الجراد الكثير فوق النهاية ، عم جميع بلاد الأندلس فسرح بها ، وكان جله وأكثره بقرطبة حتى كثر به الأذا وعظم به البلاء ، فأبرز المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعه وعقره ، وجعل جمعه وظيفة كل أحد بقدر طاقته ، وأفرد له سوقا لبيعه من جانب السوق ، وتمادا أمر هاذا الجراد ثلاث سنين من سنة احدا وثمانين وثلاثمئة الى أاخر سنة ثلاث وثمانين ·

وفى سنة احدا وثمانين المذكورة نبذ يدو بن يعلا طاعة المنصور ابن ابى عامر ·

وفيها ولي (عبد الرحمان) ابن ثعلبة عدوة الأندلس من فاس ، وولي (علي) ابن قشوش عدوة القرويين ·

وفيها ولي الفقيه عامر بن القاسم قضاء المدينتين : الأندلس والقرويين ·

وفى سنة اثنتين وثمانين دخل يدو بن يعلا اليفرني عدوة الأندلس من فاس بالسيف ٠

وفيها جاء السيل الطائل بقرطبة فأذهب أسواقها ، وعلا على الزهراء ٠

وفيها كانت الريح الشديدة بالمغرب وهدمت الديار وأفسدت الثمار

وفيها قطع المنصور ابن أبى عامر من الكتب خاتم المؤيد ، واقتصر على خاتمه فسمي المؤيد من تلك السنة ٠

وفيها كان الكسوف الذي أذهب القرص كله ٠

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمئة ولد الفقيه الظاهرى أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب مولي زيد بن أبى سفيان ، وله تاأليف جمة فى أنواع العلوم ، وتوفي سنة ست وخمسين وأربعمئة ٠

وفيها توفي الفقيه الجليل موسا بن يحيا الصديقي ٠

وفى سنة خمس وثمانين كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني بمدينة تلمسان وأحوازها واقتلعت الأشجار العظام ونظر الناس الى البهائم تمر بين السماء والأرض ، نعوذ بالله من سخطه ٠

وفى سنة احدا وتسعين وثلاثمئة توفي الأمير زيري بن عطية وولي بعده ولده المعز ٠

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة توفي المنصور بن أبى عامر ملك الأندلس فى شهر رمضان منها وهو بالثغر قافلا من غزوة له ، فدفن فى مدينة سالم ولحد فى الغبار الذى كان يعلوه فى غزواته ، فانه كان اذا خرج الى غزوة تنفض أثوابه فى عشي كل يوم على انطاع من جلد ، ويضم مايقع منها من الغبار ، فاجتمع له من ذالك كثير ، فلما مات لحد فيه وكان سنه يوم توفي خمسا وستين سنة ٠

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة توفي ولده عبد الملك الوالي بعده مسموما ، وولي بعده أخوه عبد الرحمان ، فبعث اليه المعز بن زيرى بن

عطية بهدية عظيمة ، فيها مئة وخمسون فرسا ، وكان ولده معنصر مرتهنا عنده بقرطبة ، فأحضر الحاجب عبد الرحمان ابن المنصور معنصر بن المعز حين وصلته الهدية ، فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعثه الىأبيه مكرما (٧٤) فجمع المعز كل فرس كانعنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغها تسعمئة فرس ، ولم تصل من المغرب الى الأندلس هدية أعظم منها •

وفى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة توفي الفقيه القاضى العدل الورع الصالح عبد الله بن محمد ابن محسود الهوارى (٧٥) بمدينة فاس وولي القضاء مكانه بها الفقيه العالم القاضى العدل محمد بن أبى شعيب ، فبقي على قضاء مدينة فاس ستا وعشرين سنة الى أن قتل هو وبنوه ، قتلهم الأمير دوناس بن حمامة المغراوي ، وكان القاضى ابن محسود من قضاة العدل وأئمة الفضل زاهدا فى الدنيا مقبلا على الله تعالا على قدم التجريد ، لما مات لم يترك غير سجادة مصلاه وقعب يتوضأ فيه ومصحفه الذي كان يقرأ فيه رحمه الله تعالا •

وفى سنة ثلاث وأربعمئة غلب الأمير المعز بن زيرى بن عطية على مدينة سجلماسة •

وفى سنة ست وأربعمئة طلع الكوكب الوقاد فى السماء ، وكان عظيم الجرم كثير الضياء ، يطلع فى الأفق الشرقى ، قال بعض المنجمين ان ذالك النجم يعرف بالمضيء من ذوات الأذناب ، وهو نجم هائل المنظر مفرط الضياء شديد الاضطراب والحركة ، له ذوائب أربع محددة الاطراف ، وهو أحد النيرات الاثني عشر التي ذكرها الأوائل ، ورصدها علماؤهم فى المدة الطويلة ، وزعموا أنه لايظهر منها كوكب الا لقضية يحدثها فى العالم ، والله أعلم بغيبه ، وكان ابتداء ظهوره فى أول شعبان من سنة ست وأربعمئة المذكورة ، طلع أول ظهوره قبل وقت المغرب

---

74) هاذا مخالف لما تقدم .

75) انظر ترجمته فى **التشوف** ع 17 و **سلوة الأنفاس** 3 : 160 و **جذوة الاقتباس** ص 235 .

ثم تقهقر الى أن طلع فى الليل ، واقام مدة من ستة أشهر ثم غاب ، وكان بهاذه السنة رياح كثيرة وبروق خاطفة ورعود قاصفة دون مطر ·

وفى سنة سبع وأربعمئة انقرضت الدولة الأموية بالأندلس ، وقامت بها الدولة الحمودية ، وكان مبلغ مدتهم بها مئتي سنة وستين سنة وثلاثة وأربعين يوما ·

وفيها كان بالمغرب والأندلس وأفريقية قحط شديد ومسغبة عامــة ووبــاء كثير ·

وفى سنة احدا عشرة وأربعمئة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تيهرت الى سجلماسة ، وكثر الفناء فى الناس ·

وفيها ظهر الثوار على بلاد الأندلس ، وبدت بها ملوك الطوائف ، واستبد كل واحد منهم بجهة ·

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمئة توفي الفقيه عبد الرحيم ابن العجوز بفاس (٧٦) ·

وفى سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وهدمت الديار من شدتها ·

وفى سنة اثنتين وعشرين واربعمئة توفي الأمير المعز بن زيري بن عطية بفاس ووليها حمامة ابن عمه ·

وفى سنة ثلاثين وأربعمئة توفي الفقيه أبو عمران القاسى رحمــه الله فى مدينة القيروان ·

وفى سنة احدا وثلاثين وأربعمئة توفي القاضى اسماعيل بن عباد القائم باشبيلية ·

وفى سنة ثمان وأربعين واربعمئة دخل الامير أبو بكر بن عــمــر

---

76) فى الأصل وفى سنة سبع عشرة وأربعمئة ، انظر ترجمة عبد الرحيم ابن العجوز فى **شجرة النور الزكية** 1 : 115 وانظر **بيوتات فاس الكبرى** ص 41 – 68 .

اللمتوني المغرب .

وفى سنة احدا وخمسين وأربعمئة قتل الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى مهدى لمتونة ، قتله مجوس برغواطة ، فمات شهيدا .

وفى سنة اثنتين وخمسين دخل المهدى بن كلاتو بن توالى مدائن مكناسة .

الخبر عن ظهور الدولة المرابطية اللمتونية

وقيامها بالمغرب والقبلة وبلاد الأندلس

وذكر ملوكهم ومدة أيامهم إلى انقضائها وذهابها

ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى صاحب كتاب الاكليل فى الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة ، وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، وأن الملك أفرقيش بن أبرهة ذى المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن الملطاط بن عمرو بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب ، وأرض أفريقية ، فلما توغل بالمغرب بنا مدينة أفريقية ، وهي مشتقة من اسمه ، وخلف بها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر على شاكلتهم ويأخذوا خراجهم ويدبروا أمرهم .

وروا أبو عبيدة عن ابن الكلبى أن أفرقيش لما نقل البربر عن الشام ومصر الى المغرب وبنا مدينة أفريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكتامة ، فهما فى البربر الى اليوم .

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أبا صنهاجة ابن حمير بن سبأ ولد حمير بن سبأ لصلبه .

وقال أبو فارس عبد العزيز الملزوزى الشاعر رحمه الله فى

ارجوزته فى التاريخ المسماة بنظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك(٧٧)

مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكا فى الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت فى كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر
اكرم به من نسب صريح فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا فى غربنا وبلغوا فيه المنا

وقيل صنهاجة فخذ من هوارة ، وهوارة فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل بن حمير ، وانما سموا هوارة لأن أباهم المشهور لما جال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد أفريقية قال : لقد تهورت فى البلاد ، فسموا هوارة بذالك والله أعلم ·

وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة ، منهم لمتونة ، وكدالة ، ومسوفة ولمطة ، ومسراتة ، وتكلاتة ، ومنداسة ، وبنى وارث ، وبنى مسفير ، وبنى دخير ، وبنى زياد ، وبنى موسا ، وبنى لماس ، وبنى فشتال ، وفى كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصا ، وهاذه القبائل كلها صحراوية ، حوز بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة أربعة أشهر عرضا ، من نول لمطة الى قبلة القيروان من بلاد افريقية ، وهي مابين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومنهم قوم لايعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا ، وانما أموالهم الأنعام ، وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم أحدهم عمره لاياكل خبزا الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق ، وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان ·

وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهاجى اللمتونى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ، ودان له بها أزيد من عشرين

---

77) ص 48 وانظر ترجمة الملزوزى فى مقدمة الكتاب المذكور .

ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية ، وكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها ، كلها عامرة ، وكان يركب فى مئة ألف نجيب ، وكان فى أيام الامام عبد الرحمان القائم بالأندلس ، ودامت أيامه وطال عمره نحوا من ثمانين سنة الى أن توفي فى سنة اثنتين وعشرين ومئتين فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولي بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان المذكور ، فقام بأمر صنهاجة الى أن توفي سنة سبع وثمانين ومئتين ، فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولي بعده ولده تميم بن الأثير ، فأقام ملكا على قبائل صنهاجة الى سنة ست وثلاثمئة ، فقامت عليه أشياخ قبائل صنهاجة ، فقتلوه وافترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على أحد بعده ، فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين سنة ، الى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتونى ، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم ، وكان من أهل الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد ، فأقام أميرا على صنهاجة مدة من ثلاثة أعوام الى أن استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة ، وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غربا منها ، كانوا على دين اليهودية ، ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببنى وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة ، وأسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب ، وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الاسلام ، فلما توفي الأمير أبو عبد الله بن تيفاوت اللمتونى ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحيا بن ابراهيم الكدالى .

الخبر عن دولة الأمير يحيا بن إبراهيم الكُدالى

وقيامه بأمر صنهاجة

ولي الأمير يحيا بن ابراهيم الكدالى بعد وفـاة محمد بـن تارشتا اللمتونى ، وكدالة ولمتونة اخوة يجتمعون فى أب واحد ، وهم يسكنـون ألخر بلاد الاسلام ، ويحاربون السودان ، ويليهم من جهة المغرب البحـر المحيط ، فأقام الأمير يحيا بن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحروبهم مـع أعدائهم الى سنة سبع وعشرين وأربعمئة ، فاستخلف ولده ابراهيم بـن يحيا على رياسة صنهاجة وحروبهم مع أعدائهم ، وارتحل الى المشـرق برسم حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، فوصل وقضا حجه وزيارته وقصد الى بلاده ، فمر فى طريقه بمدينة القيروان فلـقـي بها الفقيه الصالح أبا عمران موسا بن الحاج الفاسى ، كان قد رحل من مدينة فاس فاستوطن القيروان يأخذ عن أبى الحسن القابسى ، ثم رحـل الى بغداد ، فحضر بها مجلس الفقيه القاضى أبى بكر بن الطيب ، فأخـذ عنه علما كثيرا ، ثم عاد الى القيروان ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين وأربعمئة فلما وصل يحيا بن ابراهيم الكدالى الى القيروان ألفا بها أباعمران الفاسى يدرس العلم ، فجلس اليه وسمع منه ، فرأاه أبو عمران محبا فى الخيـر فأعجبه حاله ، فسأله عن اسمه وبلده ونسبه فأخبره بذالك وأعلمه بسعة بلاده ومافيها من الخلق ، فقال له ومابنتحلون من المذاهب ؟ فقال لـه انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم ، فاختبره الفقيه وسأله عن واجبات دينه ، فلم يجده يعرف منها شيئا ، ولايحفظ من الكـتـاب والسنة حرفا ، الا أنه حريص على التعلم ، صحيح النية والعقيدة واليقين، جاهل بما يصلح دينه ، فقال له مايمنعك من التعلم للعلم ؟ فقال له ياسيدي ان أهل بلادي قوم عمهم الجهل ، وليس فيهم من يقرأ القرأان ، وهم مـع ذالك يحبون الخير ويرغبون فيه ويسارعون اليه لو وجدوا من يقرئـهـم

القرآن ويدرس لهم العلم ويفقهم فى دينهم ، ويدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة ويعلمهم شرائع الاسلام ، ويبين لهم سنن النبي عليه السلام ، فلو بغيت الثواب من الله تعالا بتعليمهم الخير لبعثت معى الى بلادنا بعض طلبتك وتلاميذك يقرئهم القرآن ويفقهم فى الدين ، فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك فى ذالك الأجر العظيم والثواب الجسيم عند الله ، اذ تكون سببا لهدايتهم ، فندب الشيخ الفقيه أبو عمران تلاميذه الى ذالك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء ، ولم يجبه منهم أحد ممن يرضاه الشيخ ، فلما يئس منهم قال : انى أعرف ببلاد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقينى هنا وأخذ عنى علما كثيرا وعرفت ذالك منه، واسمه واجاج بن زلو اللمطى من اهل السوس الأقصا ، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس الى الخير فى رباط هنالك ، وله تلاميذ جمة يقرءون عليه العلم ، أكتب له كتابا لينظر فى تلاميذه من يبعثه معك فسر اليه ، فعنده تجد ماتريد ، فكتب اليه الفقيه أبوعمران كتابا فيه : سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد اذا وصلك حامل كتابى هاذا وهو يحيا بن ابراهيم الكدالى فابعث معه الى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقهم فى دينهم وله ولك فى ذالك الثواب والأجر العظيم ، والله لايضيع أجر من أحسن عملا ، والسلام ، فسار يحيا بن ابراهيم الكدالى بكتاب أبى عمران حتى وصل الى الفقيه واجاج بن زلو اللمطى بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وذالك فى شهر رجب الفرد فى سنة ثلاثين وأربعمئة فقرأ الفقيه واجاج بن زلو الكتاب ، وجمع تلامذته فقرأه عليهم ، وندبهم لما أمره به الشيخ أبو عمران الفاسى ، فانتدب لذالك رجل منهم جزولي النسب يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولى ، وكان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء من أهل الدين والفضل والتقا والورع والفقه والأدب والسياسة ، مشاركا فى العلوم ، فخرج مع يحيا بن ابراهيم حتى وصل بلاد كدالة ، فالتقاه قبائل كدالة ولمتونة بالسرور وفرحوا به غاية ، وبالغوا فى اكرامه وبره .

الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي

صنهاجة وقيامه بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة

هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام ، مهدى المـرابطين •

لما وصل بلاد كدالة مع ابراهيم بن يحيا الكدالى فرح به قبائل لمتونة وأكرموه وعظموه لما ذكر لهم يحيا عنه من العلم والفضل ، وكان يحيا قد أنزله معه ، فوجد عنده تسع نسوة ، فسأله عنهن ، فقال : هن زوجاتي ، فقال له الفقيه : هاذا شيء لايجوز فى دين الاسلام ، وانما يجوز لك أربع، ففارق خمسا ، فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن ، ثم قال لـه ان جميع الرؤساء من كدالة ولمتونة على مثل حالى ، فأنذرهم وعرفهم حكم الله ، فخرج الفقيه عبد الله بن ياسين ويحيا معه وجمع الرؤسـاء فقال لهم : بلغنى أنكم تتزوجون بما شئتم من النساء ، حتى ان الشخص منكم يجمع بين العشرة ، وليس هاذا من السنة ، وانما السنة والاسلام أن يجـمـع الرجل بين أربع نسوة حرائر ، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين ، ثـم جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فلما رأوه قد شدد عليهم فى ترك ماهم عليه من المنكرات تبـرأوا منه وهجروه ونافروه وثقل ذالك عليهم ، ومع ذالك فانه وجد أكثرهـم لايصلون ولايزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة ، وقد غلب عليهم الجهل ، فلما رأا عبد الله بن ياسين أعراضهم واتباعهم أهـواءهـم أراد الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا فى الاسلام اذ كان الاسـلام بها قد ظهر ، فلم يتركه يحيا بن ابراهيم الكدالى ، وقال لـه انى لاأتركك تنصرف ، وانما أتيت بك لأنتفع بعلمك فى خاصة نفسي ودينى ، وما علي فيمن ضل من قومى ، ولكن ياسيدي هل لك فى رأي أشير به عليك أن كنت تريد الأخرة ، قال وماهو ؟ قال : ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر اذا انحسر البحر دخلنا اليها على أقدامنا ، واذا امتلأ دخلناها فـى

الزوارق ، وفيها الحلال المحض الذي لاشك فيه من أشجار البرية وصيد البر وأصناف الطير والوحش والحوت ، فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله تعالا حتي نموت ، فقال ، فقال له عبد الله بن ياسين هاذا أحسن ، فهلم بنا ندخلها على اسم الله ، فدخلاها ودخل معهما سبعة نفر من كدالة ، فابتنيا بها رابطة ، وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالا مدة من ثلاثة أشهر ، فتسامع الناس بأخبارهم ، وأنهم يطلبون الجنة والنجاة من النار ، فكثر الوارد عليهم والتوابون فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم في ثواب الله تعالا ويحذرهم اليم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم ، فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة ، فسماهم المرابطين للزومهم رابطته ، وأخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة ومافرض الله عليهم من ذالك ، فلما تفقهوا في ذالك وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة ، وخوفهم من النار، وأمرهم بتقوا الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخبرهم بما في ذالك من ثواب الله تعالا وعظيم الأجر ، ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة ، وقال لهم : يامعشر المرابطين انكم جمع كثير ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالا وهداكم الى صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فقالوا أيها الشيخ المبارك : مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا ، فقال لهم اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وابلغوهم حجته ، فان تابوا ورجعوا الى الحق واقلعوا عماهم عليه فخلوا سبيلهم ، وان ابوا من ذالك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالا عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته ، فوعظهم وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عماهم بسبيله ، فلم يكن منهم من يقبل ولا يرجع ، فخرج اليهم عبد الله بن ياسين . فجمع أشياخ القبائل ورؤساءهم

وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم الى التوبة وخوفهم عقاب الله ، فأقام يحذرهم سبعة أيام وهم فى كل ذالك لايلتفتون الى قوله ولايزدادون الا فسادا ، فلما يئس منهم قال لأصحابه : قد أبلغنا الحجة وأنذرنا ، وقد وجب علينا الآن جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله تعالا ، فبدأ أولا بقبيلة كدالة ، فغزاهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين ، فانهزموا بين يديه ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقون اسلاما جديدا وحسنت حالهم ، وأدوا مايلزمهم من جميع مافرض الله عليهم وذالك فى شهر صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمئة ، ثم سار الى قبائل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا الى الطاعة وتابوا ، وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ، ثم سار الى قبائل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وكدالة ، فلما رأا ذالك قبائل صنهاجة ولمتونة سارعوا الى التوبة والى مبايعته وأقروا له بالسمع والطاعة ، فكان كل من أقبل اليه تائبا منهم طهره بأن يضربه مئة سوط ثم يعلمه القرأان وشرائع الاسلام ويأمره بالصلاة والزكاة واخراج العشر ، وجعل لذالك بيت مال يجمعه فيه ، وأخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولا على قبائلها ، وجمع أسلاب المقتولين فى ذالك الغزو وجعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس الى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها ، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب ، وأنه قام رجل بكدالة يدعو الى الله والى طريق مستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد فى الدنيا ، واشتهر ذالك ببلاد السودان ، وتوفي يحيا بن ابراهيم الكدالى ، فأراد عبد الله بن ياسين أن يقدم غيره فى موضعه ليقوم بحروبهم ، وكان اكثر قبائل صنهاجة طاعة لله تعالا ودينا وصلاحا لمتونة ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة ، وذالك لما أراد الله من ظهور أمرهم وتملكهم على المغرب والأندلس ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء القبائل من صنهاجة ، فقدم عليهم يحيا بن عمر

اللمتونى وأمره على سائرهم ، وعبد الله بن ياسين هو الأمير على الحقيقة ، لأنه هو الذي يأمر وينها ويعطى ويأخذ ، فكان الأمير يتولا النظر فى أمر حروبهم ، وعبد الله بن ياسين ينظر فى ديانتهم وأحكامهم ويأخذ زكاتهم وأعشارهم ·

الخبر عن دولة الأمير يحيا بن عمر بن تكلاكين

الصنهاجي اللمتوني

لما قدم عبد الله بن ياسين يحيا بن عمر اللمتونى المرابط وكان من أهل الدين المتين والفضل والورع والزهد فى الدنيا والصلاح ، أمره بالجهاد ، وكان يحيا شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، كثير الطاعة له فيما يأمره به وينهاه عنه ، فمن حسن طاعته له أنه قال له يوما وجب عليك أدب ، قال له فيم ياسيدي ؟ قال له لا أعرفك به حتى آخذه منك ، فكشف له عن بشرته ، فضربه عشرين سوطا ، ثم قال له انما ضربتك لأنك باشرت القتال واصطليت الحرب بنفسك ، وذالك خطأ منك ، فان الأمير لايقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم ، فان حياة الأمير حياة عسكره ، وموته فناء جيوشه ، فاستولا الأمير يحيا على جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وأربعمئة اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعة وصلحاؤهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيا بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور ، وعرفوهم بما هم فيه بها أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصغار والجور مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتى المغراوي ، فلما وصل الكتاب لعبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم الكتاب وشاورهم فى الأمر ، فقالوا له أيها الشيخ الفقيه هاذا مما يلزمنا ويلزمك ، فسر بنا على بركة

الله تعالا ، فأمرهم بالجهاز ، وخرج بهم فى الموفى عشرين لصفر سنة سبع وأربعين وأربعمئة (الأحد ٢١ ماي ١٠٥٥ م) فى جيش عظيم من المرابطين ، فسار حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل أمير سجلماسة ، فأخرجه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة كانت بها فى مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوى ، فعلم الأمير مسعود بذالك ، فجمع جيوشه وخرج نحوهم ، فالتقا الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالا المرابطين فيها النصر على مغراوة ، فقتل مسعود بن وانودين المغرواى واكثر جيوشه وفر الباقون ، فأخذ عبد الله بن ياسين اموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الابل التي أخذ فى درعة ، فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما ، وقسم الباقي على المرابطين ، وارتحل من فوره حتى دخل مدينة سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة ، واقام بها حتى هدنها وأصلح احوالها ، وغير ماوجد بها من المنكرات ، وقطع المزامير ، وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر ، وأزال المكوس ، وأسقط المغارم المخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه ، وقدم عليها عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء ، وتوفي الأمير يحيا بن عمر فى جهاد كان ببلاد السودان ، فقدم الفقيه عبد الله ابن ياسين فى مكانه أخاه أبابكر بن عمر اللمتونى ، وذالك فى شهر المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمئة (مارس — ابريل ١٠٥٦ م) .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى المرابط

لما توفي يحيا بن عمر قدم عبد الله بن ياسين عوضا منه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب ، فندب المرابطين الى غزو بلاد المصامدة وبلاد السوس ، فخرج اليها فى جيوش عظيمة وذالك في شهر ربيع الثانى من سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، وكان الأمير ابو بكر رجلا صالحا متورعا ، فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم

سار حتى وصل الى بلاد السوس ، فغزا بلاد جزولة ، وفتح مدينة ماسة ومدينة رودانة وجميع بلاد السوس ، وكان برودانة قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين الى عبد الله البجلى الرافضى ، كان قدم الى السوس حين قدم عبيد الله الشيعى الى أفريقية ، فأشاع هنالك مذهبه فورثه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لايرون الحق الا مافى أيديهم ، فقاتلهم الأمير ابوبكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير ، فرجع من بقي منهم الى السنة وأخذ أموال من قتل منهم فجعلها فيئا للمرابطين ، وأظهر الله المرابطين وأعلا كلمتهم ، ففتحوا معاقل بلاد السوس ، وأطاعتهم جميع قبائلها ، فأخرج عبد الله بن ياسين عماله على نواحيها ، وأمرهم باقامة العدل واظهار السنة فيها وألزمهم اعطاء الزكاة والعشر ، وأسقط ما سوى ذالك من المغارم المحدثة ، وارتحل الى بلاد المصامدة ففتح جبل درن ، وفتح أيضا بلاد ~~رويه~~ دري ؟ وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد نفيس وسائر بلاد كدميوة ، وأتاه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه ، وارتحل الى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوى ، فنزل عليها وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال ، فلما رأا لقوط مالا طاقة له به أسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه الى ناحية تادلة ، فنزل فى حما بنى يفرن أربابها ، ودخل المرابطون مدينة أغمات ، وذالك فى سنة تسع وأربعين واربعمئة ، فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة اغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون ، ثم خرج بهم الى غزو تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوى فقتله ، ثم سار الى بلاد تامسنا ففتحها ، فأخبر أن بساحلها قبائل براغواطة في عدد عظيم وأنهم مجوس كفار .

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة

وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخسيسة

لما وصل عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا أخبر أن بساحلها قبائل برغواطة عى أمم لاتحصا ، وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ، وأخبر بديانتهم الخسيسة التي تمسكوا بها ، وقيل له : ان برغواطة قبائل كثيرة، وليس لهم أب واحد وأم واحدة ، وانما هم أخلاط من قبائل شتا من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعا النبوءة فى أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان أصله لعنه الله من بزباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ، فكان يقال لمن تبعه ودخل فى ديانته برباطى ، فعربته العرب وقالوا برغاطى ، فسموا برغواطة ، وكان صالح ابن طريف الذى ادعا فيهم النبوءة ، رجلا خبيثا يهودي الأصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ ببرباط من بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق ، فقرأ على عبيد الله المعتزلى القدرى ، واشتغل بالسحر ، فجمع منه فنونا كثيرة ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجد بها قبائل من البربر جهالا ، فأظهر لهم الاسلام والزهد والورع ، وأخذ بعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه ، وأراهم من نيرجه (٧٨) وتمويهاته ، فاستغواهم بذالك وأقروا بفضله واعترفوا بولايته ، فقدموه على أنفسهم، وصدروا عن رأيه فى جميع أمورهم ، ووقفوا عند أمره ونهيه ، فادعا النبوءة وتسما بصالح المومنين ، وقال لهم : أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله فى كتابه العزيز الذي أنزله على محمد عليه السلام ، وشرع لهم الديانات التى أخذوها عنه ، وذالك سنة خمس وعشرين ومئة ، وكان الضلال الذى شرع لهم أنهم يقرون بنبوته ، وأنهم يصومون شهر رجب ، ويأكلون شهر رمضان ، وفرض عليهم عشر صلوات : خمس بالليل

78) النيرج أخذ كالسحر وليس به .

وخمس بالنهار ، وأن الأضحية واجبة على كل من تبعه فى الحادي والعشرين من المحرم ، وشرع لهم فى الوضوء غسل السرة والخاصرتين، وصلاتهم ايماء لاسجود فيها ، ويسجدون فى آاخر ركعة خمس سجدات ، ويقولون عند الطعام والشراب باسم ياكش وزعم أن تفسيره باسم الله ، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار ، وأباح لهم ان يتزوج الرجل من النساء ماشاء ، ولايتزوج من بنات عمه ، ويطلقون ويراجعون ألف مرة فى اليوم فلا تحرم المرأة بشيء من ذالك ، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد ، وزعم أنه لايطهره من ذنبه الا السيف ، وأمرهم بالدية من البقر ، وحرم عليهم رأس كل حيوان ، والدجاجة مكروه أكلها ، وقدوتهم فى الأوقات الديكة ، وحرم عليهم ذبحها وأكلها ، ومن ذبح ديكا وأكله أعتق رقبة ، وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم تبركا به ، فكان يبصق فى أكفهم فيلحسونه تبركا ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ، ووضع لهم قرأانا يقرأونه فى صلاتهم ويتلونه فى مساجدهم ، وزعم أنه نزل عليه ، وأنه وحي من الله تعالا اليه ، ومن شك فى شيء من ذالك منهم فهو كافر ، والقرأان الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيئين وغيرهم منها سورة أادم ، وسورة نوح ، وسورة أيوب ، وسورة يونس ، وسورة موسا ، وسورة هارون ، وسورة الأسباط ، وسورة فرعون ، وسورة بنى اسرائيل ، وسورة الديك ، وسورة الحجل ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ، وسورة هاروت وماروت ، وسورة ابليس ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم عندهم ، وأمرهم أن لاغسل عليهم من الجنابة الا من الحرام ، وقد ذكرنا اخبار برغواطة وملوكهم مستوفاة فى كتابنا الكبير المسما (بأزهار البستان فى أخبار الزمان ، وذكر الموجود ، مما وقع فى الوجود) .

قال المؤلف عفا الله عنه :

فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وماهم عليه من الضلالة رأا أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم ، فسار الى غزوهم فى جيوش

المرابطين ، والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي بن أبى عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبى ، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة ، مات فيها من الفريقين خلق كثير ، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدى المرابطين ورئيسهم ، فلما ثقل بالجراح فى الحرب وحمل الى عسكره ، وبه رمق جمع أشياخ المرابطين ورؤساءهم فقال : يامعشر المرابطين انكم فى بلاد أعدائكم ، اني ميت فى يومى هاذا لامحالة، فاياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ريحكم ، وكونو ألفة وأعوانا على الحق واخوانا فى ذات الله تعالا ، واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة ، فان الله يؤتى ملكه من يشاء ، ويستخلف فى أرضه من احب من عباده ، ولقد ذهبت عنكم ، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيأكم ويأخذ زكاتكم وأعشاركم، فاتفق رأيهم على تقديم أمر الحرب لأبى بكر بن عمر اللمتونى ، فقدمه عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع أشياخ صنهاجة واجماع منهم على ذالك ، وتوفي عبد الله بن ياسين فى عشي يومه ذالك ، وذالك يوم الأحد الرابع والعشرين لجمادا الأولا سنة احدا وخمسين وأربعمئة (٨ يوليوز ١٠٥٩ م) ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا (٧٩) وبني على قبره مسجد ، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع فى المطعم والمشرب، فكان طول اقامته فيهم لاياكل شيئا من لحمانهم ولا يشرب من ألبانهم ، فان أموالهم كانت غير طيبة لشدة جهلهم ، فكان يتصيد ويتعيش من لحوم الصيد ، وكان مع ذالك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عددا من النساء ويطلقهن ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ولا يجاوز فى مهرهـا أربعة مثاقيل ، وكان يأخذ الثلث من الأموال المختلطة ، ويرا أن ذالك يحلل باقيها ، وذالك شذوذ من الفعل ، ومما يذكر من فضله وصلاحه وبركاته

---

(79) ما زال ضريح عبد الله بن ياسين معروفا مزارا بكريفلة من ارض قبيلة زعير بحوز الرباط .

التي شاهدها الناس أن المرابطين خرجوا معه فى غزواته الـى السودان فنفد الماء حتى أشرفوا على التلف ، فقام عبد الله بن ياسين فتيمم وصلا ركعتين ، فدعا الله تعالا وأمن المرابطون على دعائه ، فلما فـرغ مـن الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هاذا ، فحفروا فوجدوا الماء تحـت مقدار شبر من الأرض فشربوا منه وسقوا دوابهم ومـلأوا أوعيتهم بماء عذب بارد ، ومن بركاته أنه نزل منزلا به بركة كثيرة الضفادع لايـقـدر واحد أن يستقر حولها لكثرة نقيقها وصياحها ، فوقف عبد الله بن ياسين حذاءها فسكتت ولم يسمع لها نقيق ، فلما تباعد عنها عادت الى صياحها، ولم يزل صائما من يوم دخل بلادهم الى أن توفي رحمه الله تعالا ، ومن حسن سياسته فيهم أنه أقام فيهم السنة والجماعة فى المدة القليلة ، وحكم عليهم أنه من فاتته الصلاة فى الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط ·

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر الصنهاجي اللمتونى

هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بـــن ورتانطق اللمتونـي المحمدي ، أمه حرة كدالية اسمها صفية ، لما قدمه عبد الله ابن يـاسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم ، فتمت له البيعة ، وكان أول مافعله أن أخذ فى دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما فى حربه متوكلا على الله تعالا فـــي جميع أموره ، فاستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه وهو فى أثرهم يقتل ويسبى حتى أثخن فيهم وتفرقت برغواطة فى الصحراء وأذعنوا لـــه بالطاعة وأسلموا اسلاما جديدا ، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر الـى اليوم ، وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين ، ورجع الى مدينة أغمات فأقام بها الى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، فخـرج بجيوشه الى بلاد المغرب فى أمم لاتحصا من صنهاجة وجزولة والمصامدة،

ففتح بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة ، وفتح بلاد مكناسة ، وارتحل الى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن ، وكان دخوله اياها وتخريبه لها فى آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، (الجمعة ٢ يونيو ١٠٦٠ م) فلم تعمر بعدها الى اليوم ، فلما فرغ من فتح لواتة ارتحل الى مدينة أغمات، وكان قد تزوج بها امرأة اسمها زينب بنت اسحاق الهوارى رجل من التجار ، وأصله من القيروان ، وكانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور ، حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الامير أبوبكر معها بأغمات مدة من ثلاثة أشهر الى ان قدم عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال الصحراء ، وكان الأمير أبوبكر رجلا صالحا كثير الورع، فلم يستحل قتال المسلمين وسفك دمائهم ، فعزم على السير الى الصحراء ليصلح أحوالها ويقيم بها ليجاهد الكفار من السودان ، فلما عزم على الخروج الى الصحراء طلق زوجته زينب وقال لها عند فراقه لها : يازينب انك ذات حسن وجمال فائق ، واني سائر الى الصحراء برسم الجهاد لعلي أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر ، وأنت امرأة لطيفة لاطاقة لك على بلاد الصحراء ، واني مطلقك ، فان تممت عدتك فتزوجى ابن عمى يوسف بن تاشفين ، فهو خليفتى على بلاد المغرب ، فطلقها ثم ارتحل عن أغمات وأخذ على بلاد تادلة حتى خرج الى سجلماسة ، فدخلها وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها ، فلما أراد السفر منها دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فعقد له على المغرب وفوض اليه أمره ، وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن وقبائل البربر وزناتة ، واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته ، فرجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بنصف جيش المرابطين ، وارتحل الأمير أبوبكر بن عمر بالنصف الثانى الى الصحراء ، وذالك فى شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة (نونبر - دجنبر ١٠٦١ م) ، فتزوج يوسف بن تاشفين زينب المذكورة ، فكانت القائمة بملكه والمدبرة لأمره والفاتحة

بسياستها اكثر بلاد المغرب الى أن توفيت فى سنة أربع وستين وأربعمئة، وسار الأمير أبوبكر الى الصحراء فهدنها وسكن أحوالها ، وجمع جيوشا كثيرة وخرج الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر ، وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على اكثر بلاد المغرب واستوثق أمره به ، فلما سمع الأمير أبوبكر بضخامة ملك يوسف ابن تاشفين ومافتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل اليه من الصحراء ليعزله ويولي غيره ، فأحس يوسف بن تاشفين بذالك فشاور زوجته فى ذالك الأمر ، فقالت له : ان ابن عمك رجل متورع فى سفك الدماء ، فاذا لقيته فقصر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، وأظهر له غلظة حتى كأنك مساوله ومقاومه ولاطفه مع ذالك بالأموال والهدية والخلع والثياب والطعام والطرف ، واستكثر من ذالك ، فانه ببلاد الصحراء ، وكل شيء عندهم من هنا مستطرف ، فلما قرب الأمير أبوبكر بن عمر من عمل يوسف خرج اليه ، فالتقاه فى الطريق ، فسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا ولم ينزل له ، فنظر الأمير أبوبكر كثرة جيوشه ، فقال له يا يوسف ماتصنع بهاذه الجيوش كلها ؟ قال أستعين بها على من خالفنى، فارتاب أبوبكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه ، ونظر الى ألف بعير موقورة قد أقبلت ، فقال ماهاذه الابل موقورة ؟ قال أيها الأمير جئتك بكل مامعى من مال وثياب وشيء من الأدام والطعام لتستعين به على الصحراء ، فازداد تعرفا من حاله ، وعلم أنه لايتخلا له عن الأمر ، فقال له يا ابن عمى انزل نوصيك ، فنزل يوسف ونزل الأمير أبوبكر ، ففرش لهما فرش فقعدا عليه فقال يا يوسف انى وليتك هاذا الأمر وانى مسؤول عنه ، فاتق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك ، ولاتضيع من أمور رعيتك شيئا فانك مسؤول عنهم ، والله تعالا يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك ، وهو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مدة يجاهد الكفرة من السودان الى ان استشهد رحمه الله فى بعض غزواته ، رمي بسهم مسموم فمات رحمه الله ، وذالك فى شهر شعبان المكرم سنة ثمانين وأربعمئة (نونبر

١٠٨٧ م) بعد ان استقام له أمر بلاد الصحراء الى جبل الذهب من بلاد السودان وخلص الأمر ليوسف بن تاشفين من بعده ٠

الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتونى

أمير المسلمين وسيرته وغزواته

هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن ترقوت ابن ورتانطق بنمنصور بن مصالة بن أمية بن واتملى بن تليت الحميرى الصنهاجى من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ٠

أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه ، اسمها فاطمة بنت سير بن يحيا بن وجاج بن ورتانطق المذكور ٠

صفته : أسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت أكحل العينين ، أقنا الأنف ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، مقرون الحاجبين ، جعد الشعر ، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا لملكه ، متفقد الموالى من رعيته ، حافظا لبلاده وثغوره ، مواظبا على الجهاد ، مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا زاهدا فى الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره ، وأكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرا على ذالك ، لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله تعالا على مامنحه الله من سعة الملك فى الدنيا وخوله منها ، فانه خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمئة منبر ، وكان ملكه من مدينة افراغه أول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الأندلس الى آخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس ، وذالك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا ، وفى العرض مايقرب من ذالك ، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بنى مزغنة الى طنجة الى آخر السوس الأقصا الى جبل الذهب من بلاد

السودان ، ولم يوجد فى بلد من بلاده ولا فى عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى حاضرة ولا بادية الا ما أمـــر الله تعالا به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين ، وجبا فى ذالك من المال على وجهه مالم يجبه أحد قبله ، فيقال انهم وجدوا فى بيت المال بعد وفاته ثلاثــة عشر ألف ربع من الورق وخمسة ألالاف وأربعــيــن ربعا مــن دنانير الذهــب المطبوعة ، ورد أحكام البلاد الى القضاء ، وأسقط مادون الأحكام الشرعية وكان يسير فى أعماله فيتفقد أحوال رعيته فى كل سنة ، وكان محبا في الفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم مكرما لهم ، أجرا عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه ، وكان مع ذالك حسن الأخــلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الفضل ، وكان كما قــال الفقيــه الكاتب أبو محمد بن حامد فيه وفى بنيه :

ملك له شرف العلا من حمير   وان انتموا صنهاجة فهم هــم
لما حووا أحواز كل فضيــلــة   غلب الحياء عليهم فتلثــمــوا

مولده فى سنة أربعمئة ببلاد الصحراء ، ووفاته فى سنة خمسمئة ، فكان جميع عمره مئة سنة ، أيامه منها بالمغرب منذ استخلفه أبوبكر بن عمر الى أن توفي رحمه الله سبع وأربعون سنة وذالك من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة الى سنة خمسمئة ·

كنيته : أبو يعقوب ، وكان يدعا بالأمير ، فلما فتح الأندلس وصنع غزاة الزلاقة وأذل الله تعالا بها ملوك الروم بايعه فى ذالــك اليوم ملوك الأندلس وأمراؤها الذين شهدوا معه تلك الغزاة ، وكانوا ثلاثة عشــــر ملكا ، وسلموا عليه بأمير المسلمين ، وهو أول من تسما بأمير المسلمين من ملوك المغرب ، وخرجت كتبه مصدرة عنه بذالك الى بلاد الــعــدوة وبلاد الأندلس فى ذالك اليوم ، فقرئت على المنابر يخبرهم فيها بــغــزاة الزلاقة ومامنح الله تعالا له فيها من النصر والظفر والفتح العظــيــم ، وضرب السكة من يومئذ وجددها ، ونقش فى ديناره (لا الاه الا اللـــه

محمد رسول الله) وتحت ذالك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب في الدائرة (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الأاخرة من الخاسرين) ، وكتب في الصفحة الأخرا (الأمير عبد الله العباسي) وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه ·

بنوه : علي الخليفة بعده ، وتميم ، وأبوبكر ، والمعز ، وابراهيم ، وكوته ، ورقية ·

لما قدمه أبوبكر بن عمر على المغرب وفوض اليه أمره وذالك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة انصرف عنه من مدينة سجلماسة ، فوصل الى وادى ملوية فميز جيوشه فوجدهم أربعين الفا من المرابطين ، فاختارمنهم أربعة من القواد ، وهم محمد بن تميم الجدالى ، وعمر بن سليمان المسوفى ومدرك التلكاتي ، وسير بن أبى بكر اللمتونى ، وعقد لكل واحد منهم على خمسة آلاف من قبيلته ، وقدمهم بين يديه الى قتال من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من قبائل البربر القائمين به ، وسار هو في أثرهم ، فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة ، وبلدا بعد بلد ، فقوم يفرون بين يديه ، وقوم يقاتلونه ، وقوم يدخلون في طاعته ، حتى أثخن في بلاد المغرب وسار حتى دخل مدينة أغمات ، فتزوج زينب التى فارقها ابن عمه أبوبكر بن عمر ، فكانت عنوان سعده ·

ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترا موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة ، فسكن الموضع بخيام الشعر ، وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ، ولم يبن على ذالك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورعا غفر الله له ونفعه بقصده ، والذي بناه يوسف من ذالك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها ، ولم يكن بها ماء ، فحفر الناس بها آبارا فخرج لهم الماء على قرب ، فاستوطنها

الناس ، ولم تزل كذالك لاسور لها ، فلما ولي بعده ولده علي بنا سورها في ثمانية أشهر ، وذالك فى سنة ست وعشرين وخمسمئة ، ثم احتفل في بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومى الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من يوم أسست الى انقراض الدولة الموحدية ، فانتقل الملك منها الى مدينة فاس .

وفى سنة أربع وخمسين المذكورة جند يوسف الأجناد ، واستكثر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ كثيرا من الطبول والبنود ، وأخرج العمال وكتب العهود ، وجعل فى جيشه الأغزاز (٨٠) والرماة ، كل ذالك ارهابا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش فى تلك السنة أزيد من مئة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والأغزاز والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس ، فتلقاه قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم فيخلق عظيم وعدد كثير ، فقاتلوه ، فكانت بينهوبينهم حروب عظيمة انهزموا فيها بين يديه ، وانحصروا له بمدينة صدينة (٨١) فدخل عليهم بالسيف ، فهدم أسوارها وخربها وقتل بها مايزيد على أربعة ألاف رجل، وارتحل الى مدينة فاس ، فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها ، وذالك فى ألخر سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فأقام عليها أياما ، فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صفرو ، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوى المالكين لها والقائمين بأمرها ، ثم رجع الى فاس فحاصرها حتى فتحها ، وهو الفتح الاول ، وذالك سنة خمس وخمسين وأربعمئة ، فأقام بها أياما ، ثم استخلف عليها

---

80) جنس من الترك ، كانوا يعملون فى جيوش الدول الموحدية والمرينية والزيانية .

81) كانت مدينة صدينة ـ على ما يبدو ـ واقعة الى الشمال من فاس قرب مجرا نهر سبو حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية ، ولا يزال بطن من بطون هاذه القبيلة يسما صدينة الى الآن ، وبحوز تطوان قرية تسما صدينة أيضاً ، وهى فى الأصل قبيلة من شعب ضريسة من البربر البتر ، اشتهرت بقيامها مع قبيلة مغيلة بنصرة ادريس بن عبد الله الكامل عند دخوله المغرب سنة 170 هـ وتأسيسه الدولة الادريسية .

عاملا من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ، فلما بعد يوسف عن فاس وتوغل في بلاد غمارة خالفه اليها تميم بن معنصر فدخلها وقتل عامل يوسف الذى كان بها ، وفى هاذه السنة بايع المهدى بن يوسف الجزنائى صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة المرابطين ، فأقره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب وقبائلها ، فتجهز المهدى وخرج فى جيشه من مدينة عوسجة يريد يوسف ابن تاشفين ، فسمع بذالك تميم بن معنصر المغراوى القائم بمدينة فاس ، فخاف على نفسه منه ان يتقوا عليه بالمرابطين ، فعاجله وخرج اليه من فاس فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة فلحق به فى بعض الطريق ، فكان بينهما قتال شديد ، قتل فيه المهدى بن يوسف وافترق جمعه ، وبعث تميم بن معنصر برأسه الى صاحب سبتة وهو سكوت البرغواطى (٨٢) فلما قتل المهدى بن يوسف بعث أهل مدينة مكناسة الى يوسف بن تاشفين فأخبروه بموت أميرهم وأعطوه البلاد فملكها يوسف ، وتوالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس بالغارات ، فلما رأا الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد وعدمت الأقوات بفاس جمع جيشا عظيما من مغراوة وبنى يفرن وخرج الى المرابطين ، فكانت الهزيمة عليه ، وقتل تميم بن معنصر وقتل معه خلق كثير من حشمه ، فتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبدالرحمان ابن ابراهيم بن موسا بن أبى العافية الزناتى المكناسى ، فجمع قبائل

---

82) ويكتب أيضاً سقوت ، أصله من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها بين طنجة وأصيلة ، أسر فى حرب غمارة وبرغواطة ، وانتها أمره الى أن صار عبداً لشيخ من غمارة ثم صار لعلى بن حمود الادريسى وبفضل قومه وصل الى الخلافة فولاه على طنجة وسبتة وأطاعته غمارة ، وبعد سقوط دولة الحموديين ظل سكوت يحكم طنجة وسبتة مناوئاً للمعتضد ابن عباد ومهدداً له ، ولما قامت دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين الى شمال المغرب كاد سكوت ينضم اليه ، ولكن ابنه ضياء الدولة ثناه عن ذالك ، فلما فرغ يوسف من أمر غمارة توجه الى طنجة واستولا عليها من يد سكوت الذى قتل فى الحرب مع القائد صالح ابن عمران ، ثم أرسل يوسف ابنه المعز فاستولا على سبتة من يد ابنه ضياء الدولة وقتله وانتظمت قبائل تلك الناحية كلها فى سلك الدولة اللمتونية المرابطية .

زناتة وخرج بهم الى لقاء جيش المرابطين ، فالتقا معهم بوادي صيفير ، فكانت بينهما حروب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم ، فاتصل خبر هزيمتهم بيوسف بن تاشفين وهو ببلاد فازاز محاصرا لقلعة مهدى ، فارتحل عنها وترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها ، فأقاموا عليها تسعة أعوام فدخلوها صلحا ، في سنة خمس وستين وأربعمئة ، ولما رحل يوسف عن القلعة وذالك في سنة ست وخمسين سار الى بني مراسن ، وأميرهم يومئذ يعلا بن يوسف ، فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح بلادهم ، وسار الى بلاد فندلاوة فغزاها وفتح جميع تلك الجهات وسار منها الى بلاد ورغة ففتحها ، وذالك في سنة ثمان وخمسين .

وفي سنة ستين وأربعمئة فتح يوسف جميع بلاد غمارة ، وجبالها من الريف الى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثاني (٨٣) .

وفي سنة اثنتين وستين اقبل الى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها في الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة ، وقبائل زناتة خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلا ، وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الأندلس مايزيد على ثلاثة االاف رجل ، وفر من بقي منهم الى احواز تلمسان وهو الفتح الثالث ، وكان دخول يوسف اياها يوم الخميس ثاني جمادا الأخرة سنة اثنتين وستين وأربعمئة (١٨ مارس ١٠٧٠ م) فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الاسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين : عدوة القرويين وعدوة الأندلس وردهما مصرا واحدا ، وأمر ببنيان المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها ، واي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد فيه ، وبنا الحمامات والفنادق والأرحاء ، واصلح اسواقها وهذب بناءها واقام بها الى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمئة فخرج

---

83) في الأصل الفتح الأول .

منها الى بلاد ملوية ففتح حصون وطاط .

وفى سنة أربع وستين وأربعمئة وجه يوسف الى أمراء الغرب وأشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه ، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال ، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب ويتفقد أحوال الرعية وينظر الى سير ولاتهم وعمالهم فيه ، فصلح على يديه بذالك كثير من أمور الناس .

وفى سنة خمس وستين غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان (٨٤) .

وفى سنة سبع وستين فتح جبال غياثة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا .

وفيها فرق عماله على المغرب ، فولا سيرى بن أبى بكر مدائن مكناسة وبلاد مكلاتة وبلاد فازاز ، وولا عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها ، وولا داوود بن عائشة سجلماسة ودرعة ، وولا ولده تميما مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنا .

وفيها بعث المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد ، فقال له لايمكنني ذالك الا أن أتملك سبتة وطنجة ، فراجعه ابن عباد يشير عليه ان يسير اليها فى عساكره فى البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعه فيجتاز لها فى البحر حتى يتملكها ، فأخذ يوسف فى محاولة ذالك .

وفى سنة سبعين وأربعمئة نظر يوسف فى حرب سبتة وطنجة ، فبعث لها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم . فلما قربوا من أحواز طنجة خرج اليهم الحاجب سكوت البرغواطى بجموعه ، وهو شيخ كبير سنه ست وثمانون سنة ، فقال والله لايسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنا

---

84) يقع بقبيلة بنى زروال (قيادة تافزانت - اقليم فاس)

حي أبدا ، فالتقا الجمعان بأحواز وادى منى من أحواز طنجة ، فالتحم القتال بينهم فقتل سكوت وهزم جيشه ، وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها ، وبقي بسبتة الحاجب ضياء الدولة يحيا بن سكوت فكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف ٠

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى لغزو مدينة تلمسان ، فسار اليها فى عشرين الفا من المرابطين ، فهتكها ودخلها ، وظفر بولد أميرها معلا بن يعلا المغراوى فقتله ، ثم رجع الى يوسف فألفاه بمدينة مراكش ٠

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ، فيها بدل يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه ، وفيها فتح مدينة جرسيف ومدينة مليلية وجميع بلاد الريف ، وفتح مدينة نكور وخربها ، فلم تعمر بعد ٠

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ، فيها طلع يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ومدينة وهران وجبال وانشريس وأعمال شلف بأجمعها الى الجزائر ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وسبعين وأربعمئة ، فورد عليه بها كتاب المعتمد ابن عباد يعلمه بحال الأندلس ، وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على اكثر ثغورها وبلادها ، وسأله نصرها واعانتها ، فأجابه يوسف : اذا فتح الله لى سبتة وصلت بكم فبذلت فى جهاد العدو المجهود ٠

وفى هاذه السنة تحرك ألفونسو السادس لعنه الله فى جيوش لاتحصا من الروم ومن الافرنج والبشكنس والجلاقة وغيرهم ، فشق بلاد الأندلس شقا يقف على كل مدينة منها ثلاثة أيام فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فأقام عليها ثلاثة أيام ، فأفسد أحوازها وهتكها ، وخرب بالشرف قرا كثيرة ، وكذالك فعل بشذونة وأحوازها ، ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف ، فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : (هاذا آخر بلاد الأندلس قد وطئته) ثم رجع الى مدينة سرقسطة ، فنزل عليها وحاصرها وحلف ان لايرتحل عنها حتى

يدخلها او يحول الموت بينه وبين مايريد ، وأراد أن يقدمها بالفتح على غيرها منه بلاد الأندلس ، فنزل اليه أميرها المستعين ابن هود بمال عظيم بذله له ثلم يقبله منه ، وقال : المال والبلاد لي ، وبعث الى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشا للتضييق عليهم والحصار ، فملك مدينة طليطلة وذالك في سنة سبع وسبعين وأربعمئة (٨٥) فلما رأا ذالك أمراء الأندلس ورؤسائها اتفق رأيهم على جواز يوسف بن تاشفين ، فكتبوا اليه بجميعهم يستنصرونه .ويستصرخون به لينفي العدو عن مخنق بلادهم ، ويكونون معه يدا واحدة في جهاد العدو ، فلما تواترت الكتب على يوسف بالاستصراخ لنصرة المسلمين ونفي العدو عن مخنق بلادهم بعث ولده المعز الى سبتة في جيش عظيم ، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، وذالك في شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وأربعمئة (يوليوز ١٠٨٤ م) وكتب اليه بالفتح ، فوصله الكتاب وهو بمدينة فاس ينظر في أمر الجهاد ويستنفر له قبائل المغرب ، ففرح لفتح سبتة وخرج من حينه نحوها ليجوز منها الى الأندلس ، فلما رأا المعتمد ابن عباد أن الفونسو السادس قد ملك طليطلة وأحوازها وشدد على سرقسطة وسمع أن يوسف فتح سبتة ركب البحر وسار الى العدوة لاستجلاب يوسف بن تاشفين ، فلقيه مقبلا لبلاد طنجة بموضع يعرف ببلطة على ثلاث مراحل من سبتة ، فأخبره بحال الأندلس وماهي عليه من شدة الخوف والضعف والاضطراب ومايلقاه المسلمون بها من القتل والأسر والحصار من الفونسو السادس وجنوده ، وأنه قد عزم على دخول سرقسطة ، فقال له الأمير يوسف رحمه الله : ارجع الى بلدك وخذ في أمرك فاني قادم عليك في أثرك ان شاء الله تعالا ، فرجع ابن عباد الى الأندلس ، ودخل يوسف سبتة فهدنها وأصلح أحوالها وسفنها ، ولحقت به العساكر والجنود ، وقدمت عليه الوفود ، وأتاه من بلاد الصحراء والقبلة والزاب القبائل والحشود ، فشرع في تجويز الجيوش الى الأندلس ، فجوز منها مالايحصا كثرة ، فلما كمل

---

(85) احتل الفونسو السادس طليطلة يوم 27 محرم عام 478 هـ الموافق 25 ماي سنة 1085

جواز الجيش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء جاز هو فى أثرهم فى جيش عظيم من قبائل المرابطين وأنجادهـم وصلحائهم ، فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالا وقال فـــى دعائه : (اللهم ان كنت تعلم ان فى جوازي هاذا خيرا وصلاحا للمسلمين فسهل علي جواز هاذا البحر ، وان كان غير ذالك فصعبه علي جتــى لاأجوزه) فسهل الله عليه الجواز فى أسرع مايكون ، فكان جوازه فــى يوم الخميس عند الزوال فى منتصف ربيع الأول سنـة تسع وسبعيـــن وأربعمئة (٣٠ يونيو ١٠٨٦ م) ، ونزل بالجزيرة الخضراء ، فصلا بــهــا صلاة الظهر من يومه ذالك ، فتلقاه بها المعتمد فى جميع أمراء الأندلس ورؤسائها ، فاتصل بألفونسو السادس خبر جوازه فارتحل عن سرقسطة قاصدا للقاء أمير المسلمين يوسف رحمه الله .

الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين

إلى الأندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة

قال المؤلـف للكتــاب :

لما جوز أمير المسلمين يوسف جيوش المسلمين للجهاد وقدمها بين يديه فاستقروا بساحل الجزيرة الخضراء جاز هو فى أثرهم ، فالتـقـاد ملوك الأندلس مستبشرين بقدومه ، واتصل خبر قدومه بالفونسو السادس وهو محاصر سرقسطة ، فسقط في يديه وانحلت عزائمه ، فانزعج عــن سرقسطة وبعث الى ابن رذمير والى البرهانس (٨٦) وكان ابن رذمير على

---

86) ابن رذمير هو الملك ألفونسو الأول ملك أراكون ، ولكن الأستاذ عبد الله عنان فـى حاشية من حواشيه على كتاب (تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين) ص 80 يذكر أنـه هو سانشو راميريز ملك أراكون وصاحب بنبلونـة ، وقد يكون الاسمان لمسمى واحد ، الأول كان قبل الملك والثانى بعده .

أما البرهانس فهو القائد القشتالى النصرانى ألبار فانييث ابن أخى السيد القنبيطور كان من أكبر قواد ألفونسو السادس .

مدينة طرطوشة محاصرا لها ، والبرهانس على بلنسية ، فأتياه بجيوشهما فلحقوا به ، وبعث الى بلاد قشتالة وجليقة وبنبلونة (٨٧) فأتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لاتحصا ، فلما اجتمعت لألفونسو السادس جيوش الكفر واستوفت لديه حشودهم ووفودهم ارتحل الى لقاء الأمير يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين ، وارتحل يوسف من الجزيرة الخضراء قاصدا نحوه ، وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داوود بن عائشة في عشرة ألاف فارس من المرابطين ، وتقدم أيضا المعتمد ابن عباد أمام ابن عائشة مع امراء الأندلس وجيوشهم ، منهم ابن صمادح صاحب ألمرية ، وابن جبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الأعلا ، وابن ذي النون ، وابن الأفطس ، وابن باديس ، فأمرهم يوسف رحمه الله أن يكونوا مع المعتمد ابن عباد ، فتكون محلة الأندلس محلة واحدة، ومحلة المرابطين اخرا ، فتقدم بهم ابن عباد ، فكانوا اذا قام ابن عباد ورساء الأندلس من موضع الى غيره نزله الأمير يوسف بن تاشفين بمحلته ، فلم يزالوا على ذالك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فأقاموا بها ثلاثة أيام ، وكتب منها الأمير يوسف بن تاشفين كتابا الى الفونسو السادس يدعوه فيه الى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه الى الفونسو أدركته الأنفة وداخله الكبر ، وقال للرسول : قل للأمير لاتتعب نفسك ،انا أصل اليك ، فارتحل يوسف رحمه الله وارتحل الفونسو السادس حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ، ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة (٨٨) من أحواز بطليوس ، وتقدم المعتمد وامراء الأندلس فنزلوا بجهة اخرا بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدو وتخويفا له، وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهاؤلاء فأقاموا ثلاثة ايام والرسل تختلف بينهم الى أن اتفق رأيهم ان تكون

---

87) في الأصل بيونة .

88) ويسما أيضاً السهلة ، مكان يبعد بضعة أميال عن بطليوس يسميه النصارا سكر الياس .

الملاقاة بينهم يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمئة (٢٦ اكتوبر ١٠٨٦ م) فلما وقع الاتفاق بينهما على ذالك بعث المعتمد الى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وان العدو صاحب مكر وخديعة فى الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال ، وجعل على عسكر العدو عيونا على خيل سبق يأتونه بأخبارهم رمايرونه من حركاتهم ، فلم يزل كذالك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما ابن عباد فى الخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ اقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه ، فأخبروه أن العدو قد زحف نحو المسلمين فى أمم كالجراد المنتشر ، فأرسل فى الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، لم ينم احد فى محلته تلك الليلة ، فأرسل قائده المظفر داوود بن عائشة فى جيش عظيم من لمتونة ووجوه المرابطين وأقيالهم ليكونوا طليعة له ، وكان داوود بن عائشة لانظير له فى العزم والحزم والنجدة ، وكان عدو الله ألفونسو السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع فى الجيش الذي كان مع القائد داوود بن عائشة، فاقتتلوا قتالا عظيما ، وصبر المرابطون صبرا جميلا ، وداسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم ، وكانت بينهم مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رذمير نحو ملحة ابن عباد ، فداسوها ، واستمرت الهزيمة على رؤساء الأندلس الى جهة بطليوس ، ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا فى ناحية يقاتلون لم ينهزموا ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وصبروا صبر الكرام ، لحرب اللئام ، فاتصل الخبر بيوسف ان الهزيمة قد استمرت على عسكر أمراء الأندلس ، وان المعتمد وداوود ابن عائشة صابران يقاتلان لم ينهزما ، فبعث قائده سيرى بن أبى بكر فى قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين

كانوا في محلته اعانة لداوود بن عائشة وابن عباد ، وسار هو فى جيش لمتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا الى محلة الفونسو السادس حتى ضرب فيها وألفونسو مشتغل بقتال داوود بن عائشة فأضرمها نارا وأحرقها ، وقتل من كان بها من الأبطال والرجال والفرسان الذين تركهم ألفونسو بها يحرسونها ويحمونها ، وفر الباقون منهزمين نحو ألفونسو فأقبلت عليه خيله من محلته فارين وأمير المسلمين يوسف فى أثرهم بساقته وطبوله وبفوده ، وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون فى الكفرة سيوفهم ويروونها من دمائهم ، فقال ألفونسو السادس ماهذا ؟ فأخبر الخبر بحرق محلته ونهبها وقتل حماتها وسبي حريمها ، فرد وجهه الى قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فانتشبت الحروب بينهما ، فكانت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها ، وكان أمير المسلمين على فرس أنثا يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد والصبر ، ويقول : يامعشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله الكافرين ، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة ، فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب فى الموت ، وكان المعتمد رحمه الله وأصحابه الذين ثبتوا معه قد يئسوا من الحياة ولا علم لهم بالحال ، اذ نظروا الى الروم منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكصين ، فظنوا أنهم الذين هزموهم ، فقال لأصحابه ، شدوا على أعداء الله تعالا فشدوا عليهم ، وحمل القائد سيرى بن أبى بكر بمن معه من قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة ، فاستمرت الهزيمة على الروم ، وتراجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما أخبروا أن أمير المسلمين يوسف قد ظفر ، وتدارك الناس بعضهم ببعض ، طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، واشتد القتال على الفونسو السادس حتى أيقن بالفناء ، ولم يزل القتال يشتد عليه الى غروب الشمس ، فلما رأا ألفونسو اللعين أن الليل قد أقبل وأكثر جنوده قد قتل ، ورأا صبر المرابطين وصدق نيتهم فى جهادهم علم أنه لاطاقة له بقتالهم ، ففر مهزوما على وجهه فى نحو الخمسمئة فارس على غير طريق ، وركبهم المرابطون

بالسيف يقتلونهم فى كل فج وسهل ، ويلتقطونهم التقاط الحمام للحب القليل ، الى أن حال الليل بظلمته بينهم ، وبات المسلمون تلك الليلة على خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالا على مامنحهم حتى أصبح ، فصلوا صلاة الصبح فى وسط المقتلة ، وكانت هاذه الهزيمة العظيمة على أعداء الكفرة من أعظم الوقائع ، قتل فيها ملوك الشرك وأنصاره ، وحماته وشجعانه ، ولم ينج من جميعهم الا الفونسو السادس اللعين مثقلا بالجراح فى شرذمة قليلة نحو الخمسمئة فارس مثخنين بالجراح ، فمات منهم أربعمئة فارس ، ودخل طليطلة فى مئة فارس من حماته ورجاله ، وكانت هاذه الغزوة المباركة يوم الجمعة الحادي عشر من رجب الفرد عام تسعة وسبعين وأربعمئة (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م) واستشهد فيها من المسلمين نحو الثلاثة الالاف رجل ممن سبقت لهم من الله الحسنا وختم لهم بالشهادة ، وأمر أمير المسلمين يوسف برؤوس القتلا من الروم أن تقطع فقطعت وجمعت بين يديه أمثال الجبال ، فبعث منها الى اشبيلية عشرة الالاف رأس والى قرطبة عشرة الالاف ، والى بلنسية كذالك، والى سرقسطة ومرسية مثلها ، وبعث الى بلاد العدوة بأربعين الف رأس ، فقسمت على مدن العدوة ليراها الناس فيشكرون الله تعالا على مامنحهم من النصر والخير ، وكان عدد الروم فيما نقل مئة وثمانين الف فارس ومئتي ألف رجل فقتلوا أجمعين ، ولم ينج منهم الا الفونسو فى مئة فارس ، وفيها أذل الله الشرك ببلاد الأندلس فلم تقم لهم قائمة نحو الستين سنة ٠

وفى هاذا اليوم تسما يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ولم يكن يدعا بها قبل ذالك ، وأظهر الله تعالا الاسلام وأعز أهله ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدوة ، والى تميم صاحب المهدية ، فعملت المفرحات فى جميع بلاد أفريقية وبلاد المغرب والأندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام ، وأخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالا على صنعه الجميل وفضله ٠

ومن فصول الكتاب الذي كتب به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد العدوة ٠

(أما بعد حمد الله تعالا المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فان العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتواقفنا بازائه ، لقناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن فتفرقنا على ذالك ، وأضمر اللعين خلاف ماشرطناه ، وعلمنا أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا الينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة الحادي عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين، يرا أنه قد اغتنم فرصته في ذالك الحين ، فانتدبت اليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتعشته قبل أن يتعشاها وتغذته قبل ان يتغذاها ، وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ، ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة ، في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش لمتونة نحو الفنش ، فلما أبصر النصارا رايتنا المشتهرة ، ونظروا الى مراكبنا المنتظمة المظفرة ، وغشيتهم بروق الصفاح ، وأظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذالك الفياح ، التحم النصارا بطاغيتهم الفنش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنية صادقة خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف والرماح بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هوج ، ونزل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولا ألفنش مطعونا في احدا ركبتيه ، طعنة أفقدته احدا ساقيه ، في خمسمئة فارس من مئة وثمانين ألف فارس ، ومئتي ألف راجل ، قادهم الله الى المصارع والحتف

العاجل ، وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ، ونظر النهب والنيران فى محلته من كل جانب ، وهو من أعلا الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فأخذ يدعو بالثبور والويل ، ويرجو النجاة فى ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت فى وسط مراكبه الظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد مرفوع الأعداد ، يشكر الله تعالا على مامنحه من نيل السؤل والمراد ، وقد سرح الغارات فى محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهابها ، وألفنش ينظر اليها نظر المغشي عليه ، ويعض غيظا وأسفا على أنامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار، عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والفار ، وتراجعوا حذرا من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم المعتمد ابن عباد ، فأتا الى أمير المسلمين وهو مهيض الجناح ، مريض عناء وجراح ، فهنأه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلل ألفنش تحت الظلام ، فارا لايهدأ ولا ينام ، ومات من الخمسمئة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمئة ، فلم يدخل طليطلة الا فى مئة فارس ، والحمد لله على ذالك كثيرا ، وكانت هاذه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة موافق الثالث والعشرين لشهر أكتوبر العجمي) .

وفي ذالك يقول ابن اللبانة :

يوم العروبة كان ذاك الموقف   وأنا شهدت فأين من يستوصف ؟

وقال ابو جهور :

لم تعلم الروم اذ جاءت مصممة   يوم العروبة أن اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الاندلس الذين شهدوا الزلاقة فى هاذا اليوم أمير يشكر ، فيقيد عنهم ويؤثر ، الا ابن عباد وطائفة من جيشه ، فانه ثبت وأبلا بلاء حسنا ، وجرح ست جراحات ، وفى ذالك يقول يخاطب بعض ولده :

أبا هاشم هشمتني الشفار فلله صبرى لذالك الأوار
ذكرت شخيصك مابينها فلم يثنني ذكره للفرار

واتصل بأمير المسلمين يوسف فى ذالك اليوم وفاة ولده أبى بكر ، وكان تركه مريضا بسبتة ، فاغتم لذالك وانصرف راجعا الى العدوة بسبب وفاة ولده ، ولولا ذالك لم يرجع ، فجاز الى العدوة ودخل حضرة مراكش فأقام بها الى سنة ثمانين وأربعمئة ، فخرج فى شهر ربيع الأخر منها يتطوف علي بلاد المغرب ، ويتفقد أحوال الرعية وينظر فى أمور المسلمين ، ويسأل عن سير عماله فى البلاد وقضاته ٠

وفى سنة احدا وثمانين وأربعمئة جاز أمير المسلمين الى الأندلس الجواز الثانى برسم الجهاد ، وسبب جوازه أن الفونسو السادس لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جيوشه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد، فشحنه بالخيل والرجال والرماة ، وأمرهم أن يدخلوا من حصن لبيط المذكور فيغيرون فى أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس ، اذ كان السبب فى جواز أمير المسلمين يوسف فكانوا يدخلون منه خيلا ورجالا فيقتلون ويأسرون فى كل يوم ، جعلوا ذالك وظيفة عليهم ، فساء ابن عباد ذالك وضاق ذرعا ، فلما رأا تماديهم على ذالك عبر البحر الى العدوة الى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فلقيه بالمعمورة من ملقا وادى سبو ، فشكا اليه حصن لبيط ، وشدة ضرره على المسلمين ، واستغاث به فى ذالك ، فوعده بالجواز والوصول اليه ، فسار المعتمد وسار يوسف فى اثره ، فركب البحر من قصر المجاز الى الجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة ، فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الأندلس يدعوهم الى الجهاد ، وقال لهم : الموعد بيننا حصن لبيط ، ثم تحرك يوسف من الجزيرة الخضراء ، وذالك فى شهر ربيع الأول من سنة احدا وثمانين وأربعمئة (يونيو ١٠٨٨ م) فنزل على حصن لبيط ، فلم يأته ممن كتب اليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد ابن عباد ،

فنزلا معه الحصن وشرعوا فى قتاله والتضييق عليه ، وشن يوسف الغارات على بلاد الروم فى كل يوم ، فدام الحصار على لبيط أربعة أشهر ، لايفتر عنه القتال ليلا ولا نهارا الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير اشبيلية نزاع وشنآن فشكا المعتمد الى أمير المسلمين يوسف ابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سيرى بن أبى بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز وثقافه ، فقبض عليه وثقفه فى الحديد وأسلمه الى المعتمد ، فاختلت المحلة بسبب ذالك ، وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ، فوقع بها الغلاء ، فلما رأا ذالك الفونسو السادس حشد وقصد الى حماية حصن لبيط فى أمم لاتحصى ، فلما قرب الفونسو من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن الى ناحية لورقة ، ثم الى المرية ، ثم جاز الى العدوة ، وقد تغير على أمراء الأندلس لكونه لم يأته منهم أحد الى نزول حصن لبيط الذي كتب لهم به ، ولما رحل يوسف عن لبيط وجاز الى العدوة أقبل الفونسو السادس حتى نزل على لبيط فأخلاه وأخرج من كان فيه من بقايا النصارا المنفلتين من مخالب الموت ، وارتحل الى طليطلة ، فأخذ ابن عباد الحصن بعد خلائه وفناء جميع من كان به بالقتل والجوع ، وكان فيه لما نزله يوسف من النصارا نحو أثني عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فني جميعهم بالقتل والجوع ، ولم يبق فيه غير مئة من الرجال ، وهم الذين اخرجهم الفونسو حين أخلاه .

وأقام يوسف ببلاد العدوة الى سنة ثلاث وثمانين وجاز الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثالث ، فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها والفونسو بها ، وهتكها وقطع ثمارها وخرب أحوازها وقتل وسبا ، ولم يأته أحد من أمراء الأندلس ، ولم يعرج عليه فغاظه ذالك ، فلما رجع من غزو طليطلة سار الى غرناطة فنازلها ، لأن صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس كان قد صالح الفونسو السادس وظاهره على يوسف وبعث اليه بالمال ، واشتغل بتحصين بلده ، ولذالك قال بعض أدباء عصره :

يبنى علــى نفسه سفاهــا	كـأنــه دودوة الـحـريــر
دعــوة يبنى فسوف يـدري	اذا أنــت قـدرة القديـــر

فلما وصل يوسف الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بـن بلكين وأغلق الأبواب في وجهه ، فحاصره أمير المسلمين مدة من شهرين، فلما رآه تمادا بالحصار عليه بعث اليه يطلب الأمان فأمنه بعد أسـلام البلاد ، فملك يوسف غرناطة واحوازها وجميع ماكان بيد عبد الله بـن بلكين من الأعمال والبلاد ، وبعث بعبد الله بن بلكين صاحب غرناطـة وأخيه تميم صاحب مالقة الى مراكش مع حريمهما وأولادهما ، فأقامـا بها وأجرا عليهما الانفاق الى أن ماتا بها ، فلما خلع يوسف بنى بلكين ابن باديس عن غرناطة ومالقة وملك بلادهم خاف منه ابن عباد وانقبض عنه ، فمشا بينهما الوشاة بالنمائم ، فتغير عليه يوسف ، وجاز الـتى العدوة فى شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، وقصد الى مراكش ، وقدم على الأندلس قائده سيرى بن أبى بكر اللمتونـي ، وفوض اليه جميع الأمور كلها ، ولم يأمره فى ابن عباد بشيء ، فســار سيرى بن أبى بكر نحو اشبيلـيـة وهـو يظن أن ابن عباد اذا سمع به خرج اليه وتلقاه عن بعد بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه ولم يضيفـه ولم يلتفت اليه ، فراسله سيرى بن أبى بكر فى أن يسلم اليه البلاد ويدخل فى طاعته ، فامتنع المعتمد من ذالك ، فأخذ سيرى فى حصاره وقتاله ، وبعث قائده بطى الى جيان ، فحاصرها حتى دخلها صلحا ، وملكـهـا المرابطون ، وكتب سيرى بالفتح الى يوسف وأمر القائد بطى أن يرتحـل عن جيان ويسير الى قرطبة ، فسار اليها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد ، فنزل عليه بطى بعساكر المرابطين حتى فتحها وفتح حصونها ، ومعاقلها ، وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الاربعاء الثالث مـن صفر سنة أربـع وثمانين وأربعمئة (٢٦ مارس ١٠٩١ م) ، ثم فتح بياسة وأبذة وحصـن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتـى لم يبق لابن عباد بلد الا وقد ملكه المرابطون ماعدا قرمونـة واشبيلية ، فأقلم القائد بطى بن اسماعيل بقرطبة حتى سكنها ورم ثغورها ، وبعـث

الى قليعة رياح قاصدية بلاد المسلمين قائدا من لمتونة فى ألف فارس من المرابطين ليضبطها ويسد ثغورها ، وارتحل سيرى بن أبى بكر الى قرمونة فقاتلها حتى دخلها عنوة ، وذلك يوم السبت عند الزوال السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانين المذكورة (١٠ ماي ١٠٩١ م). فاشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث الى ألفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ويستصرخه على لمتونة ويعده باعطاء البلاد ، وبذل الطارف والتلاد ، ان كشف عنه ماهو فيه من الحصار ، فبعث اليه الفونسو قائده القومس فى جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل ، فلما علم سيرى بقدوم الروم اليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة وقدم عليهم ابراهيم ابن اسحاق اللمتونى وبعثهم للقاء الروم ، فالتقا الجمعان بالقرب من حصن المدور ، فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ، ومنحهم الله تعالا النصر فهزموا الروم وقتلوهم ، ولم يفلت منهم الا القليل ، ثم لم يزل سيرى بن أبى بكر وقواده من لمتونة بالحصار والتضييق على أشبيلية حتى دخلها على المعتمد ، فأمنه فى نفسه وأهله وولده ، وبعث بهم الى أمير المسلمين ، فكانوا عنده بأغمات الى أن أتاهم الموت ، وكان دخول سيرى بن أبى بكر أشبيلية وتملك المرابطين لها يوم الأحد الثانى والعشرين لرجب من سنة أربع وثمانين المذكورة (٧ شتنبر ١٠٩٧ م) .

وفى شعبان من هاذه السنة ملك المرابطون مدينة نبرة وفى شهر شوال منها دخل القائد يوسف بن داوود بن عائشة مدينة مرسية وأعمالها، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، وكان القائد يوسف بن داوود بن عائشة عادلا فى أحكامه صالحا ورعا لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فأحبه الناس ، وفيها رحل القائد محمد بن عائشة بجيش المرابطين فنزل المرية ، فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح فى البحر الى أفريقية بأمواله وعياله وأسلم له البلد ، فملكها المرابطون ، وكتب محمد بن عائشة بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، فملك يوسف مملكة خمسة أمراء من أمراء

الأندلس فى سنة ونصف ، وهم : ابن عباد ، وابن جبوس وابن الأخوص، وابن عبد العزيز ، وعبد الله بن بكر صاحب جيان وأبلة وأستجة .

وفى سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده ابن عائشة أن يسير الى دانية ، فسار اليها وملكها وملك شاطبة ، وكان صاحبها ابن منقذ ، ففر عنها ودخلها المرابطون ، ثم سار قائده ابن عائشة الى مدينة شقورة فملكها ، وسار الى بلنسية وكان بها القادر بن ذى النون ، والحاكم فيها جمع من النصارا يجبون خراجها ، ففر عنها ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين .

وفى سنة ست وثمانين وأربعمئة فتح المرابطون مدينة افراغ من بلاد شرق الأندلس ، ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث جيوشه وقواده اليها برسم الجهاد للروم وخلع أمرائها المتغلبين عليها حتى ملك جميع بلاد الأندلس واستوثق له أمرها .

وفى سنة ست وتسعين وأربعمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لمتونة وأشياخ البلاد وفقهاؤها ، وذلك فى شهر ذى الحجة منها ، وكان علي غائبا بسبتة وبها نشأ .

وفى سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة التى مات منها وهو بمدينة مراكش ، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف الى أن توفي رحمه الله فى مستهل شهر محرم سنة خمسمئة (الأحد ٢ شتنبر ١١٠٦ م) وقد بلغ عمره مئة سنة ، فكانت مدة ملكه من يوم دخل مدينة فاس سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، الى أن توفي ثمانيا وثلاثين سنة ، ومن حين قدمه أبوبكر بن عمر سبعا وأربعين سنة ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين على بن يوسف

ابن تاشفين بالمغرب وبلاد الأندلس

هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تـرقوت ابـن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتملى بن تمليت الصنهاجى اللمتونى ·

كنيته : أبو الحسن ·

أمه أم ولد رومية اسمها قمر ، وتكنا أم الحسن ·

مولده : بسبتة سنة سبع وسبعين وأربعمئة ·

صفته : أبيض اللون ، مشرب بحمرة ، تام القد ، أسيل الوجه أفلج أقنا خفيف العارضين أكحل العينين سبط الشعر ·

بنوه : تاشفين المولا بعده ، وأبوبكر ، وسيرى ·

كاتبه : أبو محمد بن أسـبـاط ·

بويع لـه يوم مات أبـوه بمراكش بعهد أبيه لـه ، وتسما بـأمير المسلمين ، وذالك فى غرة محرم سنة خمسمئة ، وسنه يوم بويع ثـلاث وعشرون سنة ، وملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية الى بلاد السوس الأقصا ، وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب من بـلاد السودان ، وملك بلاد الأندلس شرقـا وغربـا ، وملك الجزائر الشرقية وميورقة ويابسة ، وخطب له على ألفي منبر ونيف وثلاثمئة منبر ، وملك من البلادمالم يملكه والده ، لأنه وجد البلاد هادنة ، والأموال وافدة ، والملك قد توطأ ، والأمور قد استقامت ·

ولما ولي رحمه الله أقام العدل ، وضبط الثغور ، ووالا الجهاد ، وسرح السجون ، وفرق الأموال ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، وسلك طريق أبيه فى جميع أموره ، واهتدا بهديه ، وعزل عن قرطبة الأمير أبـا

عبد الله ابن الحاج ، وولا مكانه القائد محمد بن أبى زلفى ، فغزا طليطلة وأوقع بالنصارا فقتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة أخذهم على غرة ٠

وقيل لما توفي والده يوسف رحمه الله سجاه بثوبه وخرج ويده فى يد أخيه تميم الى المرابطين فنعاه لهم ، فوضع تميم يده في يد علي فبايعه ثم قال للمرابطين : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة ، فأتته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا مدينة فاس ، فان ابن أخيه يحيا بن أبى بكر ابن أمير المسلمين يوسف كان أميرا عليها من قبل جده يوسف ، فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه عظم ذالك عليه وأنف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة ، ووافقه على ذالك جماعة من لمتونة ، فخرج اليه أمير المسلمين علي من مراكش حتى قرب من مدينة فاس ، فخاف يحيا ابن أخيه على نفسه وعلم أنه لاطاقة له بحربه ، ففر عن مدينة فاس وأسلمها لعمه ، فدخلها أمير المسلمين علي بن يوسف ، واستقام له الملك ، وكان دخوله مدينة فاس وفرار الأمير يحيا بن أبى بكر عنها يوم الاربعاء ثامن ربيع الأخر سنة خمسمئة (٧ دجنبر ١١٠٦ م) ٠

وقيل أن أمير المسلمين علي بن يوسف لما قرب من مدينة فاس نزل مدينة مغيلة (٨٩) من أحواز فاس ، ثم كتب الى ابن أخيه كتابا يعاتبه فيه على فعله ويدعوه للدخول فى طاعته كما دخل الناس ، وكتب الى

---

89) **مغيلة :** مدينة مغربية مسماة باسم القبيلة التى كانت تسكنها ، تقع بين فاس ومكناس عن يمين الذاهب من الأولا الى الثانية ببطن المهايا من قبيلة عرب سايس ، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبيد الطريق الجديد فى أول هاذا القرن ، خربها الجند الروم الذين كانوا فى جيش الخليفة السعيد الموحدى ، فهبطت الى مستوى قرية لا تزال قائمة العين والذات الى اليوم ، ينتسب اليها جماعة من الأعلام . أنظر عنها **بيوتات فاس الكبرا واخبار المهدى بن تومرت** ص 25 وانظر عنها قصة لطيفة فى **المطرب** لابن دحية ص I24 .

أشياخ البلد كتابا يدعوهم فيه الى بيعته ويهددهم ويوعدهم ، فلما وصل الكتاب الى يحيا وقرأه جمع أهل البلد واستشارهم في الحصار والمقاتلة فلم يوافقوه على ذالك ، فلما يئس منهم خرج فارا الى مزدلي العامل على تلمسان ، فلقيه مزدلي بوادى ملوية (٩٠) وهو مقبل بالبيعة لأمير المسلمين علي بن يوسف والسلام عليه ، فأعلمه بما كان من شأنه ، فضمن له مزدلي من عمه العفو والصفح ، فرجع معه يحيا حتى وصل الى مدينة فاس ، فدخل مزدلي الى أمير المسلمين علي ، ونزل يحيا مختفيا بحومة وادى شدروع فلما دخل مزدلي وبايع أمير المسلمين وسلم عليه ورأا منه قبولا واكراما عظيما أعلمه بخبر يحيا وبما ضمن له من العفو فأجابه الى ذالك وعفا عنه وأمنه ، وأتاه يحيا فبايعه ، وخيره أمير المسلمين اما ان يكون سكناه بجزيرة ميورقة واما ان ينصرف عنه الى بلاد الصحراء ، فانصرف اليها ، ثم سار منها الى الحجاز ، فحج بيت الله الحرام ورجع الى عمه ، فاستأذنه انيكون من حماته ويكون سكناه بحضرة مراكش ، فأذن له في ذالك فسكنها ، فاتهمه عمه بالقيام عليه فثقفه وبعث به الى الجزيرة الخضراء ، فبقي بها الى ان مات .

وفي سنة احدا وخمسمئة عزل الأمير علي أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولا مكانه القائد أبا عبد الله بن الحاج ، فأقام واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ، ثم عزله وولاه مدينة بلنسية من بلاد شرق الأندلس ، ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمسمئة

وفي سنة اثنتين وخمسمئة كانت وقعة اقليج على النصارا ، وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين ، وكان واليا على غرناطة

---

90) نهر كبير ينبع من ملتقا جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير ثم تجرى مياهه في اتجاه شمالي شرقي حتى تصب في البحر المتوسط بين السعيدية ومليلية بعد ما تقطع في جريها مسافة 480 كلم من المنبع الى المصب ، تبلغ كمية فيضه خلال فصل المطر 200 م 3 في الثانية ولكنها تنخفض بالتدريج حتى لا تتجاوز 20 م 3 في فصل الصيف ، وقد بني بأسفل النهر المذكور قرب مصبه سدان أحدهما بمشرع القليلة والثاني بمشرع حمادي ، وتستغل مدخرات السدين المذكورين من المياه في توليد الكهرباء وسقي سهول بركان الواقعة في شرقه وسهول صبرة الواقعة في غربه .

فخرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فنزل حصن اقليج وبه جمع عظيم من الروم ، فحاصرهم حتى دخل عليهم فتحصن النصارا فى القصبة ، فبلغ خبرهم الى ألفونسو السادس ، فاستعد للخروج الى اغاثة بلده ، فأشارت عليه زوجته ان يوجه ولده عوضا منه فيكون مقابلا لتميم ، لأن تميما ابن ملك المسلمين ، وسانشو ابن ملك الروم ، فسمع منها فبعث ولده سانشو فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجادهم ، وساروا حتى قربوا من اقليج ، فأخبر تميم بقدومه ، فأراد ان يقلع عن الحصن ولا يلقاهم ، فأشار عليه عبد الله بن محمد بن فاطمة ، ومحمد بن عائشة ، وغيرهما من قواد لمتونة بالمقام ولا يرحل ، وشجعوه وهونوا عليه أمرهم وقالوا لـه لاتخف فانما قدموا فى ثلاثة ألاف فارس وبيننا وبينهم مسافة ، فأطاعهم فى ذالك ، فلم يكن الا عشي يومهم ذالك حتى أتتهم جيوش الروم فى ألوف كثيرة ، فأراد تميم الفرار وأحجم عن قتالهم ، فلم يجد سبيلا للفرار ولا للروغ مخلصا ، وصمم قواد لمتونة الى لقاء العدو ومناجرته ، فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مثلها ، فهزم الله تعالا العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد الفونسو السادس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ، ودخل المسلمون أقليج بالسيف ، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله ، واتصل الخبر بألفونسو ، فاغتم لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة (٩١) وكتب تميم بالفتح الى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف .

وفيها سار محمد بن الحاج من بلنسية الى سرقسطة ، فدخلها وأخرج عنها بنى هود وملكها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي ، ولم يزل بها الى أن خرج غازيا الى برشلونة ، فاستشهد بها ، وذالك فى سنة ثمان وخمسمئة ، وكان رحمه الله طول أيام ولايته ببلنسية وسرقسطة قد ضيق بالنصارا تضييقا عظيما بالغارات على بلادهم ، فخرج فى غزاة له فأخذ على الطريق البرية ، فغنم وسبا وكان منعه

91) بل توفى بعدها بنحو عام يوم 30 يونيو 1109 .

جماعة من قواد لمتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هـو على البرية لقربه من بلاد المسلمين ، ومر أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لايسلك الا على طريق واحد لصعوبته وشدة وعره ، فلما توسط الأمير محمد ابن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارا قد كمنوا له فى جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتالا شديدا ، قتال من أيقن بالموت واغتنم الشهادة ، اذ لم يجد منفذا يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة فى نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين ، فاتصل خبر وفاته بأمير المسلمين علي ، فأسف عليه وولا مكانه أبابكر ابن ابراهيم بن تافلوت ، وكان عاملا على مرسية ، فاجتمع اليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة ، وسار بها الى برشلونة ، فنزلها وأقام عليها عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب أنحاءها وقراها ، فأتاه ردمير فى جيوش كثيرة من حشود لبيط وبرشلونة وبلاد أربونة فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجل .

وفى سنة ثلاث وخمسمئة جاز الأمير علي بن يوسف الى الأندلس برسم الجهاد ، فجاز من سبتة فى الخامس عشر من المحرم من السنة المذكورة (السبت ١٤ غشت ١١٠٩ م) فى جيوش عظيمة تزيد على مئة ألف فارس ، فوصل الى قرطبة فأقام بها شهرا ، ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلايوت ، ففتحها عنوة بالسيف ، وفتح من أحواز طليطلة سبعا وعشرين حصنا ، وفتح مجريط ووادي الحجارة ، ووصل الى طليطلة فحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرا ، ثم قفل منها الى قرطبة بعد ان دوخها .

وفى سنة أربع وخمسمئة فتح الأمير سيري بن أبى بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والاشبونة وجميع بلاد الغرب ، وذالك فى شهر ذي القعدة منها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي بن يوسف

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي الأمير سيري بن أبى بكر باشبيلية ودفن بها ، وولي أشبيلية بعده عوضا منه محمد بن فاطمة ، فلم يـــزل عليها الى أن توفي فى سنة عشر وخمسمئة ٠

وفي سنة سبع المذكورة غزا الأمير مـــزدلـى طليطلة وانحاءهـــا فدوخها ، وفتح حصن ارهينة عنوة ، وقتل كل من كان به من الرجـــال وسبا النساء والذرية ، فاتصل الخبر ، بـــالبرهانس ملك الـــروم فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم ، فسمع به مزدلى فقصد للقائه ، ففر أمامه ليـــلا ورجع مزدلى الى قرطبة ظافـــرا غانما ، فأمر بحمل الميرة الى أريـــنـــة وتحصينها ، ورتب بها الرجال والرماة والفرسان ، وأعلم الأمير مزدلي ان ابن الزند غرسيس صاحب وادي الحجارة قد حاصر مدينة سالم ، فقصد اليه مزدلى ، فاتصل الخبر بابن الزند غرسيس فولا هاربـــا وأقلع عنها حصاره ولم يكذب ، وترك جميع أسبابه وأثقاله ومضاربه ، فاحتوا مزدلى على ذالك كله ٠

وفى سنة ثمان وخمسمئة توفي الأمير مزدلى رحمه الله غازيا ببلاد الروم ، وكتب بموته الى أمير المسلمين علي بن يوسف ، فولا مكانه محمد ابن مزدلى ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر وتوفي شهيدا فى غزاة له ٠

وفى سنة تسع وخمسمئة ملك أمير المسلمين علي بـــن يوســـف الجزائر البحرية من شرق الأندلس ٠

وفى سنة احدا عشرة وخمسمئة ولي عبد الله بن مزدلـــى بلنسية وسرقسطة ، فسار اليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير اللعين قد أذاق أهلها شرا ، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه واخرجه عن البلاد، وأقام عبد الله بن مزدلى على سرقسطة عاملا كاملا ، فتوفي ، فبقيـــت سرقسطة دون أمير ، فأتاها الفونسو الأول ملك أراكون فنزلها ، وأتـــا الفنش (٩٢) أيضا فى أمم لاتحصا من الروم فنازل لاردة من بلاد الجوف،

---

92) فى الأصل (فأتاها ابن رذمير فنزلها وأتا الفنش أيضاً) مما يوهم أن هناك فنشين : ابن رذمير الذى هو ألفنش الأول المحارب ملك أراكون ، وفنش أاخر ، والحقيقة أنه لم يكن هناك

فاتصل الخبر بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فكتب الى أمـراء غـرب الأندلس بالمسير الى ناحية تميم ، وكـان واليا علـى شرق الانـدلس ، ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله بـن مزدلي (٩٣) وأبو يحيا بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما ، فخرج تميمبن يوسف بن تاشفين من بلنسية مع أمراء لمتونة ، فقصد نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفونسو الاراكونى قتال عظيم أقلعه عن لاردة خاسئا خاسرا بعد ان بذل جهده فى حصارها وقتالها ، وفقد عليها من جيوشه مايزيـد على العشرة ءالاف فارس ، ورجع تميم الى بلنسية ، فلما رأا الفونسو الأول الاراكونى ذالك بعث الى طوائف الافرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا فى أمم كالنمل والجراد ، فنزلوا معه بها وشرعوا فى قتالـهـا ، وصنعوا ابراجا من خشب تجري على بكارات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، ووقع طمعهـم فيها ، فاستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفني أكثر الناس جـوعـا ، فراسلوا الفونسو الاول على أن يرفع عنهم القتال الى أجل ، فان لـم يأتهم من ينصرهم أخلوا البلاد وأسلموها له ، فعاهدهم على ذالك ، فتم الأجل ودفعوا اليه المدينة ، وخرجوا عنها الى مرسية وبلنسية ، وذالـك فى سنة اثنتي عشرة وخمسمئة ، وبعد دخولها وتملك النصارا اياهـا وصل من العدوة جيش من عشرة ءالاف فارس بعثه أمير المسلمين علـي لاستنقاذها ، فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها .

وفى سنة ثلاث عشرة وخمسمئة تغلب العدو الفونسو الاول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس واستولا على أكثرها ، وملك قلعة أيوب التي ليس فى بلاد الشرق أمنع منها ، وألح بالمغارات على بلاد الجوف ، فاتصلت هاذه الأخبار بأمير المسلمين عـلـي بن يوسف ، فجاز الـى

الا فنش واحد هو ابن رذمير الذى أثبتنا فى المتن اسمه الحقيقى اصلاحاً وتحقيقاً ورفعاً لكل التباس.

93) يلاحظ التناقض فى هاذه الرواية ، فقد تقدم لابن أبى زرع أن عبد الله بن مزدلى توفى بعد أن حاصر سرقسطة عاماً ، وهاهو يعيده مرة أخرا الى الحياة .

الأندلس برسم الجهاد واصلاح أحوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازه الثانى ، فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة فنزل بخارجها ، وأتاه بها وفد الأندلس للسلام عليه ، فسألهم عن أحوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان عندهم من ذالك ، وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة لأجل اشتكاء ابن رشد عليه ، لأنه اشتغل بتأليف البيان والتحصيل ، وولا مكانه أبا القاسم بن حمدين ، ثم ارتحل الى بلاد شنتمرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة ، وسار فيها غازيا يقتل فى بلاد الغرب ويسبى ويقطع الثمار ، ويخرب القرا والديار ، حتى دوخها ، وفر أمامه الروم ، وتحصنوا بالمعاقل المنيعة .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمئة جاز أمير المسلمين الى العدوة ، وولا أخاه تميما جميع بلاد الأندلس ، فلم يزل عليها الى سنة عشرين ، فتوفي تميم وولي مكانه الأمير تاشفين بن علي ، فجاز الى الأندلس فى جيش من خمسة ألالاف فارس ، وبعث الى أجناد البلاد فأتوا ، فخرج بهم غازيا الى طليطلة ، فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهتك أحوازها .

وفيها أعنى سنة عشرين المذكورة هزم الأمير تاشفين النصارا بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد الغرب ، وكتب بالفتح الى أبيه .

وفى سنة ثمان وعشرين غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف .

وفى سنة ثلاثين وخمسمة هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفنا منهم خلقا كثيرا .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة جاز الأمير تاشفين من الاندلس الى العدوة بعد ان غزا مدينة اشكونية وحمل من سبيها الى العدوة ستة ألالاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل الى مراكش فتلقاه والده علي أمير المسلمين فى زي عظيم وفرح به .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة أخذ أمير المسلمين البيعة اولـده تـاشفين ·

وفى سنة سبع وثلاثين تـوفـي أمير المسلمين علي بن يوسف، بـن تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ولي عهده ·

الخبر عن دولـة أمير المسلمين تاشفين بن على

ابن يوسف بن تاشفين اللمتونى رحمه الله

هو أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتونى ·

كنيته : أبو المعز ، وقيل أبو عمرو ، وأمه أم ولد رومية اسمهـا ضوء الصباح ·

ولي بعد وفاة أبيه وبعهده اليه فى حياته ، وذالك فى الثامن مـن رجب الفرد من سنة سبع وثلاثين وخمسمئة (الأربعاء ٢٧ يناير ١١٤٣ م) فى معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر امرهم وانتشر سلطانهـم وملكوا كثيرا من بلاد العدوة ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علـي حروب عظيمة ووقائع كثيرة ·

ولما خرج عبد المومن بن علي من تينمل يريد فتح المغرب خـــرج تاشفين من مراكش ، واستخلف عليها ولده ابراهيم ، فكان يتبع عـبـد عبد المومن حيثما توجه من البلاد يباكره بالحرب ، الى ان سار الـــى مدينة تلمسان ، وأتا عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين الى قتاله فنزل عبد المومن بجيوشه بالصخرتين من ظاهر تلمسان مقابل الجبل ، ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالبسيط الـذي يلـي الصفصيف (٩٤)

94) واد صغير يقع شرقى تلمسان ينزل من جبل الصخرتين ويصب فى نهر يسر ، عليه قرية عصرية تسمى باسمه ، يعرف فى كتب الجغرافية القديمة بنهر سطفسيف [illegible]

فزحف المرابطون لقتال الموحدين ، فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا بالجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة عظيمة شنيعة ، وفر تاشفين الى مدينة وهران ، فنزل بظاهرها ، وترك تلمسان للأمير محمد المعروف بالسيورى يضبطها ، فترك عليها عبد المومن يحيا بن يومر بجيش الموحدين محاصرا لها ، وانصرف الى وهران فى طلب تاشفين بن علي ، فنزل عليه بوهران ، فلما اشتد الحصار على تاشفين بن علي خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدين ، فتكاثرت عليه الخيل والرجال ، ففر أمامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن أن الأرض متصلة ، فهوا من شاهق عال بازاء وهران ، وذالك فى ليلة مظلمة ممطرة ، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٣ مارس ١١٤٥ م) فوجد من الغد بازاء البحر ميتا ، فاحتز رأسه وحمل الى تينمل ، فعلق بها على شجرة ، وذالك بعد ملازمته الحرب فى البيداء مع الموحدين لاياوى الى وطن من يوم ولي الى ان مات رحمه الله ، وكانت دولته سنتين اثنتين وشهرا ونصف شهر ، ولله عاقبة الأمور ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، والبقاء لله تعالا ·

الخبر عن سيرهم والأحداث التى كانت فى أيامهم

رحمهم الله تعالا بمنه وكرمه

(وذالك من سنة اثنتين وستين وأربعمئة إلى سنة أربعين وخمسمئة)

كانت لمتونة قوما غلبت عليهم البداوة ، وكانوا مع ذالك أهل دين متين ، وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم ، فعدلوا فى احكامهم ، وواظبوا على الجهاد ·

وقال ابن جنون : كانت لمتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالأندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربى فى المحيط ،

ومن مدينة بجاية من بلاد العدوة الى جبل الذهب من بلاد السودان ، لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا فى حاضرة ، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر ، وكانت أيامهم أيـــام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح فى أيامهم الـى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ، والقطانى لاتباع ولا تشترا ، كان ذالك مصطحبا بطول أيامهم ، ولم يكن فى عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائـف المخزنية حاشا الزكاة والعشر ، وكثرت الخيرات فى دولتهم وعـمـرت البلاد ووقعت الغبطة ، ولم يكن فـى أيـامهم نفاق ولا قطاع ولا مـن يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى أن خرج عليهم مهدى الموحدين فى سنة خمس عشرة وخمسمئة .

وأما الاحداث التي كانت فى أيامهم :

ففى سنة اثنتين وستين وأربعمئة فتحوا مدينة فاس واستوثق لهم ملك المغرب .

وفيها فتحوا بلاد فازاز .

وفى سنة ثلاث وستين تملكوا حصون وطاط من بلاد ملوية .

وفى سنة أربع وستين توفي المعتضد ابن عباد القاضى محمد ابن عباد صاحب أشبيلية ، ووليها بعده ولده محمد المعتمد ابن عباد .

وفى سنة خمس وستين قاتل يوسف بن تاشفين صدراته وأهل صفرو

وفى شهر ذى الحجة من سنة سبع وستين ظهر النجم المعـكـف بالمـغـرب .

وفى سنة سبعين دخل يوسف بن تاشفين مدينة تادرارت التي بمقربة ملوية بالسيف وقتل أميرها القاسم بن محمد بن أبى العافية وأباد جميع جيوشه ولم يبق منهم باقية .

وفيها ملك يوسف بن تاشفين طنجة وتوفي صاحبها سكوت البرغواطي

وفى سنة احدا وسبعين وأربعمئة كسفت الشمس يوم الاثنين عند الزوال فى اليوم الثامن والعشرين وهو كسوف الشمس العظيم الذي لـم يعهد قبله مثله ، وفى هاذه السنة ملك الفنش مدينة قورية وأخرج منها المسلمين ٠

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث الأمير يوسف قائده مزدلي فى عشرين ألفا من المرابطين ففتح مدينة تلمسان ٠

وفى ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة التي لم يـر الناس بالمغرب مثلها ، هدت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ، ووقعت الصوامع والمنارات ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر فى كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع الآخر الى آخر يوم من جمادا الأخرة مـن السنـة المذكورة ٠

وفى شهر ذي القعدة منها ثار أهل طليطلة على ملكهم القادر ابن ذى النون وقتلوا أكثر رجاله ووزرائه ، فخرج القادر فارا بنفسه وعياله الى حصن كنانة

وفى سنة أربع وسبعين فتح يوسف مدينة وجدة وتنس ووهـران وجبال ونشريس وأعمال شلف الى الجزائر ٠

وفيها توفي صاحب السوق وأحكامه بقرطبة ، وهو الفقيه الحافظ أبو طالب مكي رحمه الله ٠

ولد الفقيه القاضى محمد بن أصبغ المعروف بابن مناصف صاحب الأرجوزة ٠

وفى جمادا الأولا منها توفي المقدم أحمد المقتدر صاحب سرقسطة وولي مكانه ولده يوسف المؤتمن ٠

وفى سنة سبع وسبعين فتح الأمير يوسف مدينة سبتة ، وفيـهـا استولا ألفونسو السادس على طليطلة ٠

وفى ربيع الأول من سنة تسع وسبعين جاز أمير المسلمين يوسف الى الأندلس برسم الجهاد ، فكانت غزوة الزلاقة ·

وفى سنة احدا وثمانين جاز الأمير يوسف الى الأندلس جوازه الثاني برسم الجهاد ·

وفى سنة ثلاث وثمانين جاز جوازه الثالث ، وفيها خلع بنى بلكين واستولا على ماكان بأيديهم ووجههم الى مراكش ·

وفى سنة أربع وثمانين استولا المرابطون على مابيد المعتمد ابن عباد من البلاد ، واعتقل وأرسل الى أغمات ، وفيها ملك القائد محمد ابن عائشة ألمرية وفر صاحبها ابن صمادح فى البحر الى أفريقية ·

وفى سنة خمس وثمانين ملك المرابطون دانية وشاطبة وفر صاحبهما ابن منقذ ، وفى هاذه السنة ملك المرابطون بلنسية وفر صاحبها القادر ابن ذي النون ·

وفى سنة ست وثمانين فتحت مدينة افراغ من شرق الأندلس ·

وفى سنة تسعين تمحض ملك الاندلس ليوسف بن تاشفين واستوثق لـه أمره ·

وفيها توفي أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن يونس بن افلج النحوى بأشبيلية ، وكان عالما فاضلا ، وله تاأليف ·

وفى سنة ست وتسعين أخذ الأمير يوسف البيعة لولده علي بقرطبة

وفى سنة سبع وتسعين توفي الفقيه الحافظ محمد ابن الطلاع ، وله تاأليف ·

وفيها توفي الفقيه المشاور أبو المطرف عبد الرحمان بن قاسم الشعبى المالقى ، وكان فقيها ذاكرا للمسائل ، وشوور ببلده فى الأحكام وفيها توفي الفقيه الحافظ محمد بن فرج ، له تاأليف ·

وفى سنة ثمان وتسعين ابتدأت علة أمير المسلمين يوسف التي مات منها ·

وفى مهل محرم فاتح سنة خمسمئة (الأحد ٢ شتنبر ١١٠٦ م) توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وعمره مئة سنة ، وبويع لولـده علـي بمراكش ·

وفيها غزا القائد أبو عبد الله بن زلفى طليطلة وأوقـــع بالنصارا بباب القنطرة ، وفى ربيع الأاخر منها دخل أمير المسلمين علي مديـنـة فاس وقد فر عنها ابن أخيه المخالف عليه ·

وفى سنة احدا وخمسمئة توفي الشيخ الصالح العالم الواعظ ابو الحسن عبد الرحمان ابن خلف الكناني القرطبى المعروف بالزيتونى ·

وفيها توفي الولي الكامل العارف الواصل أبو جبل (٩٥) رضي الله عنه وذكر صاحب التشوف بأن أبا جبل توفي فى سنة ثلاث وخمسمئة ، ودفن بظاهر الرابطة التي بخارج باب أصليتن من أبواب فاس ، وكـان أبوجبل نفع الله به من كبار الفضلاء ، لقي بمصر أبا الفضل عبد اللـه ابن حسن الجوهرى ، وكان جزارا أسود اللون مليح الوجه نقـي القلب أحد المخلصين الخائفين من الله تعالا ، ويقال انه رأا الخضر عليه السلام بعد أربعين سنة من اقباله على الله تعالا ومجاهدته ، فبشره ان الله قد أثبته فى الأبدال ، وكان كثير السياحة فى الأرض ، وهو القائل :

سافر لتكسب فى الأسفار فائدة — فـرب فائدة تلقا مـع السفـر
ولا تقم بمكـان لاتصيب بـــه — شيئا ولوكنت بين الظل والزهر
فان موسا كليم الله أعـــوزه — علم تكسبه فى صحبة الخضر

وفيها (٩٦) كانت وقعة اقليج على النصارا وفتح الحصن ، وقتل سانشو ولد الفنش فى الوقعة ، ومات أبوه بعده لعشرين يوما من الوقعة

---

95) يعلا الفاسى المكنا بأبى جبل ، انظر ترجمته فى **التشوف** ع 10 و**جذوة الاقتباس** ص 351 و**سلوة الأنفاس** 3 : 162 .

96) فى الأصل (وفى سنة اثنتين وخمسمئة) وهو خطأ والصواب أن وقعة اقليج ابتدأت فى فحر يوم الجمعة 16 شوال عام 501 هـ (29 مايو سنة 1108 م) انظر عن وقعة اقليج **مجلة تطوان** ع 2 ص 115 سنة 1957 .

بالفقعة (٩٧) ٠

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي العالم الصالح عبد الرحمان بـن محمد المعروف بابن الطوج من أصحاب الامام ابى عمر بـن عبد البر ، وكانت له جنازة لم ير مثلها ٠

وفى سنة أربع عشرة وخمسمئة ظهر المهدى الموحدى بالمـغـرب ، واجتمع فى طريقه من الشرق بعبد المومن بن علي ٠

وفى سنة تسع عشرة ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل ، واشتغلوا بحرب المهدى والموحدين القائمين عليهم بجبل درن (٩٨) ، وعجزوا عن نصرة بلاد الأندلس ، وضعفت أحوالهم ، واشتغلوا بأنفسهم عنها ، وقوي أمر الموحدين ، وملكوا بلادا كثيرة من بـلاد المغرب حتى ضاقت الأرض على المرابطين ٠

وفى سنة احدا وعشرين وخمسمئة فى التاسع عشر من شهر ربيع الأول منها توفي الفقيه القاضى أبو الوليد الباجي باشبيلية وهو معزول عـن القضاء ٠

وفـى سنة تسع وثلاثين ثار القاضى ابن حمدين بقرطبة علـى المرابطين وقتلهم مع العامة ، والبقاء لله وحده ٠

---

97) بل بعد ذلك بنحو سنة يوم 30 يونيو سنة 1109 م .

98) كان اسم درن بفتح أوله وثانيه يطلق فى العصر الوسيط على جبال الأطلس ولاسيما جبال المصامدة الواقعة خلف مدينة مراكش ، وفي هذه الجبال قال المعتمد بن عباد أمير اشبيلية عند ما كان سجيناً باغمات :

هـــذى جـبـــال درن حـفـت بـكـل درن
يـاليتنى لـم ارهـــا وليتـهـا لـم تـرنـى

الخبر عن الدولة الموحدية المومنية

وقيامها على يد محمد بن تومرت المُسمّا بالمهدي

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما المهدى القائم بدولة عبد المومن بالمغرب الأقصا فهو على ماذكره المؤرخون لدولتهم : محمد بن عبد الله المعروف بتومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر ابن يحيا بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، وقيل هو دعي فى هاذا النسب الشريف ذكره ابن مطروح القيسى فى تاريخه وقال : هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغى وقيل هو من كنفيسة والله أعلم بذالك كله ·

كان فى أول أمره وابتداء حاله رجلا فقيرا مشتغلا بطلب العلم وتحصيله، وكان له ناموس عظيم ، فارتحل الى المشرق فى طلب العلم ، فرأا مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا ، وحفظ كثيرا من حديث النبي صلا الله عليه وسلم ، ونبغ فى علم الأصول والاعتقادات ، وكان فى جملة من لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الامام الأوحد أبو حامد الغزالى رضي الله عنه ورحمه ، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين ، فكان أبو حامد اذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة ، فاذا خرج عنه يقول لجلسائه : لابد لهاذا البربري من دولة ، أما أنه يثور بالمغرب الأقصا ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فان ذالك ظاهر عليه فى صفاته ، وبائن عليه فى شمائله ، ووردت بذالك الأخبار ، ودلت عليه العلامات والآثار ، فنقل اليه الخبر بعض الأصحاب وأخبره أن ذالك عند الشيخ فى كتاب ، فلم يزل يجتهد فى خدمة الشيخ ويتقرب اليه ، حتى أطلعه على العلم الذي كان عنده فيه ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله تعالا وعزم على الترحال ·

قال المؤلف عفا الله عنه :

أقبل محمد المهدى المذكور من المشرق يؤم بلاد المغرب متوكلا على الله عازما على اقامة شرائع الله تعالا وسنة نبيه عليه السلام ، وكانت رحلته عن بلاد المشرق فى أول يوم من ربيع الأول المبارك من عام عشرة وخمسمئة (الجمعة ١٤ يوليوز ١١١٦ م) فكان حيثما حل من مدن أفريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ، ويظهر التقشف والورع والزهد فى الدنيا ، ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر حتى وصل لبلاد بجاية ، فنزل منها بقرية تعرف بملالة من أحواز بجاية ، فلقيه بها (٩٩) عبد المومن بن علي ، فانضاف الى خدمته وقرأ عليه وأخذ عنه العلم ، وعلم بمراده وماقصد اليه من طلب الخلافة ، فوافقه على حاله وتبعه فى أمره ، وبايعه على مؤازرته فى الشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والأمن والخوف ، وقدم معه الى المغرب الأقصا ، وكان المهدى أوحد عصره فى علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظا للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة ، فأخذ يشيع عند الناس أنه الامام المهدي المنتظر ، المخبر به القائم فى آخر الزمان الذى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وأخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن فيهم ، وينسبهم الى الكفر والتجسيم ، ويدعو الى خلع طاعتهم ، ويمشى فى الأسواق ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويكسر المزامير وآلة اللهو ، ويريق الخمر حيثما وجده ، يفعل ذالك فى أي بلد حل فيه وأي موضع نزل به الى أن وصل مدينة فاس ، فنزل بها بمسجد طريانة (١٠٠) فأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع‌عشرة وخمسمئة ، فارتحل الى مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ، لعلمه انه لايظهر أمره الا منها ، فسار الى أن وصلها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فدخل المدينة بزي الزهاد ، وقصد مسجدا يأوي اليه

---

99) فى الأصل (حتى وصل لبلاد تلمسان فنزل منها بقرية تعرف تاجرة من أحواز تلمسان فلقمه بها عبد المومن بن علي) وذالك غلط من ابن أبى زرع ، فلقاء عبد المومن للمهدى كان بقرية ملالة (تاملالت) من ظاهر بجاية أثناء سفر عبد المومن صحبة عمه الى المشرق للحج وطلب العلم .

100) هو المسجد الواقع بمدخل درب ابن سالم من الطالعة الكبرا بفاس .

ومعه عبد المومن بن علي فى خدمته مشيعا لامامته ، فكان يمشى فى أسواق المدينة وشوارعها يأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويريق الخمر ويكسر ألالات الطرب من غير اذن أمير المسلمين ولا مؤامرة من أحد من القضاة والوزراء ، فاتصل خبره بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فأمر باحضاره ، فلما مثل بين يديه نظر الى تقشفه ورثاثة حاله ، فاستحقره وهان عليه أمره ، وقال له : ماهاذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : ومابلغك أيها الأمير ؟ انما أنا رجل فقير طالب الأاخرة ولست بطالب دنيا ولاحاجة لى بها ، غير أنى ألمر بالمعروف وأنها عن المنكر ، وأنت أولا من يفعل ذالك ، فانك المسؤول عنه ، وقد وجب عليك احياء السنة واماتة البدعة ، وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها واحياء السنة بها ، اذ لك القدرة على ذالك ، وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه ، وقد عاب الله تعالا قوما تركوا النهي عن المنكر فقال تعالا : (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبيس ماكانوا يفعلون) ، فلما سمع ذالك أمير المسلمين علي بن يوسف من مقالته هابه وأطرق برأسه الى الأرض مليا يفكر فى أمره ومقالته وينظر فى حاله ، ثم رفع رأسه الى وزرائه ، فأمرهم باحضار الفقهاء الى مناظرته واختباره ، فحضر فقهاء مراكش وطلبتها وأشياخ لمتونة والمرابطين حتى امتلأ المجلس وغص بالناس ، فعرفهم أمير المسلمين بأمر المهدي ومقالته ، وقال لهم انما بعثت لكم لتختبروا أمره ، فان كان عالما اتبعناه ، وان كان جاهلا أدبناه ، فأكثروا الكلام ، وأخذوا فى الملام ، وكان المهدى عالما بالجدال ، فقال لهم : قدموا من تقوم به حجتكم ، وتأدبوا بأدب أهل العلم ، وسلموا عند شروط المناظرة، واتركوا اللجاج ، وقدموا أحدكم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه ، وكان جل من حضر ذالك المجلس من الفقهاء أصحاب حديث وفروع ، وليس فيهم من له معرفة بالأصول والجدل ، فكان أول ماسألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام : أيها الفقيه أنت لسان الجماعة المتقدم للكلام ، فأخبرني هل تنحصر طرق العلم أم لاتنحصر ؟ فأجابه : هي تنحصر فى الكتاب والسنة والمعانى التي بنيت عليهما ، فقال له المهدي : انما سألتك عن طرق العلم

هل تنحصر ام لا ، فلم تذكر الا واحدة منها ، ومـــن شرط الجـــواب أن يكون مطابقا للسؤال ، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ، ثم سأله عن أصول الحق والباطل ماهي ؟ فعاد الى جوابه الأول ، فلما رأا عــجــزه وعجز أصحابه عن فهم السؤال وفـحــوا الخطاب ولم تكن لهم معرفـة بالجواب شرع لهم فى تبيين أصول الحق والباطل فقال لهم : أما أصول الحق والباطل فهي أربعة : العلم والجهل والشك والظن ، فالعلم أصــل للهدا ، والشك والجهل والظن أصل للضلال ، ثم أخذ فى تبيين طرق العلم، فبهرهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم ، وعجزوا عــن جوابه ، ولم يفهموا له معنا خطابه ، فلما رأوا باهر علمه واصابـــة معرفته أخذتهم فضيحة العجز ، وركنوا الى ظلمة الجحد والانــكــار ، فلبسوا عليه وقالوا لأمير المسلمين علي بن يوسف : هاذا رجل خارجــي مسعور أحمق صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس ، وان بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها وينشر ذالك عند الناس حتى يرسخ ذالك فى قلوب أكثر العامة ، فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة ، فخرج منها فبنا خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها ، فـكــان يأتيه بعض الطلبة فيقرأون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع واجتمع علــيــه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس ، وامتلأت قلوبهم له محبة ومهابـــة وتعظيما ، فأعلم الخاصة منهم بالذى قصده وبما يريده ، وأخذ يطعن على المرابطين ويقول : هم كفرة مجسمون ، وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالا واحد فى ملكه أوجب من غزو الروم والمجوس ، وتابــعــه على ذالك مايزيد على الف وخمسمئة ، فرفع خبره الى المسلمين علي بن يوسف ، وعرف أنه يطعن فى دولته ويكفرهم ، وأنه قد كثر أتباعه علــى مذهبه ، فبعث اليه فقال له : أيها الرجل اتق الله فى نفسك ، ألم أنهك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج عن المدينة ، فقال : قد امتثلت أمرك وخرجت عن المدينة الى الجبانة ، فبنيت خيمة بين الموتا واشتغلت بطلب الأاخرة ، فلا تسمع لأقوال المضلــيــن ، فأغلظ لــه أمير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهم بالقبض عليه ، فعصمه الله منه ، ليقضــي

الله أمرا كان مفعولا ، فأمره بالانصراف ، فانصرف يريد خيمته ، فبينما هو فى بعض الطريق اذ أغروا به أمير المسلمين وشرحوا له جلية حاله وما يدعو الناس اليه من امامته وبيعته ، فبدا له فى أمره وعزم على قتله ، وبعث من يأتيه برأسه ، فسمع بذالك بعض تلامذته فأتاه مسرعا حتى وقف بالقرب من خيمته ونادا بأعلا صوته : (ياموسا ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين) ، وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت ، ففطن المهدى لندائه ، فخرج فى الحين مسرعا مختفيا حتى بلغ تينمل ، وذالك فى شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير ١١٢١ م) ، فنزل هنالك ، ولحقه أصحابه العشرة ، وهم : عبد المومن بن علي ، وعبد الله البشير ، وعمر (أبو حفص) بن يحيا أينتى ، وعمر بن علي أصناك ، وسلميان بن مخلوف ، وابراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وعبد الواحد الحضري ، وموسا بن تمارى ، وأبو عثمان ابن يخلف ، وأبو يحيا بن يجيت ، فهؤلاء أصحاب المهدى العشرة السابقون الى دعوته المصدقون بامامته المنقادون لامارته ، المسارعون الى بيعته فأقاموا معه بتنمل الى شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فكثر اتباعه وعظم صيته فى جبل درن ، واجتمع عليه خلق عظيم ، فلما رأا ذالك أظهر دعوته ، ودعا الناس الى بيعته ، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة المذكورون ، وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمس عشرة وخمسمئة (٢٧ نونبر ١١٢١ م) فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من رمضان المذكور خرج الى المسجد بتنمل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم ، فصعد المنبر وخطب الناس ، وأعلمهم أنه الامام المهدى المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا وأظهر دعوته الى بيعته ، فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم بها من الناس ، وبقي بعد ذالك يستجلب القبائل ، وفرق من يثق بسياسته من تلاميذه فى البلاد القاصية والدانية يدعون الى بيعته ويثبتون عند الناس امامته ، ويزرعون فى قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات

ويصفونه به من الزهد فى الدنيا واظهار الحق ، فقصد الناس اليه من كل جهة ومكان يبايعونه ويتبركون برؤيته ، فيأخذ عليهم البيعة ويعلمهم أنه المهدى المنتظر حتى علا أمره ، وقوي سلطانه ، وسما كل من دخل فى طاعته وبايعه وتابعه على طريقته بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور ، وقال لهم : من لايحفظ هاذا التوحيد فليس بمؤمن ، وانما هو كافر لاتجوز امامته ، ولا توكل ذبيحته ، فصار هاذا التوحيد عند المصامدة كالقرأان العزيز ، لأنه وجدهم قوما جهلة لايعرفون شيئا من أمور الدنيا ولا من أمور الدين، فاستهواهم بكيده ، وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره ، حتى كانوا لا يذكرون غيره ، ولا يمتثلون أمراً إلا أمره ، يستغيثون به فى شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ، ويقولون هاذا الامام المعلوم والمهدى المعصوم على منابرهم ، فدخل الناس فى طاعته أفواجا ، واتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ، فرتب العشرة والخمسين ، وتمكن فى الملك أي تمكين ، وسما العشرة من أصحابه السابقين الأولين ، وجعل الخمسين للرأي والمشورة ، وعقد لنفسه الامامة والنظر للمسلمين ، فلم تزل تقبل اليه الجموع والقبائل ، وتفد عليه الوفود ، ويخطب له فى المحافل ، حتى كمل له من أنصاره من الموحدين وأصناف قبائل المصامدة مايزيد على العشرين ألف رجل ، فقام فيهم خطيبا ، وندبهم الى جهاد المرابطين ، فانتدب اليه الناس وبايعوه على الموت بين يديه ، فانتخب منهم جيشا من عشرة الالاف رجل من أجناد الموحدين ، وقدم عليهم عبد الله البشير وعقد لهم راية بيضاء ، ودعا لهم وودعهم ، فخرجوا قاصدين مدينة أغمات ، فاتصل خبرهم بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فبعث لقتالهم جيشا من الحشم والأجناد وقدم عليهم الأحول أكلثوم ، وكان له النظر على لمتونة فهزم جيش علي بن يوسف ، وقتل الأحول ، واستمرت الهزيمة على لمتونة واتبعهم الموحدون بالسيف حتى أدخلوهم مدينة مراكش ، فأقاموا عليها محاصرين أياماً ، ثم ارتحلوا عنها الى الجبل لما تكاثرت عليهم جيوش لمتونة ، وذالك فى سادس شعبان المكرم من سنة ست عشرة وخمسمئة (١٠

أكتوبر ١١٢٢ م) فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والأندلس ، وقسم الغنائم التي غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين وتلا عليهم : (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هاذه) الآية ·

الخبر عن غزواته وحروبه مع لمتونة

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما هزم الموحدون جيوش أمير المسلمين علي بن يوسف عظم أمر المهدى وقوي سلطانه ، وركب اكثر جيشه على خيل المرابطين التي غنموها من عساكرهم ، فنهض الى قتال المارقين ، وقتال أهل الزيغ المبطلين ، فجمع قبائل الموحدين وعبأ الجيوش وقصد نحو مراكش ، فسار حتى نزل بجبل كليز قريبا من المدينة ، فاقام به ثلاثة أعوام يباكر جيوش لمتونة بالقتال ويراوحهم فى كل يوم من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ، فلما طال مقامه هنالك ارتحل الى وادي نفيس وسار مع مسير الوادى ، فانقاد اليه أكثر تلك الجهات والنواحى من السهول والجبال ، وبايعته قبائل كدميوة ، ثم غزا بلاد رجراجة ، فأخذهم بالدعوة الى معرفة الله تعالا وتعليم شرائع الاسلام ، فسار فى بلاد المصامدة ، وكل من أنف منهم عن دعوته غزاه الموحدون ففتح بلادا كثيرة ، ودخل فى طاعته عالم كثير من قبائل المصامدة ، ورجع الى تينمل فأقام بها شهرين حتى استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة ، فخرج اليها من تينمل فى ثلاثين ألفا من الموحدين ، فاجتمع أهل أغمات وقبائل هزرجة وخلق كثير من الحشم ولمتونة وغيرهم واستعدوا لقتال المهدى ، فالتقا الجمعان ، فكان بينهما قتال شديد فنصر عليهم المهديون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقسم المهدي الأنفال على الموحدين ، ثم غزا قبائل جبل درن فسار فيه يقتل من عصا ويؤمن من اتبعه وانقاد اليه ، ففتح جميع قلاع جبل درن وحصونه وأوديته ، وأطاعه جميع من فيه من قبائل هنتاتة

وجنفيسة وهرغة وغيرهم ، ثم رجع الى تينمل فأقام بها مدة حتى استراح الناس ، فميز الموحدين وأمرهم بالخروج الى قتال مراكش وجهاد من بها من المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي ومحمدا البشير ، وجعل امام الصلاة عبد المومن بن علي ، فارتحلت عساكره من تينمل قاصدين مراكش ، فلما وصلوا الى أغمات تلقاهم بها الأمير أبوبكر بن علي بن يوسف اللمتوني فى جيوش عظيمة من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم ، فكانت بينهم حروب عظيمة ثمانية ايام ، ثم منح الله تعالا الموحدين النصر ، فهزم الأمير أبوبكر بن علي ولمتونة ، وتبعهم عبد المومن ابن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم فى كل فج ، واتصلت بهم الهزيمة الى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم ، فحاصروهم بها ثلاثة أيام ، ثم ارتحلوا عنها الى تينمل ، وذالك فى شهر رجب الفرد عام أربعة وعشرين وخمسمئة (يونو — يوليوز ١١٣٠ م) فلما رجع الموحدون الى تينمل خرج المهدى الى لقائهم فسلم عليهم ورحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت فى تلك السنة ، فبكوا لذالك وأسفوا ، ثم بدأه مرضه الذي مات منه ، فأقام مريضا أياما ، وقدم عبد المومن بن علي للصلاة فى أيام مرضه ولم يزل مرضه يشتد الى ان توفي فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢٠ غشت ١١٣١م) ٠

الخبر عن وفاته رحمه الله

ذكر بعض المؤرخين لأيامهم ان المهدي الموحدي رأى فى منامه قبيل وفاته بيسير كأن رجلا وقف بباب بيته فأنشده هاذا البيت :

كأنى بهاذا البيت قد باد أهله   وقد درست أعلامه ومنازله

فأجابه المهدي :

كذالك أمور الناس بيلا جديدهـا   وكـل فتا حقا ستبلا محاسنه

فأجابه الرجل :

تـزود مـن الدنيا فانك راحـل   وانك مسؤول فما أنت قائلـه ؟

فأجابه المهدي :

أقـول بـأن الله حـق شهدتـه   وذاك مقال ليس تحصـا فضائله

فأجابه الرجل :

فـخـذ عـدة للموت انـك ميت   وقد أزف الأمر الذي انت نازلـه

فأجابه المهدي :

متى ذاك خبرني هديت فانني   سأفـعـل مـا قـد قلته وأعاجله

فأجابه الرجل :

تبيت ثـلاثـا بعد عشريـن ليلة   الى منتها شهر فما أنت كـامله

فلم يلبث بعدها الا ثمانية وعشرين ليلة ومات رحمه الله .

وقيل أنه لما ثقل عليه المرض وأيقن بالموت دعا عبد المومن بن علي فأوصاه بما أحب وأوصاه باخوانه خيرا ، وأعطاه كتـاب الجفر الذى صار اليه من قبل الامام أبى حامد الغزالى رضي الله عنه ، وأمـره أن يخفي أمر موته أياما اذا مات حتى تجتمع كلمة الموحدين ، وأمره بمـا يكفنه فيه من الثياب ، وان يتولا غسله ودفنه بيده ويتقدم للصـلاة عليه ويدفنه بجامع تينمل ، فبكا عبد المومن لفراقه بكاء شديدا ، وتوفي فـي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشريـن وخمسمئة ، قاله البرنسي ، وقيل توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المذكور ، وقاله ابن الخشاب فى تفسيره ، وقـال غيره كان قيام المهدى واظهار دعوته فى يوم السبت غرة شهر المحرم مفتتح عام خمسة عشر وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر من رمضان سنة أربع وعشرين المذكورة ، فكانت دولته على هاذا تسع سنين وثمانية أشهـر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت مفتتح خمسة عشر ، وءاخرها يوم

الأربعاء المذكور ، والصحيح فى بيعته ووفاته ماذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة ، وأبو علي ابن رشيق المويسى فى كتاب ميزان العمل أنه بويع يوم السبت غرة محرم مفتتح عام ست عشرة وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر لشهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقال بعض المؤرخين انه نقل ذالك من خط أمير المسلمين يوسف بن عبد المومن ، وأنه قيده بين يدي أبيه عبد المومن وبأمره واملائه فكانت أيامه على هاذه الرواية ثلاثة ءالاف يوم وخمسة وثمانين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت يوم بيعته ، وءاخرها يوم الأربعاء الذي توفي فيه ٠

الخبر عن صفته وسيرته ونبذ من أحواله

كان محمد المسما بالمهدي القائم بدولة الموحدين حسن القد ، أسمر اللون ، رقيق البشرة ، أفلج ، أقنا ، غائر العينين ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء فى خده الأيمن ، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم، وكان مع ذالك عالما فقيها ، راويا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم حافظا له ، عارفا بالأصول ، عالما فى علم الاعتقاد والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الأمور العظام ، سفاكا للدماء ، غير متورع فيها ولا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس فى هوا نفسه وبلوغ غرضه ، وكان مع ذالك متيقظا فى أحواله ، ضابطا لما ولي من سلطانه ، شرع وأسرع ، ومهد الملك لغيره بالخدع ، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم ، وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه ، وعلمهم توحيدا بلغتهم ، فانه كان رجلا منهم ، والتوحيد بأيديهم الى الأن ، وأعلمهم أنه الامام المهدي القائم على كمال الخمسمئة سنة ، ونسب المرابطين الى التجسيم والكفر ، وأباح لهم جهادهم وسبي نسائهم وذراريهم وأموالهم وقال لهم : انهم تسموا بأمراء المسلمين ، وانما

يعرفون بالمتلثمين ، وأخبرهم أنهم هم القوم الذين وصفهم النبي صلا الله عليه وسلم بقوله : صنفان لايدخلان الجنة ، الأول هم قوم يخرجون فى آاخر الزمان لهم سياط كأذناب البقر ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت ، وكل ماوصف رسول الله صلا الله عليه وسلم فى أمراء آاخر الزمان نسبه اليهم ، فاستهوا بذالك قلوب الرعاع الجهال .

ومن تحيله وتهاونه بسفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا فى قبره وقال لهم : اذا سئلتم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا فى جهاد عدوكم ، فان مادعاكم اليه الامام المهدي صاحبكم حق ، وقال لهم : اذا قلتم ذالك أخرجتكم وكانت لكم من المنزلة عندى أعلاها وأسناها ، وعاهدهم على ذالك ، والسبب فى ذالك أن جيش الموحدين لما التقا بعسكر المرابطين واشتدت الحروب بينهم قتل من الموحدين خلق كثير ، فعظم ذالك على قبائلهم وعشائرهم ، ففعل ذالك ليهون عليهم ما أصابهم من القتل والجراحات ، فأتا الى موضع المقتلة ليلا مع أصحابه ، فدفنهم بين القتلا ورد عليهم التراب ثم رجع الى محلته وقد ذهب أكثر الليل ، فقال لأشياخ الموحدين : يامعشر الموحدين أنتم حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم فانكم على منهاج الحق ، وأنتم على بصيرة من أمركم ، وان كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فاذهبوا الى موضع المعركة واسألوا من قتل اليوم من اخوانكم يخبروكم بفضل جهادكم وعظيم ثوابكم عليه فى الأاخرة ، فأتا بهم الى المقتلة ثم نادا برفع صوته : يامعشر الشهداء ، خبرونا مالقيتم من الله عز وجل ، فقالوا وجدنا عند الله تعالا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلما سمعوا الجواب رجعوا الى قومهم وقبائلهم فقالوا : قد سمعنا ما أجاب به اخواننا الذين استشهدوا منا وما شاهدوا من فضل الله تعالا وجزيل ثوابه ، فافتتن بذالك كافة الناس ، فأتا فأغلق على أصحابه الذين دفنهم المنافس التي كانت تركت لهم ، فماتوا من

ساعتهم غما ، فعل ذالك بهم ليلا يخرجوا فيسروا الى خاصتهم مافعله بهم ومن حيلته وسياسته انه لم يقدر على طائفة المصامدة أن يتعلموا أم القرآن لشدة عجمتهم ، فعدد كلمات ام القرآن ، وسما بكل كلمة منها رجلا ، ثم أقعدهم صفا واحدا فقال للأول منهم : اسمك الحمد لله ، والثانى رب ، والثالث العالمين ، هاكذا حتى تمت كلمات السورة ، ثم قال لهم : لايقبل الله لكم صلاة حتى تجمعوا هاذه الأسماء كلها على نسقها فى كل ركعة من الصلاة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب فى ملوك المغرب .

الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المومن بن على

الكومي الزناتي

هو أبو محمد عبد المومن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسا بن عون الله بن يحيا بن ورزايغ بن صطفور ابن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان ، هاكذا أثبت نسبه جماعة من المؤرخين لدولته، وأصله منقول من خط حفيده عبد الواحد على ماذكروه ، والله تعالا أعلم، فهو زناتى الأصل ، وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ (١٠١) وكان عبد المومن قد تطلب من صغره ولزم المساجد لدرس القرآن ، فمر بـه المهدي حين أقبل الى المغرب ، فضمه اليه لما أراده الله تعالا من أمره ، والذي ثبت من خبره انه رجل زناتي الأصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرة (١٠٢) على ثلاثة أميال من مرسا هنين (١٠٣) ، وزعم

---

101) نافخ : المجمر فى العامية المغربية .

102) تاجرة : قرية على ساحل البحر بتراب قبيلة بنى عابد من حوز ندرومة ، مازالت تعرف بهاذا الاسم الى الآن .

103) قرية شهيرة تقع بجبال ترارة على ساحل البحر المتوسط بين مصب نهر تافنا ومرسا الغزوات ، كانت فى العصر الوسيط مرسا تلمسان وناحيتها بها اثار موحدية ومرينية .

بنو عبد المومن أن المهدي استخلفه بعده ، لما توفي المهدى بويع عبد المومن بيعة خاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي وأخفوا موته ، واجتمعوا على بيعة عبد المومن لاختصاص المهدي له وثنائه عليه وقوله فيه :

تجمعت فيك أشياء خصصت بها ... فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة ... والصدر متسع والوجه منبسط

الى ماكان من تقديمه له للصلاة وما يعرفونه من فضله وعلمه ودينه وعزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله ·

وقيل لما مات المهدي تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده، وكانوا من قبائل شتا ، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها وأن لايلي عليها أحد من غيرها ، فتنافسوا فى ذالك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتاامروا بينهم وخافوا النفاق وأن تفسد كلمتهم وينفرق جمعهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المومن لكونه غريبا بينهم ليس منهم مع ماكانوا يرون من ميل المهدي اليه وثباته عليه ، فبايعوه ·

وذكر ابن صاحب الصلاة فى كتاب (المن بالامامة) أن المهدي الموحدي لما توفي أخفي موته ولم يعلم به أحد الا عبد المومن وأصحابه العشرة ، فبقي موته مكتوما ثلاث سنين ، وهم يدبرون الأمر ، وذالك بسياسة ظاهرة من عبد المومن فى ذالك الوقت ، فانه لما توفي المهدي عمد عبد المومن الى شبل أسد وطائر فرباهما ودربهما فيما أراد ، فأنس الأسد به ، فكان الأسد اذا رأاه ربض بين يديه وبصبص له ، وعلم الطير النطق باللسان العربي ، فكان يقول : النصر والتمكين للخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! فلما كمل ذالك من مراده أمر أشياخ الموحدين وقبائلهم أن يحضروا مجلسه ، فأمر فضربت له قبة كبيرة بخارج تينمل ، وفرش له فى وسطها وجعل الطير على عمود القبة ، وأمر سائس الأسد أن ياتي به اذا غص المجلس بالناس فيطلقه بينهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المومن خطيبا ، فحمد الله واثنا عليه وصلا على النبي صلا الله

عليه وسلم وترضا عن الصحابة والامام المهدي ، وترحم عليه ، وأعلمهم بموته ، ونعاه لهم وعزاهم فيه ، فكثر البكاء منهم وارتفع الضجيج ، فقال لهم : ان الامام قد سار الى ماعند الله ووجد خيرا مما ترك ، فكونوا فى أنفسكم ، وانظروا فيمن تولونه أموركم وتجتمـع عليه كلمتكم بعده ، ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ويختل أمركم ويتفرق جمعكم ، ويتمكن منكم عدوكم ، فبينما أشياخ الموحدين فـى تلك الحال واذا بسائس الأسد قد أطلقه ومعلم الطير قد صفر له ، فقال الطير عند ذالك بلسان فصيح ، النصر والفتح والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! وأما الأسد فانه لما أطلقه سائسه ورأا الناس زأر وضرب بذنبه وكشر عن أنيابه ، ففر الناس منه يمينا وشمالا ، وبقي عبد المومن بمكانه قاعدا لم يتحرك ، فلما بصر به الأسد بصبص بين يديه ، فـجـر عبد المومن يده عليه وسكنه ، فلما رأا الموحدون فعل الأسد وسمعوا كلام الطير اتفقوا على تقديم عبد المومن وقالوا : ما على هـاذا من مـزيد ، وليس أحد أولا بخلافة الامام المهدي من عبد المومن الذي ظهرت له هاذه الكرامات يدعو له الطائر ، ويبصبص بين يديه الأسد ، ويستخلفه الامام للصلاة وهي أصل الاسلام ، فنقدمه نحن للخلافة ، ونقتدي بذالك فى فعل الصحابة مع النبي صلا الله عليه وسلم والصدر الأول من هاذه الامـة فى تقديم أبى بكر رضي الله عنه لسابقته وفضله وعلمه ، ولكون النبـي صلا الله عليه وسلم قدمه للصلاة فى مرضه ، وكان فيهم من هو أقرب له نسبا منه ، فبايعوه وتمت له البيعة ، ويقال أنه لما بصبص الاسد بين يديه جر يمينه المباركة عليه وأمره بالرجوع ، فرجع مطيعا لأمره ، ولو قدر على الكلام لنطق بثنائه وشكره ، فظهر فى ذالك المقام ماشاع فـي الأافاق ، وخلد فى بطون الأوراق ، وأثبت له من عجائب الاتفاق ، وفي ذالك يقول الحسن ابن الأشيري (١٠٤) :

---

94) الحسن بن عبد الله ابن الأشيرى من أهل تلمسان كان كاتباً لتاشفين بن على **المرابط** ثم لعبد المومن بن على الموحد ، توفى عام 569 هـ (3 — 1174 م) انظر عنه **اعلام المغرب العربى** تأليف عبد الوهاب ابن منصور .

أنس الشبل ابتهاجا بالأسـد — ورأا شبيه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم — فقضا حقكم لما وفد
أنطق الخالق مخلوقاته — بالشهادات فكل قد شهد
أنك القائم بالأمر له — بعد ما طال على الناس الأمد

وكانت بيعة عبد المومن يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٣١ غشت ١١٣٠ م) وهي البيعة الخاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي ، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموفي عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (٩ يبراير ١١٣٢ م) بعد وفاة المهدي بسنتين بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور .

وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ، ثم كافة الموحدين ، لم يتخلف عن بيعته أحد منهم ، وكانت بيعتهم له فى طالع سعيد سعدوا بها وانقطعت بها دعوة لمتونة ، فأفناهم بالقتل والجلاء وفتح المغرب بأسره ، ثم فتح بلاد أفريقية الى برقة ، وفتح بلاد الأندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هاذه الأقاليم كلها ، ولما تمت له البيعة واستوثق أمر الموحدين أخذ فى الحركة الى جهاد أعدائه وقتال أهل الزيغ والعناد عن طاعته وافتتاح البلاد ، فكان أول غزوة غزاها فى خلافته غزوة تادلة خرج لها من تينمل يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (١٣ يبراير ١١٣٢ م) فى ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبا أهلها وانصرف ، ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها ، ثم غزا بلاد تيغز (١٠٥) ففتحها ، ثم غزا بلاد فازاز وبلاد غياثة ، ثم خرج الى غزوته الطويلة وذالك فى شهر صفر من سنة أربع وثلاثين (أكتوبر ١١٣٩ م) فلم يزل فيها يفتح البلاد ويمهدها ويغزو القبائل الى سنة احدا وأربعين وخمسمئة (٦ — ١١٤٧ م) وكان الذي فتحه فى هاذه الغزاة بلاد تازة وجبال

(١٠٥) كذا فى الأصل ولعلها تيتغير .

غياثة ، واستمرت الحروب بين عبد المومن والمرابطين من يوم بويع الى أن توفي علي بن يوسف بن تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ، فاستمرت الحال بينهما فى الحرب الى أن مات تاشفين بن علي بعد أن قام عبد المومن بكرنطة عامين اثنين وتاشفين بن علي بازائه يباكره فى الحرب ويرواحه ، ثم ارتحل عبد المومن الى جبل غمارة ، فارتحل تاشفين فى أثره ، فنزل بوادي تهليط بازاء عين القديح وذالك فى فصل الشتاء . فأقام بذالك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محلته أوتاد أخبيتهم ورماحهم ، وهدموا بيوتهم وأخبيتهم ، ثم ارتحل عبد المومن الى جهة تلمسان ، فارتحل تاشفين يطوي المراحل حتى دخل تلمسان قبله فضبطها وحصنها ، وأتا عبد المومن بجنوده الموحدين فنزلوا عليها بين الصخرتين ، فلم يزل الحرب بينهما الى أن ارتحل عبد المومن الى وهران وترك جيشا من الموحدين يحاصرون تلمسان ، فخرج تاشفين من تلمسان فى خاصة قومه واستخلف عليها بعض المرابطين وصار لحماية وهران ، فوقعت به رمكته من شاهق مشرف على البحر بالليل فمات ، ففتح عبد المومن وهران وتلمسان ، وذالك فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٣ مارس ١١٤٥ م) قاله صاحب (المن بالامامة)

قال ابن مطروح القيسى : لما بويع عبد المومن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراكش ، وذالك فى شهر شوال سنة ست وعشرين المذكورة فقاتلها أياما ، ثم ارتحل الى تادلة ففتحها ، ثم سار الى درعة ففتحها ، ثم ارتحل الى مدينة سلا ففتحها وتلقاه أهلها طائعين سامعين ، فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين لذي الحجة سنة ست وعشرين المذكورة وخطب له بها .

وفى سنة سبع وعشرين فتح بلاد تازة .

وفى سنة ثمان وعشرين تسما بأمير المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين أمر ببناء رباط تازة ، وأقام يحارب تاشفين بن علي من سنة ثلاثين الى سنة سبع وثلاثين الى أن حاصره بتلمسان ،

فلما أن ضاق به الحصار وخرج منها الى وهران سار عبد المومن فـى أثره فحاصره بوهران ، وترك جيشا مـن الموحدين يحاصر تلمسان ، فلما اشتد الأمر على تاشفين خرج فى جمع من جنوده من وهران بالليل ليضرب فيمحلة عبد المومن ، وكانت ليلة مظلمة ، فتردا به فرسه مـن شاهق الجبل ، فأصبح ميتا بساحل البحر ، فقطع رأسه وحمل الى عبد المومن ، فأمر به فحمل الى تينمل ، فصلب بها على شجرة صفصاف عالية ودخل عبد المومن وهران ، عنوة ، وذالك فى شهر محرم من سنة أربعين وخمسمئة ، وفى شهر صفر التالى له دخل تلمسان وملكها الموحدون ، وفر عنها لمتونة الى اكدير (١٠٦) فحصروا بها الى سنة أربع وأربعين ، فدخله الموحدون عنوة عليهم ٠

وقال البرنسي : فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين ٠

ولما فتح مدينة تلمسان بعث الى الأندلس جيشا من عشـرة آلاف فارس من أجناد الموحدين ، فنزل بساحل الجزيرة الخضراء ، فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش ، فتحوها صلحا ، كان بـهـا قائدها ابو الغمر ، من بنى غانية فى ثلاثة آلاف فارس مـن المرابطين ، فخرج بمن معه ، فتلقا الموحدين وبايعهم لعبد المومن ودخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين ، وحررت أملاكهم ، فلم تزل أملاكهم محررة الى انقضاء أيامهم ، فليس فى أملاكهم رباعة ، وجميع بلاد الأندلس مربعة ، وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام فى كل سنة أول من ينادا من أهل البلاد أهل شريش ، فيقال لهم : اين السابقون أهل شريش يدخلون للسلام ، فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا ، فحينئذ يدخل غيرهم ، وكان فتح شريش فى أول يوم من شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٥ مايو ١١٤٥ م) ٠

---

106) الأحياء السفلا من تلمسان القديمة ، بها مسجد الامام ادريس الذى لاتزال صومعته ماثلة الى اليوم للعيان ، أما الأحياء العليا من تلمسان فقد سماها المرابطون الذين أسسوها (تاكرارت) ومعناها المعسكر والمحلة باللهجة الصنهاجية .

وقال ابن فرحون : دخل الموحدون الأندلس فى شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فنزلوا بجزيرة طريف ، وكان الأمير عليهم الشيخ موسا بن سعيد ، فدخل طريفا طوعا من أهلها ، ثم أرسل اليه أهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر ، وهرب عنها المرابطون الى اشبيلية ·

وفى سنة أربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة فاس بعد الحصار الشديد ، وقطع عنها النهر الداخل اليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها فى الوطا ، فوصل الى مركزه ، ثم خرقه فهبط الماء عليهم دفعة واحدة ، فهدم سورها وهدم من دورها مايزيد على الفي دار ، وهلك به خلق كثير ، وكاد الماء أن ياتي على أكثرها ، فدخل عبد المومن مدينة فاس وأمن أهلها الا من بها من المرابطين ، فانهم لايمضا لهم أمان وقتلهم قتلة كفر ، وأمر بالسور فهدم فيه ثلمات كثيرة ومسافات ، وقال : أنا لانحتاج الى سور ، وانما الأسوار سيوفنا وعدلنا فلم تزل مدينة فاس لا سور لها ، حتى بناه حفيده المنصور ، فمات وقد شرع فى بنائه ، فتممه ولده الناصر فى سنة ستمئة ·

وفى هاذه السنة (٥٤٠ هـ) فتحت مدينة اشبيلية ، وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وفيها فتحت مدينة مالقة ، وفيها أمر أمير المومنين عبد المومن ببناء أسوار تاجرة من تلمسان وبنا جامعها وحصن المدينة وأعلا سورها ، وفيها فتحت دكالة ·

ثم دخلت سنة احدا وأربعين ، فى نصف شهر محرم ، دخل عبد المومن مدينة أغمات صلحا دون قتال ، وفى آخر ربيع منها دخل الموحدون مدينة طنجة وفر عنها المرابطون ، وفى الثامن عشر من شوال منها وهو يوم السبت فتح عبد المومن مدينة مراكش بعد حروب عظيمة وهزائم كثيرة على المرابطين ، وقبض على أميرها اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فقتله عبد المومن ، وفى هاذا الشهر وفدت جميع قبائل المصامدة بأسرها ، واستوثق أمر المغرب لعبد المومن بن علي ، ولم يبق له منازع ·

ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمئة ، فيها خرج على أمير المومنين عبد المومن بن علي الماسى وتسما بالهادي ، واسمه محمد بن هود بن عبد الله ، وكان قصارا بمدينة سلا ، وكان أبوه دلالا يبيع الكنابيش ، فخرج على عبد المومن بعد ان حضر معه فتح مراكش وبايعه، فغلب على بلاد تامسنا واكثر بلاد المصامدة ، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن الا مراكش ، فبعث اليه عبد المومن الشيخ أبا حفص فى جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراكش فى أول يوم من ذي القعدة عام اثنين واربعين المذكورة (٢٣ مارس ١١٤٨ م) وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تانسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا ، فالتقوا بالماسى الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسى ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره ، وذالك فى شهر ذي الحجة عام اثنين وأربعين المذكورة ، فسما الموحدون الشيخ أباحفص سيف الله ، تشبيها بخالد بن الوليد رضي الله عنه ·

وفى هاذه السنة وفد أهل أشبيلية على أمير المومنين عبد المومن بن علي ، فوجدوه مشغولا بقتال الماسى ، فأقاموا عنده بمراكش نحو سنة ونصف لم يروه حتى لقوه بالمصلا فى يوم عيد الأضحا ، وفيهم القاضي أبوبكر بن العربى ، فسلموا سلام جماعة ، ثم بعد ذالك دخلوا عليه ، فسلموا وقبلت بيعتهم ، وسأل عبد المومن القاضي أبابكر بن العربى عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبى حامد الغزالى أم لا ؟ فقال له : مالقيته ، ولكن سمعت به ، فقال له : وماكان أبو حامد يقول فيه ؟ قال ، كان يقول : ان هاذا البربري لابد سيظهر ، ثم صرف الوفود الى أشبيلية وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم ، فانصرفوا عنه فى جمادا الأخرة سنة ثلاث وأربعين (أكتوبر — نونبر ١١٤٨ م) ·

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمئة ، فيها ارتحل عبد المومن الى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها ، ثم رجع الى مراكش فأقام بها أياما ، وخرج الى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ، ثم كانت الكرة عليهم ، فأجال فيهم السيف ، ولم يبق منهم الا من

لم يبلغ الحلم ، وفى خلال هاذه الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض ابن موسا ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا ، فأرسل معه الصحراوي فدخلها وأقام بها أياما ، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن اليهم كتبوا الى الصحراوي والى سبتة يستنصرون به ، فأتاهم ، فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم ، فهرب الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان ، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته ، فلما رأا ذالك أهل سبتة سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا بيعتهم الى عبد المومن، وأتا بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنا مراكش ، وأمر بهدم سور سبتة فهدم •

وفيها فتحت مدينة مكناسة بعد حصار سبعة أعوام ، فدخلها عنوة بالسيف ، وذالك يوم الأربعاء الثالث لجمادا الأولا من سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، وخربت وقتل أكثر رجالها وخمست أموالهم وبقيت تاجرارت المدينة الى الأان •

وفيها فتحت مدينة قرطبة وملكها الموحدون ، وأعطاها واليها يحيا ابن علي بن غانية ، وخرج منها الى غرناطة ليكلم عاملها اللمتونى فى تمكينها للموحدين ، اذ كان هو قد مكنه من قرطبة وقرمونه ، فتوفي بغرناطة ، وذالك يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، ودفن فى القصبة بازاء قبر باديس بن حبوس •

وفى هاذه السنة ملك عبد المومن مدينة جيان وخطب له بها •

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة مليانة •

وفيها قام رجل بتامسنا يعرف بأبى مزكيدة (١٠٧) فبايعه برغواطة

107) انظر عن ثورة بومزكيدة **اخبار المهدى بن تومرت** ص 69 و 83 .

وقبائل كثيرة من البربر ، وبقي مدة يحارب الموحدين الى أن ظفر بـه ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش ، وقتل معه خلق كثير من البربر .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها تحرك أمير المومنين عبد المومن الى مدينة سلا فوصل اليها ، وأجرا اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى المدينة من رباط الفتح ، وأذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول الى سلا ، فوصلوا فى نحو الخمسمئة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد ، فتلقاهم الوزير ابو ابراهيم ، والوزير أبو حفص ، والفقيه الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١٠٨) وأشياخ الموحدين على نحو الميلين من المدينة وأنزلوهم خير نزول ، وأضافوهم خير ضيافة، ثم دخلوا على عبد المومن بن علي فسلموا عليه بعد ثلاثة أيام من وصولهم ، وكان دخولهم عليه فى أول يوم من شهر محرم عام ستة وأربعين وخمسمئة ، (الجمعة ٢٠ ابريل ١١٥١ م) فأشار الفقيه أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج ، فتكلم على دهش ، ووصف حال قرطبة فقال : يا أمير المسلمين ان الفنش دمره الله قد أضعفها ، فتلافاه أبوبكر ابن الجد بخطبة بليغة ، فاستحسنها عبد المومن ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وقضا حاجاتهم ، وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ، فانصرفوا .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ، فيها تحرك أمير المومنين عبد المومن الى المشرق برسم غزو بجاية ، واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيا ، فسار حتى وصل مدينة سلا ، فأقام بها شهرين ، ثم تحرك منها قاصدا مدينة سبتة مظهرا أنه يريد الجواز الى الأندلس ، فلما وصل الى سبتة استدعا طلبة أشبيلية وقرطبة وفقهاء الأندلس وقوادها ، فوصلوا اليه فأوصاهم بما أراد ووعدهم وأخذ فى الحركة ، فلما وصل الى قصر

---

108) أحمد ابن عطية القضاعى المكنا بأبى جعفر ، كاتب موحدى شهير ، انظر عنه **الاحاطة** I : 271 .

عبد الكريم (١٠٩) ميز جيوشه وفرق فيهم الأموال ، وأمرهم بتجديد الأزواد ، وأخذ على غير طريق ، وجعل مدينة فاس عن يمينه ، واتصل مسيره حتى خرج الى وادى ملوية ، ثم سار الى مدينة تلمسان ، فأقام بها يوما واحدا ، ثم خرج منها ووالا السير قاصدا الى بجاية حتى وصل مدينة الجزائر ، فدخلها صلحا وأمن أهلها ، وخرج عاملها فارا الى بجاية ، ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدوم عبد المومن اليه حتى وصله عامله على الجزائر مخرجا عنها ، فأخبره بقدوم عبد المومن اليه وتملكه الجزائر والمدية ، فسقط فى يديه ، فسار عبد المومن حتى نزل بجاية ، ففتح له بابها أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدون ، فدخلها (١١٠) وفر عنها يحيا بن العزيز ابن حماد فى البحر الى مدينة بونة ، ومنها الى قسطنطينة ، وذالك فى شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة (يبراير ١١٥٣ م) .

وفى سنة ست وأربعين المذكورة جاز الشيخ أبو حفص الى الأندلس بعثه عبد المومن فى جيش عظيم من الموحدين ، ومعه السيد عثمان ابن أمير المومنين برسم غزو الروم واستنقاذ المرية من أيديهم ، فانهم كانوا قد غلبوا عليها ، فساروا حتى نزلوا المرية ، فحاصروها وضيقوا عليها غاية ، وبنا السيد عثمان على محلته سورا حياطة لها ، فاستغاث النصارا الذين بالمرية بالفنش ، فبعث اليهم السليطين (١١١) وابن مردنيش لاغاثتهم فى جيش عظيم كثيف ، فلم يمكنهم اغاثتهم ، ولم يتوصلوا الى محلة عثمان ، لكونه حصن عليها سورا عظيما منيعا ، فلما عجز السليطين الرومى وابن مردنيش عن اغاثتهم أقلعا وافترقا ولم يجتمعا بعد فحصر السليطين على أبذة وبياسة وكان قدملكهما فأخلاهما من النصارا ولزم

---

109) قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الحالية ، وعرف قديماً بقصر كتامة أيضاً .

110) انظر رسالة عبد المومن عن فتح بجاية فى مجموع **رسائل موحدية** ، الرسالة السابعة ص 20 .

111) السليطن لقب يلقب به المؤرخون المسلمون ألفونسو السابع المعروف بالمحارب المتوفا فى 21 غشت 1157 (13 رجب عام 552 هـ) ومرة أخرى يجعل ابن أبى زرع من الفنش فنشين .

السيد عثمان على حصار ألمرية حتى فتحها وأنزل منها النصارا صلحا بالامان على يد الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١١٢) ٠

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ، فيها دخل عبد المومن بجاية ، وفيها حاصر الموحدون يحيا بن العزيز ابن حماد بقسطنطينة حتى نزل على الأمان وبايع عبد المومن ودخل فى طاعة الموحدين ، وانتقل الى مراكش بخاصته فأعطاه عبد المومن بها مالا وأنزله منزلة رفيعة ، وأقام عبد المومن ببجاية شهرين حتى هدنها وفتح أحوازها وأقطارها وقدم فيها طلبة الموحـدين ورجع الى مراكش ٠

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمئة رجع عبد المومن من فتح بجاية الى مراكش وبعث ليصليتن (١١٣) قريب المهدي ، فأتى به مكبولا مـن سبتة ، فأمر بقتله وصلبه بباب مدينة مراكش ، وارتحل عبد المومن بعد قتل يصليتن الى تينمل لزيارة قبر المهدي ، ففرق فى أهلها أموالا عظيمة ، وأمر ببناء مسجدها وتوسيعه ، ثم ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين ٠

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ، فيها ولا عبد المومن ولده محـمـدا العهد بعده ، وأمر بذكره فى الخطبة بعده ، وكتب بذلك الى جميع عمله ، وفيها ولا بنيه البلاد ، فولا السيد عمر تلمسان وأحوازها ، وأصحـبـه أبا محمد عبد الحق ، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك ابن عياش ، وكـان يكتب بعد ذالك للخليفتين ، وولا السيد عثمان سبتة وطنجة ، وأصحبـه عبد الله بن سليمان وسعيد بن ميمون الصنهاجي ، ومن الكتاب الفقيـه أبا الحكم هرمس ، ثم أبابكر ابن الطفيل ، ثم أبابكر بن حبيش الباجى ، وولا السيد عبد الله بجاية وأعمالها ، وأصحبه أبا سعيد يخلف بن الحسن

---

112) يجب التنبيه الى أن ابن أبى زرع يجعل فتح ألمرية واسترجاعها من يد النصارا فى عام 546 هـ والحقيقة أن المرية استردت فى أواخر سنة 552 هـ (1157 م) بعد تملك غرناطة الذى حدث سنة 551 كما سيأتى للمؤلف .

113) ويعرف أيضاً بيصلاسن ، كان من زعماء قبيلة هرغة ومن أهل دار المهدى . ينظر عن مقتله **اخبار المهدى بن تومرت** ص 74 و75 ٠

وولا السيد يوسف أشبيلية وشلب وأحوازهما ، وولا الشيخ أبا زيد بن يكيت قرطبة وأعمالها ، فلما ولا عبد المومن أولاده البلاد وجعل عهده لولده محمد وقتل يصليتن قريب المهدي خرج عليه عبد العزيز وعيسا أخـــوا المهدي وكانا بفاس ، فخرجا عنها الى مراكش على طريق المعدن ، فاتصل خبر خروجهما من فاس بعبد المومن ، فخرج هو من سلا متلافيا مـدينة مراكش بعد ان قدم اليها وزيره أحمد بن عطية ، فوجدهما قد دخلا مدينة مراكش وقتلا عاملها عمر بن تفراكين ، فلما وصل عبد المومن لمراكش لم يقدم شيئا قبل قتلهما وصلبهما •

وفى هاذه السنة دخل الموحدون لبلة بعد الحصار الشديـد ، بعث اليها أمير المومنين عبد المومن قائده يحيا بن يومر ، فحاصرها حتى دخلها عنوة ، فأخرج أهلها الى خارج المدينة وصفهم صفوفا ، ثم أمر بقتلهـم جميعا وقتل جماعة من فقهائهم ، منهم الفقيه أبو الحكم بن بطال المحدث، والفقيه الصالح الفاضل أبو عامر ابن الجد ، والذي وقع عليه الاتفاق من الناس أنه عد من قتلا لبلة فى ذالك الموضع ثمانية أالاف رجل ، وفى أحوازها أربعة أالاف (١١٤) ثم بيعت نساؤهم وأبناؤهم جميعا وسلبهم أموالهم وأمتعتهم ، فعل ذالك برأيه دون اذن عبد المومن ، فرفع الخبر الى عبد المومن فأنكر عليه استبداده بذالك وسوء فعله ، وبـعـث اليه مـن مراكش من يقبض عليه مكبولا الى الحضرة ، فوصل لمـراكش يوم عيد الفطر ، فسجن بمراكش مدة ثمسرحه وعفا عنه ! ولم يصرف على أهل لبلة شيئا من جميع ما أخذ لهم •

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمئة ، فيها أمـر أمير المـومنين عبد المومن باصلاح المساجد وبنائها فى جميع بلاده وتغيير المنكر وتحريـــق كتب الفروع ورد الناس الى قرأة الحديث ، وكتب بذالك الى جميع طلبة المغرب والعدوة •

---

114) هاذه المجزرة لا يماثلها فى الهول والفظاعة الا التمييز التمهير ، الأول الذى قام به محمد بن تومرت ، والثانى الذى قام به عبد المومن ، وذالك من أكبر الأخطاء والخطايا التى يواخذ بها الموحدون ، وعند الله يجتمع الخصوم .

ثم دخلت سنة احدا وخمسين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة غرناطة ، وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وبعث أهلها ببيعتهم اليه فقبلها ، وبعث اليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل ، وقام بها ابن مردنيش وابن همشك والبار ريدريكيز (الأقرع النصراني) ٠

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ، وفيها أمر امير المومنين بغزو غرناطة فسار اليها ولداه يوسف وعثمان بعساكر كثيرة ، فقاتلوها حتى فتحوها عنوة ، وقتل البار ريدريكيز (الأقرع النصرانى) ومن كان معه من النصارا ، وفر ابراهيم ابن همشك وابن مردنيش عنها ، قاله ابن مطروح ، وقال ابن صاحب الصلاة : كان فتح غرناطة وقتل الأقرع النصرانى عام سبعة وخمسين والله أعلم بذالك ٠

وفيها نكب أمير المومنين وزيره أحمد بن عطية وسجنه مدة ، ثم قتله في شوال منها واستوزر مكانه عبد السلام بن محمد الكومي ، وكان والد عبد المومن تزوج أم عبد السلام هاذا ، فولدت له ابنة تزوجها أبو حفص ثم طلقها ، فاستوزره عبد المومن حين قتل أحمد بن عطية ، واستكتب فى الرسائل والأوامر عبد الملك ابن عياش القرطبى ، ولما حبس ابن عطية كتب الى أمير المومنين عبد المومن يستعطفه ويطلب عفوه بهاذه الرسالة ٠

عطفا علي أمير المومنين فقد	**بان العزاء لفرط الهم والحزن**
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج	**ورحمة منكم أنجا من السفن**
وصادفتنا سهام البين عن غرض	**وعطفة منكم اوقا من الجنن**
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه	**بمن أجارته رحماكم من المحن**
من جاء عندكم يسعا على ثقة	**بنصره لم يخف بطشا من الزمن**
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن	**والطرف ينهض بعد الركض فىسنن**
أنتم بذلتم حياة الخلق كلهم	**من دون من بها كلا ولا ثمن**
ونحن من بعض مزاحيت مكارمكم	**كلتا الحياتين من نفس ومن بدن**
وصبية كفراخ الورق من صغر	**لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن**
قد اوجدتهم أياد منك سالفة	**والكل لولاك لم يوجد ولم يكن**

تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة ، حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت ان الله لم يوح ، فى الفلك الى نوح ، وأبرمت لحطب نار الخيل حبلا ، وبريت لقدار (١١٥) ثمود نبلا ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وافتريت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظاهرت الأحزاب بالقصوا من العدوة ، وأبغضت كل قرشى ، وأحببت لأجل وحشى كل حبشى ، وقلت بأن بيعة السقيفة ، لاتوجب امامة خليفة، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة ، واعتقلت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وقلت تقاتلوا رغبة فى الأبيض والأصفر ، وسفكوا الدماء على الثريد الأعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا ، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ، ثم كنت بحفرة المعصوم لائذا ، وبقبر المهدى رضي الله عنه عائذا ، لقد آان لمقالتى أن تسمع ، وأن تغفر لى هاذه الخطيئات اجمع ، مع أنى مقترف ، وبالذنب معترف :

فعفوا أمير المومنين فمن لنا   يرد قلوب هدها الخفقان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ، فيها كانت حركة المهدية وفتحها وتخليصها منأيدي الروم الذين كانوا ملكوها (١١٦) وفيها فتحت جميع بلاد أفريقية ، وكانت المهدية قبل ان يملكها الروم بيد الحسن بن علي بن يحيا ابن تميم بن المعز بن باديس اراثة من أبيه وأجداده ، فنزل عليه بها العدى الرومى صاحب صقلية وشدد عليه الحصار حتى دخلها عنوة ، وذالك فى عام ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فهرب الحسن بن علي المذكور الى الجزائر واستوطنها ، فلما وصل عبد المومن الى الجزائر بجيوش

115) عاقر ناقة ثمود .

116) استولا أمير البحر جرجى الأنطاكي — لحساب روجار الثانى ملك صقلية — على المهدية يوم 2 صفر عام 543 هـ (الثلاثاء 22 يونيو سنة 1148 م) ، وكان عدد سفن أسطوله 250 سفينة .

الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبايعه وصاهره عبد المومن ، وحمله الى مراكش ، فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين المذكورة ، فخرج عبد المومن الى المشرق برسم غزو المهدية ، فوصل اليها ونازلها برا وبحرا وشرع فى قتالها حتى نزعها من أيدي الروم ، وذالك فى سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، قاله البرنسي •

وقال ابن جنون : تحرك أمير المومنين عبد المومن الى غزو المهدية من حضرة مراكش ، وذالك فى العشر الأول من شهر شوال عام ثلاثة وخمسين المذكور (أكتوبر — نونبر ١١٥٨ م) واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيا ، وترك معه ولده السيد علي ، واستعمل على مدينة فاس وأعمالها يوسف بن سليمان ، واستخلف على اشبيلية وقرطبة وجميع بلاد غرب الأندلس ولده السيد يوسف ، وعلى غرناطة ولده عثمان ، وسار هو فى أمم لاتحصا وجيوش لاتعد من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناتة والأغزاز والرماة متوجها الى المشرق ، ففتحه الله عليه ، فسار فى أرض الزاب وبلاد أفريقية يفتح البلاد والمعاقل ، ويؤمن من استأمن ويقتل من عصا حتى وصل الى مدينة تونس فحاصرها ثلاثة أيام، وارتحل عنها وترك عليها جيشا من الموحدين ، وسار الى القيروان ففتحها ، وفتح سوسة وصفاقس وارتحل الى المهدية فنزل على من بها من الروم برا وبحرا ، ونصب عليها المجانيق والرعادات فى البر والبحر ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا ، وجعل قتالها نوبا على قبائل الموحدين حتى فتحها وقتل بها خلقا كثيرا من النصارا •

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ، فى شهر جمادا الأولا منها فتحت تونس وخطب بها لأمير المومنين عبد المومن ، وبعدها بيسير كان فتح المهدية بعد حصارها سبعة أشهر ، وفيها فتح عبد المومن جميع بلاد أفريقية كلها ودخل أهلها فى طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته ، وسكنها وأمنها وضبط ثغورها وأصلح أقطارها •

وفى هاذه السنة أمر عبد المومن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب ،

وكسرها من بلاد افريقية من برقة الى بلاد نـول مـن السوس الأقصـا بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ، فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون ، ومابقي قسط علـيـه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحـدث ذالك بالمغرب •

وقيل كان تملك عبد المومن بن علي المهدية وفتحها يـوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين (٢١ يناير ١١٦٠ م) •

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة أمر أمير المـومنين ببناء جبل الفتح وتحصينه ، فبني وشيد حصنه ، وكان ابتداء البناء به فى تاسـع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين المذكورة (١٩ مارس ١١٦٠ م) وكمل بناؤه فى ذي القعدة منها •

وفى هاذه السنة تحرك أمير المومنين من افريقية الى المغرب يريد طنجة برسم الجواز الى الأندلس ، فسار حتى وصل الى مقربة من وهران فطلبه عرب افريقية فى الوداع بالرجوع الى حللهم فأسعفهم بـذالـك ، ونقل منهم الى المغرب ألفا من كل قبيلة بعيالاتهم وابنائهم ، وهم عـرب جشم ، وبنا فى رجعته هاذه مدينة البطحاء (١١٧) وسبب بنائـه اياهـا أنه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق والتغرب عن أولادهـم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المومن والفتك به فى خبائـه اذا نـام ، وتوافقوا على ذالك ، فأتا شيخ (١١٨) ممن علم الأمر الى عبد المـومـن فأخبره الخبر وقال له : دعنى أبت الليلة فى موضعك وأنم فى فراشك ، فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت فديتك بنفسي فى حق المسلمين ، وأجرى فى ذالك على الله ، وان كانت السلامة فمن الله تعالا ويكون أجرى علـى قدر نيتي ، فبات على فراشه فاستشهد ، فلما أصبح وصـلا عبد المومن

---

117) تقع قرب وادى شلف بالمغرب الأوسط .

118) هو اسماعيل بن يسلالن الهزرجي تلميذ محمد بن تومرت وأحد أصحابه العشرة . ينظر عنه **المقتبس من كتاب الأنساب** ص 31 .

الصبح افتقده ، فوجده مقتولا ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقتـه لايقودها أحد ، فسارت الناقة تمر يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المومن بالشيخ فأنزل عنها وأخذ بزمامها وأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة ، وبنا بازاء القبة جامعا ، ثم أمـر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب ، فقبر الشيخ هناك معظم عند أهل تلك البلاد يزار الى اليوم ، وعند دخول أمير المومنين الى مدينة تلمسان من هاذه الحركة قبض على عبد السلام ابن محمد الكومي وزيره وحبسه ، سمه فى قدرة (١١٩) لبن فمات مـن ليلته (١٢٠) وخرج عبد المومن من تلمسان الى المغرب فسار حتى وصـل الى طنجة ، وذالك فى ذي الحجة سنة خمس وخمسين (دجنبر ١١٦٠ م)

وفيـهـا (١٢١) جاز الخليفة أمير المومنين عبد المومن بن علـي من طنجة الى الأندلس ، فنزل بجبل الفتح ، فأقام به شهرين واستشرف على أحوال بلاد الأندلس ، وأتاه قوادها واشياخها للسلام ، فأمـر بغزو بلاد غرب الاندلس ، فخرج اليها الشيخ عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كثيف من الموحدين ، ففـتـح حصن اطرانكش ، من أحـواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارا وأتا ألفنش من طليطلة لاغاثته فوجده قد فتح ، فقصد الموحدون لقتاله ، فهزمه الله ، وقتل من عسكره ستة ألاف رجل ، وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية •

وفى سنة ست وخمسين ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر ، فولا عليها عبد المومن ، محمد بن علي ابن الحاج ، ورجع عبد المومن الى مراكش •

ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وفيها أمر أمير المـومنين

---

119) وقيل سمه فى ثردة .

120) انظر عن مقتل عبد السلام الكومى **المن بالامامة** ص 173 .

121) فى الأصل (ثم دخلت سنة ست وخمسين ، فيها جاز) الخ والحقيقة أن جواز عبد المومن بن على الى الأندلس كا نفى شهر ذى القعدة من عام 555 هـ كما عند ابن صاحب الصلاة فى **المن بالامامة** ص 147 .

عبد المومن بانشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده ، وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر ، فأنشأ منها أربعمئة قطعة ، منها فى حلق المعمورة (١٢٢) ، ومرساها مئة وعشرون قطعة ، ومنها فى طنجة وسبتة وبادس (١٢٣) ومراسى الريف مئة قطعة ، ومنها ببلاد أفريقية ووهران ومرسا هنين مئة قطعة ، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة ، ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد ، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد ، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله ، فكان يضرب له كل يوم منها عشرة قناطير ، فجمع من ذالك مالايحصا ، وفى خلال ذالك ورد على أمير المومنين قبيلة كومية فى جيش عظيم من أربعين الف فارس ، والسبب فى قدومهم أنه لما همت طائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي بات بمكانه وتحقق ذالك منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم بحيلة ، لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له عشيرة يستند اليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث فى خفية الى أشياخ قبيلة كومية قبيلته ، وأمرهم بالقدوم عليه ، وأن يركب كل من بلغ الحلم ويأتونه فى أحسن زي وأكمل عدة وهيأة ، وبعث اليهم بالأموال والكسا ، فاجتمع منهم اربعون ألفا ، فاقبلوا الى أمير المومنين بمراكش برسم الخدمة بين يديه ولشد ظهره بهم ، فتشوش المغرب بقدومهم وتقول الناس الأقاويل ، فسار الجيش حتى وصل وادي أم الربيع ، فسمع الموحدون باقبالهم ، فارتاعوا منهم ، وعرفوا أمير المومنين عبد المومن بخبرهم ، فأمر الشيخ أبا حفص أن يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى تلقاهم بوادي أم الربيع فقال لهم : أسلم أنتم أم حرب ؟ فقالوا بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المومنين عبد المومن بن علي ، نحن كومية الزناتيون ، قصدنا زيارته والتسليم عليه ، فرجع أبو حفص وأصحابه فعرف أمير المومنين

---

122) تعرف اليوم بالمهدية ، عند مصب نهر سبو ، ولكن الغابة المجاورة لها ما زالت تسما غابة المعمورة .

123) مدينة ساحلية بشاطىء البحر المتوسط تقع غربى مدينة الحسيمة فى تراب قبيلة بقوية ، خربت ولم يبق منها الا بعض أطلال ، أمامها جزيرة صغيرة تسما باسمها تحتلها اسبانيا .

بخبرهم ، فأمر عبد المومن جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقائهم ، فاحتفلوا لذالك ، وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الأعياد ، فرتبهم عبد المومن في الطبقة الثانية ، وجعلهم من قبيلة تينمل في ثانى درجة ، وقربهم من نفسه وجعلهم بطانته ، يركبون في ظهره ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه اذا خرج .

وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمئة خرج أمير المومنين من مراكش الى الأندلس برسم الجهاد ، وكان خروجه يوم الخميس الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة (٢١ يبراير ١١٦٣ م) ، فوصل الى رباط الفتح ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وأفريقية والسوس وجميع القبائل يستنفرهم الى الجهاد ، فأجابه خلق كثير ، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبائل المغرب وقبائل زناتة أزيد من ثلاثمئة الف فارس ، ومن جيوش المطوعة ثمانون الف فارس ومئة الف راجل ، فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة الى عين خميس واستدارت راجعة الى حلق المعمورة ، فلما استوفت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود ، ابتداه المرض الذي توفي منه ، فتمادا مرضه واشتد ألمه ، فلما خاف أن يفجاه الموت أمر باسقاط ولده محمد من الخطبة وعزله عن العهد لما ظهر له من العجز عن القيام بالخلافة ، وذالك يوم الجمعة الثانى من جمادا الأاخرة من العام المذكور ، وكتب بذالك الى جميع طاعته وبلاده ، فتمادا مرضه ، واشتد ألمه ووجعه ، الى ان توفي يوم الثلاثاء عند الفجر عاشر جمادا الأاخرة (١٦ ماي ١١٦٣ م) المذكورة فسبحان الحي الدائم الذي لايموت ولا يفنا دوامه ولا يبيد ملكه ، وسنه يوم توفي ثلاث وستون سنة ، قاله ابن الخشاب ، وقيل أربع وستون سنة ذكره ابن صاحب الصلاة في كتاب (المن بالامامة) ، وحمل الى تينمل ، ودفن بها الى جنب قبر الامام المهدي ، فكانت أيام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما قاله غير واحد من المؤرخين لدولتهم .

وخلف عبد المومن من البنين جماعة ، وهم : يوسف الخليفة من بعده ، وشقيقه عمر ، ومحمد المخلوع من العهد ، وعبد الله صاحب

بجاية ، وعثمان صاحب غرناطة ، والحسن ، والحسين ، وسليمـان ، ويحيا ، واسماعيل ، وابراهيم ، وعلي ، ويعقوب ، وعبد الرحمـان ، وداوود ، وعيسا ، وأحمد ، ومن البنات عائشة ، وصفية ٠

ومن أولاده النجباء الأدباء السيد أبو عمران ، كان استخلفه أخوه يوسف على مراكش ، فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد ، فكتب اليـه القاضى حجاج بن يوسف :

يغيب البدر يوما ثم يبدو — وأنت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لم أراكم — فلست بمدرك يوم الثلاثا

فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتتنا منكم درر فحلت — عجالى أوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوي — لسرنا نحوكم حتما حثاثا
ولكني أسير بحال ود — اليكم مصبحا يوم الثلاثا

الخبر عن صفة أمير المومنين عبد المومن بن علي

وسيرته وفضله رحمه الله

كانت ولاية عبد المومن حسنة ، وسيرته جيدة ، لم يكن فـى ملوك الموحدين مثله أحسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا اكثر علما منه ٠

وأما صفته : فكان أبيض اللون مشربا بحمرة ، أكحل العينين ، أجعد ، تام القد ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، أزج الحاجبين ، قويم الأنف ، عريضه ، مستدير اللحية ، فصيح اللسان نبيها ، عالما بالجدل ، فقيها فى علم الأصول ، حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، متقن الرواية ، مشاركا فى كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، اماما فى النحو واللغة والأدب والقراآت ، ذاكرا للتاريخ وأيام الناس ، حسن السيرة ، نافذ الرأي ، ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام فى الحرب وفـى مهمات

الامور ، سري الهمة ، ميمون النقيبة ، منصورا مؤيدا ، لم يقصد قط بلدا الا فتحه ، ولا قاتل جيشا الا هزمه ، وكان مع ذالك سخيا كريم الأخلاق، محبا فى أهل العلم والأدب ، مقربا لـهـم ، مشوقا لوفادتهم ، منفـقـا لبضاعتهم ، وله شعر رائق حسن ، قيل انه خرج يوما مع وزيره أحمد ابن عطية متنزها الى بعض بساتين له بمراكش ، فمر فى طريقه بشارع من شوارع المدينة ، فاذا بطاق فى دار عليه شباك خشب قد قابله مـنـه وجه جارية كأنه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه ، فنـظـر اليها عبد المومن ، فأعجبه حسنها ، وحلت من قلبه كل المحل ، فـقـال ارتـجـالا :

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فقال ابن عطية :

حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المومن :

كأنما لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيف المؤيد عبد المومن بن علي

فطرب عبد المومن واستحسن اجازة وزيره ، فخلع عليه وأمر لـه بمال جـزيـل .

قال ابن جنون :

كان عبد المومن ذا سياسة وهمة سنية ، على أنه لم يكن من بيت ملك ولم ينشأ فى نعيم ، فمن همته أنه لم يخلد الى الراحات ، ولا ركن الـى اللذات ، فتح المغرب بأسره ، ثم توجه الى المشرق ، ففتح أفـريقية كلها الى برقة ، وفتح الأندلس ، وقمع الجبارين ، واسترجع من أيدي الروم المهدية من بلاد أفريقية والمرية وأبذة وبياسة وبطليوس من بلاد الأندلس

كتابه : أحمد ابن عطية ، وأخوه عطية ابن عطية ، وعبد الملك ابن

عياش ، وميمون الهواري ، وعبد الله بن جبل ٠

وزراؤه : أحمد بن عطية ، ثم عبد السلام بن محمد الكومي ثم ولده السيد عمر ، ثم ادريس بن جامع يقعد بين يدي السيد عمر ٠

قضاته : موسا بن سهل من أهل تينمل ، ثم حجاج بن يوسف ، ثـم الاستاذ عبد الله بن ميمون القرطبي ، وهو القائل فى شاب من أهل أغمات يعرف بأبى القاسم بن تسميت :

أبـا قـاسـم والهـوا جـنـة ... وها أنـا من مسها لم أفـق
تبوأت جاحم نار الضـلـوع ... كما خضت بحر دموع الحدق
أكنـت الخليل اكنـت الكليـم ... أمنت الحريق امنت الـغـرق

الخبر عن دولة أمير المومنين يوسف

ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي

هو أمير المومنين أبو يعقوب ، يوسف ، بن الخليفة أمير المومنين عبد المومن بن علي الزناتى الكومى ٠

أمـــه : حرة اسمها عائشة بنت الفقيه القاضي موسا التينملى ٠

مولده : يوم الخميس الثالث من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة (٦ مارس ١١٣٩ م) ٠

صفته : كان أبيض اللون تشوبه حمرة ، حسن القد التام ، أشعر اللحية ، أجعد الشعر ، أفلج ، أقنا ، أعسر أيسر (١٢٤) يعمـل بيديـه جميعا ، عاقلا صالحا ورعا فاضلا ، متوقفا فى سفك الدماء ، حليما ، حسن السياسة والتدبير ، مصيب الراي ، محبا فى الجهاد ، لما ولي أخذ بنهج أبيه وسلك سبيله واهتدا بهديه ، وسار بسيرته واقتدا بأفعالـه ،

124) كان يعرف لأجل ذالك بين الموحدين بيوسف العسرى .

وجمع الأموال الكثيرة ، وهو أول ملك من ملوك الموحدين جاز الى الجهاد فغزا بنفسه ، وواظب عليه ، واقتنا الذخائـر ، واستكثر مـن الجيوش والجنود ، ومهد البلاد ، وأطاعه من بالعدوتين من العباد ، وضخم ملكه، فكان ملكه من سويقة ابن مكتود قاصية بلاد افريقية الى أقصا بلاد نول من أرض السوس الأقصا الى الآخر بـلاد القبلة ، وملك بالأندلس مـن مدينة تطيلة ، قاصية بلاد شرق الأندلس الى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، يجبا اليه خراج ذالك كله دون مكس ولا جور ، فكثرت الأموال فى أيامه وتمهدت البلاد ، وتأمنت الطرقات ، وضبطت الثغور ، وصلح أمر الناس فى البادية والحاضرة ، وذالك لحسن سيرته الجميلة ، وعدله الشامل لرعيته ، وتفقده لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرة أمـور مملكته بنفسه حتى لايغيب عنه منها شيء ، ولا يدخله فتور عـن النظر فى أموره ولا يكلها الى غيره .

أولاده : ثمانية عشر ذكرا ، أولهم : يعقوب الخليفة بعده الملقـب بالمنصور ، واسحاق شقيقه ، ويحيا شقيقهما ، وابراهيم ، وموسا شقيقه، وادريس شقيقهما ، وعبد العزيز شقيقهم ، وأبو بكر ، وعبد الله شقيقه ، وأحمد شقيقهما ، ويحيا شقيقهم ، ومحمد ، وعمر وعبد الرحمان ، وعبد الواحد المخلوع ، وعبد الحق ، واسحاق ، وطلحة .

حاجبه : الضابط لأمره والقائم بملكه أخوه السيد عمر .

وزيره : ادريس بن جامع ، ثم الوزير أبوبكر يقعد بين يدي ولده يعقوب .

قضاته : الفقيه القاضي حجاج بـن يوسف ، والفقيه عيسا بـن عمران ، ثم الفقيه القاضى أبو العباس بن مضا القرطبى .

كتابه : عبد الملك ابن عياش القرطبى النشأة اليابوري الأصل ، وكان رحمه الله من أهل الحديث والرواية والكتب البارع ، له عقل ورأي سديد ، ومن كتابه أيضا الفقيه الكاتب البارع أبو الفضل بن طاهر ، من أهل مدينة بجاية ، وهو المعروف بمحشرة ، وكان رحمه الله من أهل العلم

والفضل والدين والتقا والنبل فى الكتابة والبلاغة فى الترسيل ، ثم كتب لولده المنصور ثم لحفيده الناصر .

أطباؤه : الوزير الطبيب أبوبكر بن الطفيل من أهل وادي آش ، من أهل الحذق بصناعة الطب والنظر فى الجراحات ، توفي رحمه الله سنة احدا وثمانين وخمسمئة ، ومنهم الوزير عبد الملك بن قاسم القرطبى ، من أهل التبريز فى صناعة الطب ، توفي سنة خمس وسبعين وخمسمئة . ومنهم الفقيه الأجل أبو الوليد ابن رشد ، استدعاه أمير المومنين الى سكنا مراكش سنة ثمان وسبعين برسم الطب ، ثم ولاه القضاء بقرطبة ، وهو ابن رشد الحفيد ، ومنهم الوزير ابوبكر بن زهر كان يتكرر على الحضرة ، فيقيم بها ويرجع الى الأندلس ، ثم انتقل الى مراكش بجملته وأهله وذالك فى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، فأقام بها الى أن كانت غزوة شنترين فحضرها ، ثم اختص بالمنصور ، وكان من أهل المعرفة بالطب والحفظ للغة والأدب والمجالسة والمحاضرة ، مشاركا فى الفقه والحديث والتفسير ، ذكر عنه ابن الجد أنه كان يحفظ كتاب البخاري بأسانيده ، وكان من أهل السخاء والحمية ، شاعرا مجيدا ، له اشعار بديعة فى الزهد ، ومن شعره يتشوق الى ولد له صغير :

ولي واحد مثل فرخ القطاة	**صغير تخلفت قلبي لديه**
نأت منه دارى فأوحشني	**لذاك الشخيص وذاك الوجيه**
تشوقني وتشوقته	**فيبكي علي وأبكى عليه**
وقد تعب الشوق ما بيننا	**فمنه الي ومني اليه**

توفي رحمه الله بمدينة مراكش فى الحادى والعشرين لذى الحجة من سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقد بلغ من السن أربعا وتسعين سنة

ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبوبكر ابن الجد ، ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن الصقر ، ولي القضاء باشبيلية ، ثم نقله أمير المومنين يوسف الى حضرته ، **فولاه** الخزائن وبيوت الأموال ، وكان من أهل الأدب ، ومن شعره :

لـله اخـوان تـنـائت دارهـم ... حفظوا الوداد على النوا أوخانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهـم ... كالند يهدى الطيب وهـو دخـان

وهو القائل ايضا :

أرض العدو بـظـاهـر متصنـع ... ان كنت مضطرا الى استرضائه
كـم مـن فتا القا بوجه بـاسـم ... وجـوارحى تنقض مـن بغضائه

فكان الأمير يوسف يجالسهم ويحدثهم ويستظرف ملحهم رحمه الله

الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله

بويع يوسف بعد وفاة أبيه ، وذالك فى غدوة يوم الجمعة (125) الحادي عشر لجمادا الأاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة (٢٩ مـاي ١١٦٣ م) ، وتوفي شهيدا فى غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يـوم السبت الثامن عشر من ربيع الأاخر سنة ثمانين وخمسمئة (٢٩ يـوليوز ١١٨٤ م) وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فكانت أيامه فـى الملك احـدا وعشرين سنة وأشهرا واياما ، وقيل أنه بويع يوم الثلاثاء العاشر لجمادا الأاخرة المذكور بعد وفاة أبيه بليلة ، قيد ذالك بعض ولده ، وقيل لما مات عبد المومن كتم موته لأجل غيبة ولده الخليفة بعده ببلاد الأندلس ، فلـم يشهر موته حتى قدم يوسف من أشبيلية ، ذكر ذالك ابن الخشاب ، وأهل بيته أحق بالتقليد فى ذالك ، وذكر القاضى يـوسف بـن عمر المـؤرخ لدولتهم ان يوسف بويع بيعة الجماعة ، واتفقت الأمة على بيعته يـوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمئة ، وذالك بعد وفاة والده بسنتين ، لأنه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته قوم مـن أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد

---

125) فى الأصل الأربعاء وذالك غير صحيح .

محمد صاحب قرطبة ، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسما بالأمير ، ولم يتسم بأمير المومنين حتى اجتمع عليه الناس ٠

وذكر ابن مطروح فى تاريخه أنه لما مات عبد المومن كان ولده يوسف باشبيلية ، فأخفى موته ووجه الى يوسف فوصل من أشبيلية الى سلا فى أقرب وقت ، فبويع ، ولم يتخلف عن بيعته أحد الا ناس قلائل لم يلتفت اليهم ، فكان أول شيء فعله فى ولايته حين تمت بيعته أنه سرح الناس المجتمعين للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ، وكتب الى جميع البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدقات فى جميع عمله ، وتسما بأمير المومنين ، وارتحل الى مراكش ، فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع طاعته من الموحدين يطلبهم بالبيعة فأتته البيعة من جميع بلاد أفريقية والمغرب وبلاد الأندلس ماخلا قرطبة وبجاية ، فان ولاتهما وهما أخواه توقفا فى ذالك ، فانتشر أمره فى أقطار البلاد ، ودان له من بالعدوتين من العباد ، وفرق الأموال فى قبائل الموحدين وأعطا كل الأجناد ٠

وفي سنة تسع وخمسين وخمسمئة قدم عليه أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين ، وقدم عليه بهما أشياخ حاضرتيهما وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المومنين يوسف وأحسن اليهم بالمال والخلع ٠

وفى هاذه السنة ثار مرزدغ الغماري الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة وكتب فيها (مرزدغ الغريب ، نصر الله قريب) ، فتابعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة (١٢٦) فأفسد تلك الناحية ودخل

---

126) **أوربة** بفتح الهمزة والواو وسكون الراء وفتح الباء قبيلة بربرية كبيرة من شعب البرانس ، كانت تشتمل فى القديم على بطون وعمائر كثيرة مثل ديقوسة ورغيوة ولجاية ومزياتة ونفاسة ونيجة ، وقد كبرت هذه البطون فيما بعد حتى اصبحت فى عداد القبائل ، كان شيخ هذه القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يسمى سكرديد بن زوغى ، ولى عليهم 73 سنة ، وادرك الفتح الاسلامى ومات سنة 71 هـ وبقيت زعامة البربر فى أوربة حتى دخل الامام ادريس أرض المغرب فتنازل له شيخها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد عنها فصارت أوربة فى عداد قبائل دولته ، لا تمتاز عن غيرها الا بالسبق الى تأييد دعوته ومقاتلة عدوه ، وقد حلت الفروع فى الوقت الراهن محل الأصل ، اذ لم يبق يحمل اسم أوربة الأصل الا بطن صغير منها مندمج

مدينة بنى تاودة (١٢٧) وقتل فيها خلقا كثيرا وسباها ، فبعث اليه أمير المومنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش ·

وفى سنة ستين كانت وقعة الجلاب (١٢٨) بالأندلس بين السيد أبى سعيد بن عبد المومن وجيوش الروم مع ابن مردنيش ، وكان الروم ثلاثة عشر الفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من كان معه من الروم بأجمعهم ، وكتب بالفتح الى أخيه يوسف ·

وفى سنة احدا وستين ولا أمير المومنين يوسف أخاه السيد يحيا بجاية ، وأمره بتفقد أحوال بلاد أفريقية ورفع مظالمها وقطع الطغاة بها ·

وفيها خالف سبع (١٢٩) بن منغفاد وثار بجبل تيزران (١٣٠) من من بلاد غمارة ·

وفى سنة ثلاث وستين اجتمعت الأمة على طاعته وتسما بأمير المومنين ، وذالك فى شهر جمادا الأاخرة منها

وفى سنة أربع وستين وفد عليه أهل البلاد من أفريقية والمغرب والأندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء والأشياخ والأعيان برسم السلام والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراكش ، فسلموا عليه ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وأوصاهم بما أراد ، وكتب لهم الأوامر بحاجاتهم وشؤونهم ، وانصرفوا شاكرين ·

فى قبائل البرانس شمالى تازة ، وهو معدود من القبائل ، وينطق به معربا بحذف همزته (وربة) ، والقبيلة التى تحمل هاذا الاسم تشتمل عى أربعة بطون : أولاد عبو ، وأولاد عيسى ، وأولاد رحمون ، والربيعيين (تيزبيعين) والبطن الأخير ينقسم الى عمارتين : الربيعيين الفوقانيين ، والربيعيين التحتانيين ، والى قبيلة وربة تنسب حوبة الوربية بفاس .

127) الاسم القديم لقرية فاس البالى الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة (قيادة قلعة سلاس — اقليم فاس) .

128) فحص يبعد عن مرسية بضعة أميال ، والمعركة المشار اليها حدثت يوم الجمعة 15 أكتوبر سنة 1164 الموافق 7 ذى الحجة عام 560 هـ .

129) سماه ابن أبى زرع فى الأصل يوسف وذلك غلط منه ، وجعل ثورته عام 561 مع أن قمعها كان فى العام التالى ، فلعل عام 561 هو العام الذى ابتدأت فيه الثورة ، والعام الذى يليه هو الذى قمعت فيه . ينظر عن هاذه الثورة كتاب **المن بالامامة** ص 307 .

130) أعلا جبل بقبيلة غمارة ، يقع بين شفشاون والحسيمة عن شمال الذاهب من الأولى الى الثانية .

وفى سنة خمس وستين وخمسمئة بعث الأمير يوسف أخاه السيد عمر الى بلاد الأندلس برسم الجهاد ، فجاز البحر من قصر الجواز الى طريف فى جيش من عشرين الفا من الموحدين والمتطوعة ، فغزا طليطلة ٠

وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت ، وشرع فى بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام المذكور ٠

وفيها جاز أمير المومنين يوسف الى الأندلس لينظر فى ضبط ثغورها واصلاح أحوالها ولم شعثها ، فوصل الى اشبيلية ، فأقام بها سنة كاملة، وأتاه بها قواد بلاد الأندلس ورؤساؤها وقضاتها وفقهاؤها برسم السلام عليه والتعريف بأحوالهم ، ثم خرج بعد السنة الى الغزو ، فغزا مدينة طليطلة ، وفتح حصونا كثيرة من أحوازها ، وقتل خلقا كثيرا من الروم، وغنم وسبا ، وانصرف الى أشبيلية مؤيدا منصورا ٠

وفى سنة سبع وستين وخمسمئة شرع أمير المومنين يوسف فى بناء الجامع المكرم باشبيلية ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه عبد الرحمان ابن غافر اللبلى ، وذالك فى ذي الحجة حين فرغ من بنائه ٠

وفى هاذه السنة عقد أمير المومنين يوسف الجسر على وادى أشبيلية بالقوارب ، وابتنا قصبتها الداخلة والخارجة ، وبنا الزلاليق للسور ، وبنا سور باب جهور ، وبنا الرصيفين المدرجين بضفتي الوادي، وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله اشبيلية ، وأنفق فى ذالك أموالا لاتحصا ، ثم قفل الى مراكش ، وذالك فى شهر شعبان المكرم من سنة احدا وسبعين وخمسمئة ، فكان جملة مقامه بالأندلس أربعة أعوام وعشرة أشهر وأياما ٠

وفى سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، فتحرك أمير المومنين نحو بلاده ففتحها بأجمعها ، ودان له جميع بلاد شرق الأندلس ورجع الى أشبيلية ٠

وفى سنة ثمان وستين أغزا أمير المومنين يوسف ولده السيد

أبابكر بلاد الروم ، فسار حتى بلغ طليطلة ، فقتل وسبا وأحرق القرا ، فخرج اليه زعيم الروم شانشو خيمينو المعروف بأبى برذعة ، عرف بذالك لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر فكان بينهما قتال عظيم قتل فيه شانشو أبو برذعة وجميع جيشه ، ولم يفلت منهم أحد ، فكان عدد من قتل فى هاذه الغزاة من الروم ستة وثلاثين الفا .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المومنين مدينة كركونة من بلاد شرق الأندلس ، فأوغل فى تلك الناحية يقتل ويسبى ويخرب البلاد بالحرق والهدم وقطع الثمار ونسف الأثار ، ثم قفل الى أشبيلية .

وفى سنة سبعين وخمسمئة تزوج أمير المومنين يوسف صفية بنت محمد ابن سعد ابن مردنيش ، وصنع لها مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه .

وفى سنة احدا وسبعين جاز أمير المومنين الى العدوة ، فدخل مدينة مراكش فى شهر شعبان منها ، فأقام بها الى سنة أربع وسبعين ، فاتصل به ان ابن الرند (١٣١) قام بقفصة من بلاد أفريقية ، فاضطربت لأجل ذالك أفريقية ، فتحرك أمير المومنين اليها فى سنة خمس وسبعين ، فوصل الى أفريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق عليها بالقتال والحصار حتى فتحها وظفر بابن الرند الثائر بها فقتله ، وذالك فى سنة ست وسبعين ، وعاد الى مراكش فدخلها فى سنة سبع وسبعين .

وفى هاذه السنة وفد على أمير المومنين بمراكش أبو سرحان مسعود بن سلطان الرياحي فى جيش عظيم من وجوه رياح برسم الخدمة

وفى سنة ثمان وسبعين خرج أمير المومنين من مراكش لبنيان حصن زكندر (١٣٢) بناه على المعدن الذي ظهر هنالك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمئة ، فيها جاز أمير المومنين

---

131) على بن عبد العزيز المعروف بالطويل من أعقاب بنى الرند أمراء قفصة .

132) **زكندر** : قرية صغيرة بقيادة سكاوة (ايسكاون) من اقليم ورزازات كانت مدينة مزدهرة فى القديم مبنية على معدن للفضة ، ولا يزال بها غار للتعدين مستعملا الى اليوم .

الجواز الثاني برسم الجهاد ، فخرج من حضرة مراكش في يوم السبت الخامس والعشرين من شوال من سنة تسع وسبعين المذكورة (١١ يبراير ١١٨٤ م) ، وكان خروجه على باب دكالة برسم أفريقية ، فلما وصل الى سلا أتاه محمد بن أبى اسحاق من أفريقية ، فأعلمه بهدوئها وسكونها ، فصرف الحركة الى الأندلس ، فتحرك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى القعدة (١٥ مارس) من السنة المذكورة ، فنزل بظاهر البلد ، ثم أقلع عن ظاهر سلا يوم الجمعة التالى له ، فوصل الى مدينة مكناسة يوم الاربعاء السادس لذي الحجة ، فعيد بها عيد الأضحا بخارجها ، ثم ارتحل الى مدينة فاس ، فأقام بها بقية الشهر .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمئة ، فى اليوم الرابع (١٧ أبريل) منها خرج أمير المومنين من مدينة فاس ، فسار حتى وصل سبتة ، فأقام بها بقية شهر محرم ، وأمر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة (١٣٣) ثم قبائل المصامدة ، ثم غمارة (١٣٤) وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر ، ثم جازت جيوش الموحدين والأغزاز ، والرماة ، فلما

---

133) جبل كبير من البربر البتر ، من ولد أجانا أو زانا بن يحيى بن ضريس ، كانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس ووادى الساورة ، ثم طلعت قبائل منهم الى الشمال فغمروا سهول المغرب الأوسط وجباله حتى سمى بهم (وطن زناتة) وتسربت منهم قبائل وبطون فى شرق المغرب الأقصا فغمروه الى جبال تازة .

كانت لزناتة اليد الطولا والزعامة بين قبائل المغرب ، وتسنموا الملك والامارة فيه غير ما مرة ، منهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وبنو مرين ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وملوك مغراوة وبني يفرن .

زناتة قبائل كثيرة عديدة مستقرة بمختلف جهات البلاد المغربية ، بعضها يحمل أسماء يتميز بها وبعضها يحتفظ باسمه الأصلي مثل زناتة القبيلة المجاورة لمدينة فضالة (المحمدية) بالمغرب الأقصا ، وزناتة المستقرة بالسهل الواقع أمام تلمسان قرب نهر تافنا .

134) **غمارة :** من شعب مصمودة من البربر البرانس، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمارة .

وهم فى الواقع شعب متميز ، كانت مواطنه الأصلية على سيف البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسى ، ثم تمتد على السهول الغربية حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن برغواطة فى القديم ، وقد انحسرت هذه المواطن فصارت لا تتعدا الجبل المعروف بغمارة الواقع بشمال المغرب الأقصا شمال مدينة شفشاون ويسكنه من قبائل غمارة : بنى زجل ، وبنى زيات ، وبنى سلمان ، وبنى بوزرة ، وبنى منصور ، وبنى جرير ، وبنى سميح ، وبنى خالد ، وبنى رزين .

كمل الناس بالجواز جاز هو فى أثرهم فى العبيد والدائرة ، وكان جوازه فى يوم الخميس الخامس لصفر (١٧ ماي) من العام المذكور ، فنزل بمرسا جبل الفتح ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ، فسلك منها الى جبل الصوف الى قلعة خولان الى اركش الى شريش الى قبريشة الى اشبيلية ، فلما كان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر نزل فى وادى برتقال ، فخرج اليه السيد ابى اسحاق ولده وفقهاء اشبيلية وأشياخها للسلام عليه ، فبعث اليهم يأمرهم بالوقوف بأاخر المنية حتى يصل اليهم فلما صلا الظهر ركب وجاز اليهم ، فلما قرب منهم نزلوا عن دوابهم ، فوقف اليهم حتى سلموا عن ااخرهم وركبوا ، ثم تحرك الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فوصلها فى السابع من ربيع الأول من سنة ثمانين المذكورة ، فنزل بها وأدار عليها الجيوش والعساكر وشد عليها بالقتال وضيق عليها بالحصار ، وبالغ فى ذالك جهده ، فأقام محاصرا لها مضيقا عليها الى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من ربيع الأول المذكور (٣ يوليوز ١١٨٤ م) فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين الى غربيها ، فأنكر المسلمون ذالك ولم يعلموا له سببا ، فلما جن الليل وصلا العشاء الأخيرة بعث الى ولده السيد أبى اسحاق والى اشبيلية ، فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة الى غزو مدينة لشبونة وشن الغارات على انحائها وان يسير اليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهارا ، فأساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل فى جوف الليل ، وصرخ الشيطان فى محلات المسلمين أن أمير المومنين قد عزم على الرحيل فى هاذه الليلة فتحدث الناس بذالك وتأهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل ، فلما كان قرب الفجر ، أقلع السيد أبو اسحاق وأقلع من كان يليه وتتابع الناس بالرحيل ، فارتحلوا وأمير المومنين مقيم بمكانه لاعلم عنده بذالك ، فلما اصبح وصلا الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله أحدا من أهل محلته الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وخلف محلته من اجل من يتخلف منها من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارا

المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد اقلعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة غير أمير المومنين وعبيده وحشمه وأهل دائرته وتحققوا ذالك من جواسيسهم فتحوا أبواب المدينة وخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي ! الرأي ! أي اقصدوا السلطان ، فضربوا فى محلة العبيد الى ان وصلوا أخبية أمير المومنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها ، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال ، وطعنوه طعنات نافذات ، وقتل ثلاث من جواريه كن قد انصببن عليه حتى طعن ووقع بالأرض ، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الأندلس وتراجع المسلمون ، فقاتلوهم عليه حتى اقلعوهم عن الخباء بالسيف ، واشتد القتال بينهم وتواقفوا ساعة فى قتال شديد ، ثم انهزم أعداء الله ومنح الله عز وجل المسلمين أكتافهم ! فركبوهم بالسيف حتى ادخلوهم المدينة عنوة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف ، واستشهد من المسلمين جماعة ، فركب أمير المومنين والأمر قد فات فيه، وارتحل الناس ولايدرون الى أين ، ثم اهتدوا بالطبول فساروا الى اشبيلية ، فاشتدت به آلامه وطعناته فمات بالطريق ، قاله ابن مطروح ، وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمئة (٢٩ يوليوز ١١٨٤ م) بقرب الجزيرة الخضراء قاصدا للجواز الى العدوة ، فحمل الى تينمل فدفن بها الى جانب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمت حتى وصل مراكش ودفن بتينمل ، وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج وتتصرف الأمور على يديه من يوم طعن والده الى أن مات ، وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة وشهرا واحدا وستة أيام ، وكتم موته حتى وصل مدينة سلا ، فأشهره ، والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره ·

الخبر عن دولـة أمـير المؤمنين يعقـوب

ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن بن علي رحمه الله

هو أمير المومنين ، عبد الله ، يعقوب بن عبد المومن بن علي ·

لقبه المنصور بفضل الله ·

أمه أم ولد كان أهداها سيد راي ابن وزير لأبيه يوسف ·

مولده بقصر جده ، عبد المومن بمدينة مراكش سنة خمس وخمسين وخمسمئة ·

كنيته : أبو يوسف ·

نقش خاتمه : على الله توكلت ·

صفته : كان أادم ، معتدل القد ، أكحل الشعر ، واسع الأكتاف ، أقنا الأنف ، عاري العنفقة ، مدور الوجه ، أفلج ، أعين ، له وفرة تنعقد على جبينه ، جوادا ، شجاعا ، كريما ، شهما ، عالما بالحديث والفقه واللغة مشاركا فى كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا ، محبا فـي العلماء ، معظما لهم صادرا عن رأيهم ، كثير الصدقة ، محبا فى الجهاد مـواظبا عليه ، يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرك بهم ·

أولاده الذكور : أربعة ، ولي الخلافة بعده منهم ثـلاثـة ، محمد الناصر ، وعبد الله العادل ، وادريس المامون ·

وزراؤه : وزراء أبيه ·

أطباؤه : كذالك أطباء أبيه ·

قضاته : أبو العباس ابن مضا القرطبى ، ثم موسا بن عيسا بـن عـمـران ·

أيامه فى الملك : بويع رحمه الله يوم الأحد التاسع عشر لربيـع الأاخر من سنة ثمانين وخمسمئة (٣٠ يوليوز ١١٨٤ م) فى بيعة الخاصة،

وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة المتقدم ذكره الى يوم السبت الثانى من جمادا الأولا من السنة بعينها بويع البيعة العامة ، وتوفي رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقيل ليلة الجمعة فى أاخر الليل بمدينة مراكش ، وحمل الى تينمل فدفن بها ، وسنه يوم توفي أربعون سنة ، فكانت أيام دولته خمسة أالاف يوم ومئتي يوم واثنين وتسعين يوما ، يجب لها من السنين أربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا واربعة أيام .

ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مئة ألف دينار ذهبا من بيت المال ففرقها فى الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب وكتب الى جميع بلاده فى تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال فى أيام أبيه ، وأكرم الفقهاء وراعا الصلحاء والفضلاء وأجرا على أكثرهم الانفاق من بيت المال ، وأوصا ولاته وعماله بالرجوع الى أحكام القضاة ، وتفقد أحوال بلاده ورعيته ، وضبط الثغور وشحنها بالخيل والرجال ، وفرق فى الموحدين وسائر الاجناد أموالا كثيرة .

وكان ذا رأي وعزم ودين وسياسة ، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين ، (الحمد لله وحده) ، فجرا عملهم على ذالك ، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم الدولة وشرفها ، وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبنية حسنة ، صنع الله عز وجل فى أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس ، فكانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطة (١٣٥) حتى تصل برقة وحدها لاترا من يعارضها ولا من يكلمها ، صنع عام الأراك المشهور ، وحصن البلاد ، وضبط الثغور ، وبنا المساجد والمدارس في بلاد أفريقية والمغرب والأندلس ، وبنا المارستان للمرضا والمجانين وأجرا المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ، وأجرا الانفاق

---

135) بلاد نول باللام أو نون بالنون كما هو النطق اليوم من منتهى ارض سوس من اقليم آكدير ، وبها يمر وادى نون المسمى باسمها ، وهو ينبع من الجبال الواقعة خلف قرية الايدالة (تايدالت) ويصب فى المحيط الأطلسى .

على أهل المارستان والجذما والعميان فى جميع عمله ، وبنا الصوامع والقناطر والجباب للماء ، واتخذ عليها المنارات ، وبنا المنازل من سوس الأقصا الى سويقة بني مكتود ، فكانت أيامه زينة للدهر وشرفا لأهل الاسلام ، ولم يزالوا فيها أعزة ظاهرين على العدو قاهرين له .

وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة قتل المنصور أخويه زكرياء ، وعمر ، وقتل عمه سليمان ، وفيها خالفت مدينة قفصة من بلاد أفريقية فخرج اليها المنصور من حضرة مراكش فى ثالث شهر شوال من سنة اثنتين وثمانين المذكورة (الأربعاء ١٧ دجنبر ١١٨٦ م) فوصل اليها وحاصرها حتى فتحها فى سنة ثلاث وثمانين ، فلما فتح قفصة خرج الى غزو عرب أفريقية فهزمهم واستباح حلهم وأموالهم ، وبعد ذالك أتوه طائعين فنقلهم الى المغرب ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمئة .

وفى سنة خمس وثمانين شرع المنصور فى ادخال ساقية مراكش .

وفيها تحرك الى الأندلس برسم غزو بلاد غربها ، وهي أول غزواته للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (١٣٦) الى الجزيرة الخضراء ، وذالك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الاشبونة وأنحائها ، فقطع الثمار وقتل وسبا وأضرم النيران فى القرا وخرق الزرع وبالغ فى النكاية ، وانصرف الى العدوة بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس في آخر رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها أياما ، فتواترت له الأخبار أن الميورقى (١٣٧) قد

---

136) **قصر المجاز** هو قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة أنجرة من اقليم تطوان ، سمي كذالك لجواز جيوش المغرب منه الى الأندلس أيام الحكم الاسلامى ، ويسما أيضا قصر مصمودة ، وهو غير قصر كتامة المسما أيضا قصر عبد الكريم (القصر الكبير الحالي) .

137) يحيا بن اسحاق بن محمد ابن غانية المسوفى الميورقى ، وهو الذي خلف أخاه عليا المعروف بالميورقى المتوفا فى السنة قبلها (584 هـ) .

ظهر فى أفريقية مع قراقوش (١٣٨) غلام بني أيوب ملوك مصر والشام ، فارتحل اليها من مدينة فاس فى الثامن من شعبان من السنة بعينها ، فدخل مدينة تونس فى أول شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ، فوجد أفريقية ساكنة وقد فر عنها الميورقى الى الصحراء حين سمع بقدومه ·

وفى سنة ست وثمانين دخل النصارا مدينة شلب ومدينة باجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس ، وذالك لما علموا أن المنصور قد بعد عنهم واشتغل بأفريقية ، فاغتنموا الفرصة فاتصل الخبر بالمنصور ، فاستعظم ذالك وغاظه ، وكتب الى قواد الأندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو بلاد الغرب ويعلمهم أنه قادم عليهم فى اثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس الى محمد ابن يوسف والى قرطبة ، فخرج بهم فى جيش عظيم من الموحدين والعرب والأندلس حتى نزل شلب فحاصرها وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبى دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع الى قرطبة ، فدخلها بخمسة عشر ألف سبية وثلاثة ءالاف أسير من الروم ، وادخلهم فى القطائن (١٣٩) بين يديه ، جعل خمسين علجا فى كل قطينة ، وذالك فى شوال سنة سبع وثمانين وخمسمئة ·

وفى هاذا الشهر رجع المنصور من أفريقية فدخل مدينة تلمسان ، فأقام بها الى ءاخر سنة سبع المذكورة ·

وفى أول يوم من المحرم من سنة ثمان وثمانين وخمسمئة وهو عام أكرواوا (١٤٠) خرج المنصور من تلمسان الى مدينة فاس وهو مريض ، فكان يركب فى أكرواوا فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى استراح

---

138) هو قراقوش الأرمنى مملوك تقى الدين ، دخل مع طائفة كبيرة من الغز والترك الى المغرب واستولا على طرابلس ودعا للسلطان صلاح الدين الأيوبى وابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه ، وأخباره وأخبار رفيقه القائد ابراهيم بن قراتكين المعظمى الداخل معه الى المغرب طويلة تنظر فى محلها من كتب التاريخ .

139) جمع قطينة قيد أو غل تغل به الأيدى والأرجل ، وملزمة تزير بها الأخشاب المغراة ، وما زالت الكلمة ـ بمعنييها ـ مستعملة فى المغرب الى الآن .

140) المحفة ، المحمل بالبربرية .

من علته ، وارتحل الى مراكش فأقام بها الى سنة احدا وتسعين وخمسمئة فخرج من مراكش الى الأندلس برسم الغزو ، فصنع غزاة الأراك المشهورة

الخبر عن غزاة الاراك وهزيمة الروم بها

وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما طالت غيبة المنصور عن الأندلس بأفريقية وبلاد العدوة واعتراه المرض بها اغتنم العدو الفرصة في بلاد الأندلس لطول تلك الغيبة ، فنال من المسلمين مراده ، وعاث في بلادهم وشن فيها الغارات وشقها بجنوده واخترق جميعها بوفوده ، ولم يجد بها من ينازعه ويحاربه ، ولا رأا من يقف في وجهه ولا من يدافعه ، ولا من يصده عن قصده ، فسار الفونسو الثامن ملك قشتيلة اللعين فيها حتى نزل بظاهر الجزيرة الخضراء ، فكتب منها كتابا الى الأمير المنصور يستدعيه فيه للقتال ، لما أدركه من الاعجاب والاختيال ، يقول فيه :

«باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض ، وصلا الله على السيد المسيح ، روح الله وكلمته السيد الفصيح .

أما بعد ، فانه لايخفا على ذى ذهن ثاقب ، ولا ذى عقل لازب ، أنك أمير الملة الحنفية ، كما انى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واخلادهم الى الراحة (١٤١) وأنا أسوقهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبى الذراري وأمثل بالرجال ، واذيقهم عذاب الهون وشديد النكال ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله تعالا

(141) هاذه العبارة حملت بعض المؤرخين على الاعتقاد بأن هاذه الرسالة موجهة من الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين ، لا من ألفونسو الثامن الى يعقوب المنصور .

فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا فلاتستطيعون دفاعا ، ولا تملكون امتناعا ، وقد حكي لى عنك أنك أخذت فى الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاما بعد عـام ، تقدم رجـلا وتؤخر أخرا ، فلا أدري أكان الحين أبطأبك ، أم التكذيب بوعد ربـك ؟ ثم قيل لى أنك لاتجد الى جواز البحر سبيلا لعلة لايسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك مافيه الراحة لك ، وأعتذر لك وعنك ، على أن نفي بالعهود والمواثيق ونستكثر من الرهان وترسل الي جملة من عبيدك بالمـراكـب والشوانى والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملتى اليك فأقاتلك فى أعـز الأماكن لديك ، فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك ، وهـديـة عظيمة مثلت بين يديك ، وان كانت لى كانت يدى العليا عليك ، واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين ، والله تعالا يوفق للسعادة ، ويسهل الارادة، لارب غيره ، ولا خير الا خيره» .

فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الاسلام ، ثم أمر بقراأته على الوحدين ، والعرب ، وقبائل زناتة ، والمصامدة ، وسائر الأجناد ، فقرىء عليهم فكلهم أنف منه ونعر ، وعزم على الجهاد ، واستعد للسفر ، ثـم دعا المنصور بولده وولي عهده ، فدفع اليه الكتاب وأمره أن يـرد على اللعين الجواب ، فقرأه ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهره :

«قال الله العظيم : ارجع اليهم فلناتينهم بجنـود لاقبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون» . الجواب ما ترا لاماتسمع»

واستشهد ببيت المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم

ورما بالكتاب الى أبيه ، فسر والده بالتوقيع العجيب ، الذى لا يصدر مثله الا عـن عاقـل أريب ، ثم صـرف الرسول بالكتاب ، وأمـر باخـراج

أفراك (١٤٢) والقبة الحمراء والمصحف فى ذالك اليوم ، وأمر الموحدين وسائر الأجناد بالحركة والجهاز الى الجهاد ، وكتب الى أفريقية وسائر بلاد المغرب والقبلة يستنفر الناس الى الجهاد ، فأقبل اليه الناس خفافا وثقالا ، من كل فج عميق ، ومن كل مكان سحيق ، فخرج من حضرة مراكش فى يوم الخميس الثامن عشر من جمادا الأولا سنة احدا وتسعين وخمسمئة يجد السير ويوالى الرحيل ويطوى المراحل ، ولايلوى على فارس ولا على راجل ، والجيوش تتابع فى أثره من جميع الأقطار ، والوفود تقصد نحوه لغزو الكفار ، فلما وصل قصر الجواز أخذ فى تجويز الجيوش ، لايفرغ من تجويز طائفة الا وقد تلاحقت به طائفة اخرا أكثر منها ، فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ، ثم قبائل زناتة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة ، ثم الجيوش المطوعة من قبائل العرب وغيرهم من الأغزاز والرماة، ثم الموحدون ، ثم العبيد ، حتى استوفت الجيوش بالجواز واستقروابساحل الجزيرة الخضراء ، فعند ذالك جاز أمير المومنين فى أثرهم فى جيش عظيم من اشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ، ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه ، فسهل الله تعالا عليه الجواز ، واستقر بالخضراء فى أسرع وقت ، وكان وصوله بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من السنة المذكورة (١ يونيو ١١٩٥ م) ، فأقام بظاهر الجزيرة الخضراء يوما واحدا ونهض نحو العدو قبل أن تكل قرائح المجاهدين وتفسد نياتهم ، فسار بجميع جيوشه الوافرة بنيات خالصة ، وعزائم ماضية غير ناكصة ، فلم يعطف العدو بالرجوع الى بلاده بعدده وعديده الا وقد تواترت عليه الأخبار ، وصحت عنده الانباء والأثار ، بجواز المنصور اليه ، وقدومه لقتاله فى أعز البلاد عليه ، فقعد ألفونسو الثامن اللعين ، بجيوشه وجموعه

I42) دارة كبيرة تشتمل على بيوت وقباب مصنوعة من نسيج الملف والوبر تقام للملوك أثناء تنقلاتهم للنزول بأهلهم ومتاعهم فيها ، وأصل الكلمة عربى (فراق) لأن أفراق يفرق بين الملك وبين مرافقيه فى السفر من وزراء وقواد وجنود .

ينتظره بازاء مدينة الأراك (١٤٢) ، فارتحل أمير المومنين المنصور قاصدا اليه ، ومعولا بحول الله تعالا وقوته عليه ، ولم يدخل بلدا ولم ينتظـــر أحدا ، ولم يلتفت لمن أبطأ ولا لمن قعد ، بل صمم نحوه وقصد ، حتــى بقي بينه وبين مدينة الأراك مرحلتان قريبتان ، فنزل هنالك ، وذالك فــي يوم الخميس الثالث من شعبان المكرم من سنة احــدا وتسعين وخمسمئة (١٣ يوليوز ١١٩٥ م) .

فلما وصل من يومه ذالك جمع الناس وأخذ في شورا المسلمين في كيفية لقائه لأعدائه وأعداء الله الكافرين اتباعا لأمــر الله تعالا واقتداء بسنة رسول الله صلا الله عليه وسلم اذ هي الصفة المحمودة التي مدح الله تعالا بها هاذه الأمة بقوله تعالا : (وأمرهم شورا بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ، وقوله تعالا لنبيه صلا الله عليه وسلم : (وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) الآية ، فدعا أولا أشياخ الموحدين فاستشارهم، ثم أشياخ العرب ، ثم أشياخ زناتة ، ثم أشياخ القبائل ، ثم الأغزاز ، ثــم المطوعة ، كل يقول مايظهر له من القول والرأي ، ويتبينه من النصيحة والاجتهاد للمسلمين ، ويراه رايا وصوابا لــهــم ، ثم دعا أخيرا قــواد الأندلس ، فلما دخلوا عليه سلموا وقعدوا بين يديه ، فكلمهم بما كلم بــه من تقدم قبلهم ، ثم قال لهم : يا أهل الأندلس ، ان جميع من استشــرت قبلكم وان كانوا اولى بأس وشدة ، ومعرفة بالحروب وقوة في الجهاد ونجدة ، لايعلمون من قتال النصارا ماتعلمون ، فانكم المجاورون لهم ، المدربون على قتالهم ، العارفون بخدعهم وأحوالهم ، فقالوا يا أمــيــر المومنين ، رأينا أجمع موقوف على واحد منا قد اتفقنا على تقديمه لدينه، ومعرفته وحسن عقله وتدبيره ، ومعرفته بالحروب ومكايدها وخدعها ، ونصيحته للمسلمين ، فهو لساننا ، وما قال فهو مذهبنا ، على ان رأيكم سدده الله ووفقه أحسن رأي ، وتدبيركم أوفق تدبير ، رضي الله عنكم ،

---

143) محلة صغيرة من أعمال قلعة رباح تقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادى يانه ، تقع غربى مدينة ثيوداد ريال على بعد II كلم منها ، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسما سانطا مرية دى ألاركوس .

وأشاروا بأجمعهم الى القائد الأجل الموفق الصالح أبى عبد الله بن صناديد رحمه الله ، فقربه أمير المومنين بين يديه ، وأقبل بكليته عليه ، ثم سألـه عن قصده ورأيه فى كيفية الحرب واللقاء لهاذا العدو ، فقال له يـا أمير المومنين ان النصارا أهلكهم الله تعالا أهل خدع ومكائد فـى الحروب ، فيجب علينا ان نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه ، ورأينا فى مقاتلتهم — ورأيك الأعلا — أن تقدم لـهـم امامك شيخا من أشياخ الموحـدين المـوصوفين بالشجاعة والدين والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من فى عسكرك من العرب وزناتة والأغزاز والمصامدة وسائر قبائل الغرب من المتطوعة وغيرهم ، وتعقد له رايتك المنصورة ، فيقاتل بهاذا العسكر المبارك عسكر العدو أهلكه الله ودمره ، وتقعد أنت بجيوش الموحدين أنجدهم الله تعالا والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتلة فى موضع خفي ردأ للمسلمين ، فان ظفرنا بعدونا فبفضل اللـه تعالا وبركتك ويمن خلافتك ، وان كان غير ذالك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين ، فتلقا العدو بهم وقد انكسرت شوكته ، وذهبت قوتـه وحدته ، وهاذا رأيي فى ذالك رضي الله عنكم ، فقال له المنصور ، نـعـم والله الرأي ما رأيت ، فلقد وفقك الله تعالا فيما أشرت ، فانصرف الناس الى مضاربهم ، وبات أمير المومنين ليلته تلك وهي ليلة الجمعة الـرابعة من شعبان المذكور فى سجادته راكعا وساجدا ومبتهلا وراغبا الى اللـه سبحانه فى تأييد المسلمين على أعدائه الكافرين ، فلما كان عند السحر غلبته عيناه فنام فى مصلاه قليلا ، ثم انتبه فرحا مستبشرا ، فبعث الـى أشياخ الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه ، فقال لهم انما بعثت لكم في هاذا الوقت لأبشركم بما بشرت به من نصر الله تعالا فى نومي هاذه الساعـة المباركـة بينما أنـا راكـع فى مصلاي اذ غلبتني عيناي ، فرأيت فى نـومي كأن بابا قد فتح فى السماء ، ونزل منه فارس على فرس أبيض حسـن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم علي فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا ملك من ملائكة السماء السابعة ، جئتك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهديـن

الذين أتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله تعالا طالبين ، ثم انشدنى هاذه الأبيات فحفظتها فانتبهت وكأنما نقشت فى قلبي :

بشائر نصر الله جاءتك سافره — لتعلم أن اللــه ينصــر ناصــره

فأبشر بنصر اللــه والفتح انــــه — قريب ، وخيل الله لاشك ظافـره

فتفنى جيوش الروم بالسيف والقنا — وتخلى بـلادا لا تـرا بعد عامره

فأيقنت بالفتح والظفر ان شاء الله تعالا ٠

فلما كان فــى يوم السبت الخامس مــن شعبان المذكــور قعد أمير المومنين فى قبته الحمراء المعدة لقتال الأعداء ، ثم دعا الشيخ الأجل أبا يحيا بن أبى حفص ، وكان من أكبر وزرائه ، وكان بنو حفص فى الموحدين أهل الفضل والتقا والدين ، والى بيتهم عاد فى المشرق أمر الموحدين ، فلما جاءه قدمه على عساكر الأندلس وحشودها والعرب وزناتة والمتطوعة ونشرت على رأسه الرايات وضربت الطبول ، وتقدم بقبيلة هنتاتة ، وقدمبين يديه القائد ابن صناديد بعساكر الأندلس وحشودها ، وعقدلجرمون ابنرياح على جميع قبائــل العرب ، وعقد لمنديل المغراوي عــلــى قبائــل مغــراوة وعقد لمحيو بن أبى حمامة بن محمد على جميع قبائل مرين ، وعقد لتجليدن على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، وعقد لمحمد ابن منغفاد على قبائل غمارة ، وعقد للحاج الصالــح أبــى خرز يخلف الأوربــى (١٤٤) علــى المطوعة ، والكل تحت طاعة أبى يحيا ابن أبى حفص وحكمه ويده ، وبقي أمير المومنين بكافة عسكر الموحدين والعبيد ، ثم أمرهم بالرحيل فتــقــدم الشيخ أبو يحيا بجيوشه والقائد ابن صناديد على مقدمته بقواد الأندلس وفرسانها وحماتها ، فكانوا اذا أقلعت محلة أبى يحيا أول النهار مــن موضع نزلت به محلة أمير المومنين فى عشيته ، حتى أشرف ابــو يحيا بجيوش المسلمين على محلة المشركين دمرهم الله وهي على ربوة عالية

---

144) هو غير أبى خزر يخلف الأوربى الفاسى المتوفا سنة 578 هـ قبل وقوع معركة الأرك بثلاثة عشر عاماً كما سيأتى للمؤلف فيما بعد .

ذات مهاوي وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر بأزاء مدينة الأراك ، فنزل عسكر المسلمين فى الوطا ، وذالك ضحوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٩ يوليوز ١١٩٥ م) ، فعبأ أبو يحيا عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لأمراء القبائل ، لكل أمير راية تلجأ قبيلته اليها ويقفون عندها ، وعقد للمطوعة راية خضراء، وجعل عسكر الأندلس فى ميمنته ، وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب فى مسيرته ، وجعل المطوعة والأغزاز والرماة فى مقدمته ، وبقي هو فى القلب فى قبيلة هنتاتة ، فلما أخذ الناس مصافهم للقتال على هاذا الترتيب العجيب ، ولزمت كل قبيلة رايتها واخذت للحرب عدتـها وأهبتها ، خرج الأمير جرمون ابن رياح أمير العرب يمشى بين صفوف المسلمين ويـقـوي قلوب المجاهدين ويتـلـو هـاذه الأيـات : (يا أيها الذيـن ألمنوا اصبـروا وصابـروا ورابـطـوا واتقوا الله لعلكـم تفلحون) ، (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)، فبينما هم كذالك والعدو أمامهم فى رأس الربوة بجانب الحصن اذ تحرك من جيش العدو دمره الله تعالا عقدة كبيرة من سبعة ألالاف فارس الـى ثمانية ألالاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والـزرد النظيف النضيد ، فدفعت نحو عسكر المسلمين فنادا منادى الشيخ أبى يحيا ابن أبى حفص : معشر المسلمين اثبتوا فى مصافكم ، ولا تزالوا من مواضعكم وأخلصوا لله تعالا نياتكم وأعمالكم ، واذكروا الله عز وجل كثيرا فـى قلوبكم ، فانما هي احدا الحسنيين : اما الشهادة والجنة ، واما الأجر والغنيمة ، ثم خرج عامر الزعيم يجول فى الصفوف ويقول عباد الله انكم حزب الله ، فاثبتوا لقتال أعداء الله ، فان حزب الله هـم المفلحون ، وهم المنصورون وهم الغالبون ، فوصلت تلك العقدة التي دفعت بأجمعها حتى لطمت أطراف رماح المسلمين فى صدور خيلهم أوكادت ، ثم تقهقروا قليلا ، ثم عادوا بالحملة ، فعلوا ذالك مرتين ، ثم تهيأوا للدفعة الثالثة، والقائد ابن صناديد والزعيم العربي يناديان برفع أصواتهما : اثبتوا معشر المسلمين ثبت الله أقدامكم بالعزمة الصادقة ، فدفع النصارا على القلب

الذي فيه أبو يحيا قاصدين اليه يظنون انه أمير المومنين ، فقاتل رحمه الله قتالا شديدا وصبر صبرا جميلا حتى استشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمطوعة وغيرهم ممن ختم الله تعالا له بالشهادة ، وسبقت له من الله تعالا السعادة ، وصبر المسلمون صبرا جميلا ، ورجع النهار بالغبار ليلا ، واقبلت قبائل المطوعة والعرب والأغزاز والرماة ، وأحاطوا بالنصارا الذين دفعوا من كل جانب ، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس وحشودها ، وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر الى الربوة التي فيها ألفونسو الثامن لعنه الله يقاتلون من فيها من جيش الروم ، وكان الفونسو لعنه الله فيها مع جيوش الروم وجميع عساكره وأجناده فيما يزيد على ثلاثمئة الف مابين فارس وراجل ، فتعلق المسلمون بالربوة واخذوا فى قتال من بها فاشتد القتال ، وعظمت الأهوال ، وكثر القتل فى النصارا الذين دفعوا فى الحملة الأولا وكانوا نحو العشرة ألالاف زعيم ، انتخبهم اللعين الفونسو الذميم ، وصلت عليهم الاقسة صلاة النصر ،ورشوا عليهم ماء العمودية في الطهر، وتحالفوا بالصلبان الا يفروا حتى لايتركوا من المسلمين انسانا ، فصدق الله عز وجل وعده ، ونصر جنده ، فلما اشتد القتال على الكفار ، وأيقنوا بالفناء والبوار ، ولوا الأدبار ، وأخذوا فى الفرار ، الى الربوة التي فيها الفونسو ليعتصموا بها ، فوجدوا عساكر المسلمين قد حالوا بينهم وبينها، فرجعوا على أعقابهم ناكصين فى الوطا ، فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاتة والأغزاز والرماة فطحنوهم طحنا ، وأفنوهم عن آخرهم ، وانكسرت شوكة الفونسو بفنائهم ، اذ كان اعتماده عليهم ، وأسرعت خيل من العرب الى أمير المومنين ، وأطلقوا أعنتهم نحوه ، وقالوا له قد هزم الله تعالا العدو ، فضربت الطبول ، ونشرت الرايات ، وارتفعت الأصوات بالشهادة ، وخفقت البنود ، وتسابقت لقتال أعداء الله الأبطال والجنود ، وزحف أمير المومنين بجيوش الموحدين ، قاصدا لقتال أعداء الله الكافرين ، فتسابقت الخيل وأسرعت الرجال ، وقصدوا نحو الكفرة للطعان والنزال ، فبينما ألفونسو الثامن لعنه الله قد هم وعزم ان يحمل

على المسلمين بجميع جيوشه ، ويصدهم بجنوده وحشوده ، اذ سمع الطبول عن يمينه قد ملأت الأرض ، والأبواق قد طبقت الربا والبطاح ، فرفع رأسه لينظر فيها ، فرأا رايات الموحدين قد أقبلت ، واللواء الأبيض المنصور فى أولها عليه : لاالاه الا الله ، محمد رسول الله ، لاغالب الا الله ، وأبطال المسلمين قد تسابقت وجيوشهم قد تناسقت وتتابعت ، وأصواتهم بالشهادة ارتفعت ، فقال ماهاذا ؟ فقيل له هاذا أمير المومنين قد أقبل وما قاتلك اليوم كله الا طلائع جيوشه ، ومقدمات عساكره ، فقذف الله عز وجل الرعب فى قلوب الكافرين ، وولوا الأدبار منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكصين ، وتلاحقت بهم فرسان المجاهدين ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، ويقتفون أاثارهم ، ويحكمون فيهم رماحهم وشفارهم، ويروون من دمائهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحتوف ، وأحاط المسلمون بحصن الأراك وهم يظنون أن الفونسو لعنه الله قد تحصن فيه، وكان عدو الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الأخرا ، فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة ، وأضرموا النيران فى أبوابه ، واحتووا على جميع ماكان فيه وفى محلة النصارا من الاموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية ، وقتل فى هاذه الغزاة من الكفرة ألوف لاتعد ولا تحصا ، ولايعلم لها أحد عددا الا الله تعالا ، وأخذ فى حصن الأراك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا ، فامتن عليهم أمير المومنين واطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذالك الامتنان ويد عليا عليهم ، فعز فعله ذالك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك ، وكانت هاذه الغزاة الكريمة والوقعة العظيمة يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٨ يوليوز سنة ١١٩٥ م) .

وكان بين غزاة الأراك هاذه وغزاة الزلاقة مئة سنة واثنتا عشرة سنة ، والأراك من الغزوات المذكورة المشهورة فى الاسلام ، وهي غزاة جرت على أيدي الموحدين أعز الله تعالا بها الاسلام وعلت كلمته ، وكتب المنصور بالفتح الى جميع بلاد الاسلام التي تحت يده ، من الأندلس

والعدوة وأفريقية ، وأخرج خمس الفيء ، وقسم الباقي على المجاهدين ، ثم سار بجيوشه فى بلاد النصارا يخرب المدن والقرا والحصون ، ويغنم ويسبى ويقتل ، ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ، ثم عطف راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين بالغائم ، ولم يعارضه من الروم معارض ، حتى وصل الى اشبيلية فدخلها وشرع فى بناء جامعها الكبير ومنارها العظيم

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، فيها خرج أمير المومنين الى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادى الحجارة ومجريط وجبلسليمان واقليج وكثيرا من أحواز طليطلة ، ونزل على طليطلة وبها الفونســـو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق ارباضها ، وهتكها ونصب عليها المجانيق ، ثم ارتحل عنها الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف، فلم يحي أحد من رجالها ، وسبا نساءها وغنم أموالها ، وحرقها وهـــدم أسوارها وتركها قاعا صفصفا ، ورجع الى اشبيلية بعد ان فتح الحصون الكثيرة ، وفتح البلاط وترجالة ، فدخل اشبيلية في غرة صفر من سنةثلاث وتسعين وخمسمئة ، فأخذ فى اتمام بناء الجامع وتشييد مناره ، وعمل التفافيح من أملح مايكون ، ومن أعظمه ، لا أعرف لها قدرا الا ان الوسطا منها لم تدخل على باب المؤذن حتى قلع الرخام من أسفله ، وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون ربعا من حديد ، وكان الذي صنعها ورفعها فى أعلا المنار المعلم أبو الليث الصفار ، موهت تلك التفافيح بمئة الف دينار ذهبا ، وكان لما جاز الى الأندلس لغزاة الأراك المذكورة أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بازاء القصبة ، وصومعته ، وبناء منار جامع الكتبيين ، وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، وبناء جامـــع حسان ومناره ٠

ولما كمل جامع اشبيلية وصلا فيه أمر ببناء حصن الفرج على وادي اشبيلية وارتحل الى العدوة فوصل الى مراكش في شعبان سنة أربـــع وتسعين ، فوجد كل ما أمر به من البناء قد تـم ، مثل القصبة والقصور والصوامع ، وأنفق فى ذالك كله من أخماس غنائم الروم ٠

وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا ذالك واكتفلوه ،

وقيل له انهم أكلوا المال وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم ، فلما دخله أمير المومنين أعجبه وسر به ، فسأل عن عدة أبوابه ، فقيل له انها سبعة والباب الذي يدخل منه أمير المومنين هو الثامن ، فقال عند ذالك لاباس بالغالي اذا قيل حسن ، وفرح به غاية .

ولما وصل أمير المومنين الى مراكش واستقر بها أخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر لدين الله ، فبايعه كافة الموحدين ، وبويع له في جميع أقطارهم وبلادهم وطاعتهم ، وكانت طاعته قد عمت بلاد الأندلس بأسرها والمغرب كله وأفريقية من طرابلس الى بلاد نول من السوس الأقصا الى الصحراء من بلاد القبلة ، ومابين هاذه البلاد من القرا والحصون والمعاقل والمدن والجبال والأودية وأهل العمد من عرب وبربر كلهم كانوا مذعنين طائعين لأمره منقادين لاحكامه ، يجلبون له من خراجهم وزكاتهم وأعشارهم ويخطبون له على منابرهم .

فلما تمت البيعة لمحمد الناصر وقعد في محل الخلافة وجرت الأحكام والأوامر باسمه وعلى يديه في حياة أبيه دخل المنصور الى قصره فلزمه وبدأه المرض الذي توفي منه .

ولما اشتد به المرض قال ماندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاثوددت اني لم أفعلها :

أولها : ادخال العرب من أفريقية الى المغرب لأني أعلم أنهم أصل فساده ، والثانية : بنائي رباط الفتح ، أنفقت فيه من بيت المال وهو صعيد لايعمر ، والثالثة : اطلاقي أسارا الأراك ، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .

وتوفي المنصور رحمه الله بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة (٢٢ يناير سنة ١١٩٩ م) بقصبة مراكش والبقاء لله وحده لارب غيره ولا معبود سواه .

وكان المنصور رحمه الله أجل ملوك الموحدين وأكثرهم صيتا وأحسنهم في الأحوال كلها ، ولي والملك قد تمهد واتسق ، والمال قد توفر ،

وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتيـن ، والسير الحسنة فى المسلمين ، رحمه الله تعالا بمنه ، وأباحه بحبوحة عدنه ، انه غفور رحيم ، جواد كريم ·

الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر

ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي

رحمهم الله تعالا

هو أمير المومنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بـن علي الزناتي الكومى الموحدي ·

أمـه حـرة اسمها أمـة الله بنت السيـد أبـى اسحاق بـن عبد المومن بن علي ·

لقبه : الناصر لدين الله ·

نقش خاتمه : على الله توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل ·

علامته فى الأوامر : الحمد لله وحده ·

صفته : أبيض ، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدعـج وافر اللحية كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لاتكاد تصله الأمـور الا بعد الجهد ، مصيب برأيه ، مستبد فى أموره وتدبير مملكته بنفسه ·

وزراؤه : ابن الشهيد ، وابن منشا ·

حاجبه : وزير الأكبر أبو سعيد ابن جامع استبد بالوزارة والحجابة،

وبويع الناصر فى حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وأخذت له البيعة فـى جميع أقطار طاعة الموحدين ، ودعـي لـه على المنابـر ، فاقام بحضرة مراكش بقية شهر ربيع الأول وربيع الثانى ، وخرج فى أول جمادا الأولا

من سنة خمس وتسعين المذكورة قاصدا الى مدينة فاس ، فأقـام بها وبنا قصبتها وأسوارها الى سنة ثمانية وتسعين ، فوردت عليه الأخبار مـن أفريقية أن يحيا الميورقى قد غلب على كثير من بلادها ، فخرج الناصر من مدينة فاس قاصدا الى أفريقية ، فوصل الى جزائر بنى مزغنة فأخذ فـي تجهيز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من أيدي المرابطين ، وكان فتحها فى ربيع الأول من سنة ستئمة ، ووصـل أهلها الى أمير الومنين الناصر فسلموا عليه وبايعوه فعفا عنهم ووصلهم على قدر طبقاتهم ، وتكلم اليهم بالجميل ، وقدم على قضاء ميورقة الامام المحدث عبد الله ابن حوط الله ، وارتحل محمد الناصر فى بلاد أفريقية فتطوف على جميع أقطارها وتفقد أحوال أهلها ، وفر الميورقى أمامه حتى دخل الصحراء وارتحل الى المهدية وقد أطاعه جميع من كان خرج عليه بأفريقية دون قتال الا المهدية وحدها ، فان واليها امتنع فيها ، وكان قـد ولاه اياها يحيا الميورقى حين غلب عليها ، وكان هاذا الوالي حاجا الا أنه كان شهما عالما بوجوه الحرب ومكايده ، فنزل عليه الناصر بظاهـر المهدية وحاصره بها برا وبحرا ، ونصب عليه المجانيق والرعادات ، وكانت قبائل الموحدين وحشود العرب يتناوبون قتالها مع ساعات الليل والنهار ، فأظهر بها هاذا الحاج المذكور من مكايد الحرب وخدعه مايقصر عـنـه الوصف ، فحاصره الناصر مدة طويلة وأشهرا عديدة ، وكان الموحدون يسمونه الحاج الكافر (١٤٥) ، ونصب عليه الناصر منجنيقا كبيرا لـم يعمل مثله عظما يرمى مئة ربع ، فرما البلد به فوقع الحجر من المنجنيق فى وسط دقة باب المدينة ، فطوا وسطها والدفة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج أخضر ، وفى مواضع الشرافات تماثيل أسد من نحاس أصفر ، فلما رأا ذالك الحاج والى المدينة علم أنه لاطاقة له بضبطها ولا بمدافعة أمير المومنين ، فبايعه وأسلم اليه البلد ، فأمنه الناصر وأكرمه

---

145) اسمه على بن غازى بن محمد بن على ابن غانية ، اشترط على الموحدين قبل تسليم المهدية الاذن له بالالتحاق بابن عمه ، فقبل شرطه ومضا لحال سبيله ، ثم بدا له فعاذ اليهم وصار من خيرة رجالهم وقوادهم ، واستمر فى الخدمة حتى مات شهيداً فى وقعة العقاب سنة 609 هـ .

اكراما عظيما ، وأنزله منزلة رفيعة وذالك لما رأا منه من مراعاته لصاحبه واجتهاده فى حقه ، وأمر الموحدين ان يسموه الحاج الكافي ٠

وكان فتح المهدية سنة اثنتين وستمئة (١٤٦) ٠

وفى سنة اثنتين وستمئة ، ولا أمير المومنين الناصر الشيخ عبد الواحد بن أبى بكر ابن أبى حفص جميع بلاد أفريقية ، وارتحل الى المغرب، فلما وصل وادي شلف خرج عليه يحيا الميورقى فى جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة ، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه الميورقى هزيمة عظيمة ، وذالك يوم الاربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمئة (٢٤ اكتوبر سنة ١٢٠٩ م) ٠

وفيها أمر امير المومنين ببناء مدينة وجدة ، فشرع فى بنائها فى شهر رجب من السنة المذكورة ٠

وفيها بني السور على المزمة (١٤٧) من بلاد الريف وبنيت قصبة بادس ٠

وفى شوال من سنة أربع المذكورة خرج أمير المومنين من مدينة فاس الى حضرة مراكش بعد ان أمر بعمل السقاية بعدوة الأندلس منها ، وجلب اليها الماء من عين بخارج باب الحديد ، وبنا الباب الجوفي المدرج الذي بالصحن عن جامع الأندلس شرفه الله بذكره ، وأنفق فى ذالك أموالا كثيرة من بيت المال ٠

وفيها بنا مصلا عدوة القرويين وأمر أن لايصلا بمصلا الأندلس ، فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بالأندلس والقرويين كما كانوا بعد ان شهد أنها قديمة ، فأقام الناصر بمدينة مراكش سنة خمس وستمئة وسنة ست بعد ، فاتصلت به الأخبار من الأندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتيلية لعنه الله يفتك فى بلاد الاسلام

---

146) فى الأصل سنة احدا وستمئة ، والصواب أن تسليم المهدية للموحدين وقع يوم 27 جمادا الأولا عام 602 (11 يناير سنة 1206 م) .

147) فى الأصل المدينة .

ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبى النساء والأموال ، فاستغاث أهلها بالناصر أمير المومنين ، فاخذ فى الحركة للجهاد ، وفرق الأموال على القواد والأجناد ، وكتب الى جميع بلاد المغرب وأفريقية وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكافرين ، فأجابه خلق كثير ، والزم كل قبيلة من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد ، فقدمت عليه الجيوش من سائر الأمصار ، وسارع الناس نحوه خفافا وثقالا من الأفاق والأقطار ، فلما تكاملت لديه الوفود ، واستوفت عليه الجنود والحشود ، خرج من حضرة مراكش فى يوم السبت عشرين (١٤٨) من شعبان المكرم سنة سبع وستمئة (٥ يبراير ١٢١١ م) فسار حتى وصل الى قصر الجواز فنزل فيه وأخذ فى تجويز الناس ، فأقام بقصر الجواز يجوز العساكر والقبائل والخيل والعدد من أول شهر شوال الى أاخر شهر ذي قعدة من سنة سبع وستمئة ، فلما تكامل المجاهدون بالجواز جاز هو فى اثرهم ، فنزل بساحل طريف ، وذالك فى يوم الاثنين الخامس والعشرين لذي قعدة المذكورة ، فتلقاه هنالك جميع قواد بلاد الأندلس وفقهائها وصلحائها ، فسلموا عليه ، وأقام بطريف ثلاثة أيام ، وارتحل الى اشبيلية فى جيوش لاتحصا وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر ، وضاق بهم المتسع والنجد والغور ، فأدرك الناصر الاعجاب لما رأا من كثرة جنوده ، فقسم الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ، والمطوعة فرقة وكانوا مئة وستين الفا مابين فارس وراجل ، وقواد الأندلس وحشودها فرقة ، والموحدين فرقة ، وأمر كل فرقة ان تنزل ناحية ، فوصل الى اشبيلية فى السابع عشر من ذي حجة من سنة سبع المذكورة (٢ يونيو) ، فأقام بها واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ، ووقع خوفه فى قلوب ملوكهم ، واخذوا فى تحصين بلادهم ، واخلاء ماقرب من المسلمين من قراهم وحصونهم ، وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه ، وجاءه منهم

---

148) فى الأصل فى التاسع لشعبان ، والصواب ما أثبتناه .

ملك بيونة (١٤٩) مستمسلما خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه .

ولما سمع هاذا اللعين بدخول أمير المومنين الى اشبيلية أدركه الخوف فبادر الى المداراة عن نفسه ، وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه فى القدوم بجملته عليه ، فأذن له أمير المومنين فى الوصول ، وكتب الى كل بلد من بلاد الأندلس هي على طريق هاذا اللعين اذا مر بهم أن يضيفوه ثلاثة أيام ، فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابع يحبسون بها عندهم من جنسه ألف فارس ، فخرج هاذا اللعين من قاعدة ملكه بيونة قاصدا ودخيلا الى أمير المومنين ، فكان اذا وصل بلدا فى بلاد المسلمين تلقاه قوادها وأجنادها ، وبرز اليه أهلها فى أكمل عدة وأحسن هيأة وأضافوه ثلاثة أيام خير ضيافة، فاذا كان يوم رحيلهم حبسوا له ألف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذالك به الى ان وصل مدينة قرمونة ، ولم يبق معه من جيشه غير الف فارس ، فأقام فى ضيافة أهلها ثلاثة أيام ، فلما أراد الرحيل فى اليوم الرابع حبست الألف فارس الباقية معه ، فقال لقوادها كيف تمسكونها ولم يبق لى مع من أسير غيرها ، قالوا له تسير فى ذمة أمير المومنين وتحت ظلال سيوفه ، فخرج لعنه الله من قرمونه فى خاصته وزوجته وخدامه وهديته التي قدم بها الى الناصر ، وقدم بين يديه كتاب النبي صلا الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع له به ويعلمه ان الملك عنده موروث كابرا عن كابر ، فكان هاذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطيبا فى حلة خضراء فى وسط صندوق من ذهب مملوأا مسكا تعظيما له واجلالا لحقه ، وأمر امير المومنين محمد الناصر أن يجعل له بروز من باب مدينة قرمونه الى باب أشبيلية ، فاصطفت الخيل والرجال أمامها عن اليمين والشمال صفين بالثياب الحسنة والعدة الكاملة والسيوف المصلتة والرماح المشرعة والقسي المأثورة من قرمونه الى اشبيلية أربعين ميلا او

---

149) لعل الذى قدم على الناصر لاشبيلية هو ملك بنبلونة لابيونة ، ينظر عن هاذه المسالة كتاب **تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين** تاليف الأستاذ محمد عبد الله عنان 2 : 290 .

نحوها ، فخرج ملك بيونة يمشى تحت ظلال سيوف المسلمين ورماحهم ، فلما قرب من اشبيلية أمر أمير المومنين الناصر بالقبة الحمراء ان تضرب له بخارج المدينة مما يلى قرمونه ، ويجعل له فيها ثلاث مراتب ، ثم سأل عمن يحفظ لسان العجمية من القواد ، فقيل له أبو الجيوش عساكر ، فأمر باحضاره ، فحضر بين يديه ، فقال له ياأبا الجيوش : ان هاذا الكافر قد قدم علي ولا بد من اكرامه ، فان قمت له من مجلسى اذا دخل كنت قد تذممت وخالفت السنة فى قيامي لرجل كافر بالله تعالا ، وان قعدت ولم أقم له كنت مقصرا في حقه وهو ملك كبير وضيف وارد ، ودخيل قاصد ، ولكنى ءامرك أن تقعد فى المرتبة التي فى وسط القبة ، فاذا دخل العلج من باب القبة دخلت أنا من الباب المقابل ، فتقوم أنت فتأخذ بيدي فتقعدني عن يمنيك ، وتأخذ بيده أيضا فتقعده عن شمالك ، ثم تكون بعدها تترجم بيننا ، فقعد القائد أبو الجيوش فى وسط القبة ، فلما دخلا عليه أقعد الناصر عن اليمين ، وملك بيونة عن الشمال ، ثم قال له هاذا أمير المومنين ، فسلم عليه ، ثم تكلما بما يجب وتحدثا مليا ، ثم ركب أمير المومنين وركب أمير بيونة متأخرا عنه قليلا ، وركب الموحدون وجيوش المجاهدين وحشر الناس ضحا ، وصنع أهل اشبيلية بروزا عظيما ، وكان عندهم من الأيام المشهورة ، فدخل الناصر اشبيلية وملك بيونة على أثره قريبا ، فأنزله بداخل المدينة ، وأعطاه تحفا وصالحه صلحا مؤبدا مادامت مدة الموحدين ، ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه ، وخرج الناصر فى أثره قاصدا لغزو بلاد قشتيلية ، وذالك فى أول يوم من صفر سنة ثمان وستمئة (الجمعة ١٥ يوليوز ١٢١١ م) فسار حتى نزل حصن شلبطرة وهو حصن عظيم على رأس جبل عال قد تعلق بعنان السماء ، ليس له مسلك الا طريق واحد فى أوعار ومضايق ، نزل عليه وأدار به الجيوش وأخذ فى قتاله ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ولم يقدر منه على شيء ، وكان وزيره أبو سعيد ابن جامع لم يكن شريف النسب فى الموحدين ، فلما ولي حجابة الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف منهم حتى فر من بساط محمد

الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو ورجل معدل يعرف بابن منشا ، فكان الناصر لايقطع أمرا الا بمشورتهما ، فلما مر الناصر بهذا الحصن يريد قشتيلية تعجب من منعته ، فقالا له يا أمير المومنين لاتجاوزه حتى تفتحه فيكون أول الفتح ان شاء الله ، فيقال انه أقام على ذالك الحصن حتى عشش الخطاف فى خبائه وباض وأفرخ وأطار أفراخه ، من طول مقامه ، فأقام على ذالك الحصن ثمانية أشهر ، ودخل فصل الشتاء واشتد البرد وقلت العلوفات ، وفنيت أزواد الناس ونفذت نفقاتهم وكلت عزائمهم ، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد، وقنط الناس من المقام وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار ، فلما تحقق عدو الله الفونسو الثامن ذالك وعلم ان شوكة المسلمين قد انكسرت والحدة التي قدموا بها قد خمدت انزعج لطلب الثأر ، ورفع صلبانه فى جميع بلاد الكفار ، فجاأته ملوك الروم فى جيوشهم مستعدين غاية الاستعداد ، قد شمروا للطعان والجلاد ، وأقبل نحوه عباد سانطامرية وأظهروا حمية الجاهلية ، فلما استوفت لدى الفونسو الثامن جيوشه وحشوده ، وتكاملت لديه وفوده ، أقبل فى جيوشه حتى نزل ثغرا من ثغور المسلمين يسما قلعة رباح ، كان فيها القائد الأجل المشهور ، البطل الشجاع المذكور ، أبو الحجاج ابن قادس فى سبعين فارسا من أنجاد المسلمين يضبط بهم ذالك الثغر ، فحاصره وشرع فى قتاله ، وضيق عليه تضييقا كثيرا ، وابن قادس صابر لقتاله يبعث فى كل يوم كتابا الى أمير المومنين محمد الناصر يعلمه بحاله ، ويستنصره على أعدائه ، وهو على شلبطرة ، فكانت كتبه اذا وصلت الى الوزير حبسها ولم يطلع أمير المومنين عليها ليلا يقلع عن الحصن قبل ان يفتحه ، وكان ذالك غشا منه لأمير المومنين محمد الناصر ولجميع المسلمين ، فانه لم يكن يخبره بشيء من أخبار بلاده ولا من أمور رعيته ، ويخفى عنه مهمات الأمور التي لاينبغى أن يغفل عنها ولا يتهاون بها ، فلما طال الحصار على ابن قادس ونفد ماكان عنده بالحصن من الأقوات والسهام ويئس من الاغاثة وخشي

أن يدخل الحصن على من به من المسلمين (١٥٠) فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدو وسار ابن قادس الى أمير المومنين تبعه صهره وكان مثله فى النجدة ، فعزم عليه ابن قادس أن يرجع ويتركه يمشـــى وحده ، وقال له : ارجع فانى والله مقتول لامحالة ، ولا أعيش بعدهـا أبدا ، لكنى بعت نفسى من الله تعالا بسلامة من كان فى الحصن مـن المسلمين ، فأبا أن يرجع ، وقال له لاخير فى الحياة بعدك ، فلما وصلا الى محلة الناصر تلقاهما قواد الأندلس يسلمون عليهما ، فاتصل خبرهما بابن جامع الوزير ، فخرج اليهما مسرعا وأمــر العبيد أن ينزلوهــما بالعنف ، فأنزلا ، وكتفا ، وقال لايدخل على أمير المومنين فاجر ، ثم دخل فأغرا الناصر بهما حتى أمر بقتلهما ، فخرج فأمر عليهما بالرماح فقتلا فى الحين ، فجمد الناس عند قتلهما وحقدوا على محـمـد الناصـر ، وفسدت نيات قواد الأندلس ، ثم خرج الوزير ابن جامع الى مخيم الساقة فأمر باحضار قواد الأندلس ، فأحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا مـن جيش الموحدين فلاحاجة لنا بكم كما قال الله تعالا (لو خـرجـوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم) ، وسننظر بعد هاذه المقابلة فى أمر كل فاجر ، فلما سمع محمد الناصر باقبال الفونسو الثامـن وتملكه قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذالك عليه حتى امتنع مـن الطعام والشراب حتى مرض من شدة ماتغير لذالك ، ثم شرع فى قتال شلبطرة وبذل الأموال الجليلة فى حقها حتى فتحها صلحا ، وذالك فـى آخر ذي حجة من سنة ثمان وستمئة .

فلما سمع الفونسو الثامن ان محمد الناصر قد فتح شلبطرة تحرك نحوه بجميع من كان معه منملوك الروم وحشودهم ، فاتصل خبر قدومه بالناصر فقصد الى قتاله بجيوش المسلمين ، فالتقا الجمعان بموضـــع يسما بحصن العقاب ، فكانت المقابلة به ، فضربت القبة الحمراء المعدة لقتال الأعداء على رأس ربوة ، وأتا الناصر حتى نزل بها وقعد علـــى

---

150) الجملة غير تامة ، تمامها (قرر اخلاءه) أو نحوها .

درقته وفرسه أمامه ، ودارت العبيد بالقبة من كل نـاحية كلهم بالسلاح والعدة ، ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابـى سعيد ابن جامع ، فاقبلت اليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر ، فتلقاهم المتطوعة وحملوا عليهم أجمعين ، وكانوا مئة وستين الفا فقاموا فى صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبرا جميلا ، واستشهد المتطوعة عن آخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقواد الأندلس ينظرون اليهم لم يتحرك منهم أحد ، فلما فرغ الروم من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكـر الموحدين والعرب حملة منكرة ، فلما انتشب القتال بين الفريقين فر قواد الأندلس وحشودها لما كانوا حقدوا فى قلوبهم من قتل ابن قادس وتهديد ابن جامع وطرده اياهم ، فلما رأا الموحدون والعرب وقبائل العرب ان المطوعة قد قتلـوا وجيوش الأندلس قد فروا وكثر القتل فيمن بقي وتكاثـرت عليهم الـروم انهزموا أمامهم ، وانكشفوا عن محمد الناصر ، وركبهم الروم بـالسيف حتى وصلوا الى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم ، فوجدوها كالبناء المرصوص ، فلم يستطيعوا دخولها ، فردوا أكفال الخيل المدرعة الى رماح العبيد وهي مصوبة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعـد على درقته أمام خبائه يقول صدق الرحمان ، كذب الشيطان ! وهو فـى مكانه لايتزحزح حتى كادت الروم ان تصل اليه ، وقتل حوله من عبـيـد الدائرة مايزيد على عشرة آلاف عبد ، فاقبل اليه أعرابى على فرس انثا فقال له الى متى قعودك يا أمير المومنين ؟ قد نفذ حكم الله وتم مـراده وفني المسلمون ، فحينئذ قام الى جواد سابق كان أمامه ليركبه ، فنزل الأعرابى عن الفرس التي كان عليها وقال له اركب هاذه الحرة فانـهـا لاترضا بعار ، فعل الله عز وجل ان يسلمك عليها ، فان فى سلامتك الخير كله ! فركبها وركب العربي جواده ، وتقدم أمامه فى كبكبة عظيمة مـن العبيد دائرة بهم ، والروم فى أعقابهم ، وبقي القتل فى المسلمين الـى الليل ، وتحكمت فيهم سيوف الروم فاستأصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم الا الواحد فى الألف ، ونادا منادي ألفونسو الثامن أن لا أسر

الا القتل ، ومن أتا بأسير قتل هو وأسيره ، فلم يأسر العدو فى هاذه الوقعة أحدا من المسلمين ، وكانت هاذه الكائنة المهمة والرزية العظيمة يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة تسع وستمئة (١٦ يوليوز ١٢١١ م) فذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة ، ولم تنصرلهم راية بها ، فاستطال العدو عليها فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها حتى كاد أن يملك جميعها لولا أن الله عز وجل تداركها بجواز أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه ، فأحيا ذمارها وأقام منارها وغزا بلاد الكفرة فدمرها ·

ولما فرغ ألفونسو الثامن لعنه الله من وقعة العقاب سار الى مدينة أبذة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلم يحي فيها ذكرا كبيرا ولا صغيرا ، ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلدا بعد بلد حتى استولا على جميع قواعدها ولم يبق بأيدي المسلمين منها الا النزر اليسير ، ولم يوقفهم على أخذ تلك البقية الا حماية الله عز وجل لها على يد الدولة المرينية خلد الله ملكها ، ويقال انه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخول أبذة أحد الا مات فى تلك السنة بعينها ·

ولما وصل محمد الناصر من هزيمة العقاب قدم الى اشبيلية فدخلها فى العشر الأواخر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان الناصر قد أدركه الاعجاب فى هاذه الغزاة واغتر بكثرة جنوده وتوافر جيوشه وحشوده ، لأنه اجتمع فى تلك الحركة من المقاتلين خيلا ورجالا مالم يجتمع لملك قبله ، عد فى عسكره من المتطوعة مئة وستون الفا بين فارس وراجل ، ومن الرجال المحشودين ثلاثمئة ألف راجل ، ومن العبيد الذين يمشون بين يديه بالحراب ويدورون حوله ثلاثون الف عبد ، ومن الرماة والأغزاز عشرة ألالاف ، دون المرتزقة من الموحدين وزناتة والعرب وغيرهم ، فاعتمد على كثرة جنوده ، وظن أن لاغالب له من الناس ، فأراه الله عز وجل تلك الأاية ليعلم أن النصر من الله عز وجل ، وان القدرة والحول والقوة بيد الله سبحانه وتعالا ·

ولما وصل الناصر لمراكش عند انصرافه من العقاب أخذ البيعة لولده

السيد يوسف الملقب بالمستنصر ، فبايعه كافة الموحدين ، وخطب له فـي جميع منابرهم ، وذالك فى العشرة الأخيرة من ذي الحجة من سنة تسع وستمئة المذكورة ، فلما تمت له البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب فيه عن الناس ، وانغمس فى لذاته ، فأقام فيها مصطبحا ومغتبقا الى شهـر شعبان المكرم من سنة عشرة وستمئة ، فـمـات مسموما بأمر وزرائه ، دسوا اليه من سمه من جواريه فى كأس خمر فمات من حينه ، لأنه كان قد عزم على قتلهم فعاجلوه قبل ذالك ، فكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة المذكورة (٢٢ دجنبر سنة ١٢١١ م) بقصره من قصبة مراكش ، فكانت أيام دولة خمسة االاف يـوم وأربعمئة يـوم وواحـدا وخمسين يوما ، يجب لها من السنين خمس عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، أولها يوم الجمعة الثانى والعشرون لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وهو الذي بويع فيه بعد وفاة أبيه ، وأاخرها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو الذي توفي فى غرته •

الخبر عن دولـة أمير المومنين يوسـف المنتصر بالله

ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المومن بن علي رحمهم الله

هو أمير المومنين يوسف بن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن •

لقبه : المنتصر بالله •

كنيته : أبو يعقوب •

صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ، أقنا الأنف ، سبط الشعر •

كتابه : كتاب أبيه .

وزراؤه : أعمامه ، وهم الذين كانوا يدبرون الدولة مع الأشياخ ، لأنه كان حين بويع صغير السن كما راهق الحلم ، لاحكمة له ولا تجربة ولا معرفة بالأمور ، فأقام أشياخ الموحدين دولته مع أشياخ من أعمامه ، فاستقرت خلافته لأجل ذالك ، ولم ينازع عليها ، ولم يغز فى أيامه ولم يقدر عليه ، وكانت أوامره لاتمتثل ، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه ، واستبد فيه بأمره ، فضعفت دولة الموحدين فى أيامه ، واعتراها النقص وأخذت فى الادبار ، الا أن أيامه كانت أيام هدنة ودعة وعافية ، فلما كبر واستقل بأمره ونهيه واستبد بملكه فرق أعمامه من حواليه الذين كانوا يدبرون أمر دولته وأقاموها وأشياخ الموحدين الذين أسسوها ، وقرب أناسا لم يكن لهم أصل فيها ، فبعث الى الأندلس عمه محمد بن يعقوب المنصور وولاه بلنسية وشاطبة ، وولا عمه عبد الله بن يعقوب المنصور مرسية ودانية وأحوازهما ، وبعث معه الشيخ عبد الرحمان بن برجان وكان من أشياخ الموحدين ودهاتهم ، وبعث عمه ادريس الكبير الى أفريقية لمدافعة الميورقى ، وادريس هو الذي بنا البرجين اللذين على باب المهدية وحصنها ، وهو الذي بنا برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها فى حياة أبيه ، فأقام بأفريقية مدة ثم عزله عنها وولا مكانه الشيخ عبد الله ابن أبى حفص .

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبى دانس (١٥١) وهي من الهزائم الكبار التى تقرب من هزيمته العقاب ، لأن العدو كان قد نزل قصر أبى دانس وحاصره فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وجنود بلاد غرب الأندلس بأمر أمير المومنين يوسف المنتصر لاعانته واستنقاذه فساروا نحوهم فلم تجتمع العين بالعين الا والمسلمون قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الأدبار وأخذوا فى الفرار لما سبق لهم من الرعب فى هزيمة العقاب ، لأن العدو كان قد تكالب وقوي واستأنس ،

---

151) اسمه بالبرتغالية الكصير دوسال .

فركبهم بالسيف وقتلوهم عن آخرهم ورجع الفونسو الثانى ملك البرتغال الى قصر أبى دانس فحاصره حتى دخله بالسيف فقتل كل من به من المسلمين ٠

وفى سنة عشرين وستمئة توفي أمير المومنين يوسف بمراكش ، وكانت وفاته فجأة ضربته بقرة بقرنها على قلبه فمات من حينه لأنه كان مولعا بالبقر والخيل ، كان يوتا بالبقر من الأندلس فيستنتجها فى رياضه الكبير من حضرة مراكش ، فخرج فى عشي اليوم الذي توفي فيه لينظر اليهم ، وكان قد ركب فنيشا فمشا به بين البقر فقصدت اليه بقرة منهن كانت شرودة فضربته فمات ، وذالك فى عشي يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة (٦ يناير سنة ١٢٢٤ م) ، وتوفي ولم يعقب الا حملا من جارية ، ولم يخرج من حضرة مراكش طول خلافته الى أن توفي وكانت أوامره لايمتثل أكثرها لضعفه وليانته وادمانه على الخلاعة وركونه الى اللذات وتفويضه أمر مملكته ومهمات أموره الى السفلة ٠

أيامه فى الملك ثلاثة ألاف يوم وستمئة يوم وخمسة وعشرون يوما، لها من السنين عشرة أعوام وأربعة أشهر ويومان ، أولها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو اليوم الذي بويع فيه، وآخرها يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة حكاه من شهد موته ممن أدركه من الثقاب ٠

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد المخلوع

رحمه الله

هو أمير المومنين أبو محمد عبد الواحد ابن أمير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى الموحدي ، بايعه أشياخ الموحدين على كره منه بقبة النصر من قصبة مراكش ، وذالك فى ضحا يوم الأحد الثالث عشر من ذى حجة سنة عشرين وستمئة (٧ يناير سنة ١٢٢٤ م) وهو

يومئذ فى سن الشيخوخة ، فكانت خلافته منسوخة ، وكان رجلا صالحا فاضلا متورعا ، فاستقام له الأمر شهرين ، وخطب له فى جميع طاعة الموحدين ماعدا مرسية ، فان ابن أخيه السيد عبد الله الملقب بالعادل كان واليا عليها وكان وزيره الشيخ ابو زيد بن برجان المعروف بالأصفر وكان أحد دهاة الموحدين ، كان المنصور اذا رآه يستعيذ بالله من شره ، ويقول مايجرى على يديك من الفتن يا أصفر ، فلما وصلت بيعة أمير المومنين عبد الواحد الى مرسية قال أبوزيد بن برجان للسيد عبد الله ابن المنصور اياك أن تبايع عبد الواحد فانك أحق بالخلافة وأقرب اليها منه ، أنت ولد المنصور ، وأخو الناصر ، وعم المنتصر ، ولك الحزم ، والعقل الراجح والكرم ، وحسن السياسة واصابة الرأي ، ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان ، فدع التواني وبادر الى فسخ أمره قبل التمكين، فخرج السيد عبد الله من فوره ذالك الى مجلس حكمه ، فبعث الى من بمرسية وأحوازها من الموحدين والفقهاء والأشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه ، ثم كتب الى أخيه السيد ادريس والي اشبيلية يدعوه الى بيعته فبايعه وأخذ له البيعة أهل اشبيلية ومن بها من الموحدين وامتنع سائر البلاد عن بيعته ، فلما رأا العادل أن الناس قد سبقوا الى بيعة عبد الواحد كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذالك بالأموال الجزيلة والمنزلة الرفيعة والولايات العظيمة ، فسارعوا الى مادعاهم اليه فدخلوا على أمير المومنين عبد الواحد فهددوه وخوفوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع العادل ، فأجابهم الى ذالك ، فخرجوا ووكلوا بالقصر من يحفظه ، وذالك يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدا وعشرين وستمئة ، فلما كان فى يوم الأحد التالى له دخلوا عليه القصر وأحضروا القاضي والفقهاء والأشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وبايع العادل ، ثم انهم دخلوا عليه بعد ثلاثة عشر يوما من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره وأخذوا أمواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره ، فكان أول من خلع وقتل من بنى عبد المومن ، ولم يكن ذالك فيمن تقدمهم من ملوكهم ،

ورجع أشياخ الموحدين كالأتراك مع بنى العباس ، فكان فعلهم ذالك سببا لخراب دولتهم ، وذهاب سلطانهم ، وقتل ملوكهم واشياخهم ، وهو أول باب فتحه القوم على أنفسهم للفتنة •

وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع المخنوق ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدا وعشرين وستمئة (٢٠ شتنبر ١٢٢٤ م) ، فجميع دولته مئتا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوما يجب لها من الشهور ثمانية أشهر وخمسة أيام ، أولها الأحد واخرها السبت ولا حول ولا قوة الا بالله •

وقد اختصر صاحب (نظم السلوك) دولة عبد الواحد فى رجزه فقال :

قد قام بالملك أخو المنصور	وخلعه من أعظم الامور
قد قتلوه بعد ما قد خلعا	ولم يخافوا القتل والسبي معا
فى قتل عبد الواحد بن يوسف	قد ركبوا امرا لهم لم يعرف
ورجع الأشياخ كالأتراك	مع بنى العباس فى الأملاك
قد دبروا لجهلهم تدبيرا	كان على ملكهم تدميرا
بفعلهم كان خراب الدوله	وقتلهم فى الأرض شر قتله

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الله العادل

ابن يعقوب المنصور رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الله بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن الكومي •

لقبه : العادل فى أحكام الله تعالا •

كنيته : أبو محمد

أمه : أم ولد رومية من سبي شنتريث ، اسمها سر الحسن •

صفته : أبيض اللون ، تام القد ، نحيل الجسم ، أشهل العينين ، أقنا الأنف ، خفيف العارضين ، حازم فى أموره قبل خلوص الأمر له ، مؤثر هواه على أمر دينه •

بويع له البيعة الأولا بمرسية فى نصف صفر من سنة احدا وعشرين وستمئة ، وخلص له الأمر واجتمع على بيعته كافة الموحدين ماعدا أهل افريقية ، وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدوة والأندلس بعد خلع عمه عبد الواحد وذالك يوم الاحد الثاني والعشرين لشعبان المكرم سنة احدا وعشرين المذكورة ، وتوقف عن بيعته السيد عبد الرحمان ابن السيد ادريس بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلنسية وشاطبة ودانية ، وكذالك توقف عن بيعته عمال افريقية الحفصيون واستبدوا لأنفسهم فلم يستقم له أمر لأجل ذالك •

ولما رأا السيد عبد الله بن السيد محمد بن ادريس بن يوسف أخاه السيد عبد الرحمان توقف عن بيعة العادل وضبط بلاده قام هو أيضا ببياسة ، وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الأوسط وسمي البياسى لقيامه ببياسة ، فوقعت الفتن فى بنى عبد المومن وابتدأت فيهم المحن ، فبعث اليه العادل أخاه السيد ادريس فى جيش كثيف فحاصره ببياسة ، فلما اشتد عليه الحصار صالحه مكرا منه ، وبايع العادل ، فلما ارتحل عنه ادريس عاد الى نكثه وبعث الى الفونسو يستنصر به على العادل على أن يعطيه بياسة وقيجاطة ، فكان أول من سن اعطاء البلاد والحصون للروم ، فبعث اليه الفونسو بجيش من عشرة ءالاف فارس ، فلما وصله الجيش جمع خيله وحشده وخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى قرب منها ، فخرج اليه السيد ادريس فى جيش من الأجناد والحشود ، فالتقا الجمعان وتقاتلوا قتالا شديدا هزم فيه السيد ادريس واحتوا البياسى والروم الذين معه على جميع ماكان فى محلته من سلاح ودواب وغير ذالك •

فلما رأا أن جيشه قد هزم وقتل جنده خاف ان يتغلب عليه البياسي ويفوته مقصوده من الخلافة ، فجاز من الأندلس الى العدوة ، فوصل لمراكش واستقر فى قصر الخلافة وفوض أمر الاندلس الى أخيه ادريس ،

فأقام ادريس عاملا للعادل الى شهر شوال من سنة أربع وعشرين ، فنكث بيعته ، وقام عليه ودعا لنفسه ، وتلقب بالمامون ، فبايعه أهــل اشبيلية وجميع بلاد الأندلس فلما تمت بيعته بالأندلس كتب الى الموحدين الذيــن بمراكش مع أخيه يعلمهم باجتماع بلاد الأندلس ومن بها من الموحدين على بيعته وخلع أخيه العادل ، ويدعوهم مع ذالك الــى بيعته والدخول فــى طاعته ، ووعدهم ومناهم ، فكان منهم من تردد فى أمره ، ثم اجمع رأيهم على خلع العادل ، ، فدخلوا عليه القصر وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فجعلوا رأسه فى خصة تفور بالماء وقالوا لانفارقك او تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لأخيك المأمون ، فقال لهم اصنعوا مابدا لكم ، أنا لا أموت الا أمير المومنين ! فجعلوا عمامته فى عنقه وخنقوه بها ورأسه فى مــاء الخصة حتى مات ، وذالك فى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشوال من سنة أربع وعشرين وستمئة ، وكتبوا البيعة الى المامون ، وبعثوا بها اليه مع البريد ، ثم بدا لهم فى بيعة المامون بعد انصراف البريد بها ، فنكثوا بيعته وبايعوا يحيا بن محمد الناصر ، فكانت أيامه من حين بويع بمرسية الى أن توفي ثلاث سنين وسبعة أشهر وتسعة أيام ٠

الخبر عن دولة أمير المومنين يحيا بن محمد الناصر

ومزاحمته لعمه إدريس المامون

هو أمير المومنين يحيا ، ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المومن بن علي ٠

كنيته : أبو زكرياء وقيل أبو سليمان ٠

لقبه : المعتصم بــالله ٠

صفته : شاب السن ، حسن القد والــوجه ، أادم اللــون ، خفيف العارضين ، أشقر الشعر ٠

اجتمع أشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم للمامون وقتلهم العادل، وسبب اجتماعهم على بيعته انهم كتبوا للمامون بالبيعة وبعثوا بها اليه ، ثم ندموا وخافوا لما يعرفون من شهامة المامون وشدة سطوته وكونهم قتلوا عمه عبد الواحد المخلوع ، ثم أخاه العادل ، فخافوا ان يطلبهم بثأر من قتلوه من قرابته ، فلجأوا الى يحيا فبايعوه لصغر سنه ، فانه كان يوم بويع ابن ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الاثنين الثامن والعشرين لشوال سنة أربع وعشرين وستمئة (١١ اكتوبر سنة ١٢٢٧ م) ، فامتنع من بيعته عرب الخلط وقبائل هسكورة ، وقالوا قد بايعنا ادريس المامون فلا ننكث بيعته، فجهز لهم يحيا جيشا من الموحدين والأجناد وبعثهم الى قتالهم فهزمهم الخلط وهسكورة ، وهم فى طاعة المامون ، ورجع جل الموحدين منهزمين الى مراكش بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وتوالت فى أيامه على عساكره الهزائم والقتل والأسر وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم .

ولما تمت بيعته بمراكش بعث الى الشيخ عبد الرحمان ابن برجان وابنه عبد الله فضرب أعناقهما وأمر بتعليق رؤوسهما على باب الكحل ، وطيف بجسديهما فى المدينة ، وأقام يحيا بمراكش شهرا من ولايته ، فاضطربت عليه البلاد وغلت الأسعار وخيفت الطرق وفشا الفساد والخراب فى المغرب لكثرة الفتن ، وعاد أشياخ الموحدين يعبثون ببنى عبد المومن ، يبايعون وينكثون ، ويخلعون ويقتلون ، فلما رأا اختلاف الموحدين عليه واضطراب أموره لديهم بسبب بيعة أكثرهم للمامون خرج فارا عن حضرة مراكش الى تينمل ، وذالك فى شهر جمادا الأخيرة من سنة ست وعشرين وستمئة ، فقدم من كان بمراكش من أشياخ الموحدين واليا عليها يضبطها للمامون ، وجددوا له البيعة ، وكتبوا له يخبرونه بفرار يحيا عنها الى تينمل ويسألونه القدوم عليهم ، فأقام يحيا بتينمل أربعة أشهر ثم بدا له فرجع الى مراكش فدخلها وقتل عامل المامون الذي كان بها ، وخرج عنها بعد أن أقام بها سبعة أيام ، فنزل بين الجبلين منتظرا لقدوم المامون وقتاله ، ولم يزل يحيا ينازع المامون وولده الرشيد الى ان قتل بفج عبد

الله من أحواز رباط تـازة ، قتله عـرب المعقل غدرا ، وذالك فى يـوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثـلاث وثلاثين وستمئة (٥ يونيو سنة ١٢٣٦ م) وحمل رأسه الى الرشيد بمراكش ٠

فجميع دولة يحيا المعتصم ثلاثة ٱالاف يوم ومئة يوم وسبعة وتسعون يوما ، أولها يوم الاثنين الذى بويع فيه وٱالخرها يوم الاربعاء لكونه قتل يوم الخميس التالى له ، يجب لها من السنين تسعة أعوام ، وتسعة ايام ، كلها فتن ومزاحمة للمأمون والرشيد ٠

الخبر عن دولة أمير المومنين ادريس

الملقب بالمامون ابن يعقوب المنصور الموحدى

هو أمير المومنين ادريس المامون ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف، ابن عبد المومن بن علي ٠

كنيته : أبو العلاء ٠

لقبه : المـامـون ٠

أمه : حرة اسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعد ابن مردنيش ٠

صفته : كان أبيض اللون ، أكحل العينين ، معتدل القد ، مليـح الوجه ، فصيح اللسان ، فقيها حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم، ضابطا للرواية عارفا بالقراٱات ، حسن الصوت والتلاوة ، اماما فـى علم اللغة والعربية والمعرفة بالأداب وأيـام الناس ، كاتبا بليغا ، لـه التوقيعات العجيبة ، اماما فى الحديث ، لم يزل أيام خلافته يقرأ كتاب الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبى داوود ، عالما بأمور الدين والـدنيا ، وكان مع ذالك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظائم الأمور ، الا أنه كان سفاكا للدماء ، لايتوقف فيها طرفة عين ٠

مولده : بمالقة سنة احدا وثمانين وخمسمئة ٠

ولي الخلافة والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات ، وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين بالأندلس ، وبنو حفص قد استبدوا بأفريقية ، وبنو مرين قد دخلوا المغرب واستحوذوا على جميع بواديه وأخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر ماذا يصنع فى أمره ذالك ، فأنشد متمثلا :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

فبويع بيعته الأولا باشبيلية يوم الخميس ثانى شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، اجتمع عليه فى هاذه البيعة جميع بلاد الأندلس وسبتة وطنجة من بلاد العدوة ، فلما كمل له ذالك أرسل الى الموحدين الذين بمراكش ودعاهم الى بيعته والفتك بأخيه العادل ، فسارعوا لامتثال أمره وقتلوا العادل وكتبوا اليه بيعتهم وخطبوا له على منبر جامع المنصور ، ثم بدا لهم فى ذالك لأمور خافوها منه ، فنكثوا بيعته ، وبايعوا ابن أخيه فى عشي ذالك اليوم بعينه ، فوصلته بيعة الموحدين وهو باشبيلية فأمر بها فقرئت على منابر الأندلس ، ثم أخذ فى الحركة الى حضرة مراكش دار ملكهم ، فسار حتى وصل الى الجزيرة الخضراء يريد الجواز منها ، فاتصل به أن الموحدين قد نكثوا بيعته ، وبايعوا ابن أخيه يحيا ، فأطرق مليا ثم أنشد متمثلا بقول حسان حين قتل أمير المومنين عثمان رضي الله عنه :

لتسمعن وشيكا فى ديارهم يااللرجال الى ثارات عثمانا

ثم بعث من حينه الى ملك قشتيلية يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث اليه جيشا من الروم يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيا ومن معه من الموحدين ، فقال له ملك قشتيلية لا أعطيك الجيش الا على شرط ان تعطيني عشرة حصون مما يلى بلادي اختارها بنفسى ، واذا من الله تعالا عليك ودخلت مراكش تبنى للنصارا الذين يسيرون معك كنيسة فى وسطها يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم فى أوقات صلواتهم ، وان أسلم أحد من الروم لايقبل اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه

بحكمهم ، ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل ، فأسعفه فى جميع ماطلب منه ، فبعث اليه جيشا كثيفا من اثني عشر ألف فارس من النصارا ، برسم الخدمة معه والجواز الى العدوة ، فهو أول من جوز الروم الى العدوة واستخدمهم بها ، فوصله الجيش فى شهر رمضان من سنة ست وعشرين وستمئة ، فجاز الى العدوة واستخلف على الأندلس وقد اختلفت عليه أحوالها ، وبايع أكثر بلادها لابن هود القائم بها بشرق الأندلس ، فجاز من الجزيرة الخضراء الى سبتة وذالك فى شهر ذي قعدة من سنة ست وعشرين المذكورة ، فأقام بسبتة أياما ثم خرج الى مراكش حتى قرب منها فتلقاه يحيا بجيوش الموحدين وذالك فى وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الاول من سنة سبع وعشرين وستمئة ، فهزم يحيا وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المامون مدينة مراكش ، فبايعه الموحدون كافة ، فصعد المنبر بجامع المنصور ، وخطب الناس ولعن المهدى ، وقال أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ، فانه لامعصوم الا الأنبياء ، ولا مهدي الا عيسا ، وانا قد نبذنا أمره النحيس ، فلما أتا على آخر خطبته ، قال يامعشر الموحدين لاتظنوا أنى ادريس الذي تدرس دولتكم على يديه ، كلا انه سياتي بعد ان شاء الله تعالا ، ثم نزل فكتب الى جميع بلاده ، بتغيير سير المهدي وماكان ابتدعه للموحدين وجرا عليه عملهم وسير ملوكهم وأمر باسقاط اسم المهدي من الخطبة وازالته عن الدنانير والدراهم ، ودوروا الدراهم المركنة التي ضربها المهدي ، وقال كل مافعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لابقاء البدع ، ثم دخل الى قصر بها احتجب فيه عن الناس ثلاثة أيام ، ثم خرج فى اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه ، فقال لهم يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم فى الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتم فى حربنا المجهود ، وقتلتم اخوانا وأعماما ، ولم تراعوا لهم عهدا ولا ذماما ، ثم أخرج لهم كتاب بيعتهم التي كانوا له بها بعثوا ، وبين لهم عهدهم الذي نكثوا ، فوقعت الحجة على

جميعهم فبهتوا وسقط فى أيديهم ، فرد رأسه الـى قـاضيه المكيدى وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ماتراه أيها الفقيه فـى هـاؤلاء الناكثين ؟ فقال يا أمير المومنين ان اللـه تعالا يقول فـى كتابه المبيـن (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما) ، قال صدق الله العظيم ، نحن نحكم فيهم بحكم الله تعالا فان من لم يحكم بما أنزل الله فأولائك هم الظالمون ، فأمر بقتل جمـيـع أشياخ الموحدين وأشرافهم فقتلوا عن ٱاخرهم ولم يبق منهم على أحـد ، ولم يراع والدا ولا ولدا ، حتى أنه أتي بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرٱان ، فلما قدم ليقتل قال لـه يا أمير المومنين أعف عنى لثلاث ، قال ماهي ؟ قال صغر سني ، وقرب رحمي منك وحفظى للكتاب العزيز ، فنظر الى القاضى المكيدي كالمستشير له ، فقال له القاضى كيف رأيت قوة جأش هاذا الغلام واقدامه على الكلام فى هاذا المقام ؟ فقال له القاضي يا أمير المومنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، فأمر به فقتل ، ثم أمر بتعليق الرؤوس علـى أسوار المدينة فعلقت بدائرتها ، وكان جملتها أربعة ٱالاف وستمئة رأس ، وكان زمن القيظ فنتنت منها المدينة ، وتأاذا الناس من روائحها ، فرفع اليه ذالك فكان من جوابه أن قال هنا مجانين وتلك الرؤوس لهم حـروز ولا يصلح حالهم الا بها ، وانها لعطرة عند المحبين ونتنة عند المبغضيـن ، وأنشـد :

أهل الحرابة والفساد من الورا	**يعزون فى التشبيه للذكـار**
ففساده فيه الصلاح لغـيـره	**بالقطع والتعليق فى الأشجار**
فتراهم ذكرا اذا مـا أبصروا	**فوق الجذوع وفى ذرا الأسوار**
وكذا القصاص حياة أرباب النها	**والعدل مـألـوف بكل جـوار**
لـوعـم حلم الله سائـر خلقه	**ماكان أكثرهم من أهـل النار**

وقبض المامون على قاضى الجماعة بمراكش وهو عبد الحق بـن عبد الحق فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان بـن مقدم الخلطي فحبسه حتى افتدا منه بستة ٱالاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ،

ثم خرج الى الجبل ليقاتل يحيا ومن معه من الموحدين ، وذالك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وعشرين المذكورة ، فالتقا معه على بلد لكاغة فهزم يحيا وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير ، سيق من رؤوسهم الى مراكش أربعة أالاف رأس .

وفى سنة ثمان وعشرين أنفذت كتب المأمون الى جميع بلاده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها عن ملك الموحدين وملكها ابن هود القائم بها .

وفى سنة تسع وعشرين خرج على المامون أخوه السيد عمران ابن المنصور بمدينة سبتة وتسما بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمامون ، فخرج اليه فحاصره مدة فلم يقدر منه على شيء ، فلما طالت غيبته بسبتة اغتنم يحيا الفرصة فنزل من الجبل فدخل مراكش وهدم كنيسة الروم التي بنيت بها ، وقتل كثيرا من اليهود ، وبنى فرخان(١٥٢)وسبا أموالهم ، ودخل القصر وحمل جميع ماوجد فيه الى الجبل ، فاتصل الخبر بالمامون ، فارتحل عن سبتة مسرعا الى مراكش وذالك فى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، فلما بعد عن سبتة جاز عمران الى الأندلس ، فبايع ابن هود وأعطاه سبتة فولاه ابن هود ألمرية عوضا منها فمات بها ، فوصل المامون وهو بالطريق أن ابن هود قد تملك سبتة ، فتوالت عليه الفجائع فمرض فمات مفقوعا بوادي العبيد ، وهو قافل من حصار سبتة ، وذالك يوم الاحد منسلخ شهر ذي الحجة عام تسعة وعشرين وستمئة (١٧ اكتوبر سنة ١٢٣٢ م) ، فكانت أيامه ألف يوم واحد وثمانمئة يوم وثمانية وخمسين يوما يجب لها من السنين خمسة أعوام وثلاثة أشهر ويوم واحد ، أولها الخميس وأاخرها الأحد ، وكانت أيامه كلها شقية فى منازعة يحيا افترق الموحدون فيها فرقتين ، فصارت الدولة دولتين ، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه ، لأنه وضع السيف فيهم حتى أفناهم ، ولولا أن الحال فى دولته

---

152) بنى فرخان ، أى أبناء الحرام ، والمراد الساخطون على الدولة المتربصون بها ، وفرخان جمع بربرى (ايفرخان) معرب لكلمة أفروخ ، أى الفرخ ، وله معنيان فى عامية المغرب ، فهو الشاب فى مقتبل العمر ، وهو ابن الزنا ، والمراد هنا المعنا الثانى .

تغيرت والفتن فى نواحي الأندلس والمغرب قد اشتعلت لكان المامون موافقا لوالده المنصور فى الخلال ، متابعا له فى جميع الأعمال والأحوال ٠

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد الرشيد

رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الواحد بن ادريس المامون ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن المؤيد ابن علي الكومي الموحدي ٠

كنيته : أبو محمد

لقبه : الرشيد

أمه : أم ولد رومية اسمها حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن ٠

بويع له بالخلافة بوادي العبيد ثانى يوم وفاة أبيه وهو يوم الاثنين غرة محرم من سنة ثلاثين وستمئة (١٨ اكتوبر سنة ١٢٣٢ م) ، وسنه يوم بويع أربع عشرة سنة ٠

أخذ له البيعة كانون بن جرمون السفيانى وشعيب اخو قاريط الهسكوري ومرقسيل قائد الروم ، لأنه لما مات المامون كتمت حباب موته وبعثت فى هاؤلاء النفر الثلاثة لأنهم كانوا عمدة عسكر المامون يركب لكل واحد منهم عشرة آلاف من اخوانه ، فلما وصلوا اليها أعلمتهم بموت أمير المومنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته ، وبذلت لهم أموالا جليلة وجعلت لهم مع ذالك مدينة مراكش فيئا اذا غلبوا عليها ، فبايعوه وقاموا بأمره وتولوا أخذ البيعة له على من سواهم ، فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم ، فلما تمت بيعته توجه الى مراكش وحمل أباه أمامه فى تابوت ، وكان يحيا قد استقر بها فسمع أهل مراكش بما شرطته حباب للرومى والقواد من نهب المدينة ، فخرجوا مع يحيا لقتال

الرشيد ، فالتقا الجمعان فهزم يحيا وأتا الرشيد حتى وقف بباب المدينة فتحصن منه أهلها وغلقوا الأبواب فأمنهم وبعث الى القائد الرومى وأصحابه قيمة فيء مراكش فقبضوه منه ، فيقال انه دفع لهم فى ذالك خمسمئة ؟ دينار ، ودخل الرشيد مدينة مراكش ، فلم يزل بها الى سنة ثلاث وثلاثين وستمئة فاستدعا أشياخ الخلط فدخلوا عليه فقتل منهم خمسة وعشرين أميرا فى قصره ، فقامت عليه الخلط ودخلوا لمراكش فنهبوها ، وفر الرشيد عنها بجيش الروم الى سجلماسة ، وبعث الخلط الى يحيا فبايعوه وأدخلوه لمراكش ، فأقام بها الى ان قوي الرشيد وجمع الجيوش والأموال ، فخرج من سجلماسة حتى وصل مدينة فاس ، فأقام بها أياما وفرق فى فقهائها وصلحائها أموالا ورباعا كثيرة من رباع مختصها وارتحل الى مراكش فتلقاه يحيا بجيش العرب والموحدين فهزمه الرشيد وقتل خلقا كثيرا من عسكره ، وفر يحيا قاصدا رباط تازة ، فغدر به عرب المعقل فقتلوه غيلة قبل ان يصل اليها ، وحملوا رأسه الى الرشيد ، ودخل الرشيد لمراكش ، فأقام بها الى أن توفي رحمه الله غريقا فى صهريج ، وذالك يوم الخميس تاسع جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٤ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) فمدته ثلاثة ألاف يوم وسبعمئة يوم ، يجب لها من السنين عشرة أعوام وخمسة أشهر وتسعة أيام ، زاحمه يحيا منها فى سنتين وتسعة أشهر .

وفى رمضان المعظم من سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية الرشيد، وفى شوال التالى له بايعه أهل سبتة ، وكان بالعدوة والأندلس فى هاذه المدة غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد ووصل قفيز القمح فيها ثلاثين دينارا .

الخبر عن دولة أمير المومنين علي السعيد

رحمه الله تعالا

هو أمير المومنين علي بن ادريس بن يعقوب المنصور ابن يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى ·

أمه أم ولد نوبية ·

كنيته أبو الحسن ·

لقبه السعيد ، وسمي بالمعتصم بالله ·

صفته أسمر اللون شديد السمرة ، تام القد ، معتدل الجسم ، سبط الشعر ، مليح العينين ، معتدل اللحية ، عالى الهمة ، بطل شجاع مهاب له اقدام فى الحروب ونجدة فاق بها من تقدمه من آبائه ·

بويع له بالخلافة ثانى يوم وفاة أخيه الرشيد بحضرة مراكش ، وذالك يوم الجمعة عاشر جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٥ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) ، وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست وأربعين وستمئة (٢٣ يونيو سنة ١٢٤٨ م) وهو محاصر ليغمراسن بن زيان العبد الوادي بقلعة تامجزرت من أحواز تلمسان ، فكانت أيام خلافته ألفي يوم اثنين وثمانية وعشرين يوما ، وبويع السعيد بمراكش وقد ظهر أمر بنى مرين بالمغرب وملكوا جميع بواديه ، فأخذ يبعث اليهم بالجيوش فيهزمونها ، فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين اتصل به أن الامير أبابكر ابن عبد الحق قد دخل مدينة مكناسة ، وأن يغمراسن بن زيان قد ملك تلمسان واحوازها ، وان محمد المستنصر والي أفريقية قد تسما بأمير المومنين خلافا لما كان عليه أباؤه واحتقارا لدولة السعيد ، فأخذ فى الحركة الى غزوهم ، فخرج من حضرة مراكش فى جيوش لاتحصا من الموحدين ومن العرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فلما نزل به واتصل خبره بالأمير أبى بكر بن عبد الحق خرج له عن مكناسة

وأسلمها له ، وسار الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، واجتمع اليه جميع قبائل بنى مرين هنالك ، ووصل أمير المومنين علي السعيد الى مكناسة ، فخرج اليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز والصبيان من المكاتب بالألواح على رؤوسهم والمصاحف بأيديهم فعفا عنهم ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فأقام هنالك أياما حتى وصلته بيعة الأمير أبى بكر ابن عبد الحق فسر بها وخلع على القوم الذين أتوا بها ووصلهم بأموال جليلة ، وكتب له بالتولية على جميع بلاد الريف والقلاع ، ثم ارتحل عن مدينة فاس فى الرابع عشر من المحرم سنة ست وأربعين وستمئة ، وخسف بالقمر كله فى تلك الليلة ، فأصبح السعيد فى ذالك اليوم مرتحلا ، فلما ركب انكسر لواؤه المنصور ، فتطير به ورجع ولم يرتحل ، فأقام الى اليوم السادس عشر من المحرم المذكور ، فارتحل الى تلمسان ، وبها يغمراسن بن زيان القائم بها ، فخرج عنها يغمراسن فارا بماله وأهله الى قلعة تامجزرت ، فتحصن بها وأسلم له تلمسان ، فتبعه السعيد حتى نزل على القلعة المذكورة ، فحاصره بها ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ركب مستخفيا فى وقت الهاجرة وخرج مع وزيره على حين غفلة من الناس لينظر الى القلعة ومنعتها وكيف تكون المحاولة فى قتالها والتمكن منها ، فلما توسط من الجبل بمكان وعر بصر به فارس من بنى عبد الوادي يعرف بيوسف الشيطان كان يحرس ، فسار اليه هو ويغمراسن بن زيان ويعقوب ابن جابر العبد الوادي فخرجوا عليه من مخدع من الجبل فضربه يوسف الشيطان فقتله وقتل يعقوب ابن جابر وزيره وفر الرجال الذين كانوا معه الى المحلة فأخبروا بموته ، فارتحلت المحلة وأخذ أهلها فى الفرار ، وهبط يغمراسن فى بنى عبد الوادي من القعلة ، فاحتوا على جميع المحلة ، وأخذ مافيها من الأموال والسلاح والكراع والعيال والطبول والبنود والأخبية والقباب ، وأمر يغمراسن بالسعيد فغسل وكفن وحمل فدفن بالعباد من خارج مدينة تلمسان .

الخبر عن دولة أمير المومنين عمر المرتضا

هو أمير المومنين عمر ابن السيد اسحاق ابن أمير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى الموحدي •

كنيته : أبو حفص •

لقبه : المرتضا •

أمه حرة بنت عم أبيه •

ولي بعد وفاة السعيد باجماع ممن بقي بمراكش من أشياخ الموحدين ، فأخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مراكش ، وذالك يوم الاربعاء غرة ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمئة (٢٤ يونيو سنة ١٢٤٨ م) ، قاله ابن رشيق فى ميزان العلم ، وهاذا وهم منه ، فان السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولايمكن أن يصل الخبر بموته من تلمسان الى مراكش فى ليلة واحدة ، والصحيح أنه كانت بين موت السعيد وبيعة المرتضا أيام مهلة نحو العشرة أيام ، وحينئذ عقدت له البيعة بجامع المنصور ، وكتب له بها فى الثانى عشر من ربيع الأول (الاحد ٥ يوليوز) المذكور ، وكان المرتضا واليا للسعيد بقصبة رباط الفتح ، تركه هنالك حين توجه الى تلمسان ، فوصلته البيعة وهو بها ، فأمر بها فقرئت على الناس ، فبايعه جميع من حضره من الموحدين والفقهاء والأشياخ ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها واستقام له أمرها وملك جميع أحوازها من مدينة سلا الى السوس ، فأقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستمئة ، فخرج برسم غزو مدينة فاس وقتال من بها من بنى مرين والعرب والأغزاز والأندلس والروم ، فسار حتى نزل بجبل بنى بهلول من قبلة مدينة فاس ، وكان خوف بنى مرين قد خامر قلوب أهل محلته فكانوا منذ قربوا من أحواز مدينة فاس لايرقدون ليلا ، فانطلق فرس لبعض الأجناد فجرا بين الأخبية وجرا الناس فى أثره ليأخذوه ، فظن أهل المحلة ان بنى مرين ضربوا بها ، فركب الناس

وماج بعضهم فى بعض ، وفروا منهزمين لايلوي أحد على أحد ، واتصل خبرهم بالأمير أبى بكر فخرج من مدينة فاس واحتوا على جميع ما فـي المحلة من الأموال والسلاح والأخبية ، وسار المرتضا الى مراكش مهزوما فى نفر يسير من الروم والأشياخ ، فأقام بها الى ان دخلها عليه أبو دبوس وذالك يوم السبت الثانى والعشرين لمحرم سنة خمس وستين وستمـئـة (٢٣ اكتوبر سنة ١٢٦٦ م) ، فخرج فارا بنفسه ، فظفر به وقتل فى الثاني والعشرين لصفر التالى له ، حكاه جملة من الناس من الذيـن شاهدوا ذالك ، فكانت أيامه فى ملكه ستة أالاف يوم وستمئة يـوم وستة وتسعين يوما ، يجب لها من السنين ثمانـيـة عشر سنة وعشرة أشهر واثنـان وعشرون يوما ، وكان المرتضا يدعى الزهد والتصوف والورع ، وتسما بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لايكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا ! وكانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم يـر أهـل مراكش مثلها ، والبقاء لله وحده ٠

الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبى دبوس

أاخر ملوك بنى عبد المومن رحمهم الله

هو أبو العلاء ، ادريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي ، تسما بأمير المومنين وتلقب بالواثق بالله ٠

أمه أم ولد رومية اسمها شمس ٠

صفته : أبيض اللون ، أشقر ، ازرق ، طويل القامة ، طويل اللحية، بطل شجاع داهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضا غدرا ففر أمامه فملكها وبويع له بها بجامـع المنصور ، بـايع له كافـة الموحدين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب وأشياخ المصامدة ، وذالك يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرم سنة خمس وستيـن وستمئة ثانى يوم دخوله المدينة (٢٤ اكتوبر سنة ١٢٦٦ م) وكـان سبب

تملكه لمراكش أن المرتضا أراد قتله لأشياء رفعت لـه عنه ، فشعر أبـو دبوس بذالك فخرج عن مراكش فارا بنفسه ، فوصل الـى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني مستنصرا به ، فالفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبالغ فى اكرامه ، فطلب منه الاعانة على حرب المرتضا وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق جيشا من ثلاثة ألالاف فارس من قبائل بنى مرين ، وأعطاه جنودا وطبولا ، وعشرين ألف دينار برسم النفقة ، وكتب له الى عرب جشم أن يكونوا معه يدا واحدة ، وشرط له أبو دبوس أن يعطيه نصف مايغلب عليه مـن البلاد ، فانصرف أبو دبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل الى مدينة سلا ، فكتب منها الى أشياخ المرتضا يدعوهم الى بيعته ويعدهم ويمنيـهـم ، فتلقته وفود العرب والهساكرة ، وكتب الى خاصته من وزراء المرتضا ان يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخش فـان الجند قد فرقناهم فـى أطراف البلاد ، وهـاذا وقت انتهاز الفرصة قـد أمكنك وقتها ، فأسرا أبو دبوس من تلك الليلة فأصـبـح على مراكش ، فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذالك يوم السبت وقت الضحا فى اليوم الثانى والعشرين لمحرم عام خمسة وستين وستمئة، فسار حتى وقف بباب البنود من قصبتها ، فغلقت الأبواب فى وجهه ووقف عليها عبيد المخزن يقاتلونه ، فلما رأا المرتضا أن المدينة قـد شركت معه خرج من القصر على باب الفاتحة فارا بنفسه ودخل أبو دبوس وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضا الى مدينة أزمور ، وكـان بها صهره ابن عطوش واليا له عليها ، وكان قد أسر ، فافتكه المرتضا بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه أزمور ، فلما فر عن مراكش قصد اليه ووثق بـــه وبمناصحته ، فأخذه ابن عطوش وأوثقه فى الحديد ، وكتب الى أبى دبوس يقول له اعلم يا أمير المومنين أنى قد قبضت على الشقي وأوثقته فـــى الحديد ، فبعث فى محمل وقتل فى الطريق ، واشتغل ابو دبـوس بملك مراكش وانحائها ، واتصل الخبر بأمير المسلمين يعقوب بـن عبد الحق فكتب اليه يهنئه بالفتح ويطلب منه ان يمكنه بماشرط لـه وذالـك نصف

البلاد التي غلب عليها ، فلما وصله الكتاب أدركه الكبر ودخله الاعجاب وكفر بما أسداه اليه من نعمة ، وجحد أياديه القديمة ومنته ، وقال لرسوله قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته ، ويقنع بما بيده من البلاد ، والا أتيته بجنود لاقبل له بها ، فلما وصل الرسول الى أمير المسلمين يعقوب أبلغه مقالة ودفع اليه كتابه ، فاذا هو يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم ، فتحقق أمير المسلمين نكثه وغدره على ماوقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج الى غزوه فلم يزل يشن الغارات على بلاده ويجهز الجيوش الى محاربته الى سنة سبع وستين ، فسار أمير المسلمين بجيوش بنى مرين ، فالتقا معه أبو دبوس ببلاد دكالة ، وكانت بينهم حروب شديدة باشر فيها أبو دبوس الحروب بنفسه ، فقتل وهزم عسكره وانتهبت ملحته ، وأتي برأسه الى أمير المومنين يعقوب ، فأمر به فحمل الى مدينة فاس فطيف به فى أسواق المدينة .

وكان قتل أبى دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذي حجة من سنة سبع وستين وستمئة (٣٠ غشت سنة ١٢٦٩ م) فكانت أيامه ألف يوم واحدة واثنين وأربعين يوما ، يجب لها من السنين سنتان اثنتان وأحد عشر شهرا وسبعة أيام ، وانقرضت بموته الدولة الموحدية المومنية ، والملك والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وكانت أيام ملكهم من يوم بويع المهدي سنة خمس عشرة وخمسمئة الى أن قتل أبو دبوس فى منسلخ سبع وستين وستمئة ، مئة سنة واحدة واثنتين وخمسين سنة وعدد ملوكهم أربعة عشر ملكا .

الخبر عن الاحـداث التى كانت فى أيـامهم

من أولها إلى أاخرها

أول حدث كان فى سنة خمس عشرة وخمسمئة قيام المهدي وبيعته وظهور الموحدين ، فانه لم يزل أمرهم يظهر فى تلك السنة وسلطانهم يقوا

وفى سنة أربع وعشرين توفي المهدي وبايع الموحدون عبد المومـن ابن علي ·

وفى سنة ثمان وعشرين فتح عبد المومن درعة وتادلة ومدينة سلا وبلاد تازة ، وفيها تسما أمير المومنين ·

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمئة أمر عبد المومن ببناء مديـنـة رباط تازة فبنيت وحصن سورها ·

وفى سنة تسع (١٥٣) وثلاثين وخمسمئة ملك الموحدون شريش وخطب لهم بها ·

وفيها قام ابن زريـق وابـن حمدين قاضـى قرطبة على المرابطين فاخرجوهم عن قرطبة ·

وفيها جاز جيش الموحدين الى الأندلس وملكوا مدينة طريف والجزيرة الخضراء ، وهرب عنها المرابطون ·

وفى سنة أربعين هدم علي بن عيسا بن ميمون اللمتونى صنم قادس

وفيها ملك الموحدون مالقة ·

وفيها نازل العدو المرية بثمانين جفنا ، فأحرق أرباضها وانصرف عنها

---

153) فى الأصل وفى سنة سبع وهو غلط ، فان الموحدين لم يملكوا شريشاً ولم يرسلوا جيشاً الى الأندلس الا بعد موت تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين بوهران وفتح عبد المومن لتلمسان وكان ذلك بعد يوم 27 رمضان من عام 539 هـ (23 مارس سنة 1145 م) انظر ص 187 المتقدمة وما بعدها ، يؤيد ذالك أن ابن أبى زرع يجعل تملك الموحدين لشريش وثورة ابن حمدين قاضى قرطبة فى سنة واحدة ، ومن المعلوم أن أبا جعفر حمدين بن محمد بن على ابن حمدين بويع بالامارة فى المسجد الجامع بقرطبة يوم 5 رمضان سنة 539 هـ .

وفيها فتح عبد المومن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران وأحواز ذالك كله ، وفيها بايعه أهل اشبيلية وأخرجوا عنها المرابطين ٠

وفيها أمر عبد المومن ببناء سور تاكرارت (١٥٤) من تلمسان وتحصينها وبناء جامعها ٠

وفى سنة احدا وأربعين فتح عبد المومن مدينة مراكش وأغمات وبلاد دكالة ٠

وفيها فتح مدينة طنجة وقتل من بها من المرابطين وانقرضت دولتهم من جميع المغرب والأندلس ٠

وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن سجلماسة وسبتة، وفيها غزا برغواطة ، وفى اأاخرها قام أهل سبتة على الموحدين وقتلوا عمالهم وحرقوهم بالنار ٠

وفيها فتح الموحدون قرطبة وقرمونه وجيان ، وملك الروم المهدية (١٥٥) من بلاد أفريقية ، وملكوا منبلاد الأندلس مدينة أشبونة والمرية وطرطوشة وماردة وافراغة وشنترين وشنترية ، ملكوا ذالك كله على يد رذريق لعنه الله ٠

وفيها أعطا يحيا ابن غانية مدينة أبذة وبياسة وماوالاهما من الحصون الى النصارا فملكوها ٠

وفى سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة بالسيف بعد حصار سبعة أعوام وقتل أكثر رجالها وأخذت أموالهم وسبي حريمهم ، وذالك يوم الاربعاء الثالث لجمادا الاولا منها ٠

وفيها بنيت مكناسة تاجرارت المدينة الأان وخربت القديمة ٠

---

154) اسم الأحياء العليا من تلمسان ، أما الأحياء السفلا فاسمها أكدير ، والأولا من بناء المرابطين ، وتاكرارت معناها الرباط بلغة صنهاجة .

155) فى الأصل وفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة ملك الروم المهدية الخ وهو خطأ ، فان استيلاء أمير البحر جورجى الأنطاكى قائد أسطول روجار الثانى ملك صقلية على المهدية وقع يوم 2 صفر سنة 543 هـ (22 يونيو سنة 1148 م) أنظر ص 197 المتقدمة .

وفيها أمر عبد المومن بجلب ماء عين غبولة الى سلا فجلبها ·

وفى سنة ست وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن جبال ونشريس ومليانة وجزائر بنى مزغنة وبجاية ·

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة بونة وقسنطينة وبلد العناب (١٥٦) والجريد بأسره وجميع بلاد أفريقية ·

وفيها انتزع الموحدون المرية (١٥٧) وأبذة وبياسة من أيدي الروم وملكها المسلمون ·

وفى سنة تسع وأربعين ملك الموحدون لبلة من بلاد الأندلس ، فتحوها عنوة وقتلوا جميع رجالها وسبوا حريمها وأموالها فكان بها الحادث الأعظم ·

وفى سنة خمسين وخمسمئة ملك الموحدون غرناطة ، ثم غدر بهم أهلها فقتلوهم ·

وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة فتحوها ثانية بعد حصار شديد

وفى سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة تونس وسوسة وقفصة والقيروان وصفاقس وطرابلس المغرب (١٥٨) ·

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة فتح المهدية وانتزعها من أيدي الورم ·

وفيها أمر عبد المومن ببناء حصن جبل الفتح فبني ·

وفى سنة ثمان وخمسين توفي عبد المومن وولي ولده يوسف ·

وفى سنة تسع وخمسين قام مرزدغ ببلاد غمارة ·

---

156) بلد العناب وبونة شيء واحد ، الا أن يكون مراده ببلد العناب حوز عنابة التى هى بونة نفسها .

157) يجعل المؤلف هنا استرجاع المرية فى سنة 547 وجعله فيما تقدم (ص 194) فى سنة 546 والحقيقة أن فتحها وقع فى أواخر عام 552 هـ (أواخر 1157 م) بعد استيلاء الموحدين على غرناطة.

158) تقدم له (ص 148) أن فتح تونس كان في جماد الأولا من عام 554 هـ .

وفي سنة تسع وخمسين المذكورة (١٥٩) في آخر شعبان منها (الأربعاء ٢٢ يوليوز سنة ١١٦٤م) توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله إبن حرزهم بن زيان بن يوسف بن شومران ابن حفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فدفن بخارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس ، وكان فقيها حافظا زاهدا في الدنيا متصوفا ، ذكر عنه خديمه المعروف بأبي قرن قال : دعا لي الشيخ علي ابن حرزهم بالعفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة ، وقال ان رب العزة أمنني ، انى رأيته في النوم ، فقال لي سل حاجتك فقلت يارب العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، فقال قد فعلت ، ولذالك دعوت لك بهاذا الدعاء ، ولما دخل شعبان الذي توفي فيه قال لتلاميذه انى لاأصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل ، وهو صحيح ليس به ألم ، فعجبوا من مقاله ، فلم يبق الا ثلاثة أيام من شعبان فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ، ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهر وتوضأ وتطيب وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتى الا اليوم ، ثم دخل الى بيته فصلا ركعتين ونام على فراشه ، فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتا رضي الله تعالا عنه ونفعنا به .

وفي سنة ستين كانت غزوة الجلاب قتل فيها خلق كبير من الروم .

وفي سنة احدا وستين (١٦٠) توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بالسارية ، اذا وقف في صلاته يطيل

159) في الأصل : وفي سنة تسع وستين وخمسمئة والصواب ان ابن حرزهم توفي قبل ذلك بعشرة أعوام ، وقد نقلنا الفقرة كلها من مكانها الأصلي وأثبتناها في المكان الذي يقتضيه التسلسل التاريخي ، ينظر عن ابن حرزهم **التشوف** ع 51 و**نيل الابتهاج** ص 182 و**جذوة الاقتباس** ص 293 و**سلوة الأنفاس** 3 : 71 .

160) ف الأصل وف سنة سبعين وخمسمئة توفى الشيخ الفقيه الخ والصواب أن وفاة أبى شعيب أيوب الصنهاجي دفين آزمور كانت يوم الثلاثاء 10 ربيع الثاني عام 561 هـ ، وقد نقلنا الفقرة من مكانها الأصلي وحولناها الى مكانها الجديد الذي يقتضيه التسلسل التاريخي ، ينظر عن أبي شعيب **التشوف** ع 62 .

القيام ، ولذلك سمي بالسارية ، ويقال أنه كان من الأبدال ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثانى من سنة سبعين المذكورة .

وفى سنة أربع وستين وخمسمئة توفى الشيخ الفقيه الصالح عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي صاحب البرهانية وامام أهل المغرب فى علوم الاعتقاد (١٦١) .

وفيها كان السيل العظيم باشبيلية .

وفى سنة ست وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت فبنيت .

وفى سنة سبع وستين وخمسمئة أمر أمير المومنين بعقد الجسر على وادي اشبيلية فعقد على القوارب .

وفيها بنا قصبة اشبيلية ، وبنيت الزلاليق لسورها .

وفيها مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، وملك الموحدون بلنسية وشاطبة ودانية وجميع عمله .

وفى سنة ثمانية وستين وخمسمئة فى ثانى عشر شوال منها كان زلزال عظيم هائل لم ير الناس مثله ، عمت الزلزلة أكثر بلاد الشام والموصل وبلاد الجزيرة والعراق ، وأشد ماكانت بالشام ، هدمت كثيرا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وسهرورد ، وحلب تهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك فيها من الناس مايخرج عن الحد ولا يحصيه عد نعوذ بالله من سخطه ونلجأ اليه من أليم نقمه ، وتهدمت أسوار تلك المدن وخرب جلها ، وكان بمدينة حلب من اثر الزلزلة ماليس بغيرها من البلاد ، حتى فر أهلها عنها الى البرية ، وكانوا لايقدرون أن يأووا الى مساكنهم خوفا من الزلزلة ، وبنا نور الدين بن أيوب جميع الأسوار التي هدمتها الزلزلة ، وبنا المعاقل خوفا على

---

161) ينظر عنه **ذكريات مشاهير المغرب** للأستاذ عبد الله كنون الحسنى ع 11 **والتشوف** ع 69 **وجذوة الاقتباس** ص 289 **وسلوة الأنفاس** 2 : 183 .

المسلمين من الافرنج أن يفجؤوهم ٠

وفيها هزم سانشو خيمينو (أبو بردعة النصراني) وقتل وجميع جيشه على يد الموحدين ٠

وفى سنة احدا وسبعين وخمسمئة كان الطاعون الشديد بمراكش وأحوازها ، وكان الناس يموتون فيه من غير مرض ، فكان الرجل لايخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه فى براءة ويجعلها فى جيبه ، فان مات حمل الى موضعه وأهله ، وانتها عدد الأموات بمراكش الى ألف وسبعمئة رجل ٠

وفيها كان الغلاء العظيم بالمغرب ٠

وفى سنة اثنتين وسبعين توفي الفقيه القاضي أبو يوسف حجاج ٠

وفيها عتب أمير المومنين على أخيه الحسن فكتب اليه الحسن بهاذه الأبيات :

اذا نحن اذنبنا فعفوك نطلب وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانيك قد عودتنا منك رحمة وأنت لنا فى كل حالاتنا الأب
ولم نتعود قبل حالة ذلة ولا حذرا مما يقول المحب

فلما وقف على الأبيات رضي عنه وولاه قرطبة ٠

وفى شوال منها توفي قطب دهره ، وأعجوبة عصره ، أبو يعزا يلنور بن ميمون بن عبد الله اليزميري (١٦٢) وقيل هو من بنى صبيح من هسكورة ، مات وقد نيف على المئة وثلاثين سنة ، أقام منها عشرين سنة سائحا فى الجبال المشرفة على تينمل ، ثم ارتحل الى السواحل فأقام بها منقطعا ثماني عشرة سنة لايتعيش الا من نبات الأرض ، وكان أسود كبدي اللون طويلا رقيقا يلبس برنسا مرقعا وشاشية عزف على رأسه ٠

وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه العالم المشاور

---

162) ينظر عن الشيخ أبى يعزا كتاب **المعزا** ، **فى مناقب الشيخ أبى يعزا** لأحمد الصومعى الهاروني ، **والتشوف** ع 77 ٠

عبد الله ابن المالقى شيخ طلبة الحضر فى وقته ، وكانت وفاتـه فى ذي الحجة منها ، وشهد جنازته أمير المومنين يوسف .

وفى سنة ثمان وسبعين توفي الشيخ الفقيه القاضي الصالح الورع عيسا بن عمران قاضى الجماعة بمدينة مراكش ، وولي مكانه أحمد ابن مضا القرطبي ، وكان القاضى عيسا أحد الأجواد من أهل السخاء والكرم، وله نكت رائقة ، كتب الى ولد له بمدينة فاس قد راهق الحلم : الى ولدي فلان هداه الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوا وزانـه ، كتبته اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالا تتسير الأمور ، ويتكاثف السرور ، واذا وجدتكم على ما أحبه من أدوات الحفظ والأداء ، والتزام أدب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على أقصا تمنيكم ، وقد أجمعت الأمة على ان الراحة ، لاتنال بالراحة ، وان العلم ، لاينال بـراحة الجسم ، فادرس ترؤس ، واحفظ تحفظ ، واقرا ترقا ، ومهما ركنت الى الدعة ، كنت فى أهل الضعة ، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه ، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه ، والأعدل الأقسط ، أن تسـلـك السبيل الأوسط .

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل

وفى هاذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة ومدينة اقليج وقتل من بهما من الروم وسبيت نسائهم وأموالهم .

وفيها توفي الشيخ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربى (١٦٣) من أهل مدينة فاس ، وكان أحد الفضلاء والعلماء الحفاظ المـوصوفين بالـورع والتواضع واجابة الدعاء .

وفى سنة ثمانين وخمسمئة توفي أمير المومنين يوسف وولي ولده

---

163) هو غير أبى خزر يخلف بن خزر الأوربى المتقدم فى ص 225 ، هذا يجعل المؤلف وفاته سنة 578 والأاخر عقد له يعقوب المنصور على المطوعة فى معركة الأراك التي وقعت سنة 591 هـ وأميل الى الاعتقاد أن الشخصين شخص واحد ، وأن ابن أبى زرع حصل له غلط بشأن وفاته مثلما حصل له ذالك فى وفيات غيره ووقع فى الغلط جميع من نقلوا عنه ، ينظر عن أبى خزر يخلف الأوربى **التشوف** ع 55 وسلوة **الأنفاس** 2 : 49 **ونيل الابتهاج** ص 394 .

يعقوب المنصور ·

وفيها دخل علي ابن غانية المعروف بالميورقى مدينة بجاية ، وذالك يوم الجمعة السادس من شعبان منها (١٣ نونبر سنة ١١٨٤ م) والناس في الصلاة ، وكانت أبواب المدن قبل ذالك لاتسد يوم الجمعة ، فارتقب الناس حتى أحرموا للجمعة ، فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير ، فأدار به الخيل والرجال ، فمن بايعه خلا سبيله ، ومن توقف عن بيعته قتل فأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده ، ومن ذالك اليوم أحدث الناس سد أبواب المدن يوم الجمعة في وقت الصلاة ·

وفيها توفي الشيخ الصالح المتقشف أبو عبد الله التاودي المعلم لكتاب الله العزيز بمدينة فاس ودفن بخارج باب الكيسة ·

وفى سنة خمس وثمانين جلب المنصور الماء الى مراكش ·

وفى سنة ست وثمانين وخمسمئة دخل النصارا مدينة شلب وباجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس ·

وفى سنة سبع وثمانين فتح المسلمون قصر أبى دانس ·

وفى سنة احدا وتسعين هزم النصارا فى غزاة الاراك وقتل منهم ألوف كثيرة ·

وفى سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه ، وفيها بني جامع حسان ومناره ، وفيها بني منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مراكش ·

وفيها تمت قصبة مراكش وجامعها بالبناء ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو عبد الله بن معطى ·

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمئة (١٦٤) توفي الشيخ الصالح قطب زمانه

---

164) جعل المؤلف وفاة أبى مدين شعيب بن الحسين الأنصارى الاشبيلى التلمسانى سنة 584 والصواب أنها كانت بعد ذالك بعشرة أعوام ، وقد نقلت الفقرة من مكانها الأصلى الى مكانها الجديد الذى يقتضيه التسلسل التاريخى وتجدر الاشارة الى أن ابن أبى زرع أضاف فى آخر

أبو مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري ، وأصله من قطنيانة مـن عمل اشبيلية ، توفي بتلمسان ودفن بجبل العباد ، وكان مقامه التوكل ، سمع (رعاية المحاسبـى) على علي ابن حرزهم ، وسمع كتاب السنن لأبى عيسا الترمذى على علي ابن غالب ، وأخذ التصوف عن أبى عبد الله الدقاق ، وأاخر ماسمع من كلامه عند الموت : الله تعالا الحي القيوم الدائم ·

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمئة توفي المنصور وولي بعده الناصر

وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم محمد بن ابراهيم المهدوي صاحب كتاب الهداية ، نزل فاسا وبها توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين لجمادا الأولا من السنة المذكورة ، كان مـن أهـل الفضل والعلم والعمل والزهد فى الدنيا ، دخل مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها كلها فـى سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه ، فباعها وأمتعه المشتري فيها الى أن مات ، أقام بجامع القرويين مستقبل القبلة نحو الأربعين سنة لـم تفته صلاة فى جماعة يوما واحدا ، وأصابت أهل مدينة فاس مجاعة كان عنده فيها الف وسق من قمح فباعه كله من أهل الضعف بوثائق وأخرهم بالثمن الى أجل ، فلما حل الأجل استدعاهم فحضروا فى منزله فـحـل الوثائق فى الماء وقال لهم أنتم من ذالك فى حل ، فانى مابعت الا مـن الله تعالا ·

وفيها توفي الشيخ الفقيه محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتانى(١٦٥) من أهل مدينة فاس ، كانت وفاته فى العشر الأواسط من ذي الحجة منها ودفن بخارج باب الجيسة من أبواب مدينة فـاس ، وشهد أمير المومنين جنازته ، وكان رحمه الله من أئمة المغرب فى العلم ،

الفقرة قوله (وقيل انه توفي فى سنة 596) وهو أيضاً قول غير صحيح ، لأن الذى استدعا أبا مدين من بجاية الى مراكش هو الخليفة يعقوب المنصور لا ولده محمد الناصر ، وقد كانت وفاة يعقوب المنصور سنة 595 هـ .

ينظر عن أبى مدين كتاب **انس الفقير وعز الحقير** لأحمد ابن قنفذ القسنطينى .

165) صاحب كتاب المستفاد ، ينظر عنه **التشوف** ع 169 **وجذوة الاقتباس** ص 137 **وسلوة الأنفاس** 3 : 173 .

مقدما فى فنونه ، زاهدا فى الدنيا معرضا عنها مقبلا على الأاخرة ، لزم العبادة والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه الا رسمه ، وهو القائل :

وما أبقا الهوا والشوق منـــي سوى نفس تردد فى خـيـال
خفيت عن المنية أن ترانـــــي كان الـروح مني فى مـحـال

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه الصالح الورع امام القرويين أبو محمد يسكر الجورائى الغفجومى (١٦٦) وذالك فى ضحا يوم السبت الحادي عشر لذي قعدة من العام المذكور ، نشأ بتادلة واستوطن مدينة فاس ، وبها توفي ، تفقه على أبى خزر ، وسمع أبا الربيع التلمساني وصحب علي ابن حرزهم وأبا يعزا ، وكان ورعا فاضلا اذا دخـل عليه شهر رمضان طوا فراشه ، وأخذ فى الاجتهاد ، فيقطع الليل قائما يختـم القرأان فى تسليمة واحدة ، وقد قيل له ذات ليلة لو روحت نفسك قليـلا وأعطيتها حظها من النوم لكان أوفق لك ، فقال انما أطلب راحتها ثم انشد:

لاتجعلن رمضان شهر فكاهـة تلهيك فيه من الحديث فنونـه
واعلم بانـك لن تنال ثـوابـه حتى تكون تصومه وتقومـــه

وفى سنة ستمئة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد ، وتم باب الشريعة وركب مصراعه ٠

وفى هاذه السنة قام العبيدي بجبال ورغة فظفر به وقتل وعلق رأسه على باب الشريعة من مدينة فاس وأحرق جسده فى وسط الباب ، وذالك فى اليوم التي تم باب الشريعة المذكور بالبناء وركب مصراعه فسمـــي باب المحروق ٠

وفى سنة احدا وستمئة بنا يعيش عامل الناصر على الريف سـور مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلية حياطة على ذالك من فجأة العدو ٠

وفى سنة اثنتين وستمئة ولي الحفصيون عمالة أفريقية ٠

---

166) ينظر عنه **التشوف** ع 171 **وجذوة الاقتباس** ص 353 **وسلوة الأنفاس** 3 : 164 **وجنا زهرة الآس** ص 56 .

وفى سنة أربع وستمئة جدد سور مدينة وجدة ٠

وفيها أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الأندلس بفاس ، وجلب اليها ماء العين من خارج باب الحديد ، وفيها بني الباب الكبير المدرج الذي بصحن الجامع المذكور وأنفق فى ذالك كله من بيت المال

وفيها بني مصلا عدوة القرويين ٠

وفى سنة ثمان وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو عبد الله بن جرير المعروف بابن تاخميست من أهل فاس ، مات بها ليلة الثلاثاء السادس والعشرين لذي حجة من العام المذكور ، ودفن بخارج باب الجيسة ، وكان كثير الورع شديد الانقباض عن الناس ، وكان له خط حسن ، وكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب ، لم يزل مولعا بطلب العلم ودرسه وتحصيله الى أن مات وهو القائل :

أخو العلم حـي ذكره بعد موتـه وأوصالـه تحت التراب رمـيـم
وذوالجهل ميت وهوماش علىالثرا يـظـن من الأحياء وهـو عديـم

وفى سنة تسع وستمئة كانت هزيمة المسلمين بالعقاب فني بـهـا جميع عساكر المغرب والأندلس ٠

وفى سنة عشر وستمئة قام ولد العبيدي المحروق بفاس بجبال غمارة وادعا انه الفاطمى ، وبايعه خلق كثير من أهل الجبال والبوادي ، فبعث اليه الناصر جيشا فظفر به فقتل ٠

وفيها توفي أمير المومنين الناصر وولي ولده يوسف ٠

وفيها أقبل بنو مرين من قبلة زاب افريقية فدخلوا المغرب فى أمـم كثيرة ٠

وفيها كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس ٠

وفيها ملك النصارا مدينة أبذة ٠

وفى سنة ثلاث عشرة وستمئة هزم بنو مرين جيش الموحدين بفحص وادي نكور فدخل الموحدون مدينة فاس عرايا قد تستروا بالمشغلة فسمي

عام المشغلة ٠

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبي دانس ، وقتل منهم العدو أمما لاتحصى ٠

وفى سنة خمس عشرة وستمئة دخل الفونسو الثاني ملك البرتغال قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين ٠

وفى سنة سبع عشرة كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد٠

وفيها بني برج الذهب بوادي اشبيلية ٠

وفى سنة ثمان عشرة وستمئة جدد سور اشبيلية وبني الحرم البراني وجعل الحفير دائرا بالحزم ٠

وفى يوم الخميس الخامس عشر من ذي حجة من سنة تسع عشرة وستمئة فتح الموحدون جزيرة ميورقة ٠

وفى سنة عشرين وستمئة توفي يوسف المنتصر ٠

وفى سنة احدا وعشرين وستمئة بويع عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل بمرسية ٠

وفيها قتل الأمير عبد الواحد المخلوع ٠

وفى سنة اثنتين وعشرين قام السيد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن عبد المومن البياسى ببياسة ودعا لنفسه ، وفيها أعطا البياسى بياسة وقيجاطة للنصارا ٠ وفيها تغلب العدو على مدينة قرمونه من نظر مرسية وقتل جميع من فيها وأسر النساء والذرية ، وفيها أعطا البياسى للألفونسو حصن أندوجر ومرترس ومدسس وحصن التراب ونحو العشرين حصنا ومن البروج مالايوصف ٠

وفيها ملك الفونسو مدينة مربالة ودخل تطيلة بالسيف وقتل بها خلق كثير من المسلمين ٠

وفيها قتل من أهل اشبيلية نحو العشرة ألاف قتلهم العدو وكانوا خرجوا لاعانة تطيلة ٠

وفيها قتل من أهل مرسية نحو العشرة ألالاف كانوا أيضا خرجوا لاعانة حصن دلاية فهزمهم العدو فقتلوا وقتل فى هاتين الكائنتين من أهل المدينتين اشبيلية ومرسية ألوف لاتحصا حتى خلت المساجد والأسواق ٠

وفى سنة ثلاث وعشرين وستمئة تغلب العدو على مدينة لوشة من بلاد غرب الأندلس وفيها أعطا البياسي للنصارا حصن شلبطرة وبالأمس بذل الناصر فى أخذه الأموال الجليلة حتى ملكه المسلمون ٠

وفيها قتل البياسى بحصن المدور قتله ابن يبورك وحمل رأسه الى اشبيلية ٠

وفيها أخذ النصارا مدينة كبالة ٠

وفيها تقاتل عرب الخلط مع الموحدين بالعدوة فهزمهم الخلط ٠

وفى سنة أربع وعشرين وستمئة اشتـد الغلاء بالمغرب والأنـدلس فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار ٠

وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب ٠

وفيها بايع أهل اشبيلية السيد ادريس بن يعقوب المنصور ٠

وفيها ملك النصارا جزيرة ميورقة ٠

وفيها توفي عبد الله العادل ٠

وفيها بويع يحيا بن محمد الناصر وبويع المامون ٠

وفى سنة خمس وعشرين وستمئة قام ابن هود الملقب بالمتوكل بحصن أوريوالة من بلاد شرق الأندلس وبايعه أهل مرسية على الخلافة العباسية

وفى سنة ست وعشرين وستمئة كان السيل العظيم بمدينة فـاس هدم من سورها القبلى مسافتين ، وهدم من جامع الأندلس ثلاث بلاطات وديارا كثيرة وفنادق من عدوة الأندلس

وفيها ملك ابن هود شاطبة ودانية ٠

وفيها ملك النصارا حصن جبل العيون من ثغر بنلسية ٠

وفيها قتل القاضى القسطلي بمرسية قتله ابن هود ٠

وفيها ملك ابن هود جيان ٠

وفى ذى القعدة منها بايع أهل قرطبة لابن هود وأخرجوا منها الموحدين وقتلوهم ٠

وفيها تسما ابن هود بأمير المومنين ٠

وفيها جاز المامون الى العدوة ٠

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين لصفر الموافق ١اخر يوم من دجنبر كان الحدث الأعظم على ميورقة أعادها الله تعالا للاسلام ٠

وفى سنة ثمان وعشرين وستمئة كانت هزيمة ماردة على المسلمين

وفيها دخل العدو ماردة بالسيف ٠

وفى شعبان منها ملك العدو مدينة بطليوس وأحوازها ٠

وفى رجب منها ملك ابن هود جبل الفتح والجزيرة الخضراء ولم يبق للموحدين بالأندلس أمر ولانهي ٠

وفى سنة تسع وعشرين وستمئة قام السيد أبو موسا على أخيه المامون بسبتة ٠

وفيها قام محمد بن يوسف بن نصر الشهير بابن الأحمر ودعا الناس الى بيعته فبايعه أهل أرجونة وتسما بأمير المسلمين ، وفيها ملك العدو مدينة مروالة من عمل سرقسطة ٠

وفى سنة ثلاثين وستمئة توفي المأمون وولي بعد الرشيد ٠

وفيها ملك ابن هود سبتة فأقامت على ملكه ثلاثة أشهر فخلعوه وبايعوا أحمد البياسى وتسما بالموفق ٠

وفيها رجعت قرطبة وقرمونه لمحمد بن يوسف ابن نصر ٠

وفيها بويع القاضى الباجى باشبيلية ٠

وفيها عقد ابن هود الصلح مع العدو لاشتغاله بقتال ابن الأحمر والباجى فصالحه بألف دينار فى كل يوم ٠

وفيها خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ، وصل فيها وسق القمح ثلاثين دينارا ٠

وفى سنة واحد وثلاثين وستمئة وقعت المقاتلة بين ابن الأحمر وابن هود والباجى على مقربة من اشبيلية فهزماه ٠

وفيها قتل ابن الأحمر الباجى بعد الهزيمة غدرا ودخل اشبيليــة فأقام بها شهرا وأخرجه أهلها ٠

وفى جمادا الأخيرة منها ثار شعيب ابن محفوظ بن محمد بلبلــة وتسما بالمعتصم ٠

وفى شوال منها صالــح ابــن نصر ابن هود وبــايعه على جيان وأرجونة وبركونه ٠

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمئة نازل العدو جزيرة يابسة خمسة اشهر حتى دخلها ٠

وفيها نــزل الجنويون سبــتــة بأجفان لاتحصا ، ونصبــوا عليها المنجنيقات فلم يقدروا منها على شيء ٠

وفى سنة ثلاث وثلاثين أقلع أهل جنوة عن مدينة سبتة بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم ونصب المجانيق واالات الحرب المعدة فصالحهم أهلها بأربعمئة الف دينار ٠

وفيها غدر النصارا شرقية قرطبة وذالك فى ثالث شوال عشاء فى غفلة السمار وسلم الله عز وجل النساء والذراري حتى لحقوا بالغربية ، وبقي الناس معهم فى قتال عظيم ، ولم تزل الغربية محصورة الى أن أخذت وملكها النصارا أجمع ٠

وفيها انعقد الصلح بــيــن ملك قشتيلة وابــن هود لأربعة أعــوام بأربعمئة الف دينار فى السنة ٠

وفيها قتل أمير المومنين أشياخ الخلط ٠

وفى سنة خمس وثلاثين بايع أهل أشبيلية الرشيد وبايعه أهل سبتة

وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن فى الحفرة الواحدة المئة من الناس ·

وفى سنة أربعين وستمئة توفي الرشيد وولي أخوه السعيد ·

وفى سنة ثلاث وأربعين وستمئة ملك الأمير أبو بكر المريني مدينة مكناسة ·

وفى سنة اثنتين وأربعين ملك النصارا مدينة بلنسية ·

وفى سنة أربع وأربعين ملك النصارا مدينة جيان ·

وفى سنة ست وأربعين توفي أبو الحسن علي السعيد ·

وفى هاذه السنة ملك العدو مدينة اشبيلية ·

وفيها ملك الأمير أبوبكر المريني مدينة فاس ورباط تازة ·

وفى هاذه السنة وقع الحريق بأسواق فاس احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها الى حمام الرحبة ·

وفيها ولي المرتضا بمراكش ·

وفى سنة ثلاث وخمسين كانت هزيمة عمر المرتضا ببنى بهلول من أحواز فاس ·

وفى سنة خمس وستين قتل المرتضا بمراكش وولي أبو دبوس ·

وفى سنة سبع وستين وستمئة قتل أبو دبوس وهزم جيشه ، وملك أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش وأحوازها فدخلها فى يوم الأحد التاسع من محرم سنة ثمانية وستين وستمئة ·

الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية

أطالها الله وخلد ملكها وأعلا كلمتها وأيدها ، وذكر نسبها الصريح ، وقيامها بالحق والاعتقاد الصحيح ، وأخبار ملوكهم وفتوحاتهم وغزواتهم وسيرهم الجميلة ومآثرهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما بنو مرين فهم أعلا قبائل زناتة حسبا ، وأشرفها نسبا ، واغزرها كرما ، وأحسنها شيما ، وأرعاها ذماما ، وأرجحها أحلاما ، وأشدها فى الحروب بأسا واقداما ، وأكثرها دينا ، وأحسنها ظنا وأصلحها يقينا ، وأوثقها عقدا ، وأوفاها عهدا ، وأوفرها عددا ، وأطولها فى الشدائد يدا ، لهم شرف النجار ، وحفظ الجوار ، وحماية الذمار ، ووقود النار ، واكرام الضيف والضرب بالسيف ، والبعد عن الغدر والعار والحيف ، والأدب والدين ، واكرام العلماء وتوقير الصالحين ، لم يزالوا على هاذا السنن القويم ، والمنهج المستقيم ، يعرفون به فى الحديث والقديم ، أبقاهم الله تعالا متصلة أيامهم ، منصورة أعلامهم ، نافذة أحكامهم ، ماضية فى الأعداءسيوفهم وأقلامهم ، بمنه وكرمه .

الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالى الصحيح

قال المؤلف عفا الله عنه :

نقلت من تقييد الفقيه أبى علي المليانى بخط يده قال :

«بنو مرين فخذ من زناتة ، وهم من ولد مرين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن وجديج ، بن فاتن ، بن يدر ، بن عبد الله ، بن ورتيب ، ابن المعز ، بن ابراهيم ، بن سجيح ، بن واسين ، بن يصليتن ، بن

مشرى ، ابن زاكيا ، بن ورسيك ، بن زنات ، بن جانا ، بن يحيا ، ابن تمزيت ، بن ضريس ، وهو جالوت الأول ملك الربر ، ابن زجيح ، بـن مادغيس الأبتر ، ابن بر ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بـن نزار ، ابن معد ، بن عدنان •

فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة ، فهم عرب صريحون ، والسبب فى تغير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ماذكره علماء التاريـخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولـدان : الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنـان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ، ودهمان ، ابني عيلان ، فأما دهمان فولده قليل ، وهو بيت فى قيس يقال لهم بنوا أمامة ، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد ، وعمر ، وخصفة ، أمهم مدنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وأخته تماضر أمهما بريغ بنت مجدلى بـن مجدول بن عمار بن مضر البربرى المجدولي ، وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فـى المساكـن والأسواق والمـراعـى ، ويشاركونهم فى المياه والمسارح والمساعى ، ويصاهـر بعضهم بعضـا ، وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانـهـا وأكملهم ظرفا وحسنا ، فكثر خطابها من كل قبيلة من العرب ، فقال بنـو عمها قيس وهم عمرو وسعد وبر وخصفة لايتزوج ابنة عمنا الا أحدنا ، ولاتخرج منا الى غيرنا ، فخيروها فيمن شاءت منهم فاختارت برا ، وكان أصغرهم سنا وأكملهم شبابا ، فتزوجته دون اخوته ، فحسدوه عليهـا وهموا بقتله من أجلها ، وكانت أمه بريغ من دهاة النساء ، فخافت على ولدها من اخوته ، فبعثت الى البهاء بنت دهمان وأعلمتها الخبر وتواطئت معها على الخروج الى بلد اخوتها من البربر مع ولدها بـر حيث تأمن عليه ، ثم بعثت الى قومها فأتوها سرا ، فسارت معهم هي وولدها والبهاء بنت دهمان ، فلحقوا ببلاد البربـر ، فنزل بر بين أخـوالـه ، وأعرس بابنة عمه البهاء ، واعتز وامتنع ممن أراده بسوء ، فولـدت له هنالـك ولدين علوان ومادغيس ابني بر بن قيس بن عيلان ، فأمـا علوان فمات

صغيرا ولم يعقب ، وأما مادغيس فكان يلقب بالأبتر ، وهو أبو البتر من البربر ، واليه يرفعون أنسابهم ، ومن ولده جميع زناتة •

وفي ذالك يقول بعض ولد مادغيس بن بر :

أيـهـا السائل عـن احسابنا　　قيس عيلان بني الـعـز الأول
نحن ماحن بنو بـر الـنـدا　　طـارد الأزمـة نحار الابـل

ولبعض الشعراء من العرب رحمه الله في معناه :

الا أيها الساعـى لفرقة بيننا　　توخ هداك الله سبل الأطايـب
فاقسم انا والبرابر اخــوة　　نمانا وهم جـد كبير المناسب
ابونا ابوهمقيس عيلانفيالذرا　　وفيحومة يشفى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخـوة　　على رغم أعـداء لئام المناقب

فمات بر بن قيس في بلاد أخواله فنشأ ولده مادغيس وذريته فـي البربر حتى كثروا وصاروا ألوفا لاتعد ولا تحصا ، لسانهم بلغتهم ناطق وحالهم لحالهم موافق مطابق ، يسكنون البرارى والسباسب ، ويركبون الخيل والنجائـب ، ناطقين بأفصح كـلامهم ، ألخذين بأحسن سيرهـم ومناهجهم ، وبذالك رثت برا أخته تماضر بنت قيس تبكيه ، وتذكر بعده عن وطنه وقرابته وذويه ، في أشعار كثيرة منها :

لتبـكـى كـل باكية أخـاهـا　　كما أبكى على بـر بـن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحـــا　　ودون لقائـــه انضـاء عيس

وهي القائلة ايضا :

وشطت ببر داره عـن بـلادنا　　وطوح بر نفسه حيث يممـــا
وأزرت بـبـر لكنة أعجمـيـة　　وماكان بـر بالحجاز بأعجما

وفي ذالك يقول صاحب أرجوزة (نظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك) عبد العزيز الملزوزي :

فـجـاورت زنـاتـة البرابـرا　　فصـيـروا كـلامهم كما تـرا
مابدل الدهر سوى أقوالـهـم　　ولـم يبدل منتها أحـوالهم

بل فعلهم أربا على فعل العرب — في الحال والايثار ثم في الأدب
فانظر كلام العرب قد تبدلا — وحالهم عن حاله تحولا
لايعرفون اليوم ما الكلام — ومالهم نطق ولا افهام
وان تمادت بهم الأحوال — لم تبق في الدهر لهم اقوال
كذاك كانت قبلهم مرين — كلامهم كالدر اذ يبين
فاتخذوا سواهم خليلا — فبدلوا كلامهم تبديلا

الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنى المعجب

لما أراد الله اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق في قدره وعلمه ، من مبرم حكمه، كان من تقدم من ملوك الموحدين أولى حزم ورأي ودين ، الى ان كانت وقعة العقاب ، فأاذنت دولتهم بالذهاب ، فرجع الناصر منها ذا انكسار ، فدخل لمراكش ولم يزل أمره في ادبار ، الى أن مات في سنة عشر وستمئة مفجوعا ، وولي ولده المنتصر صبيا صغيرا هلوعا ، لم يبلغ الحلم ولا جرب الأمور ، فاعتكف على اللهو واللعب والخمور ، وسلم الملك الى أعمامه وقرابته ، وفوض أموره الى وزرائه وأشياخ دولته ، فتحاسدوا فيما بينهم على الرياسة ، وناقض بعضهم بعضا تكبرا ونفاسة ، وأدرك رؤساءهم الاعجاب ، فأضاعوا الأمور وأغلظوا الحجاب ، وقطعوا الأرحام ، وجاروا في الأحكام ، وولوا أمورهم سفلتهم ، وتحكم عليهم أشرارهم ، فبدا الفساد في ملكهم ، وظهر النقص في دينهم وبلادهم ، وولت أيامهم ، وأدبرت سعودهم ، فجعل الله بأسهم بينهم ، وبعث لفنائهم عصبة مرين ، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين ، ومكن لهم في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وكان بنو مرين أهل تصميم وصحة يقين ، يسكنون بلاد القبلة من زاب أفريقية الى سجلماسة ، وينتقلون في تلك البراري والقفار ، ولا

يؤدون لأمير درهما ولا دينار ، ولا يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا يرضون بذل ولا هوان ، لهم همة عالية ، ونفوس سامية ، لايعرفـون الحرث ولا التجارة ، ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارة ، جل أموالهم الخيل والابل والخول ، وطعامهم اللحم والتمر واللبن والعسل ، وكانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب فى زمن الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون أنعامهم ، فاذا توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف ، ثم شدوا رحالهم وانصرفوا الى بلادهم ، كان ذالك دأبهم على مـر الزمـان ، وتعاقـب الأحيان .

فلما كان فى عام عشرة وستمئة أتوا على دعاتهم مـن البريـة ، فوجدوا المغرب قد باد أهله ورجاله ، وفني خيله وحماته وأبطاله ، ومات الكل بغزاة العقاب ، واستولا على بلادهم الخراب ، وعمرته السـبـاع والذياب ، فأقاموا بمكانهم ، وبعثوا الى اخوانهم وأخبروهم بحال البلاد وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعيها وكثرة مياهها ومشارعها والتفاف أشجارها ، وغزير ثمارها ، واطراد عيونها وأنهارها ، وقالوا لهم أسرعوا اليها ، فليس بها من يصدكم عنها ولامن ينازعكم فيها ، فوصل الخبر الى مرين ، فبادروا الى المغرب مقبلين ، وعلىالله عزوجل فيأمورهم متوكلين، يقطعون المهامه والسباسب ، على ظهور الخيل والنجائب ، يرومون الدنو والبلاغ ، حتى وصلوا الى وادي تلاغ (١٦٧) فدخلوا المغرب مـن ذالك الباب ، بالخيل والابل والمراكب والقباب ، فى جيش كالسيل أو اللـيـل المقمر ، وأمم كالنمل أو الجراد المنتشر ، وذالك لأمر قد قدر ، وليظهر ماكان فى الغيب مجهولا ، وليقضي الله أمرا كان مفعولا ، لاالاه غيره .

قـدمـت مرين الى بلاد المغـرب … والسعد يصحبها بنيل المطـلـب
فى عام عشرة كان بـدء دخولهم … من بعد ست مئين فاحفظ واكتب

وقال عبد العزيز الملزوزي فى رجزه :

---

167) وادى وسهل ملاصق لنهر ملوية من جهة الشرق غير بعيد عن كرسيف ، وبالمغرب الأوسط ، جنوبى مدينة سيدى بلعباس، مدينة وسهل يدعا كلاهما أيضاً بتلاغ، والأول هو المقصود .

فـــى عــام عشــرة وســت ميه   أتــوا الى المغرب من البريــــة
جاءوا من الصحراء والسباســب   عــلــى ظهور الخيل والنجائــب
كمثل مــا قــد دخــل الملثــمــون   من قبل ذا وهــم لــه ميممــون

وكان ملوك الموحدين فى تلك السنين قــد تهاونوا فــى الأمــور ، واشتغلوا باللهو والخمور ، وركنوا الى الغيد فى القصور ، فأدا ذالــك بهم الى القصور ، فدخلت مرين المغرب ، والقدر يسوقهم لملكه ، ويقرب وانتشروا فى بلاده كالجراد ، وملأت عساكرهم النجود والوهاد ، فــلــم يزالوا ينتقلون فى بلاده ، ويسيرون فى نجوده ووهاده ، ويقطعونه مرحلة مرحلة ، حتى أبادوا الجيش عام المشغلة ، وهو عام ثلاثة عشر وستمئة ٠

قال المؤلف عفا الله عنه :

حدثنى من أثق به من أهل التاريخ(١٦٨) أنه لما دخلت مرين المغربتفرقت قبائلها فى أنحائه ، وشنوا الغارات على بلاده وأرجائه ، فمن أذعن لهم بالطاعة سالموه ، ومن بدأهم بالحزب قاتلوه وقصموه ، ففر الناس أمامهم يميــنــا وشمالا ، ولحقوا بالجبال المنيعة لتــكــون لهم حصنا ومــآلا ، فاتصل خبرهم بيوسف المنتصر ، فأطرق يفكر فى أمرهم ويدبر ، ثم دعا الوزراء وأشياخ الموحدين ، وشاورهم فى أمر بنى مرين ، فقالوا يا أمير المومنين لاتهتم بأمرهم ، ولا تشغل خاطرك بهم ، فهم أضعف ناصرا ٠ وأقل عددا ، لكنا لانتركهم سدا أبدا ، بــل نبعث لهم جيشا من الموحديــن ، يبيدهم فى الحين ، يقتل رجالهم ، وينهب أموالهم ، ويسبى نساءهــم ، ويشرد بهم من خلفهم ، ويطفيء بهم جمرة من سواهم ، فبعث اليــهــم بجيش من عشرة أالاف من الموحدين ، وقدم عليهم أبا علي بن وانودين ، وأمرهم باستئصال مرين ، وقال اقتلوا الوالد والولد ، ولاتبقوا منهم على أحد ، فارتحل الجيش عن مراكش ، قاصدا للحرب والتناوش ، فسمعت مرين باقبالهم ، فتأهبت لحربهم ونزالهم ، وتتابعت قبائلها ، وتشــاورو

---

168) هو الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد ابن الجبر ، انظر **الذخيرة السنية** ص 27 .

رؤساؤها وأقيالها ، فاجتمعت كلمتهم واتفق رأيهم وقولهم أن يجعلوا بلقعة تازوطة حريمهم وأموالهم ، ثم أقبلوا مستعدين ، لقتال جيش الموحدين ، فالتقا الجمعان بمقربة من وادي نكور ، فكان بينهم حرب عظيم مذكور ، منح الله فيه بني مرين النصر على الموحدين ، فهزموهم وقتلوهم قتلا ذريعا ، وفر من أفلت منهم خائفا فزوعا ، واحتوت مرين على جميع ماكان فى محلتهم من الأثاث والمال ، والعدد والخيل والبغال ، فقويت مرين بذالك قوة عظيمة ، وشكروا الله تعالا على ماخولهم من نعمه الجسيمة ، وهابهم جميع من بالمغرب من الناس ، ودخل جل جيش الموحدين الى رباط تازة ومدينة فاس عراة حفاة منهزمين ، وبالمشغلة محتزمين ، وبأوراقها مستترين ، قد علاهم الغبار ، واعتورهم الادبار ، وبدت عليهم الذلة والصغار ، دموعهم مرسلة ، وقلوبهم بالحزن مشعلة ، فسمي العام عام المشغلة ، وفيه قوي أمر بنى مرين ، وضعف ملك الموحدين فخلت بلادهم ، وقل خراجهم ، وفني أشرافهم ، وقتل حماتهم وأنصارهم ، وجعل الله بأسهم بينهم ، فكان أشياخهم يبايعون سلطانا ثم يخلعونه ، ويولون غيره ثم يقتلونه ، وينهبون ذخائره وأمواله ، ويقتسمون خوله وعياله ، فجعلوا عبد الواحد ثم قتلوه ، وبايعوا بعده العادل ثم دخلوا عليه فخنقوه ، وبعثوا الى المامون بيعتهم ثم نكثوا ، وبايعوا ابن أخيه يحيا فى الحين وما تلبثوا ، فضعف ملكهم بذالك ، وظهر أمر بنى مرين واعتد وقوي .

الخبر عن دولة الامير المبارك عبد الحق بن محيو

ابن أبى بكر بن حمامة

هو الأمير أبو محمد عبد الحق ، ابن الأمير أبى خالد محيو ، بن أبى بكر ، بن حمامة الزناتي المرينى ثم الحمامى ، أمير ابن أمير الى مرين ابن ورتاج ابن ماخوخ ، شهد والده محيو بن أبى بكر غزاة الأراك مع

أمير المومنين يعقوب المنصور متطوعا ، فعقد له في ذالك اليوم على جميع من فى عسكره من زناتة ، وأبلا فى تلك الغزاة بلاء حسنا ، وتوفي رحمه الله فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ببلاده من قبلة زاب أفـريقية بعد انصرافه من غزاة الأراك المذكورة من جراحات نالته فى تلك الـغـزاة فانتقضت عليه فمات شهيدا ، فقام بأمر بنى مرين بعده ولده الأمير عبد الحق ، وكان فى بنى مرين مشهورا بالتقا والفضل والديـن ، والصلاح والبركة واليقين ، معروفا بالعفاف ، موصوفـا فى أحكامـه بالعدل والانصاف ، يطعم الطعام ، ويكفل الأيتام ، ويؤثر على نفسه المساكين ، ويحنو على المستضعفين ، كانت له بركة معروفة ، ودعوة مجابة موصوفة، كانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها فى جميع أحياء زناتة ، تحمل الـى الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع فيهون الله تعالا عليهن الوضـع ويسهل عليهن الولادة ببركته ، وكان بقية وضوئه يحمله الناس فيستشفون بـه لمرضاهم ، وكان رحمه الله على سنن أهل الفضل ، فلايزال صائما في شدة الحر والبرد ، ولا يرا مفطرا الا فى أيام الأعياد خاصة ، كثير الذكر والتسبيح والأوراد ، لايفتر عن الذكر على أي حالة كان ، ولا يأكل الا الخلال المحض من طيب كسبه من لحوم ابله وغنمه وألبانها ، وممـا يعانيه بيده من الصيد ، فكان من قبائل مرين عالما مشهورا ، وأميرا مطاعا مذكورا ، يقفون عند أمره ونهيه ، ولايصدرون فى جميع أمورهم الا عـن رأيه ، وكان قليل الولد ، فريدا فى العدد ، نام ليلة بعد ان فرغ من ورده، وأكثر من ذكر الله وحمده ، فرأا فى سنته منامة ، كانت له ولعقبه دليل الملك والامامة ، رأا كأن قبس نار خرج من ذكره فعلا فى الهواء وارتفع حتى احتوا على أقطار المغرب أجمع ، واستوا على جهاته الأربع ، فقص رؤياه على بعض الصالحين ، فقال أبشر ولاتخف منها فهيلك عز وتأمين ، هاذه رؤيا جليلة ، لك ولعقبك بها شرف وفضيـلـة ، دلـت علـى الملك والتعظيم ، والتأييد والتفخيم ، انك تلد اولادا ذكورا ، ترا لهم فـخـرا مذكورا ، وشرفا مشهورا ، يملك المغرب منهم أربعة ، تكون الامة علـى أآخرهم مجتمعة ، فيكون لهم التقدم والرياسة ، والامـارة والسياسة ،

يتوارث الملك فى بنيه واعقابه ، وبهم يستقر الأمن فى نصابه ، وكان الأمر كما قص عليه ، فلم يمت حتى رأا ماذكر له قد صار اليه ، فملك أمر بنى مرين أجمع ، وتوارث الأمر بعده بنوه الأربع •

وفى شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الأمير عبد الحق بجيوش مرين الى رباط تازة فوقف بازاء زيتونها فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشود من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم ، فقتل العامل وهزم جيشه ، وجمع الأمير عبد الحق الأسلاب والخيل والسلاح ، وقسم ذالك كله فى قبائل مرين ، ولم يتمسك منها بشيء وقال لبنيه اياكم ان تأخدوا من هاذه الغنيمة شيئا ، يكفيكم الثناء والظهور على أعدائكم •

وفى شهر جمادا الأخيرة من سنة اربع عشرة وستمئة كانت الملاقاة بين بنى مرين وبنى رياح ومن ظاهرهم من بنى عسكر ، وكانت رياح أقوا قبائل عرب المغرب واشجعها وأكثرهم خيلا وأموالا ورجالا ، ولما اقبلوا لقتال مرين وسمعت بنو مرين باقبالهم اجتمعوا على أميرهم عبد الحق فقالوا له انت أميرنا ورئيسنا ، فماترا فى أمر هاؤلاء العرب المقبلين الينا ؟ فقال لهم يامعشر مرين أما ان كنتم فى أمركم مجتمعين ، وفى أحوالكم متفقين ، وكنتم فى حرب عدوكم أعوانا ، وفى ذات الله اخوانا، فلا أخشا أن القا بكم جميع أهل المغرب ، وان اختلفت احوالكم ، وتشتت أاراؤكم ، ظفر بكم أعداؤكم ، فقالوا له انا نجدد لك البيعة على السمع والطاعة ، وعلى أن لانختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك ، فانهض بناليهم على بركةالله تعالا ، فالتقا الجمعان بقرية(١٦٩)من وادي سبوعلى أميال من تافرطست ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، فقتل فيها عبد الحق وولده ادريس ، فغضبت مرين لقتل أميرها وانفت لموت رئيسها وكبيرها ، وتراجعت كالأسد فى زئيرها وهريرها ، وأقسمت بأيمانها ألا يدفن حتى تأخذ ثاره ، وتحمي ذماره ، فحملوا على رياح حملة الأسد على الثعالب

---

169) المكان الذى وقعت فيه الحرب اسمه واجهران .

وانقضوا فى جيوشهم انقضاض البزاة فى اليعاقب ، فصبر الفريقان صبرا جميلا ، ورأوا أن لامحيد عن الموت فى حروبهم ولا تحويلا ، فاشتدالحرب بينهم والكفاح ، وكثر القتل فى الفريقين والجراح ، وتفللت السـيـوف وتقصفت الرماح ، فنصرت مرين ومزقت رياح ، وقتل مريـن منهم خلقا عديدا ، وسار من بقي منهم مهزوما شريدا ، واحتوت مريـن على جميع ماكان فى محلتهم من الأموال والعدد والثياب ، والخيل والابل والدواب وقام بأمرهم بعد موت عبد الحق أميرهم ولده عثمان ·

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه :

أخبرنى الفقيه القاضى عبد الله بن الودون وأخوه الفقيه يـوسف أنهما قدما على أمير المسلمين يعقوب بـن عبد الحق رحمه الله فى وفد أهل مدينة فاس من الشرفاء والفقهاء والصلحاء بمدينة ربـاط الفتح ، وذالك فى شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وستمئة للسلام عليه حين قدم من حضرة مراكش يريد الجواز الى الأندلس برسم الجهاد ، فجرا فى مجلسه رحمه الله ذكر والده الأمير عبد الحق ، فقال أمير المسلمين يعقوب كان والله الأمير عبد الحق صادق اللسان اذا قـال فعل ، وأذا عاهد وفا ، لم يحلف قط بالله تعالا برا ولا حانثا ، ولا شرب مسكرا ، ولا ارتكب فاحشة ، ببركة ازاره تضع الحوامل اللواتى صـعـب عليهن الوضع ، وكان يسرد الصوم ، ويقوم اكثر الليل ، واذا سمع بصالح او عابد قصد لزيارته واستوهب منه الدعاء ، شديد الخوف من الصالحين ، متواضعا لهم ، وكان مع ذالك سما لأعدائه ، قاهرا لهم ، وما وجدنا الا بركته وبركات من دعا له من الصالحين نفعنا الله ببركاتهم ·

الخبر عن دولة الامير عثمان بن عبد الحق

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما فرغ بنو مرين من قتال رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا على

أمير المسلمين عثمان بن عبد الحق فعزوه فى أبيه وأخيه ، وبايعوه عن رضا منهم به وتنزيه ، فأخذ فى غسل أبيه ودفنه ، وقلبه يلتهب بالأسا من حزنه ٠

فلما فرغ من شأنه وقف بين قومه واخوانه فأمرهم بجمع السلب والأموال ، فقسمها في قبائل مرين بالسوية والاعتدال ، ثم سار الى غزو رياح وحلف الا يكف عنهم حتى يقتل منهم بأبيه مئة شيخ من أشرافهم ، فقتل منهم خلقا عديدا ، فلما رأت رياح ذالك أذعنوا له بالطاعة ، فكف عنهم على مال جليل يؤدونه له فى كل سنة ٠

وفى هاذه المدة ضعفت دولة الموحدين ، وظهر فيها النقص وتبين أي تبيين ، وصارت ملوكهم ليس لهم حكم فى البوادي ، وانما سلطانهم وأوامرهم فى المدن خاصة ، وكثرت الفتن بين القبائل ، واشتد الخوف فى الطرقات والمناهل ، ونبذ أكثر الناس الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وقالوا لولاتهم لاسمع ولاطاعة ، فاستوا الدنيء والشريف ، وأكل القوي الضعيف ، وكل من قدر على شيء صنعه ، ومن أراد شرا ابتدعه ، ليس لهم سلطان يكفهم ، ولا أمير عن غيهم يردهم ويصدهم ، وكانت قبائل فازاز من جناتة وقبائل العرب والبربر يقطعون الطرقات ، ويغيرون على القرا والمجاشر مع الأحيان والأوقات ٠

فلما رأا الأمير عثمان بن عبد الحق أن ملوك الموحدين ، قد ضعفت دولتهم ، وضيعوا حرمتهم ، وأهملوا رعيتهم ، واعتكفوا فى قصورهم ، واحتجبوا عن مهمات أمورهم ، واشتغلوا بالخمور والغوانى ، وتلذذوا باللهو وسماع الاغانى ، ورأا أن ضلالهم قد تبين ، وغزوهم على من له قدرة قد تعين ، وخلعهم من أوجب الواجب ، لعجزهم عن القيام بالحق الواجب ، جمع أشياخ مرين ، وندبهم الى القيام بأمر الدين ، والنظر فى مصالح المسلمين ، فوجدهم الى ذالك مسرعين ، فسار بجيوشه الوافرة ، وجنوده المنصورة الظافرة ، فى بلاد المغرب وقبائله ، وجباله وأوديته ومناهله ، فمن سارع الى بيعته ودخل فى طاعته ، أمنه ووضع عنه الخراج ، وتركه آمنا منيعا ، ومن حاده ونابذه أباده نهبا وقتلا وغادره

صريعا ، فكان أول من بايعه من قبائل المغرب هوارة وزكارة ، ثم تسول ومكناسة ، ثم بطوية وفشتالة ، ثم صدراته وبهلولة ومديونة ، فوضع عليهم الخراج وأخرج لهم الحفاظ ، وصالح أهل مدينة فاس ومكناسة وبارط تازة وقصر عبد الكريم على أموال معلومة يؤدونها اليه فى كل سنة على أن يؤمن بلادهم ويرفع عنهم الغارات ، ويدفع عنهم أذا من كان يؤذيهم من القبائل ·

وفى سنة عشرين وستمئة غزا الأمير عثمان بلاد فازاز ومن بها من قبائل جناتة فأثخن فيهم حتى أذعنوا له بالطاعة ، وكفوا أذاهم عن الناس واستنكفوا عن الفساد ·

وفى سنة احدا وعشرين غزا من بفحص أزغار من قبائل العرب فأبادهم ، وأخلا بلادهم ، وكان رحمه الله شديد الحزم ، ذا نجدة وشجاعة وعزم ، له رأي سديد ، وعضد شديد ، وكرم وايثار ، وحماية للذمار ، وحفظ للجار ، وحياء ودين ، وفضل مستبين ، معظما للفقهاء ، مكرما للصلحاء ، سلك بذالك نهج أبيه وطريقته ، ولم يزل على ذالك الى أن توفي رحمه الله ، اغتاله علج كان له رباه صغيرا ضربه بحربة فى منحره فمات من حينه ، وذالك فى سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، فكانت أيام امارته على مرين وبوادي المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين له ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر ·

الخبر عن دولة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق

لما قتل الأمير عثمان بن عبد الحق اجتمع أشياخ بنى مرين الى أخيه الأمير محمد فبايعوه على السمع والطاعة ، وان يحاربوا من حارب ، ويسالموا من سالم ، فاستقام له أمرهم ، وسار فيهم بسيرة أخيه ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه ، وكان رحمه الله شهما بطلا شجاعا مؤيدا منصورا مهابا مطاعا كثير الغارات حسن السياسة والمحاولة ، لم

يفتر في أيامه عن قتال ، ولم يزل مرتكبا للحروب والأهوال ، عارفابمكايد الحرب وخدعه ، فكان كما وصفه الشاعر في رجزه :

ثـــم تـولا بعـده محمـد	وكـان في أموره مسـدد
فـكـان لايفتر عن قـتـال	مـواظبا للحرب والـنـزال
كم عسكر لاقـا وكم جنود	ومن جموع جمة الحشـود
وكل جيش جاء من مراكش	أفناه بالحروب والتناوش
نـهـاره وليـلـه طـعـان	لكـنـه مـؤيـد معـان

كان الأمير أبو معرف مع ذالك مبارك الامارة ، ميمـون النقيبة ، حسن الادارة ، ذا عقل ودهاء ، ورأي وصدق ووفاء ، اذا صال أفنا ، واذا أعطا اغنا ، واذا رأا الفرصة انتهزهـا ، لـم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون عنه خاسرين ، الى أن كانت سنة اثنتين واربعين وقد تمكن في الملك اي تمكين ، فأخبر السعيد بشدة بأسه وجلاده ، وأنه قـد استحوذ على اكثر بلاده ، فبعث اليه بجيش كثيف من عشرين الف فارس من قبائل الموحدين والعرب وهسكورة وقواد الروم ، فسار الجيش قاصدا اليه ، فسمع الأمير محمد باقباله ، فاستعد لقتاله وعول عليه ، فـالتقا الجمعان بموضع يعرف بصخرة أبى بياش من أحواز مدينة فاس ، فكانت بينهم حروب كثيرة عظيمة لم يسمع بمثلها من أول النهار الى آاخره ، فلما كان العشي قتل الأمير محمد بن عبد الحق ، قتله زعيم من الروم في المعترك تحاملا فطفرت به الفرس فأمكنت الرومـي منه الغرة فطعنه فمات رحمه الله وانهزمت مرين واتخذوا الليل جملا ، فأسروا طول ليلتـهـم بأولادهم وعيالهم ، وخيلهم ، وأموالهم ، فأصبحوا بجبال غياثة فتمنعوا بها أياما ، وكانت هاذه الوقعة وموت الأمير محمد عشية يوم الخميس التاسع من جمادا الأخيرة سنة اثنتين واربعين وستمئة (١٢ نونبر سنة ١٢٤٤ م) وولي مكانه أخوه الأمير أبوبكر بن عبد الحق رحمه الله تعالا

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق

رحمه الله

هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة الزناتى ثم المرينى ·

أمه : الحرة العبد الوادية ·

كنيته : أبو يحيا

صفته : كان أبيض اللون مشربا بحمرة ، تام القد ، بسيط الجسم ، حسن الوجه طلق اليدين ، يضرب بكلتا يديه ، ويرمى بحربتين فى حالة واحدة ، فارسا شجاعا بطلا ، لم يكن فى زمانه مثله ، ذا عزم وحزم واقدام ، زعيما ضرغاما ، كان فى الحروب فريد عصره ونسيج وحده يقوم فى الجيش مقام حيدرة ، وكان الأبطال يهابون مبارزته ، والزعماء يخافون محاربته ومناجزته ، وكان مع ذالك كريما جوادا كالغمام ، يعطى عطاء تعجز عنه الملوك العظام ، وفيا بالعهود صادقا فى الأقوال والوعود ·

فاق ملوك الأرض بالزعامه وبالوفا والصدق والكرامة

وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ونشر البنود، وملك الحصون والبلاد ، واكتسب الطارف والتلاد ، واعطي النصر والتمكين ، فكان عنوان سعد بنى مرين ·

لما تمت بيعته ، واستقرت فى الملك طلعته ، كان أول شيء فعله ، أنه جمع أشياخ قبائل بنى مرين فقسم عليهم بلاد المغرب ، فأنزل كل قبيلة فى ناحية منه ، وجعل لها مانزلت فيه من الأرض ، وماغلبت عليه من البلاد طعمة لايشاركهم فيها غيرهم ، وأمر كل واحد من الأشياخ ان يركب الرجال ، ويستكثر من الفرسان للقتال ، ثم سار هو بجملته فنزل

جبل زرهون (١٧٠) باخوانه ومحلته ، وكان يغادى مدينة مكناسة ويراوحها حتى غلب عليها وملكها وذالك فى سنة ثلاث وأربعين وستمئة فى أيام السعيد الموحدي فتحها صلحا على يد شيخها أبى الحسن ابن أبى العافية ، فاتصل بالسعيد ملك الموحدين تملك أبى بكر اياها فخرج الى قتاله من مراكش فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والمصامدة والعرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فنزل به وأخذ فى تمييز جيوشه ، فخرج الأمير أبوبكر ليلا وحده من مكناسة متحسسا ومتجسسا يتطلع على عساكر السعيد ، فسار حتى وصل المحلة وشاهد أحوالها وعاين كثرة جيوشها وأبطالها ، فعلم أنه لاطاقة له بلقائه ، فتخلا له عن البلاد ، وبعث الى قبائل مرين فاجتمعت اليه من كل واد ، فارتحل بهم الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، وأتا السعيد حتى نزل مكناسة ، فتلقاه أهلها بأولادهم وعيالهم يطلبون عفوه ، فعفا عنهم وأمنهم ، وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فخرج أشياخها فسلموا عليه ، فتكلم لهم خيرا ، وسألوه دخول المدينة فأبا وارتحل الى رباط تازة ، فنزل بخارجه فبعث اليه الأمير أبوبكور ببيعته فقبلها ، وكتب

---

170) جبل زرهون جبل يقع الى الشمال من بسيط سايس الممتد بين فاس ومكناس وابتداؤه بالنسبة للذاهب اليه من مكناس المحل المعروف بعقبة العربى ،وهو جبل جيد التربة كثير الأشجار المغلة ، عديد القرا ، من أشهر قراه زاوية مولاى ادريس ، وكان يسكن هاذا الجبل فى صدر الاسلام قبيلة أورية ، ثم انحازت اليه أجيال من قبائل الريف ، ثم طرأت عليه وعلى سهل سايس الواقع الى الجنوب منه فلول قبائل المغرب الشرقى والمغرب الأوسط التى انحاشت الى داخلية المغرب الأقصا أمام زحف الجيش الفرنسى على الأقاليم الجزائرية وتوغلها فى الأقاليم المغربية الشرقية والجنوبية فى القرن الماضى فهى بهما الى الآن ، من أشهر هذه القبائل والبطون حميان والمهايا وأشجع (الشجع) والنصيريين والغنانمة والرواشد وفرطاسة وأولاد سيدى الشيخ وذوى منيع ، ولهذا الجبل قدسية فى نفوس سكان المغرب لدفن الامام ادريس به ، وله ذكر طويل يذكر فى تاريخ انتشار الاسلام واللغة العربية بالمغرب الأقصا .

وقد ورد ذكر جبل زرهون فى شعر محمد ابن الخطيب السلمانى فى قطعة مدح بها مدينة مكناس يقول فيها :

وكفاك شاهد حسنها وجمالها ... أن أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه ... فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربرى نافد ... فى لوحه والتين والزيتون

لـه بالأمان هو وجميع قبائل مرين على أن يبعث معه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين برسم الخدمة ، فقال له الأمير أبوبكر يا أمير المـومنين ارجع الى حضرتك وقونى بالجيش والرماة وأنا أكفيك أمر يغمراسن(١٧١) وافتح لك تلمسان وأحوازها ، فعزم السعيد على ذالك ثم استشار وزراءه فيه ، فقالوا له يا أمير المومنين لاتفعل ، فان الزناتى أخو الزناتى ، لا يخذله ولا يسلمه ، فنخاف ان يصطلحا عليك ، ويجتمعا على حربـك ، فكتب له أن يقعد بموضعه ، ويبعث اليه بالحصة ، فبعث اليه خمسمـئـة فارس من أنجاد بنى مرين ، فسار السعيد الى تلمسان ، فمات على قلعة تامزجردت من أحوازها وهو محاصر ليغمراسن بن زيان ، فاتصل خبر موته بالأمير أبى بكر ، وقدمت عليه الحصة التي كانت توجهت مع السعيد للخدمة ، فأعلموه بموته وافتراق جيوشه ونهب أمواله وعياله ، فجد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، فأقام بها أياما وخرج الى رباط تازة فملكه وفتح جميع حصون ملوية ، وذالك كله فى أاخر شهر صفر من سنة ست وأربعين وستمئة (الاثنين ٢٥ يونيو سنة ١٢٤٨ م) .

وفى أاخر شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعـيـن (الخميس ٢٣ يوليوز) المذكورة ملك الأمير ابوبكر مدينة فاس ودخلها صلحا عن رضا من أهلها ، فبعث اليه أشياخها فأتاهم فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح عبد الله الفشتالى، ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباس من القصبة بعيالـه وأولاده فأمنه الأمير أبوبكر وأعطاه خمسين فارسا يبلغونه الى وادى أم الربيع ، ودخل الأمير أبوبكر مدينة فـاس يـوم الخميس قرب الـزوال السادس والعشرين من ربيع الأاخر من السنة المذكورة (١٨ غشت) وذالك

---

171) يغمراسن بن زيان ، فارس زناتة الأشهر ، وبطنها الأكبر ، مؤسس الدولة العبدالوادية الزيانية بتلمسان ، ولد عام 600 وبويع بالامارة يوم الأحد 24 ذى القعدة عام 631 هـ ومات بوادى رهيو يوم الاثنين 29 ذى القعدة عام 681 هـ ونقل جثمانه الى تلمسان فالحد بها ، كان مزاحماً فى ملكه ببنى عمه مرين ملوك فاس ، وبسبب حروبهم معه والحروب التى تواصلت بين أبنائهما وحفدتهما من بعدهما ضاعت الأندلس وذهبت هيبة أقطار المغرب وتيسرت السبل أمام الاسبانيين والبرتغاليين لاحتلال شواطئها .

بعد موت السعيد بشهرين ، فاستقامت له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات ، وتحركت التجارة ، وأمر القبائل بسكنا الأوطية وعمارة القرا والمداشر الخالية والاستكثار من الحرث ، فرخصت الأسعار وصلح أمر الناس ، وأعطا رباط تازة الى أخيه يعقوب مع جميع ملوية ، وأقام هو بمدينة فاس سنة كاملة ، والوفود تقصد اليه من كل ناحية ·

فلما كان فى شهر ربيع الأول من سنة سبع وأربعين وستمئة خرج الأمير أبوبكر من مدينة فاس الى معدن العوام من بلاد فازاز واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمى ، فلما أوغل أبوبكر فى بلاد فازاز اجتمع نفر من أشياخ فاس الى قاضيها أبى عبد الرحمان المغيلى وتآمروا على خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاه السعود الذي تركه خليفة عليهم وأن يبعثوا ببيعتهم الى المرتضا ويضبطوا بلدهم الى أن يأتيهم عامله فيمكنوه منه ، فاتفق رأيهم على ذالك وبعثوا الى القائد الشديد الرومى فتواطأوا معه على ذالك ، وكان القائد شديد قد ولاه الموحدون قيادة مدينة فاس فكان بها فى مئتي فارس من الروم الى أن دخلها بنو مرين ، فأقروه على حاله وخدمته ، وكان مائلا الى الموحدين ، فقالوا له تقتل هاذا السعود وتضبط بعده البلاد وتبعث الى المرتضا ببيعتنا فيبعث لنا بوال من قبله يقوم بأمرنا ، فتضمن لهم الرومى بقتل السعود ، فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء الموفى عشرين لشوال من سنة سبع وأربعين المذكورة (٢٦ يناير سنة ١٢٥٠ م) طلع الأشياخ الى القصبة يصبحون على السعود ، فسلموا عليه وقعدوا بين يديه ، فانتهرهم السعود وأغلظ لهم فى القول وتوعدهم فردوا عليه أسوأ رد ، ثم نادوا بشعارهم الى القائد الرومى ، وكان واقفا فى عسكره أمام القبة ، فقتل السعود وأربعة من رجاله واحتزوا رأسه وجعلوه على عصار (١٧٢) وطوفوه بأسواق المدينة وطرقها

---

172) **عصار :** وفى بعض النسخ عصا ، والذى فى **الذخيرة السنية** عصار ، وهو عود غليظ كعصا الفاس تعصر عليه الثياب بعد غسلها تسهيلا لتنشيفها وتيبيسها ، ومازالت الكلمة مستعملة فى عامية فاس الى اليوم .

ودخل الأشياخ القصر واخذوا ماوجدوا به من الأموال والأثاث والخول وانتهبوا ذالك كله وسدوا أبواب المدينة وبعثوا ببيعتهم الـى المرتضا ، فاتصل الخبر بالأمير أبى بكر فجد السير نحوهم فوجد أبواب المدينة مغلقة فى وجهه وأشياخها مستعدين لقتاله ، فحاصرهم بها مدة من تسعة أشهر، فلم يقدر منها على شيء ، واتصل به أن يغمراسن بن زيـان خرج مـن تلمسان برسم رباط تازة ، فترك على فاس حصة من بنى مرين تحاصرها، وتباكرها بالقتال وتراوحها ، وارتحل عنها الى لقاء يغمراسن وقتاله ، فتلقاه بوادي ايسلى من أحواز وجدة ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر وترك أمواله ومحلته ، فاحتوا الأمير أبوبكر على ذالك كله ، وقتل من بنى عبد الواد فى هاذه الوقعة أنجادهم ، ثم رجع الأمير أبوبكر الى فاس فوصلها فى جمادا الأخيرة من سنة ثمان وأربعـيـن وستمئة ، فشدد عليها الحصار والقتال ، فلما رأا ذالك أهلها سقط فـى أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا فى فعلهم ، اذ لم ياتهم نـاصر من قبائـل الموحدين ، وليس لهم بد من طاعة بنى مرين ، فبعثوا الى الأمير أبىبكر يطلبون منه الأمان ، ويسألونه العفو والامتنان ، فأمنهم على ان يعطـوه ما أخذ له من المال ، وذالك مئة الف على الكمال ، فأجابوه لذالك وفتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها فى أحسن تـرتيب وأكمل زينة ، وذالك فـى الثالث والعشرين من جمادا الأخيرة المذكورة ، فأقام بها أياما الى أول رجب التالى له ، وهم يسوفونه فى المال ويوذون له فى المقال ، فلما رأاه ذالك منهم قبض على أشياخها ورؤسائها وأشرافها فثقفهم فـى الحديـد وطالبهم بالمال والأثاث الذي انتهبوه من قصره ، فقال لهم شيخ منـهـم يعرف بابن الخبا انما فعل الذنب مناستة ، فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ولو فعلت ما أقول لك لكان صوابا وحزما ، قال وماهو أيها الشيخ قال : تخرج هاؤلاء الستة الذين سعوا فى الفتنة وكانوا رؤوسها للسيف فتعشف بهم وتأخذنا نحن بغرم الأموال ، قال صدقت ، فقتل الأشـيـاخ الستة ، وهم الشيخ القاضى أبو عبد الرحمان المغيلى ، وولده ، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبى طاطو وولده ، ونهبت ديارهم وأموالهم

وأخذت رباعهم ، وكان قتلهم خارج باب الشريعة يوم الأحد الثامن من شهر رجب المذكور عام ثمانية وأربعين وستمئة (٦ اكتوبر ١٢٥٠ م) وأخذ سائر الأشياخ بغرم الأموال فذلوا ولم يكن فيهم من يرفع رأسا بعدها الى اليوم .

وفى سنة تسع وأربعين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سلا وولا عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق .

وفى سنة ثلاث وخمسين وستمئة هزم الأمير أبوبكر المرتضا بجبال بهلولة من أحواز فاس واحتوا على جميع ماكان فى محلته من الأموال والعدد والأخبية والقباب والخيل والابل والخول ، وملك فيها بنو مرين أموالا جليلة .

وفى سنة خمس وخمسين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سجلماسة ودرعة وكانتا للمرتضا ، فطمع فيهما يغمراسن ، وسار نحوهما فيجيش كثيف من بنى عبد الوادي والعرب ، فاتصل خبر مسيره اليهما بالأمير أبى بكر وهو بمدينة فاس ، فجمع عساكر مرين وجد السير الى سجلماسة، فوجد يغمراسن قد نزل بخارجها من باب تاخنست ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر الى تلمسان وأسلم له سجلماسة ودرعة فملكها وأقام بهما حتى أصلح أحوالهما وولا عليهما عامله أبا يحيا القطرانى وأوصاه بما أحب ، وارتحل الى مدينة فاس فدخلها وقد عظم ملكه وكثر جيشه وجنوده ، وتأمنت البلاد ، وانقمع أهل الفساد ، وكثرت العمارات ، وفنى أهل الدعارات .

وفى سنة ست وخمسين وستمئة فى رجب منها مرض الأمير أبوبكر بمدينة فاس فمات بها بعد أيام حتف أنفه ، ودفن بباب الجيزيين (١٧٣) من أبواب عدوة الأندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح محمد الفشتالى تبركا به ، فانه رحمه الله كان أوصا بذالك فى حياته ، فكانت أيام ملكه

173) تسما اليوم بباب الحمراء ، والجيزة الناحية والجهة المقابلة لك من الوادى ، وما زالت الكلمة مستعملة فى العامية الى اليوم ، لكن العامة تقلب جيمها دالا فتقول (ديزة) كما نقول فى كلمة جاز (داز) .

من يوم بويع بعد وفاة السعيد فى أول ست وأربعين الى أن توفي فـى شهر رجب سنة ست وخمسين عشر سنين كاملة وأشهرا ٠

ولما توفى الأمير أبوبكر قام عامله أبو يحيا القطرانى بسجلماسـة بالدعوة لنفسه وبايعه أهلها فأقام أميرا عليها سنتين ثم قتل سنة ثمانية وخمسين ، وقام فيها علي بن عمر بدعوة المرتضا فملكها ثلاث سنين ونصفا الى أن توفي علي بن عمر المذكور فى سنة اثنتين وستين وستمئـة ، فقام بها عرب المنبات بدعوة يغمراسن بن زيان ، وبعثوا اليه ببيعتهم ، فبعث اليها عاملا من بنى عبد الوادي ، فلم تزل بيد يغمراسن بن زيان الى أن دخلها عليه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فى ءاخر يوم مـن صفر سنة ثلاث وسبعين وستمئة (الاثنين ٣ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) ٠

الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق

المرينى رحمه الله

هو أمير المسلمين عبد الله ، يعقوب ابـن الأمير عبد الحق ، بـن محيو ، بن أبىبكر ، بن حمامة ، بن محمد الزناتى ثم المرينى الحمامى ٠

أمه : حرة اسمها أم اليمن بنت علي البطيوي الزناتى ، كانت أمه وهي بكر رأت فى منامها كـأن القمر قـد خرج من قبلها حتى صعد فى السماء ، وأشرق نوره بالأرض ، فقصت رؤياها على أبيها فسار الـى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقص عليه رؤيا ابنته ، فقال له ان صدقت رؤيا هاذه الجارية فانها تلد سلطانا عظيما صالحا عادلا يـعـم الناس خيره وبركته فكان كذالك ، ولما تزوجها الأمير عبد الحق قال لـه والدها علي : بارك الله لك فيها ، أما والله أنها لناصية خير مباركة ، وانك لتعرف بركتها ، وستلد لك ملكا عظيما يكون لك عزا ولقومك الـى ءاخر الدهر ٠

مولده : فى سنة سبع وستمئة وقيل فى سنة تسع وستمئة •

كنيته : أبو يوسف •

لقبه : المنصور بالله •

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، واسع المنكبين ، كامل اللحية معتدلها أشيب ، كأن لحيته من بياضها قطعة ثلج ، مليح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن السيرة ، حليما متواضعا شفيقا كريما جوادا مظفرا منصور الراية ، ميمون النقيبة ، لم تهزم له قط راية ، ولم يقصد قط عدوا الا قهره ، ولا جيشا الا هزمه ،ولا بلدا الا فتحه ، صواما قواما دائم الذكر كثير البر ، لايزال ذاكرا أثناء الليل وأطراف النهار سبحته فى يده لايزايلها فى اكثر أوقاته ، مكرما للصالحين موقرا لهم معظما للعلماء مقربا لهم ، حاضرا فى مصالح المسلمين ، كثير الخير والرأفة على الضعفاء والمساكين ، لما ولي واستقام له الأمر صنع المارستان للمرضا والمجانين ، وأجرا عليهم النفقات وجميع مايحتاجون اليه من الأغذية والأشربة ، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية ، وأجرا على الكل الانفاق من بيت المال ، وأجرا على الجذما والعميان والفقراء مالا معلوما يأخذونه فى كل شهر من جزية اليهود لعنهم الله ، وبنا المدارس ورتب فيها الطلبة لقرأة القرأان وطلب العلم ، وأجرا عليهم المرتبات فى كل شهر ، كل ذالك ابتغاء ثواب الله تعالا نفعه الله بقصده الصالح •

قضاته : بفاس الفقيه علي بن أحمد المعروف بابن القزاز ، والفقيه محمد بن عمران ، والفقيه أبو جعفر المزدغى ، والفقيه أبو أمية الدلائى ، وقضاته بحضرة مراكش الفقيه القاضى العالم المشاور أبو عبد الله الشريف ، والفقيه القاضى أبو فارس العمرانى •

وزراؤه : الشيخ الوزير يحيا بن حازم العلوي ، والشيخ الوزير أبو علي بن أبى منديل العسكرى ، والشيخ الوزير أبو سالم فتح الله الصدراتى •

حاجبه : مولاه القائد عتيق .

كتابه : الفقيه أبو عبد الله الكنانى وأخوه الفقيه أبو الطيب سعد الكنانى ، والفقيه أبو عبد الله ابن الربيب ، والفقيه أبو عبد الله العمراني وكتب له فى آخر عمره الفقيه عبد الله بن أبى مدين العثمانى .

بويع له رحمه الله بالخلافة بعد وفاة أخيه أبى بكر بثمانية أيام ، وذالك فى اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وستمئة (الخميس ١ غشت سنة ١٢٥٨ م) وسنه يوم بويـع ست وأربعون سنة ، واستقام له الأمر ، وفتح البلاد من أقصا السوس الـى وجـدة ، وفتح حضرة مراكش ، وقطع مـلـك الموحدين ومحا أثرهم ، وفتح مديـنـة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة ، وبايعه أهل سبتة على مال يؤدونه له في كل سنة ، وجاز الى الأندلس برسم الجهاد ، فملك بها مايزيد على الخمسين مصرا مابين مدن وحصون ، منها مالقة ، ورنـدة ، والجزيرة الخضراء ، وطريف ، والمنكب ، ومربالة ، واشبونة ، ومابين ذالك مـن الحصون والقرا والبروج ، وخطب له على جميع منابر المغرب ، وهو أول ملك من بنى مرين حما الاسلام وشتت الصلبان وغزا الروم فدوخهم وقهر ملوكهم وحصرهم ، وأعز الله تعالا به الدين ، ورفع بدولته منار المسلمين وكانت الروم قبل ذالك قد استطالت أيديهم ، فملكوا أكثر بلاد الأندلس ، ولم ينصر بها للمسلمين راية من وقعة العقاب التي كانت فى سنة تسع وستمئة الى أن جازت للجهاد رايته المنصورة وجيوشه ، وذالك فى عام أربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين ، واحتوا على ملك الحضرتين ، فله الغزوات المشهورة ، والمآثر المذكورة ، والسير المحمودة ، والفضائل المشهودة والورع والدين ، والعدل والرفق بالمسلمين .

وقد كان منصورا على كل من ناواه ، مؤيدا على من عاداه ، لـم يزل على هاذا السنن القويم ، الى أن أتاه اليقين ، وانتقل الى دار النعيم

الخبر عن سيره الجليلة ومئاثره الجميلة

نذكرها مختصرة وجيزة ، ونقتصر منها على ماذكر عبد العزيز الملزوزي صاحب الارجوزة :

سيرة يعقوب بن عبد الحق ... قد حاز فيها قصبات السبق
سيرته أن يقرأ الكتابا ... ويذكر العلوم والأدابا
يقوم للصلاة ثلث الليل ... وماله عن ورده من ميل
حتى اذا ماالصبح لاح وانصدع ... قام وصلا للالاه وركع
وضج بالتسبيح والتقديس ... حتى يتم الحزب فى التغليس
يقرأ أولا كتاب السير ... والقصص التى بكل خبر
ثم فتوح الشام باجتهاد ... وبعده المعروف بالأنجاد
سؤاله تعجز عنه الطلبه ... ومن لديه من أجل الكتبة
يقعد للكتب الى وقت الضحا ... ثم يصليها كفعل الصلحا
ويأمر الكتاب بالأوامر ... فى باطن من سره وظاهر
ويدخل الأشياخ من مرين ... للرأي والتدبير والتزيين
مجلسه ليس به فجور ... ولا فتا فى قوله يجور
كأنهم مثل النجوم الزهر ... وبينهم يعقوب مثل البدر
قد ألبس الوقار والسكينه ... وحل فى مكانة مكينته
حتى اذا ماحان وقت الظهر ... قام الى بيت الندا والفخر
يبقا الى وقت صلاة العصر ... يأتى بقصد نهيه والأمر
فينصف المظلوم ممن ظلمه ... ولم يزل الى صلاة العتمه
ثم يؤم بيته الكريما ... ويترك الوزير والخديما
ثم ينام تارة وتاره ... يدبر الأمور والادارة
ما ان ينام الليل الا ساهرا ... ينوي الجهاد باطنا وظاهرا
رايته يصحبها التمكين ... مبارك طالعه ميمون
فأمن الغرب من الفساد ... ونشر العدل على العباد

ولم يدع فى الغرب من يجور وزالـت الأهـوال والفـجـور
وخضعت مـريـن تحت قهره وأذعـنـوا لنهـيـه وأمـره
ورفـع الظلم عـن الـرعـيـه وقـمـع الطغاة فى البريــه
فهل سمعتم مثل هاذي السيره وهـــاذه المـأاثـر الأثيـرة
كـذاك كـان فعـلــه قـديما بـذاك نـال الملك والتعظيـمـا

ولما استقامت له الأمور وتوطأ له الملك ، خرج مد مدينة فاس الـى رباط تازة يستشرف منها على أخبار يغمراسن بن زيان ، فدخلها فى أول يوم من شعبان من سنة ثمانية وخمسين وستمئة (الاثنين ١٢ يوليوز سنة ١٢٦٠ م) فأقام بهاالى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر أن النصارا دخلوا مدينة سلا غدرا ووضعوا السيف فى أهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وتمنعوا بها ، فكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال ، من سنة ثمانية وخمسين المذكورة ، فخرج من فوره مسرعا لاستنقاذهـا مشمرا عن ساعد الجد فى أمرها ، وكان خروجه اليها من رباط تازة بعد أن صلا العصر فى اليوم الرابع من شوال المذكور الذي اتصل بـه الخبر فيه فى نحو الخمسين فارسا ، فأسرا ليلته تلك ، ومن الغد صـلا بظاهر سلا صلاة العصر ، فوصلها فى يوم وليلة ، ونزل على من بها من الروم، وتداركت عليه جيوش المسلمين والقبائل المطوعين من جميع آفاق المغرب، فحاصر الروم بها ، وضيق عليهم فيها ، ولم يـرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا حتى فتحها وأخرج النصارا قهرا عنها بعد أربعة عشر يوما مـن دخولهم اياها ٠

فلما خرج النصارا عنها بنا عليها السور الغربـي الذي يقابـل الوادي ، لأنها كانت لاسور لها من تلك الجهة ، فكان خـروج النصارا منه ، فسار فى بنائه فبناه من أول دار الصناعة الى البحر ، وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ، ويمكن الصخرة بيده ، ابتغاء ثواب الله تعالا وتواضعا وحياطة على المسلمين حتى تم السور بالبناء والتحصين ٠

وفى هاذه السنة ملك أمير المسلمين بلاد تامسنا أنفا ٠

وفيها وصلت هدية المرتضا صاحب مراكش الى أمير المسلمين يعقوب وكتابه يطلب منه سلمه فصالحه أمير المسلمين وجعل الحد بينه وبينه وادي أم الربيع (١٧٤) ·

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى السنة التي ولي فيها أمير المومنين يعقوب أنزل الله تعالا على أهل المغرب البركات ، وفتح عليهم بالخيرات ، فرأا الناس فيها من الدعة والخير مالايوصف ولا يقوم أحد بشكره ، بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصحفة والفول وجميع القطانى مالها سوم ، ولا يوجد من يشتريها ، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم ، والزيت أربعون أوقية بدرهم ، ولحوم البقر مئة أوقية بدرهم ، ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم ، والكبش بخمسة دراهم ، والزيت درهم ونصف للربع ، والتمر ثمانية أرطال بدرهم ، واللوز صاع بدرهم ، والشابل الطري فرد بقيراط ، والملح حمل بدرهم ، وذالك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته ·

وفى سنة تسع وخمسين وستمئة فسد مابين أمير المسلمين يعقوب والمرتضا الموحد صاحب مراكش ، فسرح فى أطراف بلاده ، وفيها كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب وجيش المرتضا من العرب والروم والموحدين ، فهزم جيش المرتضا وقتل حماتهم وفر من بقي وتركوا أموالهم ، وكان المرتضا قد استعد لهاذه الغزاة غاية الاستعداد ، وبعث فيها وجوه الموحدين ، وأشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفيان والأثبج وبني جابر وبنى حسن وقواد الروم والأندلس والأغزاز ، ولم

---

174) نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح ، ويصب فى المحيط الأطلسى عند مدينة أزمور بعد ما يقطع فى جريه مسافة 600 كلم ، تقدر كمية فيضه بألف متر مكعب فى الثانية خلال فصل المطر وتنخفض فى فصل الصيف الى أربعين متراً مكعباً فى الثانية فقط ، من أكبر روافده وادى العبيد الشهير ، اقيم على نهر أم الربيع سد علوه 50 م بالمكان المدعو ايمفوت يسقى 150 ألف هكتار من سهول دكالة ، كما أقيم على وادى العبيد سد بين الويدان الشهير الواقع خلف بنى ملال ، ويبلغ علو هذا السد 132 م وتسقى مياهه أراضى فلاحية مساحتها 160 ألف هكتار ، وتولد من الكهرباء كل سنة 600 مليون كيلو واط .

يترك بحضرته من جيشه أحدا الا نفرا يسيرا ، فهزم الكل وتركوا أموالهم وأثقالهم وعددهم وسلاحهم ، فاحتوا امير المسلمين يعقوب على ذالك كله·

وفى سنة ستين وستمئة سار أمير المسلمين يعقوب الى مراكش ، فنزل بجبل جليز ، ثم زحف اليها وبرز عليها أحسن تبريز ، وصف جيوشه ، ونشر ألويته وبنوده ، فانحصر المرتضا بها ، وغلق على نفسه أبوابها ، وفى ذالك يقول عبد العزيز الملزوزي فى رجزه رحمه الله وعفا عنه :

فى عام ستمئة وستين	سار لمراكش سلطان مرين
فوقف المنصور فى كليز	مبرزا بأحسن التبريز
وعاد فيها المرتضا محصورا	ولم يكن فى قصره منصورا
ودارت الأعراب بالأسوار	واعتمدوا فيها على الحصار

فأخرج المرتضا لحربه السيد ادريس المكنا بأبى دبوس ، فكانت بينهما حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب ، فارتحل عن مراكش بسبب قتل ولده فدخل مدينة فاس فى اخر شهر رجب من سنة احدا وستين وستمئة ·

وفى سنة احدا وستين وستمئة المذكورة طلع النجم أبو الذوائب ، وكان ظهوره يوم الثلاثاء الثانى عشر لشعبان من السنة المذكورة (٢٢ يونيو سنة ١٢٦٣ م) وبقي يطلع فى كل ليلة فى وقت السحر نحوا من شهرين ·

وفى هاذه السنة جاز الفارس الأنجد عامر بن ادريس فى جمع من بنى مرين والمطوعة يزيدون على ثلاثة آلاف فارس برسم الجهاد ، فعقد لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة ، وأعطاهم العدد والخيل وودعهم ودعا لهم ، وهو أول جيش من بنى مرين جاز الى الأندلس

وفى سنة اثنتين وستين وستمئة توفي ادريس ابن أبى قريش عامل أمير المسلمين على بلاد المغرب ·

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة بعث الفقيه العزفى صاحب سبتة

أجفانه الى هدم سور أصيلة وقصبتها ، فهدمت لأنـه خاف بخـلائها ان يملكها العدو ويتمنع بها .

وفيها سار أمير المسلمين الى مراكش برسم رعي زروعها ، فوصل الى أحوازها وبايعه جملة من العرب الذيـن بأنحائها ، وانصرف الـى مدينة فاس ، وبعد انصراف أمير المسلمين عن مراكش واستقراره بفاس وشي للمرتضا بقائد جيوشه السيد ادريس أبى دبوس ، وقيل له انه يكاتب بنى مرين ، فأراد القبض عليه ، ففر منه ولحق بأمير المسلمين يعـقـوب بحضرته بفاس ، فأكرمه وأقبل عليه غاية الاقبال ، وقال له ماالذي أتابك ياادريس ؟ قال فررت من القتل وقصدت حماك لتنصرنى وتعينني علـى عدوي وتعطيني عسكرا من بنى مرين وبنودا وطبولا ومـالا أنفقه علـى ذالك ، وأنا أضمن لك أخذ مراكش ، واذا أخذتها يكون نصفها لك ونصفها لى فأسعفه أمير المسلمين لطلبه وعاهده على ذالك ، وتوثق لـه بالايمان المغلظة ، والعهود المؤكدة ، فأعطاه جيشا من خمسة آلاف فـارس مـن قبائل ناتة ، وأعطاه طبولا وبنودا وخيلا وسلاحا ومالا برسم النفقة فـى طريقه ، وكتب له الى قبائل العرب وقبائل هسكورة أن يكونوا له عونا ، وودعه فانصرف ، فارتحل ادريس أبو دبوس حتى وصل بلاد هسكورة ، فنزل بها وكتب الى من بمراكش من خاصته يخبرهم بقدومه ويسألهم عن حال البلد والمملكة ، فكتبوا اليه ان أقدم ، فان الناس فى غفلة والجيوش متفرقة فى أطراف البلاد ، ولن تجد وقتا لانتهاز فرصة مثل هاذا ، فأسرع أبودبوس نحوها ، وجد السير بجيوشه حتى دخلها ، وكان دخوله اياها من باب الصالحة فى وقت الضحا والناس فـى غفلة ، فتملك حضـرة مراكش واستقر بقصرها ، وفر عنها المرتضا ، فقتل بخارجها وذالك فى شهر المحرم من سنة خمس وستين وستمئة ، فبعث اليه أمير المسلمين يعقوب للعهد الذي كان بينهما ، فقال للرسول مابينى وبينه عهد الا السيف وقال له : قل له يبعث ببيعته وأقره على مابيده من البلاد ، والا غزوتـه بجنود لاقبل له بها ، فوصل الرسول الى أمير المسلمين فأبلغه الجواب ، وأعلمه بنكثه وميله عن الصواب ، فخرج أمير المسلمين يعقوب بـن عبد

الحق الى غزوه من حضرة فاس ، فسار حتى نزل بظاهر مراكش فحاصرها وهتك أحوازها ، ورعا زروعها فلما رأا أبو دبوس ماناله من شدة القتال والحصار ، ورعي الزروع ونسف الأاثار ، وشدة المجاعة فى بلاده وغلاء الأسعار ، كتب الى يغمراسن بن زيان يستنصر به ويرغب منه ان يكونا على أمير المسلمين يعقوب يدا واحدة ، فتعاهدا على ذالك ، واتفقا عليه ، فشن يغمراسن الغارات فى أطراف بلاد أمير المسلمين يعقوب ، فاتصل به الخبر وهو محاصر لمراكش فأقلع عنها وقصد الى تلمسان ، لحرب يغمراسن بن زيان ، ورأا ان تقديم غزوه من الواجب ، اذ هو فارس زناتة البطل المحارب ، فسار حتى وصل الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما حتى استراح الناس ثم خرج الى تلمسان وذالك فى الخامس عشر من شهر محرم من سنة ست وستين وستمئة (٥ أكتوبر ١٢٦٧ م) فى احتفال عظيم وزي عجيب ، بالقباب والعيال ، والجيوش الوافرة والركاب والأموال ، فسمع يغمراسن باقباله ، فخرج من تلمسان الى لقائه وقتاله ، فالتقا الجمعان بوادي تلاغ ، فالتقا الأبطال بالأبطال ، واختلط الأمثال بالأمثال ، وتمازجت الركاب بالركاب ، واصطفت من الجانبين العيال والقباب ، وزحفت الجيوش على الجيوش ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، وهزاهز جسيمة لم ير مثلها ، فلم تر الا الخيول تضبح ، وأهلها الى اللقاء تطمح ، فدام القتال بينهما من وقت صلاة الضحا ، الى صلاة الظهر ، وصبرت قبائل مرين لقتال عدوها صبر الكرام الغر ، ومنحهم الله تعالا على أعدائهم النصر ، فتمكنوا من رقابهم ، فهزمت بنو عبد الوادي ، وأذاقهم مرين الكرام الحمام فى ذالك الوادي ، وفر يغمراسن مهزوما على وجهه ، وقتل قرة عينه عمر أكبر ولده وولي عهده ، وسار أمير المسلمين يعقوب فى أعقابهم ، ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل فى رقابهم ، فدخل يغمراسن تلمسان خاسرا مقيدا ، مهزوما وحيدا ، وانتهبت مرين جميع محلته وأمواله ، ومضاربه وعياله ، فكانت غزاة تلاغ المذكورة يوم الاثنين الثانى عشر لجمادا الأخرا من سنة ست وستين وستمئة (٢٨ يبراير سنة ١٢٦٨ م) ، ورجع أمير المسلمين من

هاذه الغزاة مظفرا منصورا ، مؤيدا مسرورا ، واذ حنق علــى ادريس ابى دبوس أقام هنالك بمدينة فاس الى أن ظهر هلال شعبان مــن السنة المذكورة ، فخرج الى مراكش لغزو ادريس أبى دبوس الناكث لعهوده ، فلم يزل يوالى المسير ، والسعد يقدمه والتيسير ، حتى وصل الى وادي أم الربيع ، فنزل هناك وبث جنوده فى بلاد أبى دبوس يأكلون زروعــهـا ، وينسفون ربوعها ، فأقام هنالك الى ان دخلت سنة سبع وستين وستمئة فى غرة المحرم منها (الاثنين ١٠ شتنبر سنة ١٢٦٨ م) فارتحل عن وادي أم الربيع الى ناحية تادلة ، فغزا بها عرب الخلط ، فأكلهم وسبا حريمهم وأموالهم ، ورجع من تادلة فنزل بواي العبيد فأقام هنالك أياما ، ثم غزا بلاد صنهاجة وسباها وأقبل يدور فى أحواز مراكش الى آخر ذي قعدة من سنة سبع وستين وستمئة ، فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة فساروا الى أبى دبوس وقالوا له كم تقعد عن حرب بنى مرين وتجبن عن لقائهم ؟ أما ترا بلادنا قد خربت ، وأموالنا قد نهبت ، وحريمنا قد سبي ؟ فاخرج لجهادهم عسى ان يكون السبب لبعادهم ، فانهم فى شرذمة قليلة وعصابة يسيرة ، وأكثرهم قد بقي برباط تازة يحرس ذالك الثغر خــوفا عليه من بنى عبد الوادي ، فاغتر ادريس أبو دبوس بقولهم ، وسارع الى نصرهم ، وخرج فى جيوش عظيمة وجنود وافرة مــن الموحدين والعرب والروم وقبائل المصامدة ، فلما سمع أمير المسلمين يعقوب بخروجه مــن مراكش كر راجعا نحو المغرب حيلة منه ليبعده عــن حضرته ، فســمــع ادريس ابو دبوس برجوعه فطمع فيه ، وظن رجوعه انما هو للخوف منه، فجد فى اتباعه ، فكان أمير المسلمين يعقوب اذا ارتحل مــن موضع أقبل أبودبوس فنزل به ، فلم يزل لأثره يقفو ، حتى أتا لحينه وادي ودغفو ، فكر أمير المومنين راجعا فى وجهه عازما علــى قتالــه وحربه ، فالتقــا الجمعان ، وأقبلت بنو مرين امثال العقبان ، والتحم القتال واشتد النزال، وصبرت مرين صبرها فى قتال أعدائها ، فرأا أبو دبوس مالا طاقة له به ، فأراد الفرار ، لكي ينجو الى مراكش فيعتصم فيها بالأسوار ، فــأدركته الضمر السوابق ، وأقبلت أبطال مرين نحوه تسابــق ، فحالوا بينه وبين

االماله ، وسارعوا الى طعنه وقتاله بالرماح فى وسط المعترك ، وسقط تحت جواده صريعا فكم من ذئب مع النسر فى أشلائه اشترك ، واحتز قاتله رأسه فى الحين ، وأتا به الى أمير المسلمين ، فوضعه بين يديه ، فحمد الله وأثنا عليه ، ثم خر لله تعالا ساجدا ، ثم رفع رأسه شاكرا وحامدا ، ثم أمر بالرأس فحمل الى مدينة فاس ليعتبر برؤيته الناس ، واحتوا أمير المسلمين يعقوب على جميع محلته ، وذالك يوم الأحد الثاني لمحرم مفتتح سنة ثمان وستين وستمئة (١ شتنبر سنة ١٢٦٩ م) ، وارتحل أمير المسلمين الى حضرة مراكش فدخلها فى يوم الأحد التاسع لمحرم المذكور ، فاستقر بحضرة مراكش وتم له ملك المغرب وتهدنت البلاد ، وصلح أمر العباد ، وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، وأذعن الناس الى الطاعة ، ودخلوا فى الجماعة ، فلا ثائر ولا قاطع ، ولا مفسد ، ولا آافك ولا ملحد .

ولما دخل على حضرة مراكش أمن أهلها وقبائلها وأحسن اليهم ، وأفاض العدل فيهم ، وبعث ولده الأمير عبد الواحد الى بلاد السوس وتلك الأقطار ، وغزو من بها من المنافقين والأشرار ، ففتح تلك البلاد ، وأدت قبائلها طائعة مذعنة من الأغزاز والأجناد .

فلما فتح بلاد السوس بأجمعها واستقام له أمرها ، رجع الى حضرة مراكش فسر والده بقدومه وأقام أمير المسلمين يعقوب بحضرة مراكش يسدد أحوالها وينظر فى أمورها ومصالحها ، الى رمضان من سنة تسع وستين وستمئة ، فخرج فى أول يوم من رمضان المذكور (الاثنين ١٣ أبريل سنة ١٢٧١ م) الى غزو العرب ببلاد درعة ، فانهم كانوا قد ثاروا بها وملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالنهب والقتل أهلها وأموالها ، فوصلهم فى النصف من رمضان المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا وسلب أموالهم ونساءهم ، وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها بعد ان كان أهل المغرب تمنعوا بمعقل منها ، فحاصرهم بها أياما فنزلوا بأمان ولده الأمير عبد الواحد فعفا عنهم وأمضا أمان ولده اليهم ، ولم يبق ببلاد درعة من أهل النفاق والفساد أحد ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها فى

نصف شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها بقية شهر شوال وخرج منها الى مدينة رباط الفتح من ارض سلا ، فدخلها فى أاخر ذي قعدة من سنة تسع وستين المذكورة ، فعيد بها عيد النحر ، وأخذ البيعة لولده عبد الواحد فى ذالك اليوم على بنى مرين ، وكان الأمير عبد الواحد على غاية الفضل والكرم ، والشجاعة والحزم ، ومكارم الاخلاق ، وكان عالي الهمة محبا للأدب مقربا لأهله ، يجالس العلماء والأدباء والشعراء ، ويتخذهم بطانة

وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته ، منهم القاضى يوسف ابن حكم ، والفقيه القاضي الكاتب البارع علي المغيلـى ، والفقيه الأديب القدوة مالك ابن المرحل ، والفقيه الكاتب أبـوعمران التميمى ، والفقيه الأديب عبد العزيز الملزوزي الشاعر ·

وكان الأمير عبد الواحد رحمه الله يحب الشعر ويرويه ويأخذ نفسه بنظمه ، وربما نظم منه البيتين والثلاثة ، ومن شعره يفتخر رحمه الله وعفا عنه :

فرقت فـى الميدان كـل مليك ... وجمعت بين جراءة ونسـوك
وجعلت في الميدان خدا مالكا ... كـي لاتغيره العدا بسلـوك

ولما أخذ أمير المسلمين البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح ، وذالك يوم عيد النحر سنة تسع وستين المذكورة (٢١ يوليوز سنة ١٢٧١م) عز ذالك على جماعة من بنى عبد الحق ، وساروا مـن ليلتهم تلك الـى جبل أمركو (١٧٥) فنافقوا به ، وهم محمد بن ادريس بـن عبد الحـق ، وموسا بن رحو بن عبد الحق ، وجميع أولاد سوط النساء ، فخرج أمير المسلمين فى أثرهم ، وقدم بين يديه ولده الأمير يوسف فى خمسة أالاف فارس أخرا فشرعوا فى قتالهم ثم لحق بهم أمير المسلمين بجميع عساكر مرين ، فنزل عليهم فى اليوم الثالث ، فحاصرهم به يومين فأذعنوا للطاعة، وطلبوا الأمان فأمنهم وعفا عنهم على ان يرتحلوا الـى تلمسان فساروا

---

(175) **امركـو** : جبل شهير بقبيلة فشتالة قرب ضريح مولاى بوشتا الخمار ، بأعلاه حصن منيع من بناء المرابطين ·

اليها ، ثم جازوا منها الى الأندلس •

وفى سنة تسع وستين المذكورة توفى يعقوب بن جابر العبد الوادي أمير سجلماسة ليغمراسن خرج له خراج فى مذاكيره فمات منه •

وفى سنة سبعين وستمئة خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو تلمسان ، وقتال يغمراسن بن زيان ، فبعث ولده الأمير عبد الواحد الى أرض مراكش يحشد من بها من قبائل العرب والمصامدة ، ويلحقه بالجميع، فخرج بالجميع من مدينة فاس فى غرة صفر من السنة المذكورة (الثلاثاء ٨ شتنبر سنة ١٢٧١ م) ، فى جميع جيوشه من بنى مرين أنجدهم الله تعالا ، فسار حتى نزل وادي ملوية ، فأقام عليه أياما حتى ورد عليه ولده الأمير عبد الواحد فى جيوش عظيمة من قبائل عرب جشم والأندلس والأغزاز والروم فى احتفال واستعداد ، فأقام بعد وصول ولده اليه ثلاثة أيام ، ثم ميز جيوشه وارتحل الى تلمسان ، فلما كان بتافنا (١٧٦) أتاه رسول ابن الأحمر يسأله ان ينصر الدين ، ويغيث بالأندلس المسلمين ، ويخبره ان الفونسو لعنه الله قد ضيق ببلاده ، فخرج أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الى خباء الساقة وجمع أشياخ بنى مرين وأشياخ العرب وأخبرهم بما فيه المسلمون بالأندلس واستشارهم فى ذالك ، فأشاروا عليه بصلح يغمراسن وتهدين البلاد ، والجواز الى الجهاد ، فبعث الأشياخ من كل قبيلة من زناتة والعرب الى يغمراسن يطلبونه فى الصلح ، وقال لهم ان الصلح خير كله ، فان جنح اليه وأناب فحسن ، وان أبا الا القتال فاسرعوا الى الرجوع ، فسارت الأشياخ الى يغمراسن فرغبوه فى الصلح ولاطفوه فى ذالك بالقول الجميل ، فقال لهذ لاصلح بيني وبينه ، أبعد قتل ولدي عمر أصالحه ؟ والله لاكان ذالك أبدا ، ولا أترك قتاله أبدا ، حتى اخذ منه الثار ، وأذيق بلاده التبار ، فوصلت الرسل بذالك ، فأسرع أمير

---

176) **تافنا** : نهر ينبع من جبل بنى ورنيد قرب قرية سبدو جنوبى تلمسان ، ويسير متحنشا فى اتجاه جنوبى غربى ثم شمالى شرقى حتى يصب فى البحر المتوسط أمام جزيرة أرشكون غربى مرسا بنى مصاف ، كان به الحد بين المغربين الأقصا والأوسط خلال الحكم التركي للجزائر ، ثم دفع الحد غرباً الى نهر كيس سنة 1845 .

المسلمين نحوه المسير ، ودعا الى الله تعالا بالنصر والتيسير ، وخـرج يغمراسن للقائه فى قوة واستعداد ، وجيوش مالها حصر كأنها الجراد ، فالتقا الجمعان بوادي ايسلى بمقربة وجـدة ، فالتحمت الحروب بينهما واضطرمت ، واشتعلت نار الوغا والتهبت ، وشمرت عن ساقها وتنمرت، فجعل أمير المسلمين ولده عبد الواحد على الميمنة وولده يوسف علـى الميسرة ، فتقدم يوسف بالميسرة للقتال ، وتابعه عبد الواحد بالميمـنـة للطعن والنزال ، وأتا والدهم أمير المسلمين على اثرهم فى القلب والساقة فالتحم الحرب وكثرت الأهوال ، فهزم يغمراسن وقتل ولده فارس ، وفر هو مع بعض ولده ، وخرج من تحت ذبـاب السيوف وقتل مـن بنى عبد الوادي وبني راشد خلق كثير ، وقتل جميع من كان بمحلته من الروم ، ولولا أنه حال الظلام بين الفريقين لمن بنى عبد الوادي باقية ، ومـر يغمراسن على محلته وهـو مهزوم ، فأضرم فيها النيران وفر حتى دخل تلمسان ، كما قال الله تعالا فى كتابه المبين (يخربون بيوتهم بأيديـهـم وأيدي المومنين) ، وانتهبت الناس محلته وأمواله ، وأثقاله وعيالـه ، وارتحل أمير المسلمين من الغد فى أثره حتى وصل الى وجدة ، فـوقـف عليها حتى هدمت وعفا أثرها وجعل عاليها سافلها ، وتركها قاعا صفصفا، وارتحل عنها وكانت هاذه الهزيمة فى النصف من رجب من سنة سبعين وستمئة (١٦يبراير سنة١٢٧٢ م) ، وفى ذالك يقول بعض الكتاب ، الملتزمين لخدمة ذالك الباب ، رحمه الله :

اذا الخيل جالت فى الحروب حسبتهم قضاء من الرحمان مامنه عاصـم
ووالدهم فى جاحم الحرب بينـهـم يبيد حـماة الجيش والسعد قائـم
فويـحـك يا يغمور هل لـك منجد أيقظان حين أنت أم انت نـائـم ؟
أفـى كـل عـام تترك ابنك للقـنـا وتسبل لك الغيد الحسان الكرائـم

ولما هدم أمير المسلمين وجدة ولم يبق لها اثر أوغل فى بلاد يغمراسن يخربها ويسبى أموالها حتى وصل الى تلمسان ، فنزلها ودارت المحلات بأسوارها وشد فى حصارها ، وشرع فى قتالها ، فوصل اليه وهو عليها الأمير محمد بن عبد القوي التجينى فـى جيش كثيـف واحتفال عظيـم

بالطبول والبنود ، فركب أمير المسلمين الى لقائه فى جيوشه وأبطاله ، فتلقاه بأحسن زي وأكمل احتفال ، واشتد الحصار على يغمراسن وعظم القتال ، وضيقت قبائل تحيين بمدينة تلمسان ، لأخذ ثارهم من يغمراسن بن زيان ، فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الرباع ، وأفسدوا الزروع ورقوا القرا والضياع ، حتى لم يدعوا بتلك النواحى قوت يوم ، حاشا السدرة والدوم ، فلما نسف بلاده ، وقتل أجناده ، أمر بازيان محمد ابن عبد القوي بالرجوع الى بلاده ، وأعطاه الف ناقة من مال بنى عبد الوادي ومئة فرس من مراكبهم ، وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب ، وقعد أمير المسلمين بظاهر تلمسان حتى تعرف أنه وصل الى ونشريس خوفا عليه من يغمراسن ان يتبعه ، فلما علم أمير المسلمين أنه قد وصل الى بلاده بجميع ما أعطاه من النعم أقلع عن تلمسان وكر راجعا الى المغرب مظفرا منصورا ، فوصل رباط تازة فى أول يوم من ذي حجة من سنة سبعين المذكورة (الخميس ٢٩ يونيو سنة ١٢٧٢ م) ، فعيد بها عيد النحر وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى غرة المحرم من سنة احدا وسبعين وستمئة (الجمعة ٢٩ يوليوز سنة ١٢٧٢ م) فأقام بها الى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفي ولده الأمير عبد الواحد ، فأسف لفقده ، ثم تلقا بالرضا أمر ربه ، وصبر الصبر الجميل ، وارتحل الى مراكش فدخلها فى أول يوم من ربيع الثانى من السنة المذكورة (الثلاثاء ٢٦ اكتوبر) فأقام بها وأصلح أحوالها ، وهدن أحوازها ، وخرج منها الى طنجة فوصلها فى أول يوم من ذي حجة من سنة احدا وسبعين المذكورة (الاثنين ١٩ يونيو سنة ١٢٧٣ م) ، فنزل عليها وحاصرها وشرع فى قتالها ، فأقام يقاتلها غدوا ورواحا ، ومساء وصباحا ، مدة من ثلاثة أشهر ، وكانت طنجة حين قتل بها ابن الأمين وأولاد أبى يحيا ملكها الفقيه أبو القاسم العزفى صاحب سبتة ، فضبطها وقام بأمرها مع أشياخها ، فلما طال مقام أمير المسلمين عليها أراد الرحيل عنها فبينما هو فى اليوم الذي عزم على الرحيل فى غده واقفا أمامها والناس يقتتلون بين يديه وقد قارب العشي اذا جماعة من رماتها قد قاموا فى برج من أبراجها ، وكان معهم

شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجى فأشار الى المحلة ورفع راية بيضاء شعارا فبادر اليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم ، فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهزم أهل البلد وأخلوا الأسوار ، وركنوا للفرار ، فدخلت المدينة عنوة على أهلها ، فعفا أمير المسلمين عنهم، ونادا مناديه الأمان ، ولم يمت بها الا نفر يسير ممن رفع يده ، وشهر سلاحه فى حين الرحلة ، وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين اياها عنوة فى شهر ربيع الأول من سنة اثنين وسبعين وستمئة •

ولما فرغ أمير المسلمين من فتح طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفى أياما فبايعه وصالحه على مال يؤديه فى كل سنة ، فقبل ذالك منه وارتحل عنه •

وفى شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة خرج امير المسلمين يعقوب لغزو مدينة سجلماسة ، وكانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات ، وكان يغمراسن يبعث اليها فى كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع المنبات الذين قاموا بأمرها ، فسار أمير المسلمين يعقوب اليها فى جيوش بنى مرين وقبائل العرب ، فحاصرها وشرع فى قتالها وضيق عليها وبالغ فى حربها ونصب عليها المجانيق والرعادات وضاق أهلها من شدة الحصار والقتال ، فكانوا يصعدون على الأسوار فيسبون ويلعنون بالقبيح ، فهتك المنجنيق من سور لها برجا ومسافة ، فانهد البرج والمسافة ، فدخلها من هنالك عنوة بالسيف على عاملها عبد الملك ابن حنينة العبد الوادي ، فقتل هو ومن كان معه بها من بنى عبد الوادي وعرب المنبات ، وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وستمئة (٧ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) ، وقيل كان فتحها آخر يوم من صفر من السنة المذكورة ، فأمن أمير المسلمين أهلها وعفا عنهم وأصلح أحوالهم وأقام بها أياما حتى تهدنت أحوازها وأوديتها وتأمنت سبلها وراتحل عنها وترك بها عامله •

ولما رجع أمير المسلمين من فتح سجلماسة سمت به همته العلية الى

الجهاد ، اذ لم يبق له منازع بالبلاد ، فورد عليه فى أثناء ذالك كتاب ابن الأحمر يستنصره ويسأله اعانة الأندلس ويخبره بما فيه المسلمون بها من القتل والأسر وكثرة الغارات مع الأحيان والساعات ، فوجده عازما على الجهاد حريصا على الجواز ، فتتابعت عليه رسل ابن الأحمر يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان ، والمنظور اليه فى هاذا الأوان قد وجب عليك نصر المسلمين ، واعانة المستضعفين ، فان لم تنصر الاسلام فمن ناصره ؟ وكان الشيخ أبو عبد الله ابن الأحمر قد أوصا ولده عند وفاته ان يستدعي أمير المسلمين للجهاد ، ويعطيه مايريده من البلاد ، فلبا أمير المسلمين دعوته ، وبادر الى اجابته ونصرته ، وخرج من مدينة فاس برسم الجواز رحمه الله ●

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته إلى بلاد الشرك

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على أمير المسلمين من ابن الأحمر يستدعيه للجواز ويستنصره ، خرج من مدينة فاس فى أول يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ مارس سنة ١٢٧٥ م) حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه ابى القاسم العزفى ، وأمره بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين ، واصلاح الأجفان واعدادها لجواز المجاهدين، وأمره بالتعاون على البر والتقوا ، وعقد لولده الأمير ابى زيان على جيش من خمسة ألالاف فارس من أنجاد بني مرين وفرسان العرب ، ودفع له رايته المنصورة ، وأوصاه بتقوا الله تعالا فى السر والعلانية ، ودعاله وانصرف الى قصر المجاز ، فوجد الفقيه أبا القاسم العزفى قد جهز له عشرين جفنا وأعدها هنالك لجواز المجاهدين ، فركب الأمير أبو زيان البحر فى جميع جيشه من قصر المجاز ، فنزل بطريف من بلاد الأندلس ،

وذالك فى السادس عشر من ذي قعدة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بطريف ثلاثة أيام حتى استراح الناس والخيل من هـول البحر ، فخرج الى البحيرة فغنمها وبعث بالمغنم الى الجزيرة ، ووالا السير فـي بلاد العدو يقتل ويسبى ويخرب القرا والحصون ويحرق الزرع ويقطع الثمار وينسف الأثار حتى وصل الى شريش ، ولم يقدر أحد من الروم ان يخرج اليه ثم قفل الى الجزيرة بالمغانم والسبي والعلوج فى القطائن يفرح بـه أهل الأندلس اذ كانت بلادهم لم تنصر بـهـا للمسلمين راية من غـزاة العقاب التى هزم بها الناصر الموحدي فى سنة تسع وستمئة الى هـاذه الغاية ، وألقا الله تعالا الرعب فى قلوب أهلها مـن الـروم ، فكـانـوا لايستطيعون قتالهم ولايبرزون اليهم ولا يواقفونهم ، فملك الروم بلادهـا وحصونها وقواعدها الى أن جازت راية المنصور أمير المومنين يعقـوب فأعز الله تعالا بها الاسلام ونصر بها الايمان ، وأذل بجوازها عبدة الأوثان

ولما انصرف الأمير أبو زيان براية والده المنصورة الى الأنـدلس بعث أمير المسلمين يعقوب حفيده الأمير تاشفين بـن عبد الواحد الـى يغمراسن بن زيان يطلبه فى الصلح واجتماع كلمة الاسلام لكي يجوز الى الجهاد ، ويزيل الروعة من البلاد ، فتم الصلح بينهما بفضل اللـه تعالا على المراد ، واجتمعت كلمة أهل الاسلام وألف الله تعالا بين قلوبهم ، فوصل الأمير تاشفين من تلمسان وقد تم صلحه مع يغمراسن ، فسر أمير المسلمين بذالك سرورا عظيما ، وتصدق بمال جليل شكرا لله تعالا ، ثـم كتب الى أشياخ مرين وقبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل العرب يستنفرهم الى الجهاد ، فخرجت الكـتـب الى القبائل والبلاد ، وارتحل أمير المسلمين الى قصر المجاز ، فأخذ فى تجهيز الجيوش والخيل والسلاح والعدد وتجويزهم الى الأندلس وتجويز المجاهدين ، فكان رحمه الله يجوز كل يوم قبيلة من بنى مرين ، وطائفة من المجاهدين ، فكان الناس يجوزون أفواجا أفواجا ، وقبيلا قبـيـلا ، وأفرد أجفانا لجواز الموطوعين لايجوز فيها غيرهم ، فلما كمل الـنـاس بالجواز واستقروا بسواحل الأندلس وانتشرت محلات المسلمين من طريف

الى الجزيرة الخضراء جاز أمير المسلمين ااخرهم على حين غفلة مـن
الناس ، فنزل بساحل طريف ، وكان جوازه رحمه الله فى ضحوة يـوم
الخميس الحادي والعشرين لصفر من سنة أربع وسبعين وستمئـة (١٥
غشت سنة ١٢٧٥ م) فصلا الظهر بطريف وانصرف الى الجزيرة الخضراء
من حينه ، فوجد بها الأمير ابن الأحمر وابن أشقيلولة سلطاني الاندلس
بعساكرهما وحشودهما ينتظرانه بها ، فالتقا بهما وسلما عليه ، وكان
بين ابن الأحمر وابن أشقيلولة منافسة وشحناء ، فأزالها وأصلح بينهما
واجتمعت الكلمة وتألفت القلوب بحول الله وتفاوضوا فيما يصلح المسلمين
وكيف يكون العمل فى جهاد المشركين ، ثم ودعه ابن الأحمر وابن أشقيلولة
وانصرفا الى بلادهما ، فسار ابن الأحمر الى غرناطة ، وابن أشقيلولة الى
مالقة ، وارتحل أمير المسلمين يعقوب بجميع جيوش المجاهديـن قاصدا
الى غزو الكافرين لم يقعد ولم يتلبث ، ولم يبال بمن قعد او تخلف ، لـم
تستطب جفونه مناما ولم يلتذ شرابا ولا طعاما ، حتى وصل الى الوادي
الكبير مخافة أن يشعر الروم بقدومه او ينذرهم به نذير ، فعقد هنالـك
لولده الأمير يوسف على مقدمته وقدمه بين يديه فى جيش منخمسة أالاف
فارس ، وأعطاه طبولا وبنودا ، فانتشرت الجيوش فـى أرض الـوادي
الكبير كأنها السيل العر الغزير او الجراد المنتشر ، لايمرون بشجـرة الا
قطعوها ، ولا بقرية الا خربوها ، ولابمال الا غنموه ، ولا بزرع الا حرقوه
فغنموا مابتلك الناحية من الأموال ، وقتلوا من وجدوه بها من الرجال ،
وسبـوا الذرية والعيال ، وسـار حتى بلغ حصن المـدور من أحـواز
قرطبة يقتل ويسبى ويحرق الزروع ، ويخرب القرا والربوع ، حتى هتك
جميع أحواز قرطبة وأبذة وبياسة ونواحيها ، وقتل فيها من الروم ألوفا
لاتحصا وسبا نساءهم وذراريهم كذالك ودخل حصن بلنسية بـالسيف ،
وغنم المسلمون جميع ماكان به من الأموال ، وامتلأت أيدي بنى مـريـن
بالغنائم ، فأمر امير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيل
والدواب والعلوج والروميات والذراري والثياب والعدد فتألف منها ماملأ
السهل والوعر ، ولا يحويه عد ولا حصر ، ثم أمر بها فقدمت بين يديه ،

وأفسد بالحرق والقطع والتخريب جميع مامر عليه ، وأضرم النيران فى تلك الجهات ، حتى صار البلد كالشفق فى الظلمات ، واجتمع السبي على شنيل ، وفاضت الغنائم هنالك فيض النيل ، ثم ارتحل امير المسلميـــن والغنائم تساق أمامه وتقاد الروم بين يديه فى الأصفاد مقرنين ، حتـــى قربوا من مدينة استجة فأتا بها النذير الى أمير المسلمين ، فأخـــبـره ان جميع النصرانية قد تالفت على كبيرهم وزغيمهم دون نونيودىلارا ، وانه قد خرج فى طلبه فى جيوش عظيمة ، وجنود كثيرة جسيمة ، وهو لاحق بك فى يومك هاذا ، مستعد الى قتالك ورد المغانم واستنقاذها من يديك .

الخبر عن غزاة أمير المومنين يعقوب

إلى دون نونيو دىلارا

لما وصل أمير المسلمين الى استجة برز عليها بجيوشه المنصـــورة وبمـــا افاء الله تعالا عليه مـــن الغنائم ، فوافاه النذير باقـــبـال دون نونيودىلارا (١٧٧) اليه بجيوش الروم ، فدعا باشياخ بنى مـــريـن يشاورهم كيف العمل فى لقاء الكافرين اذ نظر الناس الى طلائع خـــيـل الروم مقبلة نحوهم الوفا الوفا ، والرجال أمامهم صفوفا صفوفا ، وزعيم النصرانية دون نونيودىلارا فى وسط الجيوش كان ألفونسو لعنـــه الله قد قدمه على جيوشه وحروبه ، وفوض له فى جميع بلاده وأموره ، وكان النصارا قد سعدوا به لانه لم يهزم قط ، وكان وبـــالا على بلاد الاســـلام شديد الوطاة عليها قد أباد أكثرها لايفتر عنها بالغارات على مدى الايام، فأقبل اللعين الى حرب أمير المسلمين بالأبواق وتحت ظلال البنود تخفق على رأسه فى جيش كأنه الليل الداج يموج كالبحر اذا هـــاج ، والخيل

---

177) فى الأصل ذى نونه ، ويكتبه المؤرخون المغاربة ذ نونه أيضاً ، واسمه الحقيقى هو ما أثبتناه .

والرجال تأتى على أثره زمرا وأفواجا بعد أفــواج ، قــد أعدوا للحرب أوزارها ، وزعموا أنهم أصبحوا حماتها وانصارها ، وتدرعوا هم وخيولهم بالزرد النضديد ، ومصفحات الحديد ·

فلما عاين ذالك أمير المسلمين من أمرهم وشاهد عزمهم فى اقبالهم أمر بالغنائم فقدمت بين يديه وبعث معها الف فارس من أنجاد بنى مرين، وتأخر هو بجميع جيوش المجاهدين ، للقاء أعداء الله الكافرين ، ثم نزل عن جواده ، فأسبغ وضوءه وصلا ركعتين ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والمسلمون يؤمنون على دعائه ، فكان فى ألاخر دعائه مادعا به النبي صلا الله عليه وسلم يوم بدر للصحابة : اللهم انصر هاذه العصابة وسلمها وأعنها على جهاد عدوك وعدوها وأيدها ، فقبل الله تعالا دعاءه ورحــم تضرعه وابتهاله ·

ولما فرغ من دعائه قام فركب على جواده ، وعبأ جيوشــه واستعد لجهاده وجلاده ، وعقد لولده الأمير يوسف على مقدمته ، ثم اقبل علــى أشياخ بنى مرين وأمراء الــعــرب ورؤساء القبائــل ، فقال : يامعشــر المسلمين وعصابة المجاهدين ان هاذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وأن الجنة قد فتحت لكم أبوابها ، وزينت أترابها ، فجدوا فى طــلابها ، فان الله تعالا اشترا من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين فى جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حــمـيــدا ، (فاصبروا وصابــروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ·

فلما سمع الناس منه هاذه المقالة تاقت أنفسهم الى الشهادة ، وعانق بعضهم بعضا للوداع ، والقلوب لها وجيب وانصداع ، وقد طابت نفوسهم على الموت ، وباعوها من ربهم بالجنة قبل الفوت ، وارتفعت أصواتــهــم بالشهادة والتكبير ، وكلهم يقول عباد الله اياكم والتقصير ، فتسابقــت أبطال المسلمين نحو جيوش الروم ، فالتقا الجمعان والتحم القــتــال ، واشتد النزال ، فلاترا الا السهام تهوي فى الروم كانها الشهب الثواقب،

وتفعل فى أعداء الله تعالا فعل العذاب الواصب ، والسيوف بالدماءترعف ورؤوس الكفرة عن أجسادهم تقطع وتقطف ، ودارت بهم أبطال بنى مرين، كأساد العرين ، يحكمون فيهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحتوف ، قد صبروا صبر الكرام ، فى حرب السفلة اللئام ، فنصر الله تعالا جنده ، وأظهر أولياءه وأيد حزبه ، فقتل زعيم الكفرة دون‌نونيو وهزمت جيوشه وعساكره ، وقتلت جموعه ولم يكن الا كلمح البصر حتى لم يبق السيف منهم من يخبر الخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ، ولم تق الـدروع منهم واقية ، وأمر أمير المسلمين بقطع رؤوس الروم الذين قتلوا فى المعركـة واحصائها فقطعت وأحصيت ، فكانت ثمانية عشر ألف رأس ونيف ، طلعت كأنها الجبال ، فصعد المؤذنون عليها فأذنوا للصلاة ، فصلا المسلمون صلاة الظهر والعصر فى وسط المعترك بين القتلا مختضبين فى دمائهم ، فلما فرغ المسلمون من صلاة العصر افتقد أمير المسلمين جيوشه ونظر مـن استشهد فى تلك الغزاة من المسلمين ممن سبقت له من الله الحسنا وختم له بالشهادة ، فوجد تسعة نفر من بنى مرين ، وخمسة عشر مـن العرب والأندلس وثمانية من المتطوعين ، فواراهم بالتراب ، ثـم حمد الله تعالا وشكره ، وأطال الثناء عليه كما أمره ، وكانت هاذه الغزاة الكريـمـة والنعمة الجسيمة التي أعز الله تعالا بها الاسلام واذل بها عبدة الاصنام فى الخامس عشر من شهر ربيع الأول المبارك شهر مـولد سيدنـا محمد صلا الله عليه وسلم الذي هو من سنة أربع وسبعين وستمئة (٨ شتنبر سنة ١٢٧٥ م) ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى جميع بلاد المسلمـيـن بالأندلس والعدوة ، فقرئت كتبه على المنابر ، وعملت المفرجات فى سائر بلاد المغرب والأندلس ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالا ، ووصل أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء بالغنائم والأسرا والسبي ، فدخلها فى الخامس والعشرين من ربيع الأول (١٨ شتنبر) من السنة المذكورة فى احتفال عظيم وزي عجيب وابطال الروم وزعماؤهـم يقادون بين يديه فى القطائن والحبال ، مصفدين فى السلاسل والأغلال ، وبعث أمير المسلمين برأس دون‌نونيو دى‌لارا الى ابن الأحمر ليرا فعـل

الله تعالا بأعدائه ، ونصره لأوليائه ، فأخذ ابن الأحمر الرأس وجعله فى المسك والكافور وبعث به الى القونسو يستخدمه بذالك ، ويتحبب اليه به ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء لقسمة ما أفاء الله تعالا عليه من المغانم ، فأخرج الخمس منه لبيت المال وقسم الباقى فى المجاهدين ، وكان عدد البقر فى هاذه الغنيمة مئة ألف رأس وأربعة وعشرين ألف رأس ، وأما الغنم فعجز عنها الحصر لكثرتها ، بيعت الشاة منها فى الجزيرة الخضراء بدرهم .

وكان عدد الأسارا من الرجال والنساء والذرية سبعة ألاف وثمانمئة وثلاثين نفسا وعدد الخيل والبغال والحمير أربعة عشر ألف رأس وستمئة ألف رأس .

وأما الدروع والسيوف والعدد فمالها عدد من كثرتها فامتلأت أيدي المسلمين ، وصلحت أحوالهم ، وأعطا أمير المسلمين حظه القوي والضعيف والمملوك والشريف ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء بقية الشهرين ربيع الأول والثانى .

فلما كان فى أول يوم من جمادا الاولا (الاربعاء ٢٣ اكتوبر) خرج من الجزيرة الخضراء غازيا الى أشبيلية ، ولما وصل أمير المسلمين الى الخضراء كتب اليه الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة كتابا يهنئه فيه بالفتح وفى ألخره هاذه القصيدة (١٧٨) .

هبت بنصركم الرياح الأربع	وجرت بسعدكم النجوم الطلع
وأتت لعونكم الملائك سبقا	حتى لضاق بها الفضاء الأوسع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا	أن الأمور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمان بالفتح الذي	ملا البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته	نفسا تفديها الخلائق أجمع

178) هاذه القصيدة انما تمثل بها ابن أشقيلولة فقط ، وهى من شعر الأمير الموحد سليمان بن عبد الله بن عبد المومن بن على ، نظمها مهنئا ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور بفتح قفصة ، وهى مثبتة فى ديوانه المطبوع بتطوان ص 20 .

وأتيت تنصــر دينه متوكــلا … بعزيمة كالسيف بـل هـي أقطع

وكتائـب منصورة يـحـدو بهـا … أمـر اذا أمضيتـه لايـرجـع

للــه جندك والصوارم تنتضـا … والخيل تجري والأسنة تشـرع

من كل من تقوا الالاه سلاحـه … مــا ان له الا التوكل مـفـزع

لايسلمون الــى النوائب جارهـم … يوما اذا أضحـا الجوار يضيـع

ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظـن أن فـراره مـنـج لـه … فبجهـلـه قـد ظـن ما لاينفـع

أيــن المفـر ولا فــرار لهارب … والأرض تنشر فى يديك وتجمـع

أخليـفـة الله الـرضـا هننته … فـتـح يمد بـه سواه ويشـفـع

فلقد كسوت الدين عـزا شامخا … ولبست مـنـه أنت ما لايخـلـع

ان الـذي سماك خـيـر خليفـة … جـعـل الخلافـة فيكم لاتنـزع

هيهات سـر اللـه أودع فيكـم … والله يعـطـى مـن يشاء ويمنع

لـكـم الهدا لايدعيه سواكـم … ومن ادعـاه يقول ما لايسـمـع

ان قيل مـن خير الخلائـف كلها … فالـيـك يايعقوب يومى الأصبـع

ان كنت تتلوا السابقين فانـمـا … أنـت المقدم والـخـلائق تـبـع

فـلأنتم ذخـر الخلافة والـذي … وجـه الـزمـان بوقتها يتطـلـع

خـذهـا أمير المومنين مدائحـا … من قلب صـدق لم يشنه تصنـع

فـالمـدح مني فى عـلاك طبيعـة … والمـدح من غيري اليك تطـبـع

حـزهـا ملاءة مدحة منسوجـة … فعساه يحسدها السماك الأرفـع

واسـلـم أمير المـومنين لأمـة … أنـت المـلاذ لها وأنت المـفـزع

وحماك من يحمى بسيفك ديـنـه … وكـفـاك ما تخشا وما تتوقـع

وعلـيـك يا أسنا الملوك تحـيـة … يفنا الزمـان وعرفها يتضـوع

الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الثانية في جوازه الأول

قال المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزاته الثانية من الجزيرة الخضراء أول يوم من جمادا الاولا من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٢٣ اكتوبر سنة ١٢٧٥ م) فقصد الى أشبيلية فسار بجيوش المسلمين حتى نزل عليها بموضع يعرف بالماء المفروش ، فشن الغارات على احوازها ، وجالت جيوشه فى اقطارها ، وغنموا ماكان فى أنحائها ، وركب فى اليوم الثانى حتى أشرف على بابها ،وبرز عليها تهدر طبوله وتخفق راياته ، وركب الروم الأسوار ، واعتمدوا على الحصار ، ولم يكن فى ملوكهم من يقدم عليه ، ولم يستطع زعيم منهم ان نيخرج اليه ، فلما غنمها وهتك احوازها وأحرق قراها وخرب حصونها ارتحل عنها الى شريش ، ففعل بها كفعله فى اشبيلية ، وأقام عليها ثلاثة أيام وارتحل الى الجزيرة الخضراء فدخلها فى اليوم السابع والعشرين لجمادا الاولا المذكور فقسم ماجاء به من الغنائم والسبي ، بيعت الرومية فى هاذه الغزاة بمثقال ونصف لكثرتهن ، ودخل فصل الشتاء ، فبقي أمير المسلمين زمن الشتاء كله ساكنا بمحلته على وادي النساء بقرب الجزيرة الخضراء ، واحترم الروم الحراثة فغلت أسعارهم ، وضعفت بلادهم ، وقنط بنو مرين من المقام بالأندلس وتشوقوا الى أولادهم وديارهم ٠

فلما علم أمير المسلمين ذالك منهم جاز الى العدوة ، فنزل بقصر المجاز وذالك فى آخر يوم من رجب من سنة أربع وسبعين المذكورة (الاحد ١٩ يناير سنة ١٢٧٦ م) ، وكانت مدة اقامته بالأندلس ستة أشهر ، وسار الى مدينة فاس فدخلها فى النصف من شعبان من السنة المذكورة ، وعند وصوله الى مدينة فاس نافق عليه طلحة بن محلى البطوءي أحد اخواله وتمنع بجبل أزرو من بلاد فازاز فخرج اليه أمير المسلمين من فاس فنزل

عليه بعساكره وحاصره فرأا مالاقبل له به ، فنزل اليه بأمانه فعفا عنه وذالك فى نصف شهر رمضان المعظم من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٣ مارس ١٢٧٦ م) •

وفى ثاني شوال من هاذه السنة قتل اليهود بفاس ، قامت عليهم العامة فقتل منهم أربعة عشر الف يهودي ، ولولا ماركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم ونادا مناديه لايتعرض لهم أحد لم تبق منهم باقية •

وفى اليوم الثالث من شوال المذكور (٢١ مارس) أمر أمير المسلمين يعقوب ببناء البلد الجديد ، فأسس على وادي فاس ، وشرع فى بنائه وحفر أساسه فى ذالك اليوم ، وركب أمير المسلمين فوقف عليه حتى حد وأسس وأخذ له الطالع الفقيه المعدل علي ابن القطان ، والفقيه محمد ابن مبارك ، وكان تأسيسه فى طالع سعيد ووقت ميمون مبارك ، ومن بركته وسعادة طالعه أنه لايموت فيه خليفة ولم يخرج قط لواء منه الا نصر ، ولا جيش الا ظفر •

وفى شوال المذكور أمر أمير المسلمين ببناء قصبة مكناسة وجامعها

وفى شهر محرم من سنة خمس وسبعين خرج الأمير يعقوب من مدينة فاس الى مراكش فوصلها فى نصفه ، فأقام بها الى أول شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ، وخرج الى بلاد السوس ثم رجع الى مراكش، فأقام بها أياما وخرج منها الى رباط الفتح ، فدخله فى أول يوم من شعبان فأقام به وكتب الكتب منه الى الأشياخ والقبائل من بني مرين وسائر العرب وسائر قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، فتثاقلوا عليه ، فلم يزل يحرضهم وهم يلوذون بالأعذار ، ويتثاقلون الى ان دخلت سنة ست وسبعين فلما رأا تثاقل الناس عن الجهاد وتثبطهم عن الجواز ، جد بنفسه وخاصته، فخرج من رباط الفتح فى أول يوم من شهر محرم من سنة ست وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) فسار حتى وصل قصر المجاز ، فجاز منه الى طريف وذالك فى الخامس والعشرين من محرم المذكور (٢٨ يونيو) •

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما رأى أمير المسلمين يعقوب تثاقل الناس عن الجهاد خف اليه بخاصته ، ونهض الى الجواز وسار نحوه بعزيمته ، فخرج من رباط الفتح في أول يوم من محرم مفتتح عام ستة وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل الى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس حين رأوا عزمه ، وعلموا جده ، فتداركت في أثره قبائل بني مرين والعرب والمتطوعة من قبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة وأوربة وغمارة ومكناسة وغيرهم ، فأخذ في تجويز الجيوش حتى فرغ منها ، ثم جاز هوفي أثرهم فنزل بساحل طريف وذلك في اليوم الثامن والعشرين من المحرم المذكور (الخميس ١ يوليوز) ثم ارتحل عنها الى الجزيرة فأقام بها ثلاثة أيام ، وخرج الى رندة فوصلها ونزل بخارجها وأتاه هنالك بنو أشقيلولة وهم الرئيس أبو اسحاق صاحب وادي آش ، والرئيس ابو محمد صاحب مالقة ، فسلموا عليه وساروا معه تحت لوائه الى غزو اشبيلية ، فارتحل عن رندة في أول يوم من ربيع الأول المبارك من سنة ست وسبعين المذكورة (الاثنين ٢ غشت سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل اشبيلية فنزل قريبا منها ، وكان بها الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ملك النصرانية ، فلما سمع بنزول أمير المسلمين عليه لم يمكنه الا الخروج اليه ، فخرج بجنوده وجيوشه ، ووقف حول المدينة بعساكره وحشوده ، واصطفت عساكر الروم على ضفة الوادي الكبير في استعداد عظيم ، وعدد كثير جسيم ، وكلهم في الدروع السابغة ، والبيضات اللامعة ، والسيوف البواتر ، والجواشن والحراب والمغافر ، شعاعها يذهب بالأبصار ، ويدهش الاذهان والافكار ، فزحف اليه أمير المسلمين بجيوش المجاهدين ، وأبطال بني مرين وذالك يوم مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم ، فلما تقارب الجمعان

والتقا العيان بالعيان ، نزل أمير المسلمين رحمه الله فصلا ركعتين على عادته ، ودعا الله تعالا فى نصره ومعونته ، ثم قال يامعشر بنى مرين ، جاهدوا فى الله حق جهاده واشكروه اذ جعلكم مسلمين ، فوالله لايبصر حر النار ، من جاهد أعداء الله الكفار ، وقد قال رسول الله صلا الله عليه وسلم الحق وهو قائله : (لايجتمع فى النار كافر وقاتله) ، فطوبا لمن يكثر السواد ، وان لم يباشر طعانا ولاجلاد ، أما والله ان أجر الجهاد لكبير ، وقدره عند الله تعالا عظيم ، من مات فيه فهو حي يرزق وهاذه مرتبة عالية لاتلحق ، فلما سمع المسلمون منه الموعظة ، وعاينت أبطال مرين جيوش الكفرة ، عاد الجبان منهم قسورة ، والضعيف كعمرو وعنترة ، فدفعت عليهم كتائب المسلمين ، يقدمها النصر والسعد والتمكين، وتقدم الأمير يوسف برايته السعيدة فى الف فارس من انجاد بنى مرين ، امام أبيه امير المسلمين ، فاقتحم جيوش الروم ، فارتفعت الغبارات ، وضج المسلمون بالتكبيرات والشهادات ، فكان بينهما قتال شديد عظيم ، وموقف كريم ، ثم اقبل امير المسلمين على أثر ولده بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده ، فلما سمع الروم هدير طبوله ، وعاينوا اشراق رايته المنصورة وبنوده ، ولوا منهزمين ، ونكصوا على أعقابهم مدبرين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت ذاهلة أمام قسورة ، فالجأهم بنو مرين الى الوادي ، وحكموا فيهم السيوف والصفاد ؟ فكل من تاه منهم فى البرية قتل فى التيه ، ومن اقتحم الوادي غرق فيه ، ومن بقي فى المعترك مستمرا للقتال قتل أو أسر ، فمات منهم فى الوادي ألوف كثيرة ، واقتحم المسلمون الماء يعومون فى آثارهم فيقتلونهم فى لجته الغزيرة ، حتى صار الوادي من دمائهم أحمرا ، وطلعت جيفهم على وجه الماء فكان منظرهم عبرة للورا ، ومزقت جيوشهم تمزيقا ، وفرقت كتائبهم تفريقا ، وجالت جيوش المسلمين فى تلك النواحى تقتل فريقا وتأسر فريقا ، وتحرق وتخرب الى الليل ، وبات أمير المسلمين تلك الليلة راكبا على جواده ، واقفا على بباب اشبيلية والطبول تضرب والنيران تضرم ، حتى عاد الليل كالنهار والروم يضربون قرونهم ويحترسون بالأسوار ، فلما ولا الليل بظلمته ، واصبح

الصبح بغرته ، صلا أمير المسلمين تلك الصلاة الوسطا مغلسا ، وارتحل الى جبل الشرف فلم يزل فى أنحائه راحلا ومعرسا ، وتفرق المجاهدون فيه يقتلون ويأسرون ويضرمون النيران ويخربون ، ودخل أمير المسلمين حصن قطنيانة ، وحصن جليانة ، وحصن القليعة بالسيف وقتل جميع رجالــه وأسر كافة نسائهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وخـربـت حصونهم ، وحرقت ديارهم ، ومر الحريق والتخريب على جميع قرا الشرف وحصونه ورجع أمير المسلمين بالغنائم والسبي الى الجزيرة الخضراء ، فدخلها فى ثامن وعشرين من ربيع الأول المبارك المذكور من سنة ست وسبعيـن المذكورة (الاحد ٢٩ غشت سنة ١٢٧٧ م) فأقام بالجزيرة حتى قسـم الغنائم على المجاهدين واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش .

وفى جمادا الأولا من هاذه السنة تـوفي الـرئيس أبو محمد ابـن أشقيلولة بمالقة عند انصرافه من هاذه الغزوة المباركة .

الخبر عن غزوة أمير المومنين الرابعة

لما رجع أمير المومنين يعقوب من غزو اشبيلية وجبال الشرف أقام بالجزيرة حتى قسم المغانم واستراح الناس ثم خرج غازيـا الى شريش وذالك فى الخامس عشر من شهر ربيع الأاخـر مـن سنة ست وسبعيـن وستمئة (الاربعاء ١٥ شتنبر سنة ١٢٧٧ م) ، عزم على هلاكها واستئصالها فسار حتى نزل عليها فحاصرها وشد فى قتالها وشرع فى قطع الزيتون والعنب والشجر وحرق الزروع وفسادها ، وهدم القرا والبروج وتخريبها ، وكان أمير المسلمين رحمه الله يقطع الثمار ويحرق الزرع بيده ، فأبصره الناس فجدوا فى فعلهم ، فكان فعله ذالك من الـرشاد وأفضل الجهاد ، حتى صارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وقتل من بها من فرسـان الروم وجيوشها ، وبلغت من الروم النكاية ، الى غاية النهاية ، فلما دوخ تلك البلاد وهتكها بعث ولده الأمير الأسعد يوسف فى سرية من ثلاثة الالف

فارس الى غزو حصون الوادي الكبير ، فسار اليها فغنم حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطر وسار مع الوادي يخرب ويفسد ويقتل حتى وصل اشبيلية فغنمها ودوخ أحوازها ورجع بالغنائم والسبي الى والده فوجده ينتظره بمقربة من شريش ، فسر بقدومه وارتحل الى الجزيرة ، فقسم بها المغانم على بنى مرين وقبائل المجاهدين ، ثم رجع أشياخ القبائل من بنى مرين والعرب والأغزاز والأندلس فندبهم الى الجهاد وقال يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفا وبادا ، وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الروم واتكاهم ، وبها قوتهم ومعاشهم ، فان غزوناها وقطعنا ثمارها وأفسدنا زروعها فنيت الروم جوعا ، وضعفت جميع بلاد النصرانية ، وقد عزمت على غزوها ، فما ترون فى ذالك ؟ فقالوا يا أمير المومنين وفقك الله تعالا فيما رأيت ، وأعانك وأثابك على مانويت ، نحن تبع لك فى رأيك ، سامعون لأمرك ونهيك، لو خضت بنا البحر لخضناه ، ولو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلناه ، فشكرهم ودعا لهم ، وفرق فيهم الخلع والأموال وأحسن اليهم وزادهم ، وكتب الى ابن الأحمر صاحب غرناطة يخبره أنه أراد غزو قرطبة ويدعوه فى المسير معه اليها ، ويقول ان خرجت معي اليها تكن لك مهباة في قلوب الروم ماعشت ، وأجر عظيم عند الله تبارك وتعالا .

الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الخامسة وهي غزوةُ قُرطُبة

قا المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء فى جيوشه الموفرة ، وكتائبه المنصورة المظفرة ، وذالك فى أول يوم من جمادا الأخرا من سنة ست وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ اكتوبر سنة ١٢٧٧ م) ، وخرج أيضا الأمير ابن الأحمر بجنوده من غرناطة ، فالتقا الجمعان بخمار الورد من بلاد شذونة فأقبل عليه أمير المسلمين وفرح

به ، وجمع الله تعالا كلمة الاسلام وألف بين قلوب أهله ، فطابت نفوس المسلمين على القتال ،وقويت نياتهم ، فاستعدوا للجهاد ، فنزلوا علــى حصن بني بشير ، والفتح والنصر اليهم يشير ، فدخلوه فى حينــه عنوة بالسيف ، وقتل جميع رجاله وسبيت نساؤهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم، وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ، وأطلق أمير المسلمين الغارات فى كل ناحية من بلاد الكفرة وكل من والا من المسلمين مكانا دمره ، وغنموا بتلك الجهات من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير والزيت والعسل والقمح والشعير مالايوصف ، فكثرت الخيرات ، وامتلأت أيديهم بالغنائم، ثم ارتحلوا حتى نزلوا قرطبة ، فنزل أمير المسلمين عليــهــا بالساقــات والجيوش ، وضرب عليها الطبول وارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير ، فتحصن الروم بالأسوار والرماة ، وسار أمير المسلمين تحت ظلال بنوده، وقدم بين يديه الرؤساء من أبطاله وجنوده ، حتى وقف على بابها ، ثـــم دار بأسوارها ، ينظر كيف الحيلة فى قتالها ، ووقف ابن الأحمر بعساكر الأندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا لما يحدث من قبل الروم ، فتفرقت قبائل بنى مرين والعرب فى أحواز قرطبة وحصونها وقراها ومدنها يقتلون ويأسرون ويفسدون ويخربون ، ودخلوا حصن الزهراء بالسيف ، فأقام أمير المسلمين على قرطبة ثلاثة أيام حتى هتكها وخرب قراها وأحرق زروعها ودوخ أرضها ، وارتحل عنها الى بركونة ، فدخل أرباضها بالسيف وخربها وقطع ثمارها ، وارتحل الى أرجونة ففعل بها كفعله فى بركونة ، وبعث الجيوش الى مدينة جيان وبث السرايا فى كل وجهة فانتشرت فــى تلك البلدان

فلما رأا الفونسو مانال بلاده من الفساد والدمار وماحل برعيته من القتل والأسر والتبار ، جنح الى الصلح ورغب فيه ، وبعث بالأقســـة والرهبان الى أمير المسلمين ليساله ويعفيه ، فوصلوا الى بابه يرغبون فى السلم صاغرين ، ويتضرعون اليه داخرين ، فقال لهم انا ضـيـف ، ولا أصالحكم الا ان صالحم ابن الأحمر ، فساروا الى ابن الأحمر وقالوا له ان أمير المسلمين قد رد الأمر اليك ، ونحن أتيناك لتصالحنا صلحا مؤبدا

يدوم على توالى الأعصار ، ويبقى ماتعاقب الليل والنهار ، وأقسموا لــه بصلبانهم ان لم يرضه الفونسو خلعوه من سلطانهم ، لانــه لم ينصـر الصلبان ، ولاحما الثغور ولاضبط البلدان ، وقد ترك رعيته نهبا للعدا ، وان تمادت بهم الحال لم تبق منهم أحدا ، فأتا ابن الأحمر أمير المسلمـيـن فبين له الأمور وأخبره ان الأندلس لاتسكن الا بالصلح على قديم الدهر ، وقد سما الله تعالا الصلح خيرا ، فانعقد الصلح بين ابن الأحمر والرهبان وقال لهم تصلون فى أمرنا الى حضرة أمير المسلمين فيكون بها تـمـام الصلح والاشهاد به علينا وعليكم ان شاء الله تعالا ، فارتحل أمـيـر المسلمين عن أرجونة قاصدا الى الجزيرة الخضراء ، وأخذ على طريق غرناطة ، فأعطا المغانم كلها لابن الأحمر احسانا اليه وفضلا منه وايثارا له ، وقال له يكون حظ بنى مـريــن من هاذه الغزاة الأجـر والثواب ، فسار ابن الأحمر بالمغانم الى غرناطة ، وسار أمير المسلمين على مـالقة حتى دخل الجزيرة الخضراء وذالك فى العشر الاول من شهر رجب مـن سنة ست وسبعين المذكورة ، فنزل بمحلته خارجها ، وعند وصوله اليها مرض ، فبقي مريضا سبعين يوما ، وذالك أنه مرض يــوم الحادي عشر من شهر رجب فبقي عشرين يوما من رجب وشعبان بأسره وعشرين يوما من رمضان حتى تحدث الناس بموته فى بلاد العدوة ، فبعث ولده الأمير يوسف يهدن الناس ويسكن روعاتهم ، فلما وجد أمير المسلمين الراحة من مرضه أتته أرسال الروم مع الرهبان والأقسة لتمام الصلح فصالحـهـم وذالك فى أاخر شهر رمضان المذكور (الخميس ٢٤ يبراير سنة ١٢٧٨ م)

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة بعث الرئيس ابن أشقيلولة الى أمير المسلمين يرغب منه أن يأخذ منه مالقة ، وقال له اني عجزت عـــن ضبطها فان لم تصل اليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم ولا يتملكهـا ابن الأحمر ابدا ، وكان ابن الاحمر قد أعطى عليها لألفونسو مــن البلاد والحصون عددا كثيرا ، وكذالك أعطا عليها ابن أشقيلولة ، فبعث اليها أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فقبضها منه وحل فى قصبتها وذالـك فى العشر الأواخر من شهر رمضان المذكور ، فأقام أمير المسلمين بعده

بالجزيرة الخضراء حتى انقضا شهر رمضان وعيد عيد الفطر بها، ثـــم خرج الى مالقة فى ثالث شوال ، فدخلها في اليوم السادس منه ، فتلقاه أهلها ببروز عظيم ، وفرحوا به ، وتهدنت روعاتهم ، وتأمنت بـلادهم ، فأقام بها بقية شوال وشهر ذي قعدة وثمانية عشر يوما من شهر ذي حجة، وارتحل الى الجزيرة الخضراء برسم الجواز الى العدوة بعد ان رتب فيها ألف فارس من بني مرين والعرب ، وسكن فى قصبتها عمر بن علي وقدمه عليها وعلى جيشها ، وجاز الى العدوة ، وذالك فى العشر الأول مـــن المحرم سنة سبع وسبعين وستمئة (يونيو سنة ١٢٧٨ م) فوصل مديـنـة فاس فأقام بها أياما ثم خرج الى مدينة مراكش ، ولمـا تحقق الفونسو لعنه الله جواز أمير المسلمين الى العدوة واستقراره بحضـره مراكش نقض صلحه ورفض الايمان ، ونكث العهود ونسي الاحسان ، وهاذه صفة المشركين ، التي وصفهم الله تعالا بها فى كتابه المبين ، فقال وقوله الحق: (الذين ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون) ، فبعث اللعين الافروطة لحصر الجزيرة الخضراء وقطع المجاز ، فلما رأا ذالك عمر بن علي قائد أمير المسلمين على مالقة غدر وقام بها وراسله ابن الأحمر فى شأنـهـا فباعها منه بخمسين ألف دينار ، وحصن شلوبانية ، وذالك فـى نصف رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة ، وأتا ابن الأحمر بجيشه حتـى دخل مالقة وملكها ودخل عمر بن علي على ماكان أمير المسلمين تركه بها من العدد والمال برسم المرتبات والانفاق على الأجفان والغزاة ، واتصـل بأمير المسلمين غدر عمر بن علي وبيعه مالقة لابن الأحمر ، فبلغ ذالك منه كل مبلغ ، وخرج من فوره عن مراكش قاصدا الى الأندلس وذالك فى ثالث شوال من سنة سبع وسبعين المذكورة (الجمعة ١٧ يبراير سنة ١٢٧٩ م) فوصل قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والرياح والسيول، ولم تزل الأنواء مصطخبة لايفتر المطر ليلا ولا نهارا فلم يستطع الرحيل لأجل ذالك ، ووردت عليه الأخبار وهو بهاذا المنزل أن النصارا دمرهــم الله قد نازلوا الجزيرة الخضراء برا وبحرا ، المحلات فى البر والأجفان فى البحر ، وكان نزول الافروطة عليها فى نصف ربيع الأول من سنة سبع

وسبعين المذكورة ، ونزلها الفونسو بعساكره فى البر سادس شوال من السنة بعينها فأمر أمير المسلمين بالرحيل الى طنجة لينظر فى الجواز الى الأندلس واستنقاذ الجزيرة الخضراء فبينما الناس يرتحلون اذ تواترت الأخبار فى المحلة أن أمير عرب سفيان مسعود بن كانون قد نافق ببلاد نفيس من أحواز مراكش وبايعه جميع عرب سفيان ، فأسرع أمير المسلمين الرجوع الى مراكش ، فلما وصلها فر مسعود بن كانون أمامه الى جبل سكسيوة وتمنع منه هنالك وترك جميع أمواله وأمتعته ، فأخذها أمير المسلمين ففرقها فى بنى مرين ، ونزل عليه فحاصره بجبل سكسيوة وأقسم أن لايرتحل عنه حتى ينزل على حكمه او يموت دون ذالك ، وكان نفاق مسعود بن كانون المذكور يوم الأحد الخامس من ذي قعدة من سنة سبع وسبعين المذكورة ، فأقام محاصرا له وبعث ولده الأمير أبا زيان الى بلاد السوس فدخلها وهدنها وقمع ثوارها وجبا خراجها ورجع الى والده فوصله فى آخر يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة (السبت ١٣ ماي سنة ١٢٧٩ م) ، ولما طال مقام امير المسلمين على حصار الثائر مسعود ابن كانون تواترت عليه الأخبار بما هي عليه الجزيرة الخضراء من شدة الحصار ، وتوالى القتال والأسر بالليل والنهار ، وكان جملة من نازلها من البحر من أجفان العدو أربعمئة جفن بين قراقر وقطائع كبارا وصغارا ، ونزلها فى البر الفونسو لعنه الله فى ثلاثين الف فارس من الروم وثلاثمئة ألف راجل ، فشدوا عليها الحصار ، ودارت محلاتهم بالاسوار ، وأحدقوا بها كما يحدق بالمعصم السوار ، ونصبوا عليها المجانيق والرعادات وضيقوا عليها تضييقا عظيما حتى لايدخل اليها أحد ولايخرج منها ، وكان أهلها لايسمعون خبرا الا مايأتيهم به الحمام من جبل الفتح يحمل اليهم الكتاب ويرد عليهم الجواب ، وفني أكثر أهلها بالأسر والجوع والقتل وسهر الليل فى الأسوار ، والحراسة والقتال بالليل والنهار ، حتى أشرف من بقي بها على الهلاك ، وقطعوا يأسهم من الحياة ، فجمعوا صبيانهم وطهروهم خوفا عليهم من التحويل ، واتقاء أن تدخل عليهم المدينة فيدعوهم الروم الى التبديل ، فلما سمع أمير المسلمين ما آل اليه أمر

الجزيرة الخضراء ، وقد كان سبق يمينه ان لايرتحل عن ابن كانون حتى يظفر به أو ينزل اليه على حكمه ، دعا بولده الأمير الأجل يوسف وأمره أن يسير الى طنجة برسم النظر فى استنقاذ الجزيرة وعمارة الأجفان لجهاد الأفروطة المحاصرة لها ، فخرج الأمير يوسف من حضرة مراكش قاصدا الى طنجة ، وذالك فى شهر المحرم من سنة ثمان وسبعين وستمئة فوصل طنجة فى غرة صفر التالي للمحرم المذكور ، فأمر بعمارة الأجفان بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا ، وفرق الأموال والعدد على الغزاة والمجاهدين ، وكان من أهل سبتة فى هاذه العمارة وغزو هاذه الافروطة جد عظيم ، فان الفقيه أبا حاتم العزفى رحمه الله لما وصله كتاب الأمير يوسف يأمره بالعمارة جمع أشياخ سبتة وقوادها ورؤساءها فندبهم للجهاد وحضهم على نصرة أهل الجزيرة الخضراء واستنقاذها مما هي فيه من الهلاك والجلاد ، فبادر جميع من فيها وسارعوا خفافا وثقالا الى ركوب الاجفان فأعد أهل سبتة خمسة وأربعين جفنا مابين كبار وصغار ، وركب فيها تطوعا برسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والصلحاء والطلبة والتجار والسوقة ومن لامعرفة له بالحرب كل قد باع نفسه من الله تعالا ، ولم يبق بسبتة الا النساء والزمنا والشيوخ الذين لاقوة لهم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وعمر ابن الأحمر فى المنكب والمرية ومالقة اثني عشر جفنا ، وعمر الأمير يوسف بطنجة وسلا وبادس وأنفا خمسة عشر جفنا نض فى الجميع اثنتان وسبعون قطعة ، واجتمعت أجفان المسلمين كلها بسبتة ثم أقلعوا عنها الى طنجة ليراهم الامير يوسف فوصلوها فى أحسن زي وأكمل استعداد ، فركب فيها جماعة من أنجاد بنى مرين ممن رغب فى الجهاد ، وعقد لهم الأمير يوسف رايته السعيدة المنصورة ، وقال سيروا على بركة الله ويمنه ، فارتفعت أصوات المجاهدين بالشهادة ، وضج الناس بالدعاء لهم والابتهال الى الله تعالا فى نصرهم وتأييدهم على عدوهم ، فأقلعوا من طنجة ثامن ربيع الأول المبارك من سنة ثمان وسبعين المذكورة (٢٠ يوليوز سنة ١٢٨٠ م) ، والناس يبكون ويتضرعون ، فأقام أهل طنجة وسبتة وقصر المجاز أربعة

أيام بلياليها لم ينم منهم أحد ولا غلق فيه باب ، ومن كان بقي بها من الشيوخ والصبيان ركبوا الأسوار ، وأقبلوا على الدعاء والتضرع لهم بالليل والنهار ، وانتشرت قلاع المسلمين فى البحر وقدموا المناطح ، وصار الموج لهم كالأباطح ، وسكنت بيمن الله تعالا الرياح ، ليطيب لهم الحرب والكفاح ، واذا سكتت البحار الزواخر ، قدمت على حربها القراقر ، فقصدت أجفان المسلمين جبل الفتح فباتوا فيه تلك الليلة مرابطين ، وبات المجاهدون بأجفانهم مابين تال لكتاب الله تعالا وذاكر ، ومتهجد وداع ، فلما انفجر الصبح من يوم الأربعاء العاشر من ربيع الاول المذكور صلوا صلاة الصبح لأول وقتها ، فقام فيهم بعض الفقهاء الصلحاء خطيبا وذكرهم بما أعد الله تعالا للمجاهدين من الأجر العظيم ، والثواب الجسيم ، حتى ذرفت عيونهم ، وطابت قلوبهم ، وقويت نفوسهم ، وخلصت نياتهم ، واشتاقوا الى الشهادة وتوادعوا وعانق بعضهم بعضا وتغافروا فيما بينهم ثم أقلعوا قاصدين نحو أجفان المشركين ، فلما أبصر الروم قلوع المسلمين قاصدة نحوهم وقد سدت المسالك ، قاصدة للحروب والمهالك ، قذف الله تعالا الرعب فى قلوبهم ، والتحم بعضهم ببعض ليكون أمنع لهم فى حروبهم ، وصعد قائدهم الملند الأكبر على ظهر قرقورة ليعد أجفان المسلمين ، فعد ألفا وظن الباقي أكثر ، وعدها قواد الروم فأجمعوا على أنها ألف ونيف ليس فيها عندهم خلاف ولاريب ، فسقط فى أيديهم ، وكثرها الله تعالا فى أعينهم ، وأيقنوا بالهلاك والدمار ، وعزموا على الهروب والفرار ، وأقبلت أجفان أنجاد المسلمين أنجدهم الله تعالا فاصطفت أمامهم مثل السور ، متوكلين على الله تعالا فى جميع الأمور ، وكلهم قد وطن نفسه على الموت ، وباعها من الله تعالا بالجنة قبل الفوت، فبرز اليهم الملند قائد الأفروطة فى قرقورة كان قد أعدها وبرزها جماعة من قواد الروم وغزاتها فى مقاطع وقراقر هائلة ، وكلهم قد لبس الحديد وأظهر العدة والعديد ، واكبر جفن من أجفان المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقورة ارتفاع الجبل الشاهق واذا نشرت شراعها صيرته لها أرضا وجرت عليه جري الجواد السابق ، فالتحم الحرب بين الفريقين ،

وتشهد المسلمون وقالوا لا اثر بعد عين ، وأقبلت سهام المسلمين عليهم صائبة كأنها القطر الواكف ، أو الريح العاصف ، تنفذ التراس والدروع ، وتفرق الكتائب والجموع ، ونصر الله تعالا عباده المومنين فخرجوا بثلاث قطع من أجفان الكفار ، وكثر فيما بقي من الأجفان القتل والجراح ، وتوالا رشق السهام وطعن الرماح ، فلما رأا الكفرة مانالهم من البوار ، ولوا الأدبار ، واخذوا في الفرار ، وقالوا هاذه سفرة دائرة ، وكرة خاسرة ، فتراما المسلمون معهم في الاجفان ، فقتلوا منهم عددا لايحصا وتراما اكثرهم في البحر يعومون كالضفادع ، ويتساقطون فيه تساقط الفراش في الشهاب الساطع ، فقتلهم المسلمون بالرماح الذوابل والسيوف القواطع ، حتى لم تبق منهم باقية ، واضحت اجفانهم خالية خاوية ، فملكها المسلمون واحتووا على مافيها من العدد والأزواد ففرح المجاهدون واستبشر المسلمون الذين بداخل الجزيرة الخضراء بفساد الأفروطة وهلاكها وقتل جماعتها وأخذها ، وايقنوا بالحياة بعدما اشرفوا على الوفاة ، وأتاهم من الله تعالا الأمان بعد الذعر ، واليسر بعد العسر ، والنصر بعد الصبر ، والرخاء بعد الشدة ، والسراء بعد الضراء ، والضياء بعد الظلام ، والصحو بعد الغمام ، ودخلت أجفان المسلمين الجزيرة الخضراء على من بها من الروم عنوة بالسيف وقتلوا جميع من وجدوه بها وأسر قائدهم الملند وجماعة من قواد الروم منهم ولد أخت ألفونسو وكبير بيونة واحتوا المسلمون على جميع ماكان بالجزيرة وفي الأجفان من العدد والسلاح والأسلاب والذخائر التى جاء بها التجار من الحلي والثياب والجواهر والعدد ، فاحتملوا من ذالك مالايصفه لسان ولا يحويه عدد .

ولما رأا أهل المحلة التي في البر محاصرين للجزيرة الخضراء ما أصاب أهل البحر من الأسر والقتل والفساد خافوا من فجأة جواز الأمير يوسف اليهم ، اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للجواز ، فأخذوا في الرحيل والفرار ، وخلفوا جميع ماكان معهم من الأثقال والأزواد في تلك الدار ، فخرج الناس من الجزيرة الخضراء رجالا ونساء فانتشروا

فى مضاربهم ، وجالوا فى منازلهم ، يقتلون ويغنمون ، فوجدوا بها من الأموال والأسلاب والفواكه والادام والشعير والدقيق مالايحصا كثرة ، فانتهبوا ذالك كله وأدخلوه المدينة فبيع الدقيق القرطبي بالجزيرة فى عشي ذالك اليوم ربعا بدرهم ، بعد أن كان فى غدوته معدوما بالكلية لا يوجد غاليا ولا رخيصا ، ومن فضل الله تعالا وتأييده لأوليائه فى هاذه الغزاة أن أجفان المسلمين كانت نيفا وسبعين جفنا ، وأفروطة الرومى زادت على أربعمئة قطعة ، فغلبتها وسارع البشير الى الأمير يوسف فأعلمه بما سناه الله تعالا لعباده المسلمين من الفتح الجليل والصنع الجميل ، فحمد الله تعالا وأثنا عليه وكتب فى الحين الى والده بالفتح ، وكانت هاذه الغنيمة العظيمة والمنة الجسيمة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول المبارك يوم مولد نبينا محمد صلا الله عليه وسلم من سنة ثمان وسبعين وستمئة (الاحد ٢٣ يوليوز سنة ١٢٧٩ م) فورد كتاب الفتح على أمير المسلمين وهو محاصر لمسعود بن كانون بجبل سكسيوة فخر لله تعالا ساجدا ، ولم يزل لله تعالا شاكرا وحامدا ، ثم أمر باخراج الصدقات وتسريح السجون وعمل المفرجات وضرب الطبول فى جميع بلاده ، وكان رحمه الله من حين اتصل به حصار الجزيرة الخضراء لم يستلذ مناما ، ولم يستطب طعاما ، ولم يقرب امرأة ولاغيرها ولم يصف له عيش الى أن وصله خبر الفتح وفساد الأفروطة وفرار المحلة واقلاعها عن الجزيرة الخضراء ، وجاز الأمير يوسف باثر هاذا الفتح الى الجزيرة الخضراء وذالك فى غرة ربيع الثانى (الجمعة ١١ غشت) فخافت الروم فى جميع الاقطار وعملوا على الحصار فى جميع الأمصار ، فعاقه عن غزو بلادهم تنافسه مع ابن الأحمر فى أخذ مالقة فصالح الأمير يوسف الفونسو على أن يترك معه غرناطة وجاز الى العدوة وجوز معه زعماء الروم وسار بهم الى أبيه ليتم لهم الصلح بين يديه ، وظن ان فعله ذالك مما يرضي أباه ، فلما سمع أمير المسلمين بذالك غضب له ولم يرضه ، وسار الى بلاد السوس وأقسم ان لايرا واحدا من الزعماء الذين أتا بهم ولده الا ان رأاهم فى بلادهم ، فانصرف الزعماء خائبين ورجع أمير المسلمين من بلاد السوس فدخل

حضرة مراكش وأقام بها أياما وخرج الى مدينة فاس فوصلها واستقر بحضرته من المدينة البيضاء منها ، وانفذ الكتب الى قبائل بني مرين والعرب يستنفرهم للجهاد ، ثم خرج من حضرة المدينة البيضاء قاصدا الى الأندلس برسم اصلاح احوالها وتسكين فتنها وجهاد عدوها ، وذالك فى غرة رجب من سنة ثمانية وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٧ نونبر) فوصل طنجة فى وسط رجب المذكور ، فنزل قصبتها واستشرف على أحوال الأندلس منها فوجدها قد اضطرمت نارا وعظم النفاق فى جميع أقطارها بين المسلمين والروم ، واغتنم العدو فرصته فيها بغيبة أمير المسلمين عنها وتغيره على ابن الأحمر بسبب مالقة ، فبعث رسوله الى ابن الأحمر ليرد عليه مالقة ويصالحه فامتنع ابن الأحمر من صلحه وأغلظ له فى القول ، وكان ابن الأحمر قد صالح يغمراسن بن زيان ، وبعث اليه أموالا جليلة وهدية عظيمة على أن يشغل عنه أمير المسلمين ويشغل عليه نار الحروب ويشن الغارات على بلاده حتى يمنعه الجواز الى الأندلس ، فأخبر أمير المسلمين بخبرها فبعث رسوله الى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه ويطلب منه تجديد الصلح ، فقال للرسول لاصلح بيني وبينه أبدا ، وليس له عندي ماعشت الا الحرب وكل ماوصله من صلحي مع ابن الأحمر فهو حق ، فقل له يتأهب للقائي ويستعد لقتالى ونزالى فأبلغه الرسول المقالة ، فاسترجع أمير المسلمين وقال اللهم انصرنى عليهم ياخير الناصرين ، ثم خرج من طنجة راجعا الى مدينة فاس فدخلها فى ألاخر شوال من سنة ثمان وسبعين المذكورة فكانت مدة اقامته بطنجة ثلاثة أشهر وسبعة أيام ، فأقام بمدينة فاس وبعث رسوله ثانية الى يغمراسن ليقيم عليه الحجة ، ويبين له المحجة ، ويقول له يامغرور ، الى متى هاذا الضلال والغرور ؟ أما ألان أن تنشرح الصدور ، وتنقضي هاذه الشرور ؟ أما علمت ان السن قد انتها وذهب الشباب وجاوزت معترك المنايا ، فهلم الى الصلح الذي جعله الله تعالا خيرا للعباد ، واسلك مناهج التقوا وبادر الى التعاون على البر والتقوا والجهاد :

واعمل على الجهاد والرباط　　　وكن بغزو الروم ذا اغتباط

متى متى لاترعوي حتى متـــى ... لابـــد مـن كاس الحمام للفتـا
فـــان أبيـت السيـر للجـهاد ... وحـــدت عن مناهج الرشـــاد
فلتـتـرك الناس الى جهادهـــم ... مؤمنين فى حما بلادهـــم
واقعـد ولا تنهض الـى تجـيـن ... فـانهم فى العـهـد مـع مريـن

فوصلته الرسل وبلغته الرسالة ، وأدوا اليه الموعظة والمقالة ، فلما سمع ذكر تجين فى اثناء اللفظ ، قام منزعجا وقعد وكاد يتميز من الغيظ ، وقال والله لاكففت عن تجين ، ولو رأيت النفس فى سجين ، فليصنـــع مابدا له ، وليتأهب للحرب فهي أولا له ، فلما قطع المنصور من صلحـــه الاياس ، خرج الى قتاله من مدينة فاس ، وذالك فى شهر ذي الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمئة ، فسار حتى وصل فج عبد الله ، فاجتمع هنالك بولده الأمير يوسف ، ثم ارتحل الى رباط تازة فأقام به أياما ، ثم خرج فنزل وادي ملوية وليس فى جيشه خمسمئة فارس ، فـأقام عليه أيـامـا فتلاحقت به الجيوش والأبطال ، وتوافدت عليه قبائل مرين الأقيال ، وقدمت العساكر كالسيول ، حتى ملأت محلاته الربا والسهول ، فارتحل حتى وصل تافنا فتوفي هنالك ولده ابراهيم ، ثم سار حتى نزل وادي تافنا وأتـــىا يغمراسن فنزل أمامه بالمال والعيال والنقير والقطمير ، وقدمت معه قبائل العرب بالشاة والبعير ، فمنع أمير المسلمين الناس من القتال فاشتاقـت بنو مرين الى الحرب والنزال ، فخرج جماعة منهم متصيدين ، وعلى محلة يغمراسن مشرفين ، فأدت بهم لذة الصيد الى أن وصلوا أطـراف محلة يغمراسن فخرجت لهم بنو عبد الوادي ، وبادرت اليهم الأعراب كالجراد فكسروهم حتى وصلوا شفير الوادي ، فلما رأا أمير المسلمين بني عبد الوادي فى أثر خيله وكان كما سلم من صلاة الظهر ركب جـواده وركب الجيوش من مرين والعرب وسائر الأجناد وأقبلوا نحوهم كالآساد ، ومرت الخيل على قسمين نصف قصد محلة يغمراسن ، ونصف سار الى محلة العرب الين اقبلوا معه ، وتأخر أمير المسلمين هو ولده الأمير فى القـــي فارس من أنجاد بنى مرين فالتحم القتال ، وحمى الوطيس ، واشتد الحرب بين الفريقين وصرخ ابليس ، ولم يزل القتال يشتد بينهم الى صلاة العصر

فأقبل أمير المسلمين فى نحو ألف فارس من بنى مرين وأقبل ولده الأمير يوسف كذالك من ناحية أخرا وكل واحد منهما بطبوله وبنوده فأحدقوا بهم من كل جانب ، وأحاطوا بهم كالعذاب الواصب ، فرأا يغمراسن مالايقدر عليه فولا هاربا مهزوما وخلف القباب والأموال ، والمضارب والعيال ، وفر فى البيداء كعوائده ، ولم يفكر فى أمواله ولا فى نواهده ، فقتلت جنوده ، وكسرت بنوده ، ودخل الى حضرته ، ونحسه باد على غرته ، وانتهب الناس جميع محلته ، ولم يزل الناس طول ليلتهم الى الصباح ينتهبون سائر البلاد والنواحي وباتت طبول أمير المسلمين فى محلته تضرب فى الخيام وأخذت أموال العرب بأسرها ، وامتلأت أيدي مرين من شاتها وبعيرها ، ووصل الأمير ابو زيان بن عبد القوي الى أمير المسلمين يعقوب فبايعه وأقام معه ببلاد يغمراسن هو وقبيلته من بني تجين يدمرون ويخربون ويفسدون ، فلما استأصل جميع بلاده ، وأكل زروعها ، ونهبها وخرب ربوعها ، أمر بنى تجين بالرجوع الى بلادهم وأعطاهم أموالا جزيلة فى جهازهم وأقام هو على تلمسان حتى وصلت تجين الى بلادها ثم ارتحل راجعا الى المغرب فوصل مدينة فاس فدخلها فى شهر رمضان من سنة ثمانين وستمئة ، فأقام بها الى ألاخر شوال وارتحل الى مدينة مراكش فى أول شهر ذي قعدة من سنة ثمانين المذكورة (الاربعاء ١١ يبراير سنة ١٢٨٢ م) فدخلها فى غرة المحرم من سنة احدا وثمانين وستمئة (السبت ١١ ابريل سنة ١٢٨٢ م) فبنا بها بامرأة مسعود بن كانون ، وبعث ولده الأمير يوسف الى بلاد السوس ، وأقام هو بمراكش ، فوصله بها رسول الفونسو العاشر وكتابه يدعوه فيه الى نصرته ويقول له أيها الملك المنصور ان النصارا نقضوا عهدي ، وثاروا علي مع ولدي (١٧٩) وقالوا شيخ

---

179) كان الفونسو العاشر ملك قشتيلية الملقب بالعالم والحكيم (السابيو) كثير الاشتغال بالعلوم والآداب ، والمحبة لجيرانه المسلمين والتقدير لعلمهم وثقافتهم والرغبة فى مهادنتهم ، فسخطته رعينه التي كانت ترا أن الممالك لا تنهض الا بالسياسة والحروب ، فثار عليه ف الأول أخوه الانفانت فيليب مع جماعة من النبلاء سنة 1270 م (669 هـ)، ثم ولده سانشو سنة 1282 م (681 هـ) فحدثت بين الأب والابن حروب أهلية استمرت عامين وانتهت بوفاة الفونسو العاشر طريداً مهزوماً سنة 1284 م (683 هـ) والتاج الذى رهنه ألفونسو العاشر بقى محفوظاً بالقصر الملكى بفاس الى عهد ابن خلدون .

كبير قد ذهب رأيه وفني عقله ، فأعنى عليهم ، ويكون سيري معك اليهم ، فاغتنم المنصور هاذه الحال ، وجعل جوابه الارتحال ، فارتحل عن مراكش فى ربيع الأول ، فلم يدخل بلدا ولاثبت ولا أمهل حتى وصل الى قصر المجاز فجاز منه الى الجزيرة الخضراء وذالك فى ربيع الثانى من سنة احدا وثمانين المذكورة ، فوجد النصارا فى غاية الضعف وغاية الشتات ، فأتته حصص بلاد الأندلس فسلموا عليه ، وارتحل فنزل بصخرة عباد ، فأتاه بها الفونسو العاشر خاضعا ذليلا فأكرمه أمير المسلمين وأعظم قدره ، فشكا اليه بقلة ذات يده ، وقال مالي غياث سواك ، ولا ناصر الاك ، ولم يبق لى الا التاج ، وأنا فى هاذه الحركة محتاج ، وهو تاج أبى واجدادي فخذه رهنا فى المال ، واعطني ماانفقه فى الحال ، فأعطاه أمير المسلمين مئة الف دينار ، وسار معه يغزو فى بلاد الروم حتى وصل الى قرطبة فنزل عليها وقاتلها أياما وولد الفونسو محصور بها وبعث سراياه الى جيان فأفسد زروعها ثم ارتحل أمير المسلمين الى أحواز طليطلة يقتل ويسبى ويخرب الغرس والحصون حتى وصل الى مجريط من أحواز طليطلة ، وقد امتلأت أيدي المسلمين بالسبي والغنائم ، فرجع لأجل ذالك الى الجزيرة الخضراء ، وكانت غزوة عظيمة لم يكن مثلها فى سالف الدهر ، فدخل الجزيرة فى شعبان من السنة المذكورة ، وهي وخرج فى أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الخميس ١ ابريل سنة ١٢٨٣ م) ، فنزل مالقة وفتح بأحوازها حصونا كثيرة منها حصن قرصة وذكوان وسهيل .

وفى هاذه السنة اصطلح ولد الفونسو العاشر مع ابن الأحمر لأجل صلح والده مع أمير المسلمين يعقوب رحمه الله ، فاشتعلت الأندلس نارا ، وأصل ذالك مالقة وضاقت الدنيا على ابن الأحمر ، فبعث رسله الى الأمير يوسف ببلاد العدوة يسأله الجواز ليصلح هاذه الخطوب ، فجاز الغزوة السادسة ، فأقام بالجزيرة الى أاخر ذي الحجة من العام المذكور الأمير يوسف الى الأندلس فى شهر صفر من سنة اثنتين وثمانين وستمئة بعد ان دام النفاق بينهما مدة ، فأصلح الله تعالا على يديه بين المسلمين

ورفع ببركته علم الدين ، واجتمعت كلمة الاسلام ، ورجـع الغزو لعبدة الأصنام ، وبث أمير المسلمين سراياه فى بلاد الكفرة ، فغنموا وسبوا ، ثم خرج من الخضراء غازيا الى قرطبة وهي غزاة البرت ·

الخبر عن خروج أمير المسلمين الى غزاة البرت

خرج اليها من الجزيرة الخضراء فى أول يوم من ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الثلاثاء ٢٩ يونيو سنة ١٢٨٣ م) فسار حتى وصل الى قرطبة ، فغزا بلادها وغنم حصونها وخرب معمورها وارتحل نحو البرت ، وترك محلته على بياسة بالمغانم والأنفال ، وترك بها خمسة ألاف فارس من حماة الأبطال ، وكان فى ذالك ذا رياسة وسياسة ، فانها دارت بها بلدانهم ، فجد أمير المسلمين السير الى البرت ، فسار يـومين بأرض خالية حتى وصل الى العمران ، فأغارت الخيل حتى وصلوا الـى أحواز طليطلة ، ولم يبق بين أمير المسلمين وبينها غير مرحلة واحـدة ، وماصده عن غزوه الا كثرة ما بأيدي المسلمين من الأموال والسبي ، وقتل فى هاذه الغزاة من الروم ألوف لاتحصا ، ورجع أمير المسلمين على طريق أاخر يحرق ويخرب ويسبى ويقتل ، حتى وصل الى مدينة أبذة ، فقاتلها ساعة من النهار ، فرماه علج من سورها بسهم أصاب فرسه الذي كـان عليه ، وسلم الله تعالا أمير المسلمين منه ، فارتحل عنها الى محلته التى تركها على بياسة ، فأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح الناس ، وارتـحـل عنها بعدما دمرها وانتسف أاثارها ، فسار الى الجزيرة الخضراء ، وقدم بين يديه من السبي والأموال والكراع مايعجز عنه الوصف ، فدخلها فـى شهر رجب من سنة اثنتين وثمانين المذكورة ، وقسم بها المغانم بين المسلمين وجاز الى العدوة فى أول يوم من شعبان (الاثنين ٢٥ اكتوبر) فأقام بطنجة ثلاثة أيام وارتحل الى مدينة فاس ، فدخلها فى العشر الأواخر من شعبان المذكور ، فصام بها رمضان وعيد بها عيد الفطر ، وارتحل الى مراكش ،

فوصل رباط الفتح فأقام به شهرين ، ثم ارتحل الى حضرة مراكش فدخلها فى المحرم من سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وبعث ولده الأمير يوسف الى بلاد السوس برسم غزو العرب ومن بها من القبائل الخارجة ، ففرت العرب أمامه الى الصحراء ، فتبعهم حتى بلغ الساقية الحمراء ، ومات اكثر العرب جوعا ، ومرض أمير المسلمين يعقوب بمراكش حتى أشرف على الموت ، وكتب الى ولده الأمير يوسف أن يسرع الوصول قبل ان يعاجله الموت ، فارتحل نحو مراكش ، ولما وصل الى والده فرح به وسر الناس بقدومه ، ووجد أمير المسلمين الراحة ، واستقل من مرضه ، وعاد الى صحته ، فارتحل عن مراكش برسم بلاد الأندلس عازما على الجهاد ، وذالك فى اخر جمادا الأخرا من سنة ثلاث وثمانين (الثلاثاء ١٢ شتنبر سنة ١٢٨٤ م) فدخل رباط الفتح فى نصف شعبان من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، فصام به رمضان المعظم فتوفيت هنالك الحرة المباركة أم العز بنت محمد بن حازم والدة الأمير يوسف فكان موتها فى سابع وعشرين من رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ووفد عليه برباط الفتح أشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنئة بصحته وكان فى ذالك العام قحط شديد ولم ير الناس ماء الا فى أاخر رمضان المعظم يوم موت الحرة المذكورة .

وفى أاخر شوال من هاذه السنة ارتحل أمير المسلمين من رباط الفتح الى قصر المجاز ، فكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، ثم شرع فى تجويز الجيوش الى الأندلس بقية سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

فلما كان فى أول يوم من صفر سنة أربع وثمانين وستمئة (الاحد ٨ أبريل سنة ١٢٨٥ م) وقد تكامل الناس بالجواز جاز الى الأندلس فنزل بطريف ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع

قال المؤلف عفا الله عنه :

جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الرابع ، وذالك فى يوم الخميس خامس يوم من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة ، فنزل بجزيرة طريف ، ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء ، فأقام بها أياما ، ثم خرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فسار الى أن وصل وادي لك ، فوجد الزروع فى اقبالها ، والخيرات فى تناهيها ، فبث الغارات فى بلاد الروم ، ثم ارتحل فنزل مدينة شريش فحاصرها وشرع فى افساد زروعها وقطع مرافقها وافساد أعنابها وأشجارها ، وعزم رحمه الله على أنه اذا دمر بلاد شريش ينتقل الى غيرها من بلاد الروم حتى يأتي على أخر بلدان النصارا التى تولاها المسلمون قديماً وانتزعها الروم من أيديهم ، وينزل على كل قاعدة من قواعدهم حتى يفني مرافقهم وأقواتهم بالتدمير والفساد ، ثم عزم على تفريق الجيوش على قواعدهم لتحاصرها حتى يقضي الله تعالا فى ذالك مايشاء ، فكانت هاذه نيته أيده الله تعالا ونفعه بقصده ، وكان نزوله مدينة شريش المذكورة فى الموفى عشرين من صفر من سنة أربع وثمانين المذكورة (٢٧ أبريل سنة ١٢٨٥ م) ، فكان من يوم نزوله اياها اذا صلا الصبح ركب وركب جميع المجاهدين فيقف على باب مدينة شريش ، ثم تفترق الجيوش فى أحوازها لافساد الزروع وقطع الثمار وتخريب القرا ، فلايزال رحمه الله واقفا من أول النهار الى صلاة العصر فاذا صلا العصر رجع الى بيته ورجع المسلمون الى محلاتهم ، فكان لايفتر عن تحريض المسلمين ولا عن الوقوف عليهم ، وسبب مداومته على هاذا الحال أنه علم ان النصارا دمرهم الله قد فرغت مخازنهم من الزروع ، والغلاء قد عم بلادهم ، والجوع قد استولا على جميع أقطارهم ، فخاف ان يتمكنوا من هاذه الصائفة فيرتفقون بها ويكون

لهم فيها بلغة عيش ، فداوم على افساد الزرع لأجل ذالك ، ودأب على قطع المرافق عنهم بالكلية ، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور (الثلاثاء ١ ماي) وصل الى المحلة من كان بقي على بحير ؟ وأقطارها من بني مرين والعرب بعدما أفسدت طول اقامتها هنالك جميع ماكان على بحير من زرع وجنات وكروم وأشجار ، ومروا الى مدينة ابن السليم فأفسدوا زروعها وقتلوا منهم وأسروا ، وفى هاذه الأيام وصل من كان من فرسان المسلمين بطريف ، ووصل الرجال الذين كانوا مرتبين فى حصون الأندلس بعددهم وأسلحتهم ، فاجتمعت الجيوش المنصورة ، وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر المذكور بعث أمير المسلمين عياد العاصمى الى حصن شلوقة فأغار عليه وقتل هنالك جملة من الروم ، وفى يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين فى جموع المجاهدين فوقف على مدينة شريش ، وبعث الخيل والبغال الى حصاد الزرع ونقله الى المحلة ، فلم يبق فى المحلة دابة الا جاءت موقورة بالقمح والشعير ، فرغد عيش المحلات منه وبعث أمير المسلمين وزيريه الشيخ محمد بن عطو ومحمد بن عمران برسم التطلع الى حصن القناطر وحصون روطة ، فركبا وسارا اليها فى نحو الخمسين فارسا فداروا بأسوارها من كل جهة فعاينوا من ضعف من بها من النصارا ماسرت به نفوسهم ، ثم رجعوا فأخبروا بذالك أمير المسلمين، وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه قعد أمير المسلمين فى محلته ولم يركب ، وكان قعوده فيها حيلة على النصارا حتى اطمأنوا وعلموا أنه لايركب اليهم فى ذالك اليوم ، فخرجوا ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة ، فكمن لهم الأمير أبو علي منصور بن عبد الواحد فى الزيتون فى نحو ثلاثمئة فارس من المسلمين مفترقة فأغاروا عليهم فقتلوا الرجال وغنموا الأموال ، ومع اقامة أمير المسلمين فى ذالك اليوم بالمحلة لم يقعد المجاهدون عن الغارات .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين وركب معه سائر المجاهدين ، فسار حتى وقف على مدينة شريش

فقاتلها ساعة ثم انصرف عنها وأمر الناس بقطع الأعناب وأشجار التين، فقطع منها شيء كثير ورجع فى عشي النهار الى محلته ٠

وفى يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور عقد أمير المسلمين لحفيده الأمير ابى علي منصور بن عبد الواحد راية على الف فارس وبعثه الى اشبيلية ، وركب هو على عادته الى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس أيضا بفساد الزروع وقطع الكروم والزيتون ، وسار أبو علي منصور بألف فارس من بنى مرين وعرب العاصم والخلط والأثبج والأغزاز غدوة الاحد المذكور الى نصف النهار فنزل على جبل ابزيز فصلا هنالك العصر وركب الناس وساروا حتى غربت لهم الشمس على القنطرة من تحت الأقواس ، فنزل هنالك حتى أكلت الخيل يسيرا من علفها وأسرا بالخيل حتى اصبح بين جبال الرحمة وبين اشبيلية ، وكمن هنالك حتى ارتفعت الشمس فاستدعا الأمير ابو علي منصور برؤوس الجيش من المسلمين واخذ معهم فى المشورة فيمن يغير على اشبيلية ومن يبقا معه ، فاتفق رايهم على ان تغير خمسمئة فارس منهم وتبقا خمسمئة مع الأمير أبى علي تمشى فى أثرهم على مهل ، فأطلقوا الأعنة نحو اشبيلية ، فلما أشرفوا عليها طمع فيهم الروم لقلتهم فخرجوا نحوهم ، والتقا الجمعان ، وصبر الفريقان ، وتكاثرت جموع الكافرين ، وراموا استئصال المومنين ، فبينما هم كذالك وقد ضاقت من المسلمين الصدور اذ اقبل الأمير أبو علي منصور ورايته تشرق وطبوله تخفق ، فلما عاين الكفرة طلعة الجيوش المظفرة ولوا الأدبار ، واعتصموا بالفرار ، فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويسبون ويخربون حتى أدخلوهم المدينة وقد قتلوا منهم نحو الألف وأسروا جماعة وافرة ، وأغارت طائفة من المسلمين من بنى هوجع؟ وبنى غفجوم وبعض برغواطة فصادفوا جمعا وافرا من النصارا فقاتلوهم قتالا شديدا حتى منحهم الله تعالا أكتافهم فقتلوهم وأسروا منهم جملة ، واجتمع سائر الجيش الى الأمير ابى على منصور ، فسأل الشيخ أباعلي ابن يوسف بن يزجاتن وقال له على أي طريق يكون رجوعنا ؟ فقال أبو الحسن الرأي المبارك ان شاء الله تعالا فى أخذ الطريق التي بين قرمونة

والقلعة ، فأمر الأمير أبو علي بالغنائم فجمعت وجعلها في يد أمين وقدمها بين يديه وانصرف الى قرمونة ، فاشتد الحر على المسلمين والعطش ، فبعث الأمير أبو علي الفارس اباسمير وأمره أن يتقدم ويتطلع على اخبار قرمونة ، فمر ابو سمير مغيرا فلقي جمعا من المسلمين ممن خرج الى الاغارة فى أول النهار وهم قد جدوا السير محتفزين ومستوفزين ، فقال لهم ابو سمير مابالكم ؟ فقالوا اجرينا الخيول نحو قرمونة فخرجت علينا منها الخيل والرجال ، وهاهم فى اثرنا خلف هاذه الربوة ، فوقف أبو سمير هنالك مع المسلمين حتي وصل ابو علي بالخيل والمغنم ، فأعلموه بذالك فقصد نحو النصارا ففروا أمامه فأدركهم قريبا من الباب فقتل منهم جماعة وتحصن الباقون بالمدينة ، ثم امر بحرق زرع قرمونة وقطع ثمارها فأقام كذالك الى العصر وارتحل ولحق بغنيمته مع غروب الشمس ، فبات بها بوادي لك ، ورحل منه الى الأقواس ، فأفسد ماهنالك من الزروع ، وأقام الي أن صلا العصر فارتحل بغنائمه الي وادي الملاحة ، ثم ارتحل منه الى المحلة فوصلها غدوة النهار سالما غانما •

وفى يوم الاثنين الموفى ثلاثين من صفر المذكور ركب أمير المسلمين وأمر سائر المجاهدين بقطع الكروم والزيتون واحراق الزروع فأفسد المسلمون من ذالك شيئا كثيرا ، وأقام رحمه الله تعالا يحرض المسلمين على تدمير أموال النصارا الى ان صلا العصر ، وكان يوما شديد الحر ، فأمر رحمه الله تعالا سعيد بن يخلف وجماعة من العرب باحضار زقاق الماء العذب والوقوف بأدوات الماء خلف المجاهدين ليناولوا من شاء أن يشرب منهم ، فلم يزالوا على ذالك طول مدة الحصار •

وفى يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ركب أمير المسلمين ونادا مناديه فى الناس بالخروج الى افساد الزرع وقطع الأشجار ، فلم يرجع أيضا الى بيته حتى صلا العصر •

وفى هاذا اليوم أمر رحمه الله عرب العاصم أن يطوفوا على أبواب شريش برسم أخذ من فر منها وقتل من أراد الدخول فيها وأمرهم بالاغارة

على حصن شلوقة فاغاروا عليه فالفوا اهله مطمئنين وقد خرجوا بجميع اموالهم من البقر والغنم والبغال فغنموها وأسروا منهم أربعة عشر رجلا فأتا عياد العاصمي وجمعه ورجع بالغنيمة الى المحلة .

وفى يوم الأربعاء الثاني من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله لحصة من خمسمئة فارس وبعث بها الى غزو استجة واحوازها .

وفى هاذا اليوم وصل الأمير عمر بن عبد الواحد الى المحلة من العدوة ومعه جمع كثير من المجاهدين والمتطوعة خيلا ورجالا بالعدد الضافية والأسلحة الوافية .

وفى هاذا اليوم وصل الفقيه قاسم ابن الفقيه أبى قاسم العزفى بغزاة سبتة وهم خمسمئة رام مقاتلة ففرح أمير المسلمين بقدومه .

وفى هاذا اليوم أمر أمير المسلمين رحمه الله الأمير مهلهل بن يحيا الخلطى أن يختار من عرب الخلط الف فارس يقيمون على شريش يحرسون اهلها ليلا يخرج منهم احد وليقطع عنهم الميرة فلم يزل عرب الخلط يطوفون عليها ليلا ونهارا .

وفى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع المذكور عقد امير المسلمين رحمه الله رايته لحفيده الأسعد عمر بن عبد الواحد على الف فارس من المسلمين برسم الاغارة على بلاد الكفرة فخرج من المحلة عند طلوع الشمس بعد أن ودع جده بخباء الساقة وسار بالجيش فجد الى العصر فنزل فى مرج الملاحة حتى علفت الخيل ثم اسرا من أول الليل فأصبح على قلعة جابر ، فكمن دونها الى المغرب ، ثم اسرا بهم الى ثلث الليل الأول ، ونزل بوادي لك ، فاقام به حتى أصبح ، وكمن به الى الظهر طلبا لانتشار النصارا فى الأرض ، فلما صلا الظهر قسم الجيش على فرقتين، فرقة أمرها بالاغارة على النصارا ، وفرقة امرها أن تبقا عنده ، ثم انقسم المغيرون على فرقتين ، فرقة اغارت على مرشانة ، وفرقة اغارت على قرمونة ، فجدت الفرقة المغيرة على مرشانة حتى وقفوا على بابها ، ثم انتشروا فى نواحيها فقتلوا خلقا كثيرا من النصارا وغنموا نساءهم

وأولادهم ممن وجدوه في الطرقات وفي الأرحية والجنات وفي أندر الـزرع وبقوا في تلك النواحي الى اخر النهار فأوصلوا غنيمتهم الى ودي لك ؛

وأما الفرقة المغيرة من المجاهدين على جهة قرمـونة فتوجهت اليها وسار الأمير عمر في اثرها حتى وقف على برج هنالك فيه مـن النصارا نحو الثلاثمئة رجل ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتح الله تعالا له في أخذ البرج واحتوا المسلمون على جميع ما فيه من الأسلحة والأمتعة والأمـوال والروميات ، وقتل جميع من وجد به من الرجال ، وهدم البرج ، وانصرف بالغنيمة سالما منصورا حتى وصل بها الى وادي لك ، فاجتمع بالفرقـة التي اغارت على مرشانة وباتوا جميعا بغنائمهم هنالك ، فلما أصبح قدم الغنيمة بين يديه ، وسار فبات بالأقواس ، وسار الى المحلة ففرح به أمير المسلمين ودعا له بخير •

وفي يوم الخميس المذكور اغارت رماة سبتة على حصن من حصون الروم فسبوا منه ثمانين نفسا بين رجال ونساء وأولاد ، وقدموا بها الى المحلة فصرف عليهم أمير المسلمين خمسه منها فاقتسموا غنيمتهـم فيما بينهم •

وفي يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول المذكور ركب أمـيـر المسلمين وسار معه جميع من بالمحلة من المجاهدين ، فأمرهم بافساد الزرع وقطع الثمار على حسب عادته ، فـوصل المسلمون الـى فدادين الـزرع وأخذوا في حصاده ودرسه ، وسار أمير المسلمين الـى زيتـون شريش وقعد به ليلا يخرج من النصارا من يضر بالمسلمين ، فأقام هنالك رحمه الله تعالا حتى صلا المغرب وعلم ان جميع المجاهدين قـد رجعوا الـى منازلهم فانصرف الى محلته •

وفي يوم السبت الخامس من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين بعد أن صلا الظهر ، فوقف على مدينة شريش فقاتلها قتالا شديدا حتى دخل المسلمون أرباضها وحرقوها وقتل بها خلق كثير من النصارا مايزيد على سبعمئة رجل ولم يمت فيها من المسلمين حاشا رجلا واحدا ؛

وفى يوم الأحد السادس من ربيع الأول المذكور ركب أمير المسلمين أيضا الى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس بالمسير الى حصاد الزرع ودرسه ونقله ، فخرج الناس من المحلة بالبغال والحمير والجمال فشرعوا فى الزروع ، وأقام هو رحمه الله بالزيتون حتى صلا المغرب حياطة على المسلمين ان يخرج اليهم العدو من البلد ، ورجع الى المحلة بعد ان علم أن المسلمين قد فرغوا من حصاد الزرع ونقله .

وفى هاذا اليوم خرج علي بن عجاج الأستجى فى سبعين فارسا من اخوانه فأغاروا على روطة فغنمها وقتل بها عددا من الروم ورجع الى المحلة بغنيمته .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من ربيع المذكور بعث أمير المسلمين سرية من خمسمئة فارس من المجاهدين فأغاروا على اركش فغنموها وسبوا منها ثمانين امرأة من الروميات وبقرا وغنما ودواب وقتلوا رجالا كثيرين وأتوا الى المحلة بغنيمتهم .

وفى يوم الأربعاء التاسع من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين لولده الأمير محمد (أبى معرف) على ألف فارس من المجاهدين وأمره بتخريب اشبيلية والاغارة على أحوازها فساروا اليها .

وفى هاذا اليوم أغار بعض عرب الخلط على برج من أحواز شريش فغنموا منه ثمانية علوج وثلاثمئة رأس من الغنم ومئة وسبعين رأسا من البقر والبغال والرمك ، وقدموا بها الى المحلة .

وفى هاذا اليوم أغار رماة سبتة وغزاتها على بعض حصون الروم فقتلوا به خلقا كثيرا وسبوا منه ثلاثة عشر علجا ورومية واحدة وقسيسهم وشماسهم ووجدوا مع القسيسين ذهبا كثيرا من ضرب المسلمين ، فصرف لهم أمير المسلمين خمسه منها .

وفى هاذا اليوم أغار بعض قواد الأندلس على برج من بروج الروم فدخلوه بالسيف وقتلوا من به وسبوا به ستة أعلاج واربع روميات ومئة رأس من البقر وقسيا وسلاحا كثيرا فأتوا بها الى المحلة فصرف عليهم

أمير المسلمين خجيسه من ذالك كما فعل بأهل سبتة ، وانصرف الأمير محمد (أبو معرف) في جيشه الذي عقد له عليه وركب معه والده أمير المسلمين مشيعا له حتى ودعه ودعا له وأوصاه بتقوا الله تعالا فى السر والعلانية والصبر والثبات ، ثم انصرف عنه فجد الأمير ابو معرف السير يومه ذالك حتى وصل جبل ابريل فأقام به حتى صلا العصر وركب وجد السير الى المغرب ، فعلف الخيل بوادي لك ثم أسرا طول الليل حتى أصبح علـى حصن عين الصخرة فكمن هنالك الى العصر ، وركب وسار بجيشه الـى وقت المغرب ، فنزل وعلفت الخيل ، ثم أسرا فأصبح وقد قارب القلعة ، فجمع الأمير محمد (أبو معرف) أشياخ المجاهدين فشاروهم فيمن يغير من المسلمين ومن يبقا معه ، فاختاروا للاغارة خمسمئة فارس ، فأطلـقـت أعنتها فى اثر المغيرين ، وكان النصارا قد خرجوا من اشبيلية خيلا ورجالا فى عدد كثير لقتال المغيرين ، فلما عاينوا العلم المنصور والجيوش علـى أثره بادروا الى المـدينة فدخلوها وغلقوا الأبواب وتمنعوا بـالأسـوار والسهام فوقف الأمير محمد (أبو معرف) قريباً منها بحيث لا تلحقه السهام ، وأمر المجاهدين بالغارات فى أنحائها وتحريق زروعها وتخريب قـراها وقطع أشجارها ، ولم يزل واقفا أمام بابها الى الليل حتى اجتمع اليـه جميع المسلمين الذين اجتمعوا للغارات والطبول تضرب على رأسه ترهيبا للعدو ، فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وقتلوا من النصارا مايزيد على ثلاثة أالاف رجل ، وذالك يوم مولد نبينا ومولانا محمد صلا الله عليه وسلم ، وكان جملة ماغنموا فيها من الروميات والأولاد ثلاثمئة وثمانين نفسا ، ومن الرمك والبغال والحمير ألف رأس وخمسمئة وستين رأسا ، ومـــن البقر والغنم شيئا كثيرا ولم يأسر فيها رجلا الا القتل ورجع الى المحلة بغنائمه سالما .

وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأول المذكـور بعث أمير المسلمين حفيده الأمير أبا علي منصور بـن عبد الواحد فى جملة مـن المجاهدين ، بعث معه مئة من رماة سبتة وألف رجل من متطوعة المصامدة، وبعث معهم بالبغال تحمل جواليق السهام والمساحي والفؤوس والمعاول

الى برج كان بينه وبين المحلة نحو الثمانية أميال كان به جمع من النصارا يقطعون الطرق على من خرج من المحلة منفردا او فى قلة ، فسار المسلمون الى البرج فشرعوا فى قتاله واظهر من كان فيه من النصارا من الصبر على الحرب مالا يوصف ، ورتبوا الرجال والرماة فى أعلاه وفى أسفله ، فنزل الأمير منصور عن فرسه وأخذ درقته بيده ، وزحف الى البرج على قدميه ، وتولا القتال بنفسه ، ونزلت معه فرسان العرب ففعلوا كفعلـه ، وتبعهم رماة سبتة ورجال المصامدة فدخلوا عليهم البرج عنوة بالسيف فقتلوا فيه ثمانين علجاً وأسروا من بقي من الرجـال والنساء المسبـلات ، ووجدوا فيه من السلاح والأمتعة والادام والدقيق شيئا كثيرا ، فأوصلوه الى المحلة فى عشي يومهم بعد ان هدموا البرج ونسفوا أثاره •

وفى يوم الثلاثاء المذكور ركب أمير المسلمين فى سائر جـيـوش المجاهدين فوقف على شريش وقاتلها قتالا عظيما وخرج لقتاله فى ذالك اليوم جميـع من كـان بها من الخيل والرجـال والرمـاة ، فتقدم الأغـزاز ورماة المسلمين الى جهادهم فرشقوهم بالنبال ثم وجفت عليهم خيل بنى مرين والعرب فهزم النصارا وقتل منهم خلق كثير بباب المدينة •

وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع المذكور ركب أمير المسلمين وسائر المجاهدين فسار الى برج كان بينه وبين المحلة نحو اثني عشر ميلا يعرف بمشقريط ، كان فيه من زعماء النصارا وأشرارهـم خلق كثير ، فتشمر المسلمون لحربه ، وتحصن الكفرة بالبرج واستعدوا للقـتـال ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأحدقت بهم رماة المسلمين فقتلوا منهم نحو الستين رجلا ، وانضم الرجال تحت البرج ، فدخلوا عليهم فى أسفله وملأوه حطبا وأضرموا فيه النيران وخرجوا عنه فبقيت النار تعلو يـومها ذالك والليل كله ويوم الجمعة الى نصف النهار ، فلما رأا النصارا مالاطاقـة لهم به من النار والسهام استسلموا والقوا بأيديهم الى الأسر ، فأسر منهم مئة وتسعون علجـاً وأربـع وتسعون امرأة ، وغنم المسلمون جميـع أموالهم ودوابهم وأسلحتهم وهدموا البرج وقطعوا ماحوله من الأشجار ورجـع أمير المسلمين الى المحلة •

وفى يوم السبت التاسع عشر من ربيع المذكور وصل الى المحلة عبد الرزاق البطويى ، فاخبر امير المسلمين بقدوم ولده الأمير يوسف رحمه الله من بلاد العدوة ، وأنه تركه بمحلته على مدينة ابن السليم وانه وصل بجيش عظيم من المسلمين يغص بهم الفضاء وتضيق بهم الأرض ، وانـه قاتل أهل مدينة ابن السليم قتالا شديدا فقتل منهم خلقا كثيـرا ، ففرح المسلمون بقدومه وخرج الى لقائه الشيخ على بن جدار فى جماعة مـن بنى عسكر .

الخبر عن قدوم الامير يوسف من العدوة

برسم الجهاد

لما خرج الأمير يوسف من بلاد العدوة الى الأندلس فى جيوش وافرة من المجاهدين والمتطوعة سار حتى قرب من محلة والده أمير المسلميـن وبعث الى والده يخبره بقدومه ، فركب أمير المسلمين الى لقائه وركب معه جميع من فى محلته من المسلمين ، وانضاف كل واحد من بنى مـريـن والعرب والأغزاز الى قبائلهم ، ولزموا رايتهم ، واحتفل الناس للبروز ، وبرزت كل قبيلة بما عندها من العدد ، وتقدمت الـرجال والرماة أمـام الخيل ، وميزت قبائل المتطوعة من المصامدة فى ذالك اليوم فى ثلاثة عشر الف رجل ، وميزت قبائل المغرب من أوربة وغمارة وصنهاجة ومكناسـة وصدراتة ولطة وبنى وارثين وبنى يازغة وغيرهم فى ثمانية آلاف رجل ، وأقبلت الجيوش والقبائل كل قبيلة منها ممتازة عن الأخرا ، ولـما قرب الأمير يوسف من والده أمير المسلمين يعقوب ترجل أمير المسلمين عن فرسه فوقف بازائه تواضعا منه لله تعالا ، وترجل الأمير يـوسف فمشا علـى قدميه أداء لحق والده وتواضعا وأدبا ، فلما وصل اليه قبل يديه وسلم عليه ، ثم ركب أمير المسلمين وأمر ولده الأمير يوسف بالمركوب ، فركب وأقبل الناس يسلمون بعضهم على بعض ، واجتمعت الجيوش وضربـت

الطبول حتى ارجتت الأرض وساروا الى المحلة ، فنزل أمير المسلمين بخباء الساقة ، ونزل معه ولده يوسف وأشياخ بنى مرين والعرب ، فأتي بالطعام ، فاكل الناس وانصرف الأمير يوسف الى محلته ، وانصرف معه الرماة الذين توجه معهم للملاقاة ، وكانوا مئتي رام ٠

وفى يوم الاثنين الحادي والعشرين لربيع المذكور ركب أمير المسلمين فى جميع جيوشه وقدم بين يديه الرجال والرماة فساروا الى حصن القناطر ، فقاتله المسلمون حتى دخلوا ربضه بالسيف وأضرموا فيه النيران ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا جميع ما وجدوه فيه من الغنم والبقر والدواب ٠

وفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه ارتحل أمير المسلمين بجميع محلته فبدل المنزل لأنه استقذره لطول اقامة الناس بـه فعمروا وادي لك ، ونزل الناس فى وسط الكروم والجنات بقرب شريش ، وقاتلها فى ذالك اليوم من وقت الضحا الى صلاة الظهر ٠

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه ركب أمير المسلمين بجميع المجاهدين الى شريش فقاتلها ايضا من طلوع الشمس الى صلاة الظهر وانصرف الى بيته ٠

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه عقد أمير المسلمين لولده الأمير يوسف على جيش من خمسة االاف فارس ، وأمره أن يتوجه بهم الى غزو اشبيلية ، ويجوز الوادي الكبير فيغزو ما فى عدوته من البلاد ، فخرج بعد صلاة الظهر من يومه ذالك ، وتبعه أمير المسلمين الى طرف المحلة وأوصاه بتقوا الله تعالا ودعا له وودعه ورجع عنه ، فوقف على باب شريش فقاتلها الى العصر ثم دار بأسوارها ورجع الى المحلة ٠

وفى يوم السبت التالى له أمر أمير المسلمين ولده الأمير محمد (أبا معرف) ان يركب فى جيش المجاهدين فيقاتل شريشا ويلازمها بالحروب فى كل يوم ، فسار اليها وقاتلها النهار كله الى الليل ، ولم يزل الأمير محمد يتردد بجيوش المسلمين الى شريش فى كل يوم يقاتلها من أول

النهار الى الليل فكان يقتل كل يوم منهم خلقا كثيرا ويسبى النساء والأولاد، وسبب لزومه لقتالها والوقوف عليها ليمنعهم عن الخروج الى مـرافقهم وليتأمن المسلمون الذين انتشروا فى الأرض لحصاد الزرع ودرسه ، فكان الناس فى هاذه الأيام كلها يخرجون من المحلة بالدواب فيحصدون الزرع ويدرسونه ويحملونه الى المحلة ، فكثرت الخيرات بها وتوفرت الأرزاق ، فكان القمح والشعير والفواكه والادام لايباع ولايشترا والمجاهدون فيها فى رغد من العيش ، فصارت المحلة بمنزلة قواعد المدن ، اجتمع فيها جميـع أصناف الصنائع والتجارة ، فأخبر من تفقد أسواقها من أهل البحث أنه رأا فيها أصناف الصناع ، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته ماعدا الحياكة خاصة ، وأما سوق الغزل والكتان فقد كانا بها اذ أخذ سـوق المحلة السهل والوعر اذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لاتكاد تلقاه الا بعد اليومين والثلاثة لكثرة الخلق .

ولما خرج الأمير يوسف من المحلة الى غزو اشبيلية فى خمسة آلاف من أهل الديوان وألفي فارس من المتطوعة وثلاثة عشر الف رجـل مـن المصامدة وسائر قبائل المغرب وألفين من رماة قبائل بلاد المغرب وحمل معه البغال والأخبية والجمال عليها السلاح والأزواد فعل فعل من لايعبأ بالروم ولايكترث بكثرتهم ولايهوله ماعزم عليه من الدخول فى أقطارهم والتوغـل فى بلادهم ، فدخل بجيوشه المظفرة المنصورة حتى نزل جبل أبريد ، فعلق به ، ثم أسرا الى الأقواس فارتفعت هنالك أصوات المسلمين بذكر اللـه سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الأرض مـن أصـواتهم ، فسـار بالمجاهدين من تلك الليلة وهم على حال ذكرهم حتى أصبح لهم على عين الصخرة ، فصلا الناس بها صلاة الصبح ، واقاموا بها الى العصر ، ثم ارتحل وسار بالناس حتى أظلم عليهم الليل بوادي لك ، فصادف المسلمون هنالك الطرق الوعرة والشوك وأماكن الحجارة فجد الأمير يوسف السير فى تلك الأوعار والناس خلفه يتقاطعون ، فانقطـع عنه أكثر الجيش وتفرقـوا فى ظلام الليل لايـدري أحد أين سـار صـاحبه ، فتفقد الأمير يـوسف المسلمين فعلم انه تقدمهم بمسافة طويلة ، فوقف وأمر الخيل بالرجوع الى

من تأخر من المجاهدين وأمر بضرب الطبول ليسمعها من ضل عن الطريق فيقصد نحوها ويهتدي اليها ، فضربت الطبول فسمعها المجاهدون فأتـوا نحوها من كل ناحية ، والأمير يوسف واقف فى موضعه لايزال عنه حتى اجتمع اليه كل من تأخر من المسلمين ، فسار بالجميع حتى أصبح فصلا الصبح قريبا من الوادي الكبير ، وسار بالمسلمين يسيرا حتى طلـعـت الشمس ، فنزل عن قريب وتدرع وتأهب الناس وجددوا نياتـهـم للجهاد وضجوا بالدعاء الى الله تـعـاالا ثم ركب الأمير يوسف ومن معه مـن المجاهدين فعبروا الوادي وأمر الناس بالاغارة والانتشار فى بلاد المشركين فأغارت كل فرقة من المسلمين على ناحية ، فخرج بنو عسكر وعرب الخلط الى ناحية فلم يكن الا ساعة واذا هم قد قدموا على الأمير يوسف بغنائم لاتحصا من البقر والغنم والدواب والعلوج والنساء وأغارت عرب سفيان على حصن من حصون الروم فدخلوا عليهم بالسيف وأضرموا النيران فى أبوابه ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا الأموال وقدمـوا بغنيمتهم على الأمير يوسف وانتشرت طوائف المجاهدين فـى تلك البلاد يقتلون الروم ويأسرون ويفسدون ويحرقون ويقدمون بالغنائم على الأمير يوسف وهو رحمه الله يمشى فى أثر المغيرين على مهلة فى جماعة مـن وجوه بنى مرين وأشياخ العرب ، وخرج شيخ الأغزاز فى مئة فارس الى قلعة الوادي فأغار عليها وقاتلها ، فقتل على بابها مايزيد على سبعيـن علجا وأسر منهم كذالك ، وشرع المسلمون فى حرق الزرع وافساد المرافق الى العصر فرجع الناس وقدموا بالغنائم من كل نـاحية ، وشرع الناس فى ذبح الغنم فذبح منها نحو العشرة ألالاف رأس ، ثم أمر الأمير يوسف باحصاء الغنم وجمعها فأحصى عددها فى زمام ، وجعلت فى أيدي الأمناء وبات المجاهدون هنالك فى غبطة وسرور ، وأمر الأمير يوسف بثلاثمئة فارس من المجاهدين يحرسون المسلمين تلك الليلة فـبـاتوا طول ليلتهم يطوفون بعساكر المسلمين حتى أصبح ، فصلا الأمير صلاة الصبح وأمر بضرب الطبول فضربت وركب الناس واجتمعوا فدخل بهم فى قرا الغابة وقرا الشرف ، فأقبل المسلمون عليها بالحرق والنهب والتخريب والفساد

وتحريق الزروع وقطع الثمار وهدم الديار ، وقتلوا بها من الروم الوفا كثيرة ، وأسروا من النساء والرجال والأولاد كذالك ، فأقام بالغابة والشرف يومين حتى لم يترك بهما للنصارا مايتصرفون فيه ، وارتحل راجعا حتى وصل الوادي الكبير فجازه وجوز الغنائم بين يديه ودخل هنالك حصنا بالسيف وقتل جميع من كان به من الروم وغنمت أموالهم ، فبات المجاهدون تلك الليلة هناك ، فلما اصبح ارتحل الأمير يوسف وسار بالغنائم على مهل ، فبات قريبا من قرمونه ، ثم ارتحل من الغد فسار طول يومه حتى نزل بالأقواس وجبل أبريد فأقام هنالك الى الثلث الأخير من الليل ، فارتحل وأسرا بقية ليلته فأصبح قريبا من المحلة ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يعقوب فركب فى جيوشه الى لقائه فالتقا الجمعان فى جرف شريش ، وذالك يوم الاحد الخامس من ربيع المذكور ، وقدم بغنائم ملأت الأرض طولا وعرضا ، وجاءت جيوش المجاهدين بغنائمهم والرجال فى الأغلال والنساء مقرنين فى الحبال ، وبرزوا بها عليها نكاية لمن بها من الروم وارهابا لهم ، ووقف امير المسلمين على باب المدينة بجيوشه الوافرة ورايته المنصورة والغنائم تسير أمامه ، فضربت الطبول وضج الناس بالتكبير ، فكان يوما عظيما ابتهجت به نفوس المجاهدين وانبسطت آمال المسلمين .

وفى يوم الأثنين السادس من ربيع الثانى وصل الأمير أبو زيان من طريف فى جيش عظيم من المسلمين ، فيه الرماة والمتطوعة وخمسمئة فارس من عرب بنى جابر ، فبرز بجميع من قدم معه على شريش وقاتلها ذالك اليوم قتالا شديدا .

وفى يوم الثلاثاء التالى له عقد أمير المسلمين لولده الأمير أبى زيان على ألف فارس من المجاهدين وأمره بالاغارة على اقليم الوادي الكبير ، فخرج الأمير أبو زيان من خباء الساقة بعلم أبيه ومعه ألف فارس ،منهم ثلاثمئة فارس من عرب بنى جابر عليهم يوسف بن قيطون ، وسبعمئة فارس من قبائل بنى مرين ، فسار النهار كله الى الليل ، فبات قريبا من الأقواس ، ثم ارتحل وقدم بين يديه خمسين فارسا وأمرهم بالاغارة على

قرمونة ، فأغاروا عليها وقتلوا بها جملة من الروم وسبوا النساء والأموال ، فخرجت عليهم الخيل من قرمونة وتواترت عليهم الرجال ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى لحق بهم الأمير أبو زيان فهزم الروم وقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم سار الى برج هنالك فيه جمع كثير من الروم بنسائهم وأموالهم وقاتلوهم فيه ساعة من النهار ، وترجلت جماعة من عرب بنى جابر فأخذوا درقهم فى أيديهم واقتحموا السهام حتى دخلوا البرج عنوة بالسيف ، فقتلوا رجاله وسبوا نساءه وغنموا أمواله ، ثم شرع الأمير أبو زيان فى تحريق الزرع وقطع الثمار وتخريب القرا وسار مابين قرمونة واشبيلية يخرب القرا ويقطع الثمار ويسبى ويقتل حتى وصل الى برج فى قبلة اشبيلية ، فقاتله المسلمون وأوقدوا حوله النيران حتى دخلوه بالسيف ثم اختار الأمير أبو زيان من جيشه خمسمئة فارس فأغار بها على اشبيلية ، فسبا من خارجها مئة وخمسين امرأة وأربعمئة علج ، وقتلوا فى فدان واحد مايزيد على خمسمئة نصرانى وجدوهم يحصدون زرع الفونسو فلم يبق منهم أحد ، وغنموا من الخيل والبغال والبقر والغنم مالايوصف ، ثم جمع الغنيمة وقدمها الأمير أبو زيان أمامه وسار فى اثر محلته ، فوصلها فى وقت المغرب فبات بها وارتحل من الغد الى محلةأبيه

وفى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى المذكور ركب الأمير يوسف فى ثلاثة آلاف من المجاهدين وثلاثة آلاف من الرجال والرماة الى جزيرة كبتور التى بازاء قصر البرت بعد أن بعث اليها القطائع فى البحر ، فأغار المسلمون فوصلوا اليها وأتت الخيل فاقتحمت الوادي فدخلوا الجزيرة وقتلوا جميع من وجدوا فيها من الرعاة والناس ، وغنموا مافيها من الأموال والخيل والبقر والغنم وسبوا النساء والذرية وأبلا فى هاذه الغزوة رئيس الأغزاز وابن عمه بلاء حسنا .

وفى يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور توجهت قطائع المسلمين من جزيرة كبتور الى الجزيرة الخضراء ليأتوا منها بالمجانيق والسهام وآلة الحرب لينصب ذالك كله على شريش .

وفى يوم الجمعة أغار عرب سفيان على بعض الحصون فغنموا منه

ثلاثمئة رأس من البقر وأربعة ألاف رأس من الغنم وثلاثين رومية وستة عشر علجا وقتلوا منهم عددا كثيرا وقدموا الى المحلة بالغنائم ٠

وفى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه بعث أمير المسلمين حصة من ثلاثمئة فارس فأغارت على قرمونة وأحوازها ، فسبت مالا كثيرا من الدواب والبقر والغنم والنساء والذرية وقدمت بها الى المحلة ٠

وفى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الثانى المذكور أغار عياد ابن أبى عياد العاصمى فى جماعة من اخوانه على حصن من حصون الوادي ، فدخل ربضه بالسيف ، وحرقه وقتل فيه ماينيف على ثلاثمئة رجل من المشركين ، وسبا منه ستا وسبعين امرأة وعشرين علجا فقدم بهم الى المحلة ٠

وفى يوم الجمعة غرة جمادا الأولا خرج النصارا من شريش برسم الارتفاق والاحتطاب ، فحال عرب سفيان بينهم وبين المدينة فقتلوا منهم نيفا وخمسين علجا ٠

وفى يوم السبت الثانى منه عقد أمير المسلمين للحاج طلحة بن علي على مئتي فارس وأمره ان ينصرف بهم الى اشبيلية فيخربها ويطلع على أخبار سانشو ملك النصارا فان أخباره قد انقطعت عنه ، فبعث هاذه الحصة لتغير وتطلع على أحوال البلاد وتسمع الأخبار ، وبعث معه الجواسيس من الأندلس واليهود ٠

وفى يوم الاثنين الرابع منه ركب أمير المسلمين فى جميع جيوش المجاهدين خيلا ورجالا وسار الى حصن شلوقة فقاتله حتى دخله بالسيف وأحرق أرباضه ودياره ، وقتل رجاله وسبا نساءه ، وغنم الأموال ، ولم يبق فى هاذا اليوم بالمحلة أحد من المجاهدين الا عرب سفيان ، فانهم أقاموا يحرسون المحلة ٠

وفى يوم الخميس السابع من جمادا المذكورة كمن عياد العاصمى مع جيش من اخوانه فى حفير شريش ، ثم سار فى أربعة نفر منهم وبيده راية حمراء حتى وصل الى باب المدينة ، وترك باقي اخوانه في الكمين ،

فأبصر به الروم فخرجوا اليه من شريش خيلا ورجالا شعلة واحـــدة ، وطمعوا فى أخذه ، فجرهم حتى جاز بهم الحفير فخرج عليهم الكمـيـــن فقطعهم عن البلد فقتلوا منهم ثلاثا وسبعين علجا ، وكان عياد رحمه الله من أشد المسلمين نكاية فى الروم لايغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ، ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحيلهم عنها ، ولم يزل أمير المسلمين يعقوب رحمه الله من يوم ارتحاله عن طريف ونزوله عين الشمس وذالك يوم السبت السابع من شهر صفر من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وبطول اقامته على حصـــار شريش الى أن ارتحل فى الثامن والعشرين لجمادا الأولا من السنة المذكورة فى كل يوم يشن على بلاد العدو الغارات شرقا وغربا ويبث فيها السرايـا فتكثر فى انحائها قتلا ونهبا ويعقد الرايات لبنيه وحفدته ويبعثهم فـــى الجيوش العظيمة الى الغزوات ، فكان رحمه الله أيام حصاره لشريش المذكورة اذا صلا الصبح دعا بأحد بنيه او حفدته أو أحد أشياخ بنى مرين فيعقد له راية ويبعثه فى مئتي فارس سرية ، ويأمره بالتوجه والاغـارة على الناحية التى يريد غزوها من بلاد العدو حتى انتسف جميع ماقرب منها وما بعد ، وكانت سراياه رحمه الله تقطع مسافة الايام الكثـيـرة وتغير على قواعد البلاد الخطيرة كلبلة واشبيلية وقرمونة واستجة وجيان وجبال الشرف وغيرها ، فلما أفنا تلك البلالاد ودمرها وأكل زروعها وغنم أموالها وقطع ثمارها ولم يبق للنصارا شيئا يرتفقون بـــه واقبل فصل الشتاء وقل العلف في المحلة وغلت أسعارها ارتحل عنها الى بــلاده ، فاتصل به وهو بالطريق ان النصارا دمرهم الله قد عمروا أفروطة ونزلوا بها الزقاق (١٨٠) ليقطعوا بها المجاز ، فأسرع السير بالرجوع الى طريف، فنزل بها وأمر بعمارة الأجفان ، فعمرت فى الحين بسبتة وطنجة وربـاط الفتح وبلاد الريف وبالجزيرة وطريف والمنكب ، فاجتمع منها ستة وثلاثون جفنا غزوية معدة للرماة والغزاة والعدد الكاملة ، فلما علمت أفروطـة

---

180) اسم مضيق جبل طارق فى الاصطلاح الجغرافى المغربى القديم .

الروم بعمارة أجفان المسلمين وقدومها الى حربها وتحققت وفودها عليها وقصدها نشرت شراعها وفرت أمامها خوفا أن تلقاها فتفني حماتها ، فأقبلت أساطيل المسلمين المظفرة حتى وافت حضرة أمير المسلمين بالجزيرة ، فبرزت أمامه بالمرسا وهو جالس بمشور قصره من البلد الجديد ، فلعبوا أمامه فى البحر وتناطحوا قدامه كفعلهم فى حربهم ، فأمر رحمه الله لكافتهم بالاحسان الجزيل ، وصرفهم الى وقت الحاجة اليهم فيامرهم بالاتيان ، فلما رأا سانشو ملك النصارا أن بلاده خربت وحماته قتلت وأموال رعيته نهبت وغنمت ونساءهم سبيت وأفروطته التى كان بعثها لقطع الجواز فرت وهزمت جنح الى السلم والطاعة ، وأخذ فى التذمم والضراعة .

الخبر عن وصول الرهبان والاقسة من الروم

إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون في الصلح

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما ارتحل أمير المسلمين عن شريش ورجع الى بلاده لأجل زمان الشتاء الذي أقبل خرج سانشو ملك النصارا من اشبيلية الى شريش فرأا من أثر عيث المجاهدين فى بلاده ومافعله المسلمون من التخريب والتحريق والقتل والسبي والتمزيق فى نجوده ووهاده ، ما أشعل النار بفؤاده ، وبدل نومه بسهاده ، فبعث ثقته الزند غرسية فى جماعة من الأقسة والرهبان والزعماء المجربين الى حضرة أمير المسلمين فانقلبوا اليها صاغرين داخرين متذللين ضارعين فى السلم راغبين ، فلم يسمع منهم أمير المسلمين قولا ولارد عليهم صرفا ولاعدلا ، فرجعوا الى مرسلهم خائبين ، فأعادهم ثانية وقال ارجعوا اليه فعساه ان يلين ، فأتوه الثانية وقالوا له أيها الملك المنصور ، جئناك بقلوب منكسرة ، وأفئدة متقطعة ، نرجو عفوك ، ونطلب صلحك ، فالصلح خير ، فلاتخيب قصدنا،

ولا ترد سؤلنا ، فقال لهم لا أصالح سلطانكم الا على شروط اشترطها عليه مع رسول أبعثه اليه ، فان قبلها سالمته ، وان حاد عنها نابذته ، ثم دعا بالشيخ عبد الحق الترجمان وقال له تسير الى هاذا اللعين وتقول له يقول لك أمير المسلمين لاأسالمك ولا أترك حربك وغزو بلادك الا على شروط منها أن لاتتعرض بعد هاذا لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجفن من أجفانهم ولا تصلهم باذاية في بر ولابحر ، كان ذالك من اهل طاعتي او غيرهم ، وتكون أنت لي بمنزلة الخديم فيما أامرك به وأنهاك عنه ، وان يكون المسلمون يسيرون في بلادك لتجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لايتعرض لهم بشر ، ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولاتدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولاتعقد مع أحد منهم محاربة ، فسار اليه عبد الحق ليبلغه الرسالة ، ويشترط عليه ما ذكر أمير المسلمين من المقالة ، فوصله وهو بحضرة اشبيلية اعادها الله للاسلام ، فدخل عليه وأبلغه رسالة أمير المسلمين فاحتملها وأعلمه بالشروط التي اشترطها عليه فالتزمها ، فقال له عبد الحق ياسلطان أما الشروط فقد قبلتها ، فاسمع مني مقالة أقولها ، قال تكلم بما شئت ، قال ياسلطان قد صح عند الملتين، وثبت في قلوب الفريقين أن أمير المسلمين يعقوب أيده الله صاحب دين وأمانة وعهد ووفاء ، في الميثاق ، فانه اذا عاهد وفا ، واذا قدر عفا ، وأنت لانعلم لك مذهبا فانك فعلت مع والدك مافعلت ، وخرجت عليه ظلما ونكثت ، فسار الناس ينفضون عنك لكثرة اساآتك لهم ، فقال له سانشو لو علمت أن الملك يعقوب يرضا أن أكون من جملة خدامه لبادرت اليه ممتثلا ، فقال له عبد الحق الترجمان أما والله لوخدمت مولانا أمير المسلمين وظهر له منك النصح في الخدمة لتجدنه كما تريد ، فقال سانشو فأي أثر أصنع أولا مما يرضيه ؟ قال أول أمر تصنعه أن لاتدخل نفسك في أمور المسلمين بكلمة واحدة ، وتترك التضريب بينهم ، ولا تتعرض لبلادهم ، وان كان بينك وبين ابن الأحمر كلام او ربط فارتكه واخرج من أموره بالكلية ، واصرف رسله اليه ، فبهاذا يرضا عنك أمير المسلمين ويصالحك وتأمن بلادك ، وكان ابن الأحمر قد بعث رسله اليه يعقدون معه

الصلح على بلادهم ، وتكون أيديهم واحدة على حرب أمير المسلمين ، وكانت عند سانشو أجفان حربية معدة للسفر بالوادي ، فلما فرغ عبد الحق من كلامه قال له سانشو غدا تسمع ما أقول ، وترا ما افعل ، فلما كان من الغد ركب سانشو الى شاطيء الوادي فوقف عليه واقبلت رسل ابن الأحمر فقعدوا بين يديه ، فلما استقر بهم المجلس بعث الى عبد الحق رسول أمير المسلمين ، فاقبل اليه فاجلسه الى جانبه واخذ معه فى الحديث الى أن ظهرت الأجفان وهي مقلعة ، فقال له رسل ابن الأحمر ماهاذه الأجفان المقلعة أيها الملك ؟ فقال لهم سانشو هاذه الأجفان أعددناها لخدمة أمير المسلمين يعقوب تتصرف فى حوائجه وقضاء أغراضه حيث كانت ، فلما سمعوا ذالك منه سقط فى أيديهم ونظر بعضهم الى بعض ، ثم قالوا له ونحن أيضا باي شيء ننصرف عنك أيها الملك ؟ فقال لهم أمسا ماجئتم اليه من الصلح مع ابن الأحمر فلا أعرف له وجها كيف أصالحه أو عى أي شيء أعاديه ، أهو كفؤ لى أو قرينى حتى أعقد معه الصلح وماجرت عادة بهاذا مع الصغير والكبير ، وهاذا الملك أمير المسلمين يعقوب هو ملك المسلمين بالعدوتين ، وصاحب حضرة مراكش وفاس ، ملك المسلمين بالمغرب ، وقهر جميع الملوك بصدق نيته وسعده ، وغلبهم بقوته وكثرة جنده ، وافنا ملوك بنى عبد المومن وسلب ملكهم وقطع دولتهم ، وليس فى الأرض ملك أخشاه سواه ، وقد علمتم انه قهرنى وقهر أبى من قبلى ، واستولا على بلادنا ، وقتل رجالنا وأبطالنا ، وسبا حريمنا وغنم أموالنا ، وليس لنا طاقة بقتاله ، ولا قدرة لحربه ونزاله ، ومع هاذا كله فقد كاتبه جميع ملوك النصرانية يرغبون فى مسالمته ومهادنته ، فكيف أترك صلح أمير المومنين وأتكلم مع من هو دونه فى القدرة والقوة والحرب ؟ فابلغوا ابن الأحمر كلامى وقولوا له لاكلام بينى وبينه أبدا ، فانى رأيت ذالك مصلحة لى ولبلادي ولرعيتى ، واعلموه انى لااقدر على مدافعة أمير المسلمين عن نفسى فكيف عن غيرى ، والمال الذي أخذته منكم هو مصروف اليكم على رغم أنفى بسبب أمير المسلمين يعقوب فانصرفت أرسال ابن الأحمر وقد يئسوا من نصرة سانشو اياه ، فقال له

عبد الحق هاذه ارسال ابن الأحمر قد انصرفت وأنا بأي شيء انصرف الى مولانا أمير المسلمين ؟ فقال سانشو انا الخذ بخدمته ممثل لأمره ونهيه ، مبادر الى مايرضيه ، فقال عبد الحق يرضيه أن تصل اليه فتجتمع معه ، فقال سانشو نعم وكرامة ، فلما عزم سانشو على الخروج ليجتمع مع أمير المسلمين اجتمعت عليه النصارا وغلقوا أبواب اشبيلية دونه ومنعوه من السير والخروج ، وقالوا أنا نخاف عليك من ملك المسلمين ، فقال لهم اني أاليت على نفسي أن أصل اليه والخذ معه مشافهة فيما يقع الصلح بيني وبينه عليه ، فدعوه يصنع بي ماشاء ، فلما راوا عزمه خلوا سبيله ، فسار حتى بعد عن اشبيلية بمرحلة ، فأدركه الخوف وداخله الجزع ، وقال يا عبد الحق ما أظن أصحابي في منعهم اياي الا على بصيرة ولكني أريد ان تعاهدني وتحلف لي أني أامن منه ولا أرا منه الا مايسرني ، فحلف له عبد الحق على ذالك في تهليل (181) كان عنده، فاطمأن قلبه في الظاهر ، ثم سار حتى وصل مدينة شريش ، فازداد جزعا وقال لعبد الحق اني لااقدم على أمير المسلمين يعقوب حتى اجتمع بولي عهده يوسف فيؤمنني ويسكن خاطري بأن أقدم معه الى والده في ذمته وأمانه وأسير معه .

فلما سمع ذالك عبد الحق خاف ان يكون قد دبر مكيدة على المسلمين ، فقال له نعم تصل اليه ، ولكنه ملك كبير ، وسلطان عظيم ، اذا وصل اليك في جيشه وأنت في بلد من بلادك وتطلب منه ان يشفع لك عند أبيه وجب عليك ان تخرج عن ذالك البلد ، فان المملكة توجب ذالك ، ولا يمكنك الا الخروج له عن شريش اذا دخلها ، وان لم تفعل كنت مقصرا في حقه ، وخافضا من قدره ، فاعمل رأيك في أي الأمرين أوفق ، وأما وصوله اليك فأنا الكفيل به ، فلما سمع سانشو مقالة عبد الحق قال أنا أخرج للقائه ، فالقاه خارج المدينة ، فسار عبد الحق الى الأمير يوسف

181) ظرف من جلد أو ملف مطروز بالحرير في الغالب يوضع فيه مصحف أو شبهه — مثل دليل الخيرات — يعلق على الجنب تعوذا .

فعرفه بخبر سانشو واستجارته به ، وميله الى جانبه ، وأعلمه برضاه بعهده ، وأنه يركب فى ذمته حتى يصل به لأمير المسلمين ، فأجابه الأمير يعقوب الى ذالك وأسعفه ، فسار مع عبد الحق الى لـقــاء سانشو فــى جيش عظيم من انجاد بنى مرين وشجعانها ، وأهل البأس والفتك منها ، فتلقاه سانشو على مسيرة أميال من شريش ، فسلم عليه ، وأظهر لـــه السرور والفرح والبشاشة ، فأخرج له الضيافة ولجميع المحلة ، فأمــر الأمير يوسف بالنزول بخارج البلد ، فضربت قبابه ومضاربه ، ونزل فيها ونزل سانشو فدخل معه فى خبائه ، وقال له أيها الأمير الأسعد ، والسلطان المبارك الأصعد ، انى اردت أن أكون دخيلك وفى وفاء ذمتك ومتفيئا بظل خدمتك حتى اجتمع مع امير المسلمين والدك ، فأعطاه الأمير يوسف أمانه، والتزم له مايرضيه من والده ، وتكفل له بقضاء جميع أغراضه وشؤونه عنده ، فقال له سانشو الآن طابت نفسى ورجعت الي ، فلما كان فــى عشي النهار ركب الأمير يوسف الى خارج محلته ، فوقف بها وخرج جميع من بشريش ينظرون اليه فركبت ابطال بنى مرين تلعب بين يديه ، وركب سانشو ووقف بازائه وبنو مرين فى لعبها ، فقال سانشو وأنا ايضا العب سرورا بما من الله عز وجل به علي من اقبالكم الي واسعادكم لى بالصلح والمهادنة ، فأنا أولا الناس بالسرور ، ثم أخذ الرمح والترس فلعب مع زعمائه بين يدي الأمير يوسف ، فلما غربت الشمس رجع الأمير يوسف الى منزله ودخل سانشو الى شريش ، ومن الغد سار الأمير يــوســف وسانشو الى لقاء أمير المسلمين ، فاجتمع به فى حصن عين الصخـــرة على مقربة من وادي لك ، واستعد أمير المسلمين للقائه فى ذالك اليوم ، وأمــر جميع جيوشه بلباس الأبيض والعدة الكاملة ، فــابيضت الأرض ببياض المسلمين ، وأقبل سانشو فى عقدة من المشركيــن مسودة ، فكان ذالك عبرة للمعتبرين ، فسلم على أمير المسلمين ، وقعد بين يديه تأدبــا معه ، ثم قال يا أمير المسلمين ان الله أسعدنى بلقائك وشرفنى فى هاذا اليوم برؤيتك ، وانى لأرجو أن أنال طرفا مما اعطيت من السعادة لأقهر بها ملوك النصرانية ، ولاتظن أنى جئتك رضا منى ، ولاطوعا من نفسى ،

بل والله ماقدمت لحضرتك الا على رغم أنفي ، لأنك خربت بلادنا وهتكت حرمتنا وسبيت نساءنا وحريمنا وأولادنا ، وقتلت حماتنا ، ولاطاقة لنا بحربك ولا مقدرة على معاندتك ، فكل ماتأمرني به أمتثله ، وكل ماتشترط علي التزمه واحمله ، ويدك الباسطة على جميع بلادي ورعيتي تحكم فـي الكل بما شئت ، ثم قدم له هدايا نفيسة ، وتحفا عظيمة ، وكذالـك لولده الأمير يوسف استجلابا لمرضاتهما فكافأه أمير المسلمين باضعافها ليخرج عن أياديه ، وتم الصلح بينهما وذالك يوم الأحد الموفـي عشرين لشعبان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة (٢١ اكتوبر سنة ١٢٨٥ م) .

ولما صرفه الى بلاده أمره رحمه الله ان يبعث اليه بما يجده فـي بلاده بأيدي النصارا واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابـن عطية والثعالبي ، ومنها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ، وكتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغيرها ، فأمر رحمه الله بها فحملت الى فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناهـا نفعه الله بقصده .

وبعد انصراف سانشو الى بلده رجع أمير المسلمين الى الجزيـرة الخضراء ، فدخلها في السابع والعشرين من شعبان المذكور ، فـوجـد القصر الذي بني له بالمدينة الجديدة والمشور والجامع قـد تـم ذالك كله وفرغ منه ، فنزل بالقصر المذكور ، واقام به شهر رمضان وصلا الجمعة بجامعها المكرم ، وصلا بمشورها صلاة الاشفاع ولـم يتخلف عنه ليلة واحدة ، فكان رحمه الله لايزال قائما من أول الصلاة الى آخرها مواظبا على ذالك حتى تقضا شهر رمضان المعظم ، وقد قضا حقه صياما وقياما على قدر طاقته ، وكان الفقهاء يبيتون عنده في كل ليلة منه فيذاكرهم في فنون العلم ، فاذا كان ثلث الليل الأخير قام الى ورده ومناجاة ربه يسأله خلاص نفسه وعتق رقبته رحمه الله حتى انصرف شهر رمضـان ، فلما كان يوم عيد الفطر وصلا صلاة العيد وانصرف من المصلا الى قصره وقعد بالمشور المبارك دخل عليه اشياخ بني مرين والعرب ، فقعدوا بين

يديه يأكلون الطعام ، فلما فرغوا من اكلهم رفع اليهم الفقيه الأديب البارع عبد العزيز المكناسى الدار الملزوزي النجار قصيدة ذكر فيها غزوات أمير المسلمين فى تلك السنة وغزوات بنيه وحفدته ، وامتدح فيها قبائل بنى مرين ورتبهم على منازلهم ، وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد وأمر الدين ، وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديد الذي على الجزيرة والدار وحلول أمير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والتهنئة بعيد القطر والشكر له على قيامه بأمر الدين واهتباله بأمر العلم فانشدها بين يديه بمجلسه ذالك قارئه الفقيه عبد الرحمان الفاسي الدار المعروف بالغرابلى وأمير المسلمين يصغى الى انشادهـا وجميع أشياخ بنى مرين والعرب يستمعونها حتى أتا على أاخرها وقبل يده الكريمة فأمر للقاريء بمئتي دينار ، وأمر للناظم بألف دينار وخلع له ثيابا ومركوبا وهاذا مطلع القصيدة :

بحمد الله افتتح الخطابا ... وأبدأ فى النظام به الكتابا
لعل الله يبلغني الأماني ... ويفتح بالسرور علي بابا
ويرشدنى الى نقل صحيح ... ويرزقنى من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرايا ... وصورهم وقد كانوا ترابا
الاه واحد حي مريد ... عليم قادر بالجود حابا
يرا أاثر النميلة حين تمشي ... وتقطع فى الدجا الصم الصلابا
ويسمعها اذا دبت عليه ... وجنح الليل قد أمسا غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا ... وان يعزا له الوصف اكتسابا
يحيط بعلم ما تحوي عليه ... طباق السبع ان دعي استجابا
ويعلم فى الأراضى السبع علما ... يحيط بعد حصباها حسابا
ولم لا وهو أنشأنا امتنانا ... وواعدنا على الحسنا المتابا
وأنشأ فى السماء لنا بروجا ... وألبسها بزينتها ثيابا
وأجرا الشمس ثم البدر فيها ... وسخر بالرياح لنا سحابا
لتسقي بلدة ميتا بغيث ... هـمول بالحياة هما وصابا
وأجرا فى بسيطتها عيونا ... مدفقة وأودية عذابا

وأرسل فى الورا منهم رسولا   شفيعا مصطفا يتلو الكتابا
محمد النبي المجتبا من   سلالة هاشم فالأصل طابا
وقد أسرا به مولاه ليلا   وجبريل له اخذ الركابا
دنا من حضرة العليا تدلا   وحاز القرب منه فكان قابا
عليه صلاة رب العرش تترا   مدا الأيام تورثنا الثوابا
وماسحت بماء لمزن سحب   فحلا الزهر بالمزهر الهضابا
هو المبعوث بشرنا ببشرا   من المولا وأنذرنا العقابا
وحرضنا على قتل الأعادي   تضيق بهم تلالا او شعابا
ونبذل فى جهاد الكفر نفسا   ومالا قد جمعناه اكتسابا
فصدقه أبوبكر عتيق   وثانيه ابو حفص أجابا
وثالثهم ابو عمرو ، ووفا   أبو حسن طعانا او ضرابا
هم الخلفاء أربعة تواصوا   على الاسلام صونا واحتجابا
وباقي العشرة المرضي عنهم   سموا وعلا ابن عوفهم الشهابا
سعيد وابن جراح وسعد   زبير ، طلحة ، كرموا صحابا
هم قد بايعوا المختار طوعا   على أن لايضام ولا يصابا
وأن تفنا نفوسهم احتماء   لدين الله بعدا واقترابا
وهم قد جاهدوا فى الله حقا   وسلوا فى عداتهم الذبابا
عليهم رحمة الرحمان تملا   بنور من قبورهم الرحابا
فمذ بانوا وبان من اقتفاهم   خفا نور بدا منهم وغابا
وعاد الدين بعدهم حقيرا   ومنسحقا وممتهنا مصابا
وصار بغربنا الأقصا غريبا   فيالدين يغترب اغترابا
ولم يعلم جهاد للأعادي   بهاذي الأرض يحتسب احتسابا
الى أن فتح الرحمان فيه   ليعقوب بن عبد الحق بابا
لمولانا أمير العدل ملك   أرانا فى العدل العجب العجابا
فهناه الإله السعد فيه   ونية صدقه برا أثابا
دعا لله دعوة مطمئن   لمولاه دعاء مستجابا
فلبا الله دعوته وسنا   له الحسنا وجنبه الصعابا

فجاز البحر مجتهدا مرارا ... يقود الى العدا الخيل العرابا
فألبس ملكهم ذلا فصارت ... به الأملاك ترتهب ارتهابا
أبعد جواز أرض البرت فخر ... تزيد به مئالا واعتجابا
هو القطب الذي دارت عليه ... نجوم السعد لاتخشا اضطرابا
بنوه نجومه والبدر فيهم ... ولي العهد من بالفضل حابا
أبو يعقوب مولانا المرجا ... لدفع الخطب ان أرسا وبابا
هو الملك الذي أعطا وأغنا ... وصير طعم عيش مستطابا
وأبناء الامارة ترتجيهم ... ولحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
أوفى حقهم فرضا ففرضا ... كما جعلوا الجهاد لهم نصابا
وأنكر غزو هاذا العام حتى ... إنكبر كل شخص ما أطابا
وأنشر من فخار مرين بردا ... كما احتزبوا لدينهم احتزابا
وأروى مدحهم في الدين شعرا ... أدونته وأودعه الكتابا
ليبقا ذكرهم في الارض يتلا ... يراه للركب زادا واحتقابا
فعزهم مكين في المعالي ... وعز سواهم أضحا سرابا
سأودع غزوهم في الروم نصا ... نظاما لاأخاف به اضطرابا
وأذكر من وقائعهم امورا ... يصير بهن طعم الشرك صابا
فهل من سامع خبرا لبابا ... يرد علي بالصدق الجوابا
فيصغي سمعه نحوي امتنانا ... يقول اذا أصبت لقد اصابا
وذالك إن مولانا أناخت ... عزائمه بطنجة الركابا
فجاز البحر في صفر خميسا ... بخامس شهره ركب الغرابا
وحل طريفا المولا بجمع ... كسا شم المعاقل والهضابا
وفي غد يومه ضربت لديه ... هنالك قبة تسبي القبابا
زهت حسنا وجملها سناها ... لها اختاروا من الحبر الثيابا
ولم ير مثلها في الحسن لكن ... قد انتخبت بسبتة انتخابا
فيحل بها كأن الشمس لاحت ... بطلعته ازدهاء واعتجابا
فيالك قبة يحكي سناها ... سنا الفلك المحيط بها انتسابا
وخلف عامرا وأتا قريبا ... من اركش ثم رام به احتلابا

ورام نكاية الأعداء فيه فأوسعه احتراقا وانتهابا
ومنه أتا شريشا في جموع ووافته محلته ايابا
فأوسعت الزروع بها احتصادا وأوسعت الغروس بها احتطابا
أذاقت من شلوقة كل ربع وروض من قناطرها عذابا
مدينتها وقلعتها بخيبر أشاعوا في نواحيها الخرابا
وجهز للعدا منصور جيش ليترك دارهم قفرا يبابا
على اشبيلية أجرا خيولا فأوسع من بساحتها انتهابا
سبا منهم وغادر الف علج تطارد عنهم الطير الذئابا
وأب مظفرا وابو علي أخوه أتا وقد حمدوا الايابا
وجهز جيشه عمرو ووافا ذرا قرمونة يحكي العقابا
ولم يترك بها احدا سوى من بها ينكب في الأرض انكبابا
أتا بغنائم ملأت عديدا بسيط الأرض بل غطت شعابا
وجيش أبي معرف المعلا على اشبيلية حط القبابا
لولد سيد الثقلين يشهد له فيما سباه وما أصابا
أتا بغنيمة فيها سبايا وأوصل من مراكبهم لبابا
فذاك اليوم سار ابو علي الى برج فصيره خرابا
وغزوة مشقريط ليس تخفا فضائلها لقد حسنت مآبا
ولا انسا المبروز على شريش فأهل البرج قد ذاقوا العذابا
فذاك اليوم أعظم يوم حرب رأيناه اذا ذكروا الضرابا
ويوم وصول مولانا المرجا أبي يعقوب أشرق واستطابا
هناك بروز أهل الدين ردت محاسنه على الدهر الشبابا
ولا أنسا القناطر حين دارت بها الاسلام توسعا انتهابا
وأهل شريش لما أن تراءا ولي العهد قد فرقوا ارتعابا
هنالك خصص المولا بجيش أبا يعقوب مولانا وجابا
بأربعة من الآلاف خيلا مسومة مظفرة عرابا
وأجرا الخيل من كل النواحي على إشبيلية شرقا وغابا
فلم يترك بتلك الأرض خلقا أمهارا أو سبايا او سلابا

فستلك غنيمة ما ان سمعنا   بهاذا العام اكثرها انجلابا
وبعد أتا أبو زيان وافا   شريشا بالبروز وما استرابا
بهاذا اليوم جهزه بألف   الى قرمونة وافا الصوابا
وجاء بزرعها وانحاز عنها   الى اشبيلية ولها استنابا
وقتل أهلها وسبا وولا   حميدا فى سرور من استطابا
ومولانا أبو يعقوب وافا   شلوقة ثم خربها خرابا
الى كبتور أعمل حد عزم   لو أن الهند مس به لذابا
أحاط بربعها برا وبحرا   فدمرها وصيرها يبابا
وخلف أرضها غبرا وأضحت   حمامة حسن معناها غرابا
ولما دوخ المولا النصارا   وألبسهم من الذل الثيابا
ولم يترك بأرضهم طعاما   ولا عيشا هنيئا مستطابا
وأعوزه بها علف وطالت   بها حركاته قصد الايابا
وقد ظهرت لأسطول الأعادي   علامات تزيدهم ارتيابا
يؤم الى الجزيرة رام منها   يجدد غزوة تدني التوابا
الى اشبيلية ليبيد منها   طغاة طالما عبدوا الصلابا
وينزلها يقيم بها شتاء   يهدمها ويبقيها خرابا
فلما حل ربع طريف والا   الى أجفانه الغر الكتابا
فيامر أن يجهز للاعادي   أساطيله فأسرعت الجوابا
فجهزها ووافت باحتفال   ويأس منه رأس الكفر شابا
هنالك سانشو وافا شريشا   بليل ثم عاين ما أرابا
فوجه منه أرسال النصارا   الى المولا ليسعفه الطلابا
يطالبه بعقد الصلح يعطى   له ماذا أراد وما استجابا
ولم يقبل لهم قولا وألبت   له الأرسال حائرة خيابا
ولم يردهم المولا سوى من   حديث البحر لايربو ارتيابا
فقرب جيشه المنصور بحرا   الى أفروطة الكفر انسيابا
فلما برز الأسطول فرت   جيوش الكفر فى البحر انسرابا
وما ألوت على متتبعيها   ولو سئلت لماردت جوابا

فجاز الى الجزيرة فى سرور　　يجدد غزوة تبدى العجابا
فوافته بها الأرسال تبغى　　بعطفته من الصلح اقترابا
فأسعفهم بها جازاه ربي　　على آرائه الحسنا الصوابا
ويجعل فيه للاسلام طرا　　مصالحها التى ترد الطلابا
وذالك من أمور قد حكاها　　لنا المولا وأحصاها حسابا
فبادر سانشو فى الصلح حتى　　تقرب من مدينته اقترابا
وجاء لغيله الأعلا وأعطا　　هديات لمولانا رغابا
فكان هناك بينهما أمور　　ينسيني السرور بها الخطابا
وأسرع سانشو للعقد حرصا　　وأظهر فيه للمولا ارتعابا
فتم الصلح بينهما لعذر　　مبين واضح والسر غابا
فهاذى جملة والشرح عندى　　سأوضحه بايضاح كتابا
هنيئا يامرين لقد علوتم　　بنى الأملاك بأسا وانتجابا
وفاخرتم بمولانا البرايا　　فأعطوكم قيادا وانغلابا
أبعد الفنش ولين الفنش يقا　　رضاكم لايخاف به الغيابا
فحزب مرين حزب الله يحمى　　حما الاسلام لايخشا عقابا
اذا سلوا السيوف ترا الأعادي　　وقد حل الربا مدت رقابا
هم أشفار عين الملك تنزى　　عن الملك القتام او التترابا
وهم مثل الأنامل حيث مدت　　يد الأمر التى تعطى الرغابا
أنظم فيهم مدحى ففيهم　　أناس طالما نظموا القبابا
فمن أولاد عبد الحق أبدا　　بدمح عرفه يحكي الرضابا
هم الأمراء ان ذكرت علاهم　　ترا الأقمار تنتسب انسيابا
ومنهم تجتلا شمش المعالي　　لدار الملك تحتط الرقابا
وهم أساد حرب ، من يوازي　　مقامهم اذا ما الخطب نابا
وهم للجود بحرفيه تلفي　　نفيس الدر أو تجد السحابا
فما قدرت من كرم ففيهم　　أصخ تسمع لدي لهم جوابا
وفخر بني حمامة ليس يخفا　　كنور الشمس يرتقب ارتقابا
سموا قدرا وعز بهم حماهم　　فجارهم عزيز لن يصابا

فانهم القرابة حين يعزوا ... لمولانا وقد عزوا جنابا
وعترته السراة بنو علي ... لأنهم أبوا ذما وعابا
هم الفضلاء والشرفاء حقا ... فسل تجد العلاء والانتسابا
وهم أخوال مولانا المرجا ... أبى يعقوب ، فخرا لن يعابا
وسادة عسكر قوم أحاطوا ... بأوصاف العلا وسموا طلابا
شجاعتهم وجودهم استفاضا ... تدفق كفهم يحكى العبابا
بنو ونجاسن افتخروا افتخارا ... بعزم علم السيف الضرابا
اذا لبسوا الحديد ترا آسودا ... تميد الأرض ان كانوا غضابا
ونجدة تربعين قد استقرت ... فزادوا فى علوهم انتصابا
فمنهم ابتدى ببنى وراغ ... وباسهم اذا سيموا الضرابا
بنو سوخم أراهم خير قوم ... اذا حضروا الوغا التهب التهابا
وسائر تربعين اذا تداعوا ... لحرب فرت الروم ارتهابا
بنو يابان ان ذكروا تجدهم ... أسودا تورث الأعدا ارتيابا
سيوفهم تقد الهام طولا ... وماء سخائهم يهمى انسكابا
وناس بنى تنالفت استمرت ... مريرتهم فبلغنا الطلابا
اذا حضروا الحروب ترا عداهم ... بغات الطير أبصرت العقابا
بنو وطاس فازوا بالمعالى ... فلم يخشوا لمجدهم انتكابا
بنو ورتاج اعتزوا فباها ... فخارهم عداتهم احتجابا
بنو الخير اناس من تسامى ... ورام بهم حلول الضيم خابا
بنو وارثين ارتفعوا فعالوا ... بعزهم وبأسهم الرقابا
وسائرهم متى ذكروا توالت ... شجاعتهم اذا البطل استرابا
بنو فودود والحشم استمروا ... على نصح لمولانا فحابا
وقربهم وصيرهم لديه ... من الرهط الذى نال اقترابا
واذكر خدمة العرب التى قد ... أعزتهم لدى المولا جنابا
فحازوا عنده أعلا مكان ... مكين لن يرام ولن يصابا
اذا نصح الخديم ينل مناه ... ويحرز من ذوى العليا احتسابا
فانتم ايها العرب انتصرتم ... لعزكم فالزمكم منابا

أليس لحميـر لكـم انتسـاب كذلك مرين ان رفعوا انتسابـا
وأنتـم أخـوة نسبا وصهـرا فبمـا حدتم عن الفخر اجتنابـا
وجـد جميعكم سبيط وقيس من الإعلام في العرب انتصابـا
ولـم لا والـرضا عنكم تـوالا من المولا بـه ملأ القبابا
فسفيان سمـوا قـدرا ففيهـم سراة العز يولون الرغابا
لهم أيـام صـدق ليس تخفـى لها حسن تعالا أن يعابـا
بنـو جـرمـون أنجمهم وفيهـم هلال بدرهـم يجلو السحابـا
سيوف العاصم اشتهرت وصارت بأرض الروم تغمدها الرقابـا
سمـا عيادهم قدرا ووافـى باخـوته لمولانـا اعتصابـا
لقد نصحوا ويشهد في علاهم بما فعلوا الذي كتب الكتابـا
وللخلط السيوف سيوف حتف تصيـر هـام اعداهم قرابـا
هبيرة من لجدهـم افتخـار بخطب هاج أو حرب أرابـا
مقدمهم تقدم في المعالي بسهـم ومهلهل أصاب الذبابـا
جماعـة جابـر قـوم كـرام كسوا من صدق نصحهم ثيابـا
فجـروا منه يـوم الحرب نيلا على الأعداء تنصب انصبابـا
بيوسف ابـن قيطون تسامـوا فعـزوا جانبا وسموا جنابـا
وقـل لـلأينجي دامت علاه فكم سـاقاتكم تبغو اقترابـا
سيوفـكـم تديـر على الأعادي كؤوس ردا سقوا منها شرابـا
فـلابـن عجاج الأرضـا علـي نجار يورث الشرك اكتسابـا
لئن اضـرتم في الأرض يشهد لـكـم في سبقكم من حل زابـا
فهذا سعد مولانا المـرجـا ونيته التي تدني الطلابـا
فـقـد حل الجزيرة والأمانـي تساعـده وقصد الشرك خابـا
أقـام بها والقا الـرحـل منها لبلدتـه الجديدة حين آبـا
مكـان القرية المشهور منهـا علـى مـا أودع اللـه الكتابـا
وقد ذكروا الجدار بها وفيهـا مكان الصخرة انتصب انتصابـا
فصدق قولـهـم عنها فلـوس بهـا وجدت مصورة عجابـا
لـهـا الف مـن الأعوام زادت من المئين أربعة حسابـا

وقد دثرت رسوم الربح منها فأحياها وقد كانت خرابا
وجددها وشاد السور منها وانشأ في جوانبها القبابا
بطالع سعده فهي خير دار مؤسسة بها تولي الرغائبا
قواعدها على السعد استقرت تقابل من جبال الفتح بابا
ومشورها البهيج يروق حسنا تحلا من حلا البحر العبابا
تطالعه نجوم السعد منها قريبا تورث الشرك التبابا
ومسجدها المبارك قد تلألا سنا أنواره يحكي الشهابا
ومنبره الرفيع يقوم فيه أمامكم فيختطب اختطابا
ويدعو الله مبتهلا عساه يزيدكم السعادة والثوابا
ويجعل من تمادى الخير فيها بشائر والفتوحات العجابا
بنى الدار السعيدة للأماني بنو العزفي وشادوها قببا
بعزمة مخلص بر صفي محب للوفاء قد استنابا
أناس نابهم نشر المعالي فهاهم قد كسوا منها ثيابا
هم خدموا لمولانا فوفوا لمادحكم ببيعته الثوابا
وقد ورخت دولتكم وصارت حلا يحدو بها الحادي الركابا
وكل منظم شعرا سيفنا ويبقا فيكم مدحي كتابا
أمير المسلمين بقيت تعلو سعودكم التى ترضي اصطحابا
وأبقاكم الاه العرش عزا تنال بكم أمانيها الرغابا
فهاذا العام عام الفتح يبدى بتاريخ السعود لك الحسابا
وهاذا العيد عيد الفطر وافت به البسراء كالقطر انسكابا
فعمرك الالاه سنين عدا مبلغنا الاماني والطلابا
فانك قد رفعت العلم قدرا وصنت ذويه كي تحوي ثوابا
وبالصلحاء قد زدت اعتناء وبرا واعتلاء واقترابا
وزدتهم احتفالا وارتقاء به للخلد تنقلب انقلابا
فدم فسعود ملكك في ازدياد وجمع عداتك انتكبوا انتكابا
سلام الله متصلا يوافي مقامكم كعرف المسك طابا

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة المذكورة (نونبر ١٢٨٥ م) بعث أمير المسلمين ولده الأمير ابا زيان فى جيش ليقف على الحد بين بلاده وبلاد ابن الأحمر ، وامره أن لايحدث فى بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها باذاية ولا مضرة ، فانصرف الى حصن ذكوان بالقرب من مالقة فسكن بخارجه ٠

وفى شهر رمضان المذكور توفي الوزير المرحوم أبو علي يحيا بن أبى منديل العسكري بالجزيرة الخضراء ٠

وفى آخر شوال من السنة المذكورة أمر أمير المسلمين عياد بن أبى عياد العاصمى أن يرتحل بجميع اخوانه الى اسطبونة فيسكن هنالك ، فارتحل اليها فنزلها فى غرة ذي قعدة من السنة المذكورة ٠

وفى يوم الاثنين السادس عشر لذي قعدة المذكورة جاز الأمير يوسف من الجزيرة الخضراء الى العدوة يتفقد أحوالها فى غراب القائد المجاهد محمد ابن القائد أبى القاسم الرجراجى رحمه الله ، فنزل بقصر المجاز ٠

وفى هاذه السنة بنيت زاوية تافرطست على قبر الأمير المرحوم عبد الحق وتصدق عليه أمير المسلمين ولده بمحرث أربعين زوجا ٠

وفى آخر شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ابتدأ أمير المسلمين مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى أن توفي رحمه الله بقصره ببلدته الجديدة من جزيرة الأندلس ، وذالك فى ضحا يوم الثلاثاء الثانى والعشرين لمحرم من سنة خمس وثمانين وستمئة (١٩ مارس ١٢٨٦ م) فحمل رحمه الله الى رباط الفتح من بلاد العدوة ، فدفن بمسجد شالة منها ، فكانت أيامه فى الخلافة تسعا وعشرين سنة ، وذالك من حين بويع له بحضرة مدينة فاس بعد وفاة أخيه أبى بكر ، ومن حين ملك حضرة مراكش وقطع ملك بنى عبد المومن وخلص له أمر المغرب سبع عشرة سنة وعشرين يوما ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، فلقد انصدع

بموته الاسلام ، ورزيء بوفاته جميع الأنام ، تلقاه الله عز وجل بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان ، وجبر الله صدع الاسلام فيه ، وابقـا خلافته وبركته مؤبدة فى حفدته وبنيه ، وصلا الله على سيدنا ومولانـا محمد وعلى أاله وصحبه وسلم تسليما •

الخبر عن دولـة أمـير المسلمـين يـوسف

ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم

هو عبد الله يوسف أمير المسلمين ، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق •

كنيته : أبو يعقوب •

لقبه : الناصر لدين الله •

أمه حرة علوية تسما أم العز بنت محمد بن حازم العلوي •

مولده : فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمئة •

بويع له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه، وكان غائبا ببلاد العدوة فأخذ له البيعة الوزراء والأشياخ وبعثوا اليه ، فاتصل به الخبر وهو ببعض أحواز مدينة فاس فجد السير الى طنجة فوجد الأسطول هنالك ينتظره ، فجاز الى الجزيرة وبها جميع قبائل مرين وقبائل العرب فجددت له البيعة بها واجتمع على بيعته كافة قبائل مرين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والأندلس من المسلمين ، وذالك فى غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمئة (الجمعة ٢٩ مارس ١٢٨٦ م) وسنه يوم بويع خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر •

ولما تم له الأمر واستقامت له الخلافة فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والاندلس والأغزاز وسائر الأجناد ، وأحسن الـى الفقهاء والصلحاء ، وأخرج الصدقات الى الضعفاء ، وسرح السجون فى جميع

بلاده ، وتصدق بترك الفطرة (١٨٢) على الناس ، وقال من وجب عليه اداؤها يتصدق بها لنفسه حيث شاء ، ورفع الأنزال عن ديار الرعية ، وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس ، وأزال المكوس ، وأمر بهدم المروس ، وقمع البغاة ، وأباد الطغاة ، وأمن الطرقات ، وأزال أكثرالرتب والقبالات التى كانت بالمغرب الا ما كان منها بالبلاد الخالية والمفازات العالية ، فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس فى أيامه ·

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون حسن القد مليح الوجه أقنا الأنف ، مهيبا لايكاد أحد يبتدئه بالكلام من مهابته ، ذا أناة وسياسة ، فاذا عزم بطش ، واذا أخذ أفنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا فى سلطانه ، اذا أعطا أغنا ، واذا صال أفنا ، شفيقا بالضعفاء ، متفقدا لأحوال رعيته وبلاده ، غليظ الحجاب ، لايكاد يوصل اليه الا بعد الجهد ·

حاجبه : عتيق مولاه ، ثم عنبر مولاه ·

وزراؤه : أبو علي عمر بن السعود الحشمى ، وأبو سالم ابراهيم بن عمران الفودودي ، وتوزر له فى ألاخر عمره يخلف بن عمران الفودودي

كتابه : الفقيه عبد الرحمان بن الحرار ، والفقيه مجمد العمرانى ، ثم الفقيه الأجل المرحوم عبد الله ابن أبى مدين ، وهو القائم بأمر المملكة كلها وعلى يديه تتصرف أحوالها ، ومن كتابه الفقيه البارع محمد المغيلى كان يتولا العرض والانشاء وبيده العلامة الى أن مات رحمه الله فولي العلامة بعده الفقيه محمد ابن أبى مدين ، ومن كتابه الفقيه الأجل أوحد عصره ونخبة دهره أبو علي بن رشيد ، كان يتولا التنفيذ ·

قضاته : بحضرة فاس الفقيه الصالح المبارك أبو حامد ابن البقال ، ثم الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) ثم الفقيه محمد المغيلى ، وقضاته بحضرة مراكش الفقيه أبو فارس العمرانى ، والفقيه محمد السقطى ، ثم الفقيه أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقاضيه بحضرة تلمسان

---

182) زكاة الفطر فى منطق أهل المغرب .

الجديدة الفقيه الأجل المحدث المشاور علي بن أبى بكر المليلى .

شعراؤه : الفقيه البارع مالـك ابن المرحل (١٨٣) والفقيه الأديب أبو فارس المكناسى ، والفقيه أبو العباس الفشتالى ، والفقيه أبو العباس الحميشى ، هاؤلاء الشعراء الذين كانوا ملتزمين بخدمة بابه الكريم تجري عليهم المرتبات والاحسان .

أطباؤه : الوزير الطبيب محمد ابن الغليظ الاشبيلى ، والوزير عمار المكناسى .

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تمت البيعة لأمير المسلمين يوسف خرج من الجزيرة الخضراء الى مربالة ، فنزل بظاهرها وبعث رسوله الى ابـن الأحمر ليجتمع به ، فبادر اليه فى احتفال عظيم وعسكر جسيم ، فاجتمع به هنالك ، فعزاه عن أبيه وهنأه بالخلافة ، فصالحه يوسف وصرف عليه جميع ماكان بيده مما كان أخذ له والده من بلاد الأندلس ، ولم يحبس منها حـاشا الجزيـرة الخضراء ورندة وطريف ووادي آاش وأحوازها ، وكان اجتماعه بـه وصلحه اياه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، ورجع الى الجزيرة الخضراء فأقام بها بقية ربيع الأول .

وفى يوم الأحد الثانى من شهر ربيع الأخر من السنة المذكورة قدم عليه ارسال سانشو فجدد معه الصلح على ماكان عقد معه والده رحمه الله ، فلما فرغ من اصلاح بلاد الأندلس وهدنها وسكن دهماءها دعـا بأخيه الأمير أبى عطية فعقد له ماكان بقي بيده من بلاد الأندلس وأوصاه بتقوا الله تعالا وضبط ثغوره ، والحزم فى جميع أموره ، ثم دعا بالشيخ المجاهد المرحوم علي بـن يوسف بـن يرتاجن فعقد لـه على أعنة خيل الأندلس وجندها ، وقلده أمر حربها وغزوها ، وتـرك معه ثلاثة آالاف فارس من بنى مرين والعرب ، وجاز الى العدوة يوم الاثنين سابع ربيع

---

183) ينظر عن مالك ابن المرحل : **الاحاطة** (غير مطبوع) **وجذوة الاقتباس** ص 221 **وسلوة الأنفاس** 3 : 99 **وذكريات مشاهير المغرب** ع 8 .

الأاخر من السنة المذكورة ، فنزل بقصر المجاز ثم سار الى مدينة فـاس فدخلها فى ثانى عشر من جمادا الأولا من العام المذكور ، فلما استقـر بحضرته من فاس الجديدة خرج عليه ابن عمه محمد بن ادريس بن عبد الحق فى جماعة من بنيه بجبال ورغة من أحواز فاس فسار اليهم الأمير أبو معرف محمد ابن أمير المسلمين يعقوب فتابعهم فى خلافهم وانضموا الى جملتهم ، فلم يزل أمير المسلمين يوسف يبعث اليهم بالجيوش ويدبر عليهم السياسة حتى نزل اليه أخوه بأمانه وأناب الى طاعته ، وفر محمد ابن ادريس وبنوه الى تلمسان فقبض عليهم فى الطريق فقيدوا فى الحديد وأتي بهم الى رباط تازة فبعث أمير المسلمين أخاه الأمير أبا زيان لقتلهم فقتلوا بخارج باب الشريعة منها وذالك فى شهر رجب مـن سنة خمس وثمانين المذكورة •

وفى هـاذه السنة خرج عليه الأمـيـر عمر بن عثمان بن يوسـف الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بنى يازغة ، وأمر أمير المسلمين يوسف قبائل بنى عسكر ومن بتلك الجهات من قبائل البربر من سدراتـه وبنى وارثين وبنى يازغة وبنى سيتان وغيرهم بحصاره وقتاله ، فحاصروه مدة من شهر ثم خرج أمير المسلمين اليه بنفسه ، فسار حتى وصل قـريـة سدوره من بلاد بنى وارثين وقدم بين يديه الرماة والمنجنيق وأالات الحرب، فعلم عمر بن عثمان بقدومه وعلم أنه لاطاقة له بالحصار ولا مقدرة لـه على مدافعة أمير المسلمين ، فبعث اليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه ، فأمنه ونزل اليه فبايعه وصرفه الى تلمسان بجميع أهله وماله •

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة ارتحل أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حضرة مراكش ، فدخلها فى شوال من السنة المذكورة، فأقام بها الى يوم الخميس الثالث عشر لذي قعدة من العام المـذكـور ، فهرب الحاج طلحة بن علي البطوئى الى بلاد السوس فأقام بها ودعا لنفسه، فاتصل خبره بأمير المسلمين فدعا ابن أخيه الأمير منصور بن الأمير عبد الواحد فعقد له على بلاد السوس وأمر له بالأموال والجيوش وأمره بقتال طلحة بن علي الخارج بها ومن وافقه ببلاد السوس فغزا بها عرب بنـى

حسن فقتل بها خلقا كثيرا ، وذالك في شهر ذي حجة من العام المذكور ، ثم سار الى قتال طلحة وحصاره .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمئة ، ففى يوم الاثنين الثالث عشرمن جمادا الأخرا منها قتل طلحة ابن علي الثائر ببلاد السوس فى المعترك ، وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور الى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر أن يطاف به فى جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة ، فلم يزل عليها طول أيام خلافته معلقا فى شبكة من نحاس .

وفى شهر رمضان منها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو العرب ببلاد قبلة درعه الذين كانوا يقطعون فى طريق سجلماسة فخرج اليهم من حضرة مراكش فى اثني عشر ألف فارس من بني مرين ، فجد السير على جبال مسكورة حتى خرج الى بلاد درعة ، ثم سار حتى أدركهم فى القبلة مما يلي الصحراء فصبحهم فقتل منهم خلقا كثيرا وسبا أموالهم ونساءهم وأمر بقطع رؤوسهم وحملها الى مراكش وفاس وسجلماسة وتعليقها فى الأسوار ، ثم وصل الى مراكش فدخلها فى آلاخر شوال من سنة ست وثمانين المذكورة ، فأقام بها بقية عامه ، وعيد بها عيد الأضحا .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمئة فى نصف ربيع الأاخر منها خرج أمير المسلمين يوسف رحمه الله من حضرة مراكش الى حضرة مدينة فاس وفيها وافته أرسال ابن الأحمر مع ابنة الأمير موسا بن رحو فأعرس بها بحضرة فاس .

وفيها أعطا أمير المسلمين لابن الأحمر مدينة وادي آاش وحصن رانجة وحصن بليانة وحصن الدير ، والأبتير وغور ، وغورب ، وذالك فى شهر صفر من سنة سبع وثمانين المذكورة .

وفى نصف ربيع الثانى منها تحرك أمير المسلمين من مراكش الى فاس كما قدمنا فأقام بها الى أن خرج عليه ولده الأمير أبو عامر ، فسار الى حضرة مراكش وذالك يوم السبت الرابع والعشرين من شوال ، فثار بها مع واليها محمد بن عطو البربري الجناتى ، وكان دخوله لمراكش

وقيامه بها في أول يوم من ذي القعدة من سنة سبع وثمانين المذكورة ، فانتها الخبر الى أمير المسلمين يوسف فبادر الى مراكش ، وذالك في زمن الشتاء فوصلها ونزل بظاهرها فخرج ولده الأمير أبو عامر الى حربه، فرجع مهزوما فدخل مراكش وغلقها في وجه أبيه ، فأقام بقصرها الى الليل ، وقتل مشرفها ابن أبي البركات ، وحمل ماكان في بيت مالها وخرج منها في نصف الليل فارا الى بلاد القبلة وأسلم البلد فدخلها أمير المسلمين من الغد ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة، فعفا عن أهلها وسار الأمير أبو عامر مع ابن عطو الى بلاد القبلة ، فأقام بها مدة من ستة أشهر ، ثم سار الى تلمسان فوصلها الثاني عشر من رجب من سنة ثمان وثمانين وستمئة ، ثم رجع الأمير أبو عامر الى والده أمير المسلمين فعفا عنه .

وفيها كتب أمير المسلمين الى عثمان بن يغمراسن أمير تلمسان ان يسلم اليه عامله ابن عطو الذي نجا اليه ، فامتنع عثمان من ذالك وقال والله لاأسلمه أبدا ولا أبيع حرمتي واترك من استجار بي حتى أموت ، فليصنع مابدا له وأغلظ للرسول في القول ، وتكلم بالقبيح وثقفه في الحديد ، فأنف لذالك أمير المسلمين يوسف وعمل على غزوه فسار اليه .

وفي سنة تسع وثمانين وستمئة في السابع والعشرين من ربيع الثاني منها خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى غزو تلمسان ومن بها من بني عبد الوادي ، وهي أولا غزواته فسار نحوها وبقي يرتحل في أحوازها ويأكل زروعها ويسبي ويغنم أموالها ويخرب قراها ، فلم يخرج اليه أميرها ، فلما رأا عجزه عن ملاقاته قصد الى حصاره ، فنزل عليه في أول يوم من رمضان من سنة تسع وثمانين المذكورة ، فحاصره وضيق عليه بالقتال ، ونصب عليه المنجنيق ، فأقام عليه ستة عشر يوما وارتحل عنه راجعا الى المغرب ، فدخل رباط تازة في ثالث ذي القعدة من العام المذكور .

ثم دخلت سنة تسعين وستمئة فيها انفسد الصلح بين أمير المسلمين وسانشو فكتب أمير المسلمين الى قلئد أعنته ببلاد الأندلس وهو الشيخ

علي بن يوسف بن يزجاتن يأمره ان ينازل مدينة شريش وان يشن الغارات على بلاد النصارا شرقا وغربا فسار علي بن يزجاتن بمن معه من المجاهدين حتى نزل مدينة شريش ، وذالك فى ربيع الأاخر من السنة المذكورة وشرع فى قتالها وشن الغارات على أحوازها ٠

وفى شهر ربيع الأاخر المذكور خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى قصر المجاز برسم الجواز الى الأندلس والجهاد وكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم ، فوصل الى قصر المجاز فى جمادا الأولا من السنة المذكورة ، فشرع فى تجويز المجاهدين من بنى مرين والعرب فسمع سانشو لعنه الله بقدومه فأراد قطع المجاز عليه فعمر الأجفان وبعثهم الى الزقاق فنزلوا به فتثبط أمير المسلمين عن الجواز بقصر المجاز وأمر بتعمير أجفان تقابل أجفان الروم ٠

وفى شعبان من هاذه السنة انفسدت قطائع المسلمين فى الزقاق فقتل قوادها وقطع غزاتها فأقام أمير المسلمين بقصر المجاز حتى عمر الأجفان واستعد للجواز فجاز فنزل بطريف وذالك فى العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم خرج الى غزو بلاد الروم فنزل على حصن يحيا فأقام محاصرا له مدة من ثلاثة أشهر ، وجيوشه تخرج كل يوم من المحلة فتغير على شريش وأحوازها وحصن الوادي حتى هتك جميع البلاد ودخل فصل الشتاء فأقلع عنه ورجع الى الجزيرة الخضراء ، فجاز منها الى العدوة فى أول شهر محرم من سنة احدا وتسعين وستمئة وقد انفسد مابينه وبين ابن الأحمر ٠

وفى سنة احدا وتسعين اصطلح ابن الأحمر مع الاذفونش وتواطأ معه ان ينازل بلدة طريف حتى يملكها ليقطع جواز أمير المسلمين يوسف الى الأندلس وشرط له ان ينفق عليه وعلى محلته طول اقامته عليها فنازلها الاذفونش فى أول يوم من جمادا الأخرا من سنة احدا وتسعين المذكورة ، فأقام اللعين يقاتلها ليلا ونهارا وابن الأحمر يبعث اليه الميرة والعدد والسهام ، وكل مايحتاج اليه حتى ملكها صلحا من اهلها فدخلها فى الخر يوم من شوال من السنة المذكورة ، وكان قد اتفق مع ابن الأحمر

أنه اذا أخذها يسلمها اليه فلما ملكها تمسك بها فأعطاه ابن الأحمر بسببها حصن شكبيش وطلبيرة ونقلة وبليس وقشتل والمسجير ، وهب ذالك كله فى حق طريف ولم ينض له منها شيء ، وذالك فى سنة احدا وتسعين المذكورة ٠

وفى شهر شعبان من السنة المذكورة أقبل عمر بن يحيا الوزير الوطاسى الى حصن تازوطة من قلاع الريف فدخله ليلا غدرا من أهله ، وكان به الامير منصور بن عبد الواحد ، فخرج منه فارا بنفسه فى جوف الليل فلحق برباط تازة ، فأخذت أمواله وقتل رجاله ، وملكه عمر بن يحيا الوزير بجميع ماكان به من المال والسلاح والأمتعة وأعشار الروم التى كانت مخزونة به فكان كما قال المتنبي :

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف فبعث اليه من حينه وزيره أبا علي عمر بن السعود ، فسار فى جيش عظيم حتى نزل به فحاصره هو والامير أبو علي منصور بن عبد الواحد فأقام الأمير أبو علي أياما ، ثم مرض فمات غما رحمه الله ، ودفن بجامع تازة ٠

وفى شهر شوال من السنة المذكورة خرج أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حصار تازوطة ومعه عامر بن يحيا الوزير أخو عمر الثائر بها ، فضمن له اخراج أخيه عنها ، واستأذنه فى الدخول اليه ، فأذن له فدخل الحصن وتكلم مع أخيه فيما أحب ، فأخذ عمر كل ماكان فيه من المال والمتاع ، فخرج به ليلا على حين غفلة من الناس وتوجه به الى تلمسان وأسلم الحصن لأخيه عامر ، فبلغ عامر أن أمير المسلمين يوسف عزم على قتله بابن أخيه منصور ولافلات عمر أخيه الجانى عليه ، فتمسك بالحصن وامتنع من الهبوط وأقام به الى أن قدم الرئيس أبو سعيد بن اسماعيل ابن الأحمر صاحب مالقة بهدية من الأندلس الى أمير المسلمين يوسف راغبا فى الصلح مع ابن الأحمر فنزل بأجفانه فى مرسا غساسة ، فبعث اليه عامر ابن يحيا الوزير وسأله أن يشفع له عند أمير

المسلمين يوسف فشفع له فأظهر له أمير المسلمين الاسعاف بذالك فلم يطمئن عامر بنفسه وبعث بعض خدامه الى المرسا نهارا فطلع أكثرهم فى أجفان الرئيس ابى سعيد ليدخلوا فيها الى الأندلس ، وبقي عامر الى جوف الليل ، فخرج من القلعة كأنه يريد التوجه الى المرسا ففر الى تلمسان فخرجت الخيل فى أثره فركض فرسه فنجا وقبض على ولده ابى الخليل فقتل بفاس وصلب وأهبط رجاله من أجفان الرئيس ، فضربت أعناقهم وظفر بمن كان فى الحصن من المقاتلة فقتلوا عن آخرهم ، وحمل نساؤهم وأولادهم الى رباط تازة فثقفوا بها ٠

وفى هاذه السنة قدم على أمير المسلمين وهو بتازوطة رومى جنوي من صاحب جنوة بهدية جليلة ، فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل التى صنعت للمتوكل العباسي ٠

وفى هاذه السنة رفع عن أولاد الأمير أبى بكر بن عبد الحق غدر ففروا الى تلمسان وأقاموا بها الى أن أذن لهم أمير المسلمين فى الرجوع فأقبلو الى مدينة فاس فسمع بذالك الأمير أبو عامر وهو ببلاد الريف فجعل العيون عليهم فأتاه الجاسوس فأخبره بقدومهم ، فخرج الى الفتك بهم فوافاهم بصبرة (١٨٤) من بلاد ملوية ، فقتلهم ورجع الى المزمة ، وهو يرا أنه وافق غرض أبيه فى قتلهم ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف فأظهر البراءة من فعل ولده أبى عامر وأبعده وأقصاه ، فلم يزل طريدا فى بلاد الريف وبلاد غمارة الى أن مات فى بلد بنى سعيد من بلاد غمارة، وحمل الى مدينة فاس فدفن بها فى الزاوية التى بداخل باب الفتوح ، وذالك فى شهر ذي حجة من عام ثمانية وتسعين وستمئة وخلف ثلاثة من الولد ، وهم عامر وسليمان وداوود ، كفلهم جدهم أمير المسلمين يوسف الى أن مات فولي عامر الخلافة بعد جده ، ثم ولي سليمان بعد وفاة أخيه عامر ، وسيأتى ذكر أيامهما بعد ان شاء الله تعالا ٠

---

184) اسم السهل المجاور لمدينة الناظور بشمال المغرب .

وفي شهر ذي القعدة من سنة احدا وتسعين المذكورة أعطا ابـن الأحمر حصن الابط الى شانسو ٠

وفيها أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه والاحتفال لـه فى جميع بلاده ، وذالك فى شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ونفذ الأمر به عنه رحمه الله وهو بصبرة من بلاد الريف فى أاخر شهر صفر من السنة المذكـورة ، فوصل بـرسم اقامته بحضرة فـاس الفقيه الخطيب أبو يحيا ابن أيوب (أبى الصبر) ٠

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وستمئة فيها وفد على أمير المسلمين رسول ولد الرنك ملك برتغال ورسول ملك بيونـة ورسل ملك تلمســان ورسل ملك تونس ، وذالك فى جمادا الأولا من سنة اثنتين وتسعـيـن المذكورة ٠

وفيها فتح حصن تازوطة وذالك يوم الجمعة الحادي عشر لجمادا الأخرا من السنة المذكورة وانصرف أرسال ابن الأحمر ، وهم الـرئيس أبو سعيد ، وأبو سلطان الراضي من حضرة أمير المسلمين يوسف بفاس الى الأندلس فى العشر الأواسط من رجب عام اثنين وتسعين المذكورة ، وخرج الأمير أبو عامر الى قصر المجاز برسم النظر فى أمـر الأندلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وجاز السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر برسم لقاء أمير المسلمين يـوسف والاعتذار اليه عما فعل فى أمر طريف ويرغب منه فـى نصرة بلاد الأنـدلس ، فخرج لساحل بلاد بليش من حوز مدينة سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يديه هدية عظيمة منها المصحف الـعـزيز الذي كانـت ملوك بنـى أمية يتوارثونه بقصر قرطبة ، يقال أنه بخط أمير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان وصوله الى طنجة فى يوم السبت الثانى والعشرين لذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين المذكورة ، فتلقاه بها الأميران أبـو عبد الرحمان يعقوب وأبو عامر ، وخرج أمير المسلمين برسم لقائه من مدينة فاس ، وذالك بعد صلاة العصر من يوم الابعاء الثاني والعشريـن لذي القعدة المذكورة ، وخرج معه جميع بنيه فتوفي ولده الأمير عبد المومـن

فى طريقه ذالك ببلد ازاجن (١٨٥) وذالك يوم الأحد الموفى ثلاثين لـذي القعدة ، وحمل الى مدينة فاس فدفن بالحصن الذي بقبلة الجامع بالمدينة الجديدة ، ووصل أمير المسلمين يوسف الى طنجة ، فاجتمع بها مع ابن الأحمر فأراه من القبول فوق ما أمله ، وبالغ فى بره واكرامه ، وأسعفه بجميع مطالبه ، ولم يعدد عليه شيئا مما سلف منه ، وبذل لـه هدية عظيمة أضعاف ماقدم به ، وانصرف ابن الأحمر الى الأندلس وذالك يوم السبت الموفى عشرين لذي الحجة من السنة المذكورة .

وفى هاذه السنة بذل أمير المسلمين يوسف الى ابن الأحمر الجزيرة ورندة وماوالاهما من الحصون مثل حصن يـامـنـت وابدونة ورنبش والصخيرات وبيغ والقار ونشيط وقردلة ومشغور وطيط وحصن المـدور والشيطيل والطشاش وابن الدليل واسطبونة ومجلوش وشمينة والنجور وتنبول ووادير وقمارش .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها جاز جيش أمير المسلمين يوسف مع وزيره ابى علي عمر بن السعود الى الأندلس لحصار مدينة طريف ، فنزل عليها وحاصرها مدة .

وفيها كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم ، فكان الناس يحملون من الموتا أربعة وثلاثة واثنين على نعش ، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستة أواقى بدرهم .

وفيها أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصيعان وجمعها على مـد النبي صلا الله عليه وسلم ، وذالك على يد الفقيه عبد العزيـز الملزوزي المكناسى .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين فيها صلح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الأسعار فى جميع الأقطار ، فبيع القمح بعشرين درهما للصحفة،

---

185) لعلها أسجن التى ينطق بها أزجن أيضاً قرية ببطن بنى زكون من قبيلة زهونة بدائرة وزان .

والشعير بثمانية دراهم •

ثم دخلت سنة خمس وتسعين فيها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو بلاد تلمسان ، فنزل بجانب حصن تاوريرت ، وكان نصفه لعثمان بن يغمراسن ونصفه لأمير المسلمين ، لأنه كان الحد بين بلادهما ، فطرد عنه عمال عثمان بن يغمراسن المذكور ، ثم أخذ فى بناء الحصن فابتدأ ببناء سوره فى أول يوم من شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة ، ففرغ من تشييده وبنائه ، وركبت أبوابه مصفحة بالحديد وذالك يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، فكان رحمه الله يصلى الصبح ثم يقف على بنائه بنفسه ، ثم رجع الى رباط تازة ، فعيد عيد الفطر على وادي ملوية بعد أن أسكن بحصن تاوريرت المذكور قبيل بني عسكر ، وقدم عليه أخاه الأمير أبا يحيا ابن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله •

وفى سنة ست وتسعين وستمئة غزا أمير المسلمين يوسف بلاد تلمسان خرج اليها من حضرته بفاس فسار حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشد فى قتالها أياما ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة فأمر ببنائها فبنيت وحصنت أسوارها ، وبنا بها قصبة ودارا ومسجدا وحماما، ونقل اليها قبيل بنى عسكر مع أخيه الأمير أبى يحيا وأمره بالاغارة على مدينة تلمسان وأحوازها مع الساعات والأحيان ورجع الى مدينة فاس •

ثم دخلت سنة سبع وتسعين فيها غزا أمير المسلمين يوسف أيضا مدينة تلمسان فنزل عليها وحاصرها •

وفيها نكب أمير المسلمين جماعة من خدلمه ، منهم عبد العزيز الملزوزي الشاعر ، ومحمد الكنانى ، والفقيه أبو يحيا ابن أيوب (أبىالصبر) وفيها قتل أشياخ مراكش عبد الكريم ابن عيسا وعلي بن محمد الهنتاتي قتلهم ولده الأمير علي المعروف بابن زيجة بكتاب لبس به عليه كاتب أبيه أحمد الملياني •

وفيها مات الأمير أبو زيان •

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمئة فيها نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان النزول الأخير الذي لم يقلع منه الا ميتا رحمه الله .

الخبر عن حصار تلمسان

حرسها الله تعالى

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أصل حصار تلمسان وفناء بني عبد الوادي ان ابن عطو لما فعلما فعل وفر الى عثمان بن يغمراسن ملكها كتب اليه أمير المسلمين يوسف ان يسلمه اليه ، فامتنع من ذالك ، فغزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما الى ان غزاه ثانية فى شهر رجب من سنة سبع وتسعين ، فوصل الى تلمسان ، فخرج اليه عثمان ملكها فقاتله بخارجها فانهزم عثمان المذكور ودخل المدينة وسد أبوابها واعتمد فيها على الحصار ، فحاصره بها أياما ، ثم أقلع عنه ورجع الى مدينة فاس وترك أخاه الأمير أبا يحيا مع قبيلة بنى عسكر بمدينة وجدة ، وأمره بحرب تلمسان وأحوازها وندرومة وماوالاها ، فكان لايرفع عنها يدا بالغارات ، فضاق أهل ندرومة بذالك ذرعا ، فأقبل أشياخها الى الأمير أبى يحيا فبايعوه وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ومكنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ الى أخيه أمير المسلمين يوسف ، فوصلوا الى مدينة فاس فبايعوه بها وذالك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمئة وسألوه التوجه الى بلادهم ليريحهم من عدوهم ، فاتحل من فوره الى مدينة تلمسان فنزلها فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، وكان نزوله عليها فى يوم الثلاثاء وقت الضحا ثاني يوم من شعبان المذكور ، فملك ندرومة وهنين ووهران وتاوانت ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وونشريس ومليانة والقصبات والمدية وتازجدت ، وجميع بلاد بنى عبد الوادي وبلاد تجين وبلاد مغراوة ، وبايعه صاحب الجزائر ،

ووفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذالك محاصر مدينة تلمسان ، وقد أحدقت بها محلاته وجيوشه ، ورتب قواده لقتالها ، فكانوا يخرجون اليها في كل يوم مناوبة الى ان دخل فصل الشتاء ، فابتدأ أمير المسلمين ببناء قصره فبناه في موضع نزوله حيث ضرب قبابه ، ثم بنا جامعا كبيرا ، وأقام فيه الخطبة بازاء قصره ، وأمر الناس بالبناء فانتشر الناس في البنيان بالمحلة يمينا وشمالا ، فأدار السور على قصره وعلى الجامع الذي بازائه ٠

وفي سنة اثنتين وسبعمئة أمر أمير المسلمين يوسف ببناء السور الأعظم على تلمسان الجديدة ، فابتدأ ببنائه في الخامس من شوال من سنة اثنتين وسبعمئة المذكورة ، وتوفي عثمان بن يغمراسن في الحصار فولي بعده ولده محمد المكنا بأبي زيان فضبط بلده وقام بأمره ٠

وفي سنة احدا وسبعمئة توفي ملك الأندلس أبو عبد الله ابن الأحمر ، وولي بعده ولده محمد المخلوع ، فكتب بالبيعة الى أمير المسلمين يوسف ، وبعث اليه بهدية عظيمة ، وتوفي الأمير أبو عبد الرحمان بتلمسان الجديدة فحمل الى رباط تازة فدفن بصحن جامعها ، ووفد على أمير المسلمين يوسف وهو محاصر لمدينة تلمسان وفد أهل الحجاز ورسل الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية عظيمة ، ووفد عليه رسل ملك أفريقية بهدايا جليلة ، وبنا تلمسان الجديدة وهذبها ، وبنا بها الحمامات العظيمة والفنادق والمرستانات وجامعا كبيرا للخطبة اقامه على الصهريج الكبير ، وبنا به منارا عظيما وجعل على رأسه تفافيح من ذهب بسبعمئة دينار ، وأمر صلحاء المغرب بالمشي الى الحجاز ، وبعث معهم مصحفا مكللا بالجوهر والياقوت أهداه الى الكعبة ، وبعث أموالا كثيرة برسم التفريق على أهل مكة والمدينة ، وبعث الى الملك الناصر بأربعمئة جواد من عتاق الخيل بجهازاتها برسم الجهاد وغير ذالك من النفائس والذخائر ، وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك ، وبلغه هناك غدر أهل الأندلس بأهل سبتة في السابع والعشرين من شهر شوال من سنة خمس وسبعمئة ، وكان قد فسد حال أهلها عند أمير المسلمين

يوسف وقطع عنهم جميع المرافق ، وغدر بها الرئيس أبو سعيد فدخلها وملكها وثقف بها بني العزفى وحملهم الى الأندلس ، واحتوا على جميع أموالهم ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف وأن الرئيس أبا سعيد قد تملك سبتة بدعوة المخلوع ، فعظم عليه الأمر وبعث ولده الأمير ابراهيم فى جيش عظيم الى حصارها ، وحشد اليها جميع قبائل الريف وبلاد تازة فلم يغن بها شيئا ، وأقلع عنها مهزوما ، فهجره لذالك والده أمير المسلمين فبقي مهملا ، وقتل أمير المسلمين يوسف غيلة بقصره من حضرة تلمسان الجديدة فى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبعمـئـة ، وجأه في بطنه وهو نائم خصي من فتيانه اسمه (لاسعادة) كان لأبى علي المليانى ، فتوفي من تلك الضربة قريبا من عصر ذالك اليوم ، فحمل الى رباط شالة (١٨٦) من رباط الفتح ودفن به ، والبقاء لله وحده .

---

186) **شالة :** اسم حاضرة مغربية عتيقة واقعة على نهر أبي رقراق غير بعيدة عن مصبه في المحيط الأطلسي حيث المدينتان التاريخيتان : الرباط وسلا ، كانت فى الأصل قرية بربرية وأنشأ بها القرطاجنيون متجرا عرف فى عهدهم باسم سلفيس ، ثم احتلها الرومان وسموها سلا ـ كولونيا ، وكانت فى نهاية ما امتد اليه نفوذهم وانبسط عليه حكمهم من أرض المغرب الأقصا ، واستمرت شالة مستعمرة رومانية مدة تقرب من خمسمئة عام الى أن ضعف أمر الرومان فتدهـورت وخربت ، يقال ان الواندال هم الذين خربوها وذلك غير صحيح لأن أقدامهم لم تطأ المغرب الأقصا ، ولما فتح عقبة بن نافع المغرب أسلم أهلها على يديه ثم ارتدوا بعد استشهاده فـى تهودة الى آن أسلموا مرة ثانية على يد موسا بن نصير ، فتحها الامام ادريس وتداول أبناؤه ملكها من بعده الى أن انتزعها منهم موسا ابن أبى العافية سنة317 هـ وفى أواخر القرن الرابع الهجرى صارت عاصمة لليفرنيين ، وخربت بعد ذالك خلال الحروب التى جرت بين برغواطـة والمرابطين ، وفى هاذا التاريخ زارها الشريف الادريسى الجغرافى المغربى الشهير ، ووصفهـا بأنها حراب وبها بقايا بنيان وهياكل سامية ، ولما أسس الموحدون الرباط أقفرت شالة لما انتقل اليه أهلها وحرفها وصنائعها ، وحاول المرينيون بعدهم تجديد بنائها فسوروها وبنوا بها مدارس ومساجد واتخذوها مدفنا لملوكهم وأعيانهم ، ولكن ذالك لم يعد اليها الحياة ، وقد بدأ العمل فى آول هاذا القرن فى رفع أنقاضها وترميم أآثارها ثم توقف ليستأنف فى السنين الأخيرة .

الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر

ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف

هو أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق ·

كنيته أبو ثابت ·

أمه حرة اسمها بزوا بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق ·

مولده فى غرة رجب من سنة ثلاث وثمانين وستمئة ·

أيامه بويع بعد وفاة جده بحضرة تلمسان الجديدة باجماع من الناس واتفاق من أشياخ مرين وأشياخ العرب على بيعته ، وذالك في صبيحة يوم الخميس الثامن من ذي القعدة عام ستة وسبعمئة ثاني يوم وفاة جده ، وتوفي رحمه الله بقصبة طنجة فى يوم الأحد الثامن من شهر صفر من سنة ثمان وسبعمئة ، فأيامه سنة واحدة وثلاثة أشهر ويوم واحد ، وسنه يوم توفي أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر عدا أسبوع ·

وزراؤه : ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسى ، وابراهيم بن عيسا اليرناني ·

كاتبه الضابط لامره والقائم بأمر ملكه الفقيه عبد الله بن ابى مدين

حاجبه فرج مولاه ، ثم عبد الله الزرهوني ·

قاضيه الفقيه أبو غالب المغيلي ·

لما ولي رحمه الله وتمت بيعته جمع أشياخ مرين والعرب ورؤساء الناس ، فاستشارهم فى أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرحل عنها الى المغرب ؟ فكلهم أشار عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له أدرك بلاد المغرب وسكنه فان عثمان بن علي بن أبى العلاء بسبتة وقد سمع بموت جدك وخرج قاصدا الى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة أصيلة ، وان الناس قد قنطوا فى هاذه البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع

عشرة سنة ، فسر الى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جأش أهلها ، وبعد ذالك تنظر فيما تريده ان شاء الله تعالا ، فلما رأا اجماع الناس على الرحيل بعث الى أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التى كان أخذها جده لهم ، حاشا تلمسان الجديدة التى اختطها أمير المسلمين يوسف فى أيام الحصار ، فانه اشترط عليه ان لايدخلها وأن يبقيها على حالها وأن يتعاهد مساجدها وقصورها بالاصلاح وما تحتاج اليه ، ومن أراد الاقامة بها من أهل المغرب فما لأحد عليه من سبيل ، فاشترط له ذالك كله (١٨٧) وبعث الى جيوش جده وجنوده ورماته وحصصه التى كانت متفرقة في بلاد المشرق تضبط ثغورها فأتوه وأسلموا البلاد الى أهلها ، وكتب الأوامر الى قواعد المغرب يخبرهم بوفاة جده وبيعته ، وقدم الى مدينة فاس ابن عمه الأمير أبا علي ابن الأمير عامر بن عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله فى جيش عظيم ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها ، وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ، ففعل ذالك ، وقتل عم أبيه الأمير أبا يحيا ، ثم قتل عمه الأمير أبا سالم ابن أمير المسلمين يوسف ، وارتحل الى المغرب عن مدينة تلمسان فى أمم لاتحصا ، وذالك فى غرة ذى الحجة من سنة ست وسبعمئة ، فعيد عيد الأضحا بالطريق بين مدينة وجدة ومدينة تلمسان ، ثم ارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى المحرم من سنة سبع وسبعمئة ، فأقام بها الى السابع من رجب ، فاتصل به أن يوسف بن محمد ابن ابى عياد قائده على مدينة مراكش قد خرج عليه بها ودعا لنفسه وقتل عاملها الحاج المسعود، فخرج الى حربه وقدم له بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى ويعقوب ابن أزناك فى جيش من خمسة ألاف فارس ، فالتقوا بعدوة وادي ام الربيع فهزموه فرجع الى مراكش مهزوما ، فقتل جمعا من الروم الذين بها وسبا ديارهم وخرج منها الى أغمات ، فلم يستقر بها ، ففر الى جبال هسكورة،

---

187) ما كاد الجيش المغربى ينسحب عن تلمسا حتى خرج العبدالواديون منها كأنما نشروا من القبور ، وكان أول شيء فعلوه تخريب تلمسان الجديدة في ظرف وجيز .

فنزل على مخلوف بن هنو من أشياخ الهساكرة دخيلا عليه ، فغدر بــه وثقفه بالحديد ودخل أمير المسلمين عامر حضرة مراكش فى غرة شعبان من سنة سبع المذكورة ، فسيق له يوسف بن محمد بن أبى عياد يرسف فى القيود ، فقتله بالسوط ثم قطع راسه وبعث به الى مــدينة فــاس ، فطيف به فيها ، وقتل ممن كان معه ووازره على فعله نيفا على ستمئة رجل وعلق رؤوسهم من باب الرب احد ابواب مدينة مراكش الى برج دارالحرة عزونة ، وقتل فى أغمات كذالك ، ثم خرج فى الخامس من شعبان المذكور الى بلاد تامزورت فنزل بها ، فبعث اليه السكسيوي وقبائل زكنة بالبيعة والهدية والضيافة ، وبعث قائده يعقوب ابن أزناك فى جيش من ثلاثة ءالاف فارس الى بلاد حاحة برسم قبائل زكنة ، ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة ، فكر راجعا الى بلاد تامزورت فوجد أمير المسلمين عامر ينتظره بها ، فأعلمه بهدنة البلاد وسكونها ، فارتحل أمير المسلمين الى مراكش، وذالك يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع المذكورة ، فدخل لمراكش وأقام بها الى الخامس عشر من رمضان المذكور ، وخرج الــى رباط الفتح فاخذ على بلاد صنهاجة وجاز وادي أم الربيع من مجاز كتامة فى القوارب الكثيرة ، ثم ارتحل فى بلاد تامسنا ، فتلقته بها وفود العرب من الخلط والعاصم وبنى جابر وغيرهم من بنى جوشم برسم السلام عليه والوداع له ، فلم يأذن لأحد منهم فى الانصراف ، وسار حتى نزل بظاهر مدينة أنفا ، ثم دعا بأشياخ العرب ، فثقف منهم ستين شيخا بسجن انفا، وضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريــق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا ، وارتحل الى رباط الفتح فدخلها فى اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم المذكور ، فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين ، وارتحل برسم عرب رياح الذين هم بأبى الطويل والجزائــر وفحص أزغار (١٨٨) وذالك فى الخامس عشر من شوال مــن سنة سبع

---

188) سهول الغرب ابتداء من قرية سيدى قاسم بوعنسرية الى المحيط الاطلسى .

وسبعمئة المذكورة ، فغزاهم وقتل منهم خلقا وسبا ذراريهم وأموالهم وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى نصف ذي القعدة من العام المذكور ، فأقام بها حتى عيد عيد الأضحا ، فخرج برسم حصار سبتة ، وذالك فى رابع عشر ذي الحجة ، فسار حتى وصل قصر عبد الكريم ، فأقام عليه ثلاثة أيام حتى استوفت عليه قبائل مرين والعرب ورماة البلد ، وارتحل الى قلعة علودان ، فدخلها بالسيف ، ودخل قلعة دمنة ، فقتل الرجال وسبا النساء والذرية والأموال ، وسبب فعله ذالك بهم أنهم كانوا قد بايعوا عثمان ابن أبى العلاء ودلوه على الطريق وجوزوه على بلادهم وبالغوا فى تضييفه واكرامه ، ودخلوا قصر عبد الكريم وبلد أصيلة ونهبوا كثيرا من أموالهما ، ولما فرغ من أهل جبل علودان ارتحل فدخل مدينة طنجة فى أول المحرم عام ثمانية وسبعمئة ، ثم أخذ فى بعث الجيوش الى أحواز سبتة ، وشرع فى بناء مدينة تطوان وبعث الفقيه أبا يحيا ابن أيوب (أبى الصبر) رسولا الى ابن الأحمر يطلب منه ان يتخلا له عن سبتة ، وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما يأتى به رسوله ، فعاجله الموت ، فتوفي بها فى يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة المذكورة ، وحمل الى شالة من رباط الفتح ، فدفن بها مع سلفه رحمهم الله ورضي عنهم ، فولي بعده أخوه سليمان ابن الأمير عبد الله ·

الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان

ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف

هو الأمير سليمان ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق ·

كنيته : أبو الربيع ·

أمه : أم ولد مولدة من تالد العرب اسمها زيانة ·

كاتبه : كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبـي مدين ، وهو المدبـر لدولته الى أن قتله ، فاستكتب مكانه أخاه الحاج الفقيه محمد ابن أبىمدين

وزراؤه : ابراهيم بن عيسا الياباني ، وعبد الرحمان بـن يعقوب الوطاسـي ٠

بويع له بقصبة طنجة بادارة كاتب أخيه ووزرائه ؛ وذالك يـوم الاثنين التاسع من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ، وسنه يوم بويع تسع عشرة سنة وأربعة أشهر ، فثقف عمه علي المعروف بابن أبى زريحة ، فانه كان قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس ، فقبض عليه وثقفه وبعث الـى من فى محلة تطوان الذين كانوا بها فأقبلوا اليه ، ففرق الأموال فى قبائل بني مرين والعرب والأندلس والأغزاز والرماة ، وارتحل الى مدينة فاس، فخرج ابن أبى العلاء من سبتة فى جمع عظيم من رجاله وبنيه واخوانـه ليضرب على محلته ليلا ، فأخبر بذالك أمير المؤمنين سليمان ، فارتحـل تلك الليلة فى نصف الليل فالتقا به وهو راحل ، فكانـت بينهما حـروب شديدة فر فيها ابن أبى العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكره وقتل ألاخرون وسار أمير المسلمين سليمان الى مدينة فاس فدخلها فـى اليوم الحادي عشر من ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة ، فأقام بها مولد النبي صـلا الله عليه وسلم وفرق الأموال وتهدنت البلاد واستقامت لـه الأحوال وخدمته الملوك ، وجدد الصلح مع أصحاب تلمسان ٠

وفى ألاخر يوم من ذي القعدة قتل أمير المؤمنين سليمان كاتبه القائم بأمره الفقيه عبد الله ابن أبى مدين فكانت أيام كتابته له وقيامه بـأمره تسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما ٠

وفى غرة ذي الحجة من سنة ثمان المذكورة بعث أمير المسلمـيـن سليمان قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسي الى حصار سبتة ، فسار اليها فى جيش عظيم من بني مرين ففتحها عنوة بأمر أشياخها وموافقة عامتها، فانهم كرهوا امارة أهل الأندلس عليهم ، وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة ، وكتب تاشفين بالفتح الى أمير المسلميـن

سليمان ، وبعث اليه باشياخها وقبض على قائدها متولى حربها الشيخ ابى علي عمر بن رحو بن عبد الحق ٠

وفى شهر جمادا الأولا فى أول يوم منه عزل أمير المسلمين قاضيه أبا غالب المغيلى عن قضاء مدينة فاس ، وقدم على قضائها الفقيه المشاور أبا الحسن علي المعروف بالصغير (١٨٩) ٠

وفى شهر جمادا المذكور صالح أمير المسلمين سليمان ابن الأحمر على أن أعطاه الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما ، وطلب منه العروسة أخت ابن الأحمر فأنعم له بذالك كله ، وبعث اليه الأموال والخيل برسم الجهاد مع ثقته عثمان بن عيسا اليرنيانى ٠

ثم دخلت سنة عشر وسبعمئة فى شهر جمادا الاولا منها هرب وزيره عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي وابن رحو وقائد الروم غنصالو الى رباط تازة ، وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من بنى مرين على خلع سليمان وتولية عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، ولما استقروا برباط تازة بعثوا الى عبد الحق فاتاهم فبايعوه وتسما بأمير المسلمين واخذ فى جمع الجيوش ، وكتب الى خاصته من بنى مرين والعرب والأشياخ يدعوهم الى بيعته ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين سليمان فخرج نحوه الى رباط تازة ، وقدم بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى وعمر بن موسا الفودودى فى جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو فى أثرهم ، فلما اتصل خبر قدومه بعبد الحق القائم وابن رحو وابن يعقوب علموا أن ما لهم بحربه من طاقة ، وكانوا يظنون أنه لايخرج اليهم ، ففروا ليلا عن رباط تازة وساروا الى تلمسان ، ثم جازوا منها الى الأندلس ، فدخل أمير المسلمين سليمان رباط تازة ، فقتل فيها ناسا ممن كان بايع عبد الحق وتابعه على أمره ، وأقام بها فاعتراه مرض ونفذ الأجل ، فتوفي بها ليلة الأربعاء بين العشاءين منسلخ جمادا الأخرا من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٣

---

189) على بن عبد الحق الزرويلى ، المعروف بابى الحسن الصغير ، ينظر عنه **جذوة الاقتباس** ص 299 وسلوة **الانفاس** 3 : 147 .

نونبر سنة ١٣١١ م) ، ودفن فى ليلته تلك بصحن جامعها ، فكانت أيامه سنتين وخمسة أشهر ، وكانت كلها غالية ، لم يزل السعر بها مرتفعا ، الا أنها كانت ممعشة ، وغلت فى أيامه الأملاك فبيعت الدار فى أيامه بألف دينار ذهبا ، واتخذ الناس فى ايامه الدواب والكسا والحلي ، وتأنقوا فى فى البنيان بالزليج والرخام والنقوش ٠

قال المؤلف عفا الله عنه :

بل كان هروب الوزير ابن يعقوب وابن رحو وغيرهما من حضرة فاس يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثانى من سنة عشر وسبعمئة المذكورة خلافا لما نلقناه عن البعض والله أعلم ٠

الخبر عن دولـة ملك الزمان ، وسراج الأوان

الامام السعيد ، والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبى سعيد عثمان

هو الخليفة فى وقتنا هاذا ، وهـو سنة ست وعشرين وسبعمئة ، أطال الله أيامه ، وخلد ملكه ونصر أعلامه ، وأمضا فى الأعادي سيوفه وأقلامه ، وهو عثمان أمير المسلمين المنصور بالله ، ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق ٠

كنيته : أبو سعيد ٠

لقبه : السعيد بفضل الله ٠

أمه : حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبي عطية مهلهل بن يحيا الخلطي ٠

مولده : يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادا الأخرا من سـنـة خمس وسبعين وستمئة (٨ دجنبر سنة ١٢٧٦ م) ٠

صفته : أبيض اللون أزهره ، معتدل القد ، مليح الوجه ، جميـل الصورة ، حسن القبول ، وطيء الأكتاف ، لم يزل متواضعا فى ذات الله

تعالا ، شديدا فى حدود الله تعالا ، شفيقا رفيقا جوادا كريما ، متوقفا فى سفك الدماء ، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل ، وهو أحد السواس من الملوك ، اذا أعطا أغنا ، واذا قدر عفا ، لايقدر على عطائه أحد من الملوك

وزراؤه : فى أول دولته يوسف بن عيسا الحشمي ، وأبو علي عمر ابن موسا بن عمران الفودودي ، ثم توفي فاستوزر بعدهما أبا عبد الله ابن أبى بكر بن علي ، وابراهيم بن عيسا اليرنيانى ٠

كتابه : الحاج الفقيه محمد بن أبى مدين ، ومنديل الكنانى ، ثم توفي فكتب له بعدهما الفقيه الأجل ، الكاتب الأبرع الأحفل ، عبد المهيمن ابن الفقيه العالم الأوحد المشاور المجتهد القاضى الأعدل محمد الحضرمي ، والفقيه الكاتب صالح ابن حجاج ، والفقيه الكاتب أحمد ابن القواق ٠

قضاته الفقيه القاضي أبو عمران الزرهونى ، ثم الفقيه الأجل العالم الأوحد المشاور المجتهد قاضي الجماعة محمد ابن الشيخ الفقيه العالم المحدث المجتهد الصالح الورع المبارك قاضى الجماعة أبى الحسن بن أبى بكر المليلى ٠

أطباؤه : أبو عبد الله ابن الغليظ الاشبيلى ، ثم ولده الوزير أبو الحسن ، والوزير أبو محمد غالب الشقوري ٠

بويع له بالخلافة ليلة الأربعاء منسلخ جمادا الاخرا من سنة عشر وسبعمئة بقصبة رباط تازة ، بايعه الوزراء والكتاب والأشياخ والخاصة، وكتب الأوامر فى تلك الليلة وصرف بها البريد للبلاد يخبر بوفاة سليمان وبيعته ، وبعث ولده الأمير الأجل ، المبارك الأسعد الاكمل ، أبا الحسن علي الى مدينة فاس ، فوصلها في وقت العصر من يوم الاربعاء غرة شهر رجب من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٤ نونبر سنة ١٣١١ م) ، فدخل المدينة الجديدة دار ملكهم وقرار سلطانهم ، فملكها وضبط أمرها ، وحاز القصر وبيوت الأموال والخزائن والسلاح ، وأمر بضـرب الطبول وعمل المفرجات ، ولما أصبح أمير المسلمين يوم الاربعاء غرة رجب المذكور ركب من قصر رباط تازة الى خارج المدينة فى زي عجيب ، واحتفال عظيم ،

فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مرين وكافة العرب والأندلس والاغزاز وقواد الروم ، ثم بايعه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه ، وذالك لما جمع الله عز وجل فيه من الخلال السنية ، والأخلاق السرية المرضية ، والشيم المحمودة ، والمئاثر الجميلة المشهودة ، والحزم والدين ، والشفقة على جميع المسلمين ، والفضائل الوافية ، والسياسة الشافية التى لاتصلح الخلافة الا بها ، فكان كما قيل :

أتته الخلافة منقادة	اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له	ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره	لزلزلت الأرض زلزالها

ولما تمت له البيعة واستقام له الأمر فرق الأموال على قبائل بنى مرين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والصلحاء ، وأحسن الى الخاصة والعامة ، وجلس للنظر فى أمور بلاده ورعيته ، وباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحط المغارم ، وسرح أهل السجون الا أهل الفساد فى الأرض منهم وأصحاب الدماء ومن حبس فى حق شرعى ، وأمر بتفريق الصدقات فى الضعفاء وأهل الستر من البيوتات ، ورفع عن أهل مدينة فاس ماكان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة ، فصلح حال الناس فى أيامه وكثرت الخيرات فى أيديهم ، فالأيام بدولته مشرقة ، والخيرات بها متتابعة متسقة ، والرعية بحمد الله بها فى جنات ذات منزل رحب ، ومشرب عذب ، وظل ظليل ، وحرز كفيل ، وخير كامل ، وصلاح شامل ، فلياليهم مشرقة بواسم ، وأيامهم أعياد ومواسم ، وذالك بيمن خلافة أمير المسلمين وبركة امامته التى اتخذ الحق فيها امامه ، وملك يده زمامه ، وأجرا عليه فى القوي والضعيف أعماله وأحكامه ، ورفع لدعوة المظلوم حجابه ، وفتح على الضعفاء بالخير بابه ، ووطأ الرعية بالحلم أكنافه ، وأفاض عليهم عدله وبذل انصافه ، أطال الله عمره وخلد ملكه ٠

وفى العشر الاواخر من شهر رجب خرج أمير المسلمين أبو سعيد

عثمان من رباط تازة الى مدينة فاس ، فدخلها وقدمت عليه وفود البلاد بها وفقهاؤها وقضاتها واشياخها للسلام والتهنئة بالخلافة ، فاقام بمدينة فاس وعيد بها عيد الفطر •

وفى شهر ذي القعدة خرج أمير المسلمين عثمان من مدينة فاس الى رباط الفتح برسم التفقد لأمور رعيته والنظر فى احوال بلاد الأندلس وانشاء الأجفان لغزو العدو ، فوصلوها فى آخر ذي القعدة (الثلاثاء ٢٠ ابريل سنة ١٣١٢ م) فعيد بها عيد الأضحا واصلح أحوالها وامر بانشاء الأجفان فى بحرها ، ورجع الى مدينة فاس •

وفى سنة احدا عشرة وسبعمئة ولا أمير المسلمين عثمان أخاه الأمير يعيش الجزيرة ورندة وأحوازهما من بلاد الأندلس وامر بانشاء الاجفان بدار صناعة مدينة سلا برسم غزو الروم ، وكان بهذه السنة قحط ، فاستسقا الناس له ، فخرج أمير المسلمين عثمان الى اقامة سنة الاستسقاء ، فمشا على قدميه حتى وصل المصلا والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر ، كل ذالك خضوعا لله تعالا وتواضعا لجلاله واقامة لسنة نبينا محمد صلا الله عليه وسلم ، وقدم بين يدي نجواه الصدقات ، وفرق الأموال فى ذوي الحاجات ، وكان خروجه للاستسقاء المذكور فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدا عشرة وسبعمئة المذكورة (٥ يناير سنة ١٣١٢ م) ، ثم سار فى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المذكور فى جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتين لزيارة قبر الشيخ الصالح أبى يعقوب الأشقر (١٩٠) نفع الله به ، فدعا الله تعالا هنالك ، فقبل المولا دعاءه ، ورحمه ورحم بلاده ، وأغاث عباده ، ولم يرجع من هنالك الا بالمطر العام بجميع البلاد•

ولم يزل أمير المسلمين ابو سعيد عثمان أطال الله أيامه من أول

---

190) هو يعقوب بن الأشقر البهلولى المنسوبة اليه حمة مولاى يعقوب قرب فاس توفى سنة 689 هـ والمعروف أن الجبل المدفون فيه يسما جبل بنى بهلول ، وقد سماه المؤلف هنا جبل الكندر ، وسماه فى محل آخر باتى جبل الكندرتين ، فآثرنا التسمية الثانية حتى لا يلتبس بجبل كندر الواقع جنوبى فاس حيث مصطاف موزار الحالى .

خلافته الى الآن يعود المرضا ويشهد جنائز الصلحاء ويعطي الشرفاء والفقهاء والصلحاء فى كل سنة الأموال والخلع والزرع وجميع مايحتاجون اليه .

وفى سنة ثلاث عشرة وسبعمئة خرج على أمير المسلمين عدي بن همو الهسكوري ببلاد هسكورة ، فخرج اليه أمير المسلمين حتى نزل على قلعته ، فأمكن الله تعالا منه ، فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف فى الحديد وقدمه بين يديه موثقا مغلولا الى مدينة فاس فثقفه بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس الى غزو تلمسان ، فسار حتى وصل وادي ملوية (١٩١) فى أمم لاتحصا وجيوش عظيمة لايعلم لها عدد ، فقدم بين يديه ولديه الاميرين أبا الحسن علي وأبا علي عمر بمحلتهما وجيوشهما ، وسار هو بمحلته خلفهما فى بلاد يغمراسن ياكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها ، فسار حتى وصل مدينة وجدة فنزلها وقاتلها قتالا شديدا ، ثم ارتحل عنها نحو تلمسان حتى نزل بالمعلب ، فبعث ولده الأجل أبا الحسن علي حتى وقف على بابها ، فلم يخرج له أحد من بنى عبد الوادي ، ولا ظهر له أحد فى ذالك الوادي ، واعتمد أميرها موسا بن عثمان فيها على الحصار ، وترك بلاده ورعيته للدمار ، ولما هتك أمير المسلمين أبو سعيد عثمان جميع أحواز تلمسان وهتك جبال بنى يزناسن وفتح معاقلها رجع الى رباط تازة فأقام بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة ، فى شهر ذي الحجة منها ، عقد أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبى علي عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وما والا ذالك الى الصحراء ، وفوض لـه الأمر فى خراجها وجميع أمورها .

وفى هاذه السنة ولا أمير المسلمين أبو سعيد القائد يحيا ابن الفقيه

---

191) فى الأصل مدينة ملوية ، ولعلها خطا من المؤلف او من الناسخين ، الا ان يكون عنا بمدينة ملوية قرية كرسيف الحالية .

أبى طالب العزفى مدينة سبتة وفوض له فى جميع أمورها وعقد له على أسطولها •

وفى سنة خمس عشرة وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ببناء الباب أمام القنطرة من مدينة الجزيرة الخضراء ، ثم بعد ذالك أدار الستارة بالمدينة المذكورة •

وفيها سار أمير المسلمين الى حضرة مراكش فأقام بها مـدة حتى أصلح أحوالها وعاد الى مدينة فاس •

وفى سنة ست عشرة وسبعمئة نزل القائـد يحيا (ابـن أبى طالب العزفى) بجبل الفتح وحاصره أياما حتى دخل ربضه •

وفيها أفسد يحيا المذكور أجفان الروم ببحر الزقاق وقتل قائدهـا جزماق ، وكان أذاية على المسلمين فروح الله منه •

وفى شوال من هاذه السنة ثار القائد يحيا العزفى بسبتة وتمنع عن الوصول الى حضرة أمير المسلمين ابى سعيد عثمان ، فبعث أمير المسلمين الى حصاره وزيره ابراهيم بن عيسا اليرنيانى ، فسار اليه فى جيش عظيم وحاصره مدة •

وفى سنة تسع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس الى طنجة برسم النظر فى أمر سبتة وبلاد الأندلس •

وفيها أمر ببناء الجيوب فى رأس قبور الأغزاز فبنيت ، وأقام أمير المسلمين بمدينة طنجة أياما ثم رجع الى مدينة فاس •

وفى شعبان من سنة عشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الـى مراكش فأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وتفقد أمورها وضبط ثغورهـا واستخلف عليها كندوز ابن عثمان ورجع الى مدينة فاس فدخلها فـى آخر سنة عشرين •

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة تحرك أمير المسلمين عثمان الـى رباط تازة فأقام به مدة من ثلاثة أشهر ، وأمر بـبـنـاء حصن تاوريرت

وشحنه بالرجال والرماة والخيل ، وفي هاذه السنة أمر ببناء سور مدينة كرسيف ٠

وفى ربيع الثانى من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراكش فوصلها وأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وهدن انحاءهـا وضبط ثغورها ورجع الى مدينة فاس ٠

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كـان القحط الشديـد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج أيضا أمير المسلمين الى اقامة سنة الاستسقاء ، وقدم بين يديه الصدقات ٠

وفى سنة أربع وعشرين وسبعمئة وصدر من سنة خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب ، وارتفع السعر فى جميع البلاد ، وغلت الأسعار فى جميع الامصار ، فوصلت صحفة القمح تسعين دينارا ، ومـد القمح خمسة عشر درهما ، والدقيق أربع أواقى بدرهم ، واللحم خمس أواقي بدرهم ، والزيت أوقيتان بدرهم ، والعسل كذالك ، والسمن أوقية ونصف بدرهم ، وعدمت الخضر بأسرها ، دام ذالك من أول سنة أربع وعشرين الى شهر جمادا الأولا من سنة خمس وعشرين ، فأغاث الله عـز وجـل بلاده ، ورحم عباده ، وصنع أمير المسلمين فى هاذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير مالايقدر واحد على وصفه ، فتح لهم أهراء (١٩٢) الزرع وأخرجه للبيع ، فبيع أربعة دراهم للمد ، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما ، وأمر بالصدقات ، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة ، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهبا الى ربع دينار ، ولم يزل من يوم ولايته الى الأان يأمر بالجباب والأكسية فى زمن الشتاء والقر للضعفاء والمساكين ، وأمر بمن مات من الغرباء أن يجهز ويكفن فى الثياب الجديدة ويقام بحق دفنهم أحسن قيام ، نفعه الله تعالا بفعله ، وأبقا على المسلمين أيامه بمنه وفضله ، انه سميع مجيب

---

192) جمع هرى : مخزن الزرع ونحوه ، والكلمة لاتينية معربة ، ما زالت مستعملة بهاذا المعنا الى الآان فى عامية المغرب .

الخبر عن الأحداث التى كانت بالمغرب

من سنة ست وخمسين وستمئة إلى سنة ست وعشرين وسبعمئة

فى سنة ست وخمسين وستمئة بويع أمير المومنين يعقوب رحمه الله بمدينة فاس .

وفى سنة ثمان وخمسين وستمئة غدر النصارا بمدينة سلا فدخلوها بالسيف فكان بها الحادث العظيم وذالك ثانى يوم من شوال .

وفى سنة تسع وخمسين كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب رحمه الله وجيش المرتضا .

وفى سنة احدا وستين وستمئة توفي الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يعقوب على مدينة مراكش .

وفيها كان ظهور النجم أبى الذوائب ، وذالك يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة ، وبقي يطلع كل ليلة فى وقت السحر مدة من شهرين .

وفى هاذه السنة جاز المجاهدون من بنى مرين الى الأندلس برسم الجهاد تطوعا ، وكان رئيسهم عامر ابن ادريس والحاج التاهرتي .

وفى سنة اثنتين وستين توفي أبو العلاء ابن طلحة عامل أمير المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة هدم الفقيه العزفى سور مدينة أصيلة وقصبتها .

وفى سنة أربع وستين وستمئة قدم أبو دبوس على أمير المسلمين يعقوب بحضرة فاس مستنصرا به .

وفى سنة ست وستين وستمئة سرق بيت المال من قصبة مدينة فاس ، سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمئة قلادة .

وفى سنة ست وستين المتقدم ذكرها كانت غزاة أمير المسلمين يعقوب ليغمراسن بن زيان بمدينة مليانة (١٩٣) فملكها ٠

وفى سنة سبع وستين وستمئة توفي الشيخ الصالح أبــو مــروان الونجاسي بمدينة سبتة ٠

وفيها غزا أمير المسلمين محمد بن يحيا الحفصى الملقب بالمستنصر ملك أفريقية عرب رياح فقتلهم وغنم أموالهم وسبا نساءهم ورجــع الــى تــونس ٠

وفيها وصلت هدية المستنصر ملك أفريقية الى أمير المسلمين يعقوب رحمه الله مع أبى زكرياء ابن صالح ٠

وفى شهر صفر من سنة ثمان وستين وستمئة دخل الروم مديــنــة العرائش فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وأضرموها نارا وارتحلوا عنها فى أجفانهم ٠

وفيها قتل طلحة بن علي يعقوب بن عبد الله ٠

وفي يوم عيد الأضحا منها ولد الأمير مسعود ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعــقــوب وتوفي بطنجة فــى ذي الحجة سنــة اثنتين وتسعين ٠

وفى غرة محرم من سنة ثمان وستين وستمئة (السبت ٣١ غشت سنة ١٢٦٩ م) ملك أمير المسلمين يعقوب حصن مراكش فدخلها ٠

وفى يــوم الأربعاء بــعــد صــلاة العصر وليلة الخميس الخامس والعشرين لذي الحجة من سنة ثمان وستين وستمئة (١٩٤) نزل لويس

---

193) كذا بالأصل ، والحقيقــة ان النصر الذى حققه يعقوب بن عبد الحق المرينى فــى السنة المشار اليها على خصمه يغمراسن بــن زيان كان بوادى تلاغ القريب من قرية كرسيــف لا بمليانة التى لم يصل اليها يعقوب المرينى قط لبعدها ، انظر ص 305 من هاذا الكتاب ٠

194) كذا بالأصل ، والذى عند العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى فى **خصلات تاريخ تونس** ان نزول الفرنسيين باطلال قرطاجنة وقع فى اخر ذى القعدة عام 668 (21 يوليوز سنة 1270 م) ٠

التاسع الملقب بالقديس ملك الافرانسيس الرومى مدينة تونس فى مراكب لاتحصا فنزلوا فى البر وملكوا حصن القعلة ، وهم فى أمم لايعلم لها عدد ومددهم فى البحر متصل ، فكانت الروم فى أربعين الف فارس ، ورماتها مئة ألف رام ، ورجالها مئة الف راجل (١٩٥) ٠

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى من سنة تسع وستين توفي لويس التاسع ملك الافرنسيس المحاصر لتونس فاقلعوا عنها بسبب وفاته (١٩٦) ٠

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المسلمين يعقوب العرب ببلاد درعة ٠

وفيها نافق محمد ابن ادريس وموسا ابن رحو بجبل أمركو من أحواز فاس فحاصرهم به أمير المسلمين يعقوب ثلاثة أيام فأذعنوا للطاعة فعفا عنهم ٠

وفى رجب من سنة سبعين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب بلاد يغمراسن بن زيان فهزمه بوادي ايسلي وفر الى تلمسان مهزوما فحاصره بها مدة ٠

وفى سنة اثنين وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين مدينة طنجة ، وفيها نزل الأمير يوسف سبتة ٠

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين يعقوب مدينة سجلماسة ٠

وفى ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمئة (السبت ٢١ مارس سنة ١٢٧٦ م) أسست المدينة الجديدة على وادي فاس ٠

وفى ثانى شوال المذكور قتل العامة من اليهود لعنهم الله بمدينة فاس مايزيد على اثني عشر الفا ، فكفهم أمير المسلمين عنهم ٠

---

195) هاذه من مبالغات ابن أبى زرع ومؤرخى العصر الوسيط على العموم ، والمحقق تاريخيا أن عدد جيش لويس التاسع النازل معه بتونس لم يتجاوز أربعين ألفا .

196) الذى عند الأستاذ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن لويس التاسع توفى يوم عاشوراء عام 669 هـ (31 غشت 1270 م) .

وفيها جاز أمير المسلمين الجواز الأول الى الأندلس برسم الجهاد ٠

وفيها ملك من بلاد الاندلس الجزيرة الخضراء ومدينة طريف ورندة

وفيها كانت غزاة دون نونيودي لارا

وفيها بنيت قصبة مكناسة ٠

وفى سنة خمس وسبعين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب الى الجهاد الجواز الثانى ٠

وفيها توفي الرئيس عبد الله ابن أشقيلولة بمالقة ٠

وفى ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وستمئة نزلت أفروطة الروم على الجزيرة الخضراء ٠

وفيها وصلت هدية يحيا الواثق ملك أفريقية ٠

وفى شعبان منها غدر عمر بن علي عامل أمير المومنين على مالقة وباعها لابن الأحمر ٠

وفى شوال منها نافق مسعود ابن كانون السفيانى ٠

وفيها بني الجامع بالمدينة الجديدة ٠

وفى سنة ثمان وسبعين أفسد المسلمون الأفروطة المحاصرة للجزيرة الخضراء ٠

وفى سنة تسع وسبعين وستمئة توفي أبوزيان بن عبدالقوي التجينى ٠

وفيها كان الجراد ببلاد المغرب ، أكل جميع زروعها فلم يترك بها مخضرا ، وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع ٠

وفيها علقت الثريا فى الجامع الجديد بفاس ، وذالك يوم السبت السابع والعشرين لربيع الأول من العام المذكور ووزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مئة كأس وسبعة وثمانون كأسا ٠

وفيها نزل الرئيس ابو الحسن ابن اشقيلولة والفونسو العاشر مدينة غرناطة ٠

وفى سنة ثمانين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب يغمراسن بنزيان فهزمه بالمعلب من أحواز تلمسان ·

وفيها توفي عبد الواحد السكسيوي الثائر بأحواز مراكش ·

وفى شهر ذي القعدة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريز ·

وفيها توفي مسعود بن كانون السفياني ·

وفى سنة احدا وثمانين وستمئة توفي القائد الرنداحى بسبتة ·

وفيها جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد ، وهو الجواز الثالث ، فاجتمع مع ألفونسو العاشر على صخرة عباد ، وأعطاه ألفونسو تاجه رهنا فى مئة ألف دينار ·

وفيها هرب الملند الرومي من قصبة فاس ·

وفيها دخل أحمد ابن مرزوق الشهير بابن أبى عمارة مدينة تونس وذالك فى أول شهر ذي القعدة ·

وفيها قتل الأمير أبو اسحاق بالقرب من قسنطينة ·

وفيها توفي يغمراسن بن زيان ·

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمئة نزل أمير المسلمين يعقوب مالقة·

وفى شهر محرم منها مات ألفونسو الأحول أخزاه الله (١٩٧) ·

وفى ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين من الجزيرة الخضراء حتى جاز البرت وغزا أحواز طليطلة ·

وفيها توفي الأمير تاشفين بن عبد الواحد ببلاد الأندلس ·

وفى سنة ثلاث وثمانين وستمئة وصل ماء عين غبولة الى قصبة رباط الفتح بأمر أمير المسلمين يعقوب على يد علي ابن الحاج المهندس ·

وفيها ملك ابن الأحمر حصن قمارش ·

---

197) أى الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ، توفى طريداً مهزوماً فى السنة التالية للتاريخ الذى يذكره ابن زرع أى فى سنة 683 هـ الموافقة لسنة 1284 م .

وفيها مات ابن أبى عمارة بتونس فتولا أبو حفص (عمر ابن أبـى زكرياء يحيا الملقب بالمستنصر الثاني) •

وفي العشر الأول من شعبان منها توفي الأمير عيسا بن عبد الواحد على شريش بسهم مسموم •

وفى السادس من شهر رمضان منها توفيت الحرة أم العز بنت محمد ابن حازم برباط الفتح فدفنت بشالة •

وفى سنة أربع وثمانين وستمئة جـاز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الى الجهاد وهو الجواز الرابع

وفى محرم من سنة خمس وثمانين وستمئة توفي أمير المسلميـن يعقوب رحمه الله •

وفيها بنيت قصبة تطوان •

وفيها عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس ، بديء بالعمل فيها فـى شهر رجب من سنة خمس وثمانين ودارت فـى شهر صفر من سنة ست وثمانين •

وفي سنة ست وثمانين غزا أمير المسلمين يوسف العرب بقبلة بلاد درعـــة •

وفى شهر رمضان منها بني سور قصر المجاز وركبت أبوابه •

وفيها غـرست المصارة (١٩٨) وبنيت الـدار البيضاء مـن الـبـلاد الجديدة •

وفيها دخلت جزيرة ميورقة من بلاد شرق الأندلس دخلها الـعـدو دمره الله وذالك فى شهر ذي الحجة منها

وفيها قتل طلحة بن محلى الثائر بسوس •

وفى سنة سبع وثمانين فتح الملك المنصور صاحب الديار المصريـة

---

198) أنظر ص 41 من هاذا الكتاب .

مدينة طرابلس الشام •

وفيها أعطا أمير المسلمين يوسف وادي آاش وجميع أحوازها الـى ابن الأحمر •

وفيها توفـي الرئيس أبـو الحسن ابـن أشقيلولة بقصر كتامة مـن بلاد العدوة •

وفيها أخر الفقيه أبو حامد البقال عن قضاء مدينة فاس وولي القضاء مكانه الخطيب محمد ابن أيوب (أبى الصبر) •

وفيها ثار الأمير أبو عامر بحضرة مراكش •

وفى سنة سبع وثمانين وستمئة غزا أمير المومنين يوسف مديـنـة تلمسان وحاصرها ونصب عليها المجانيق •

وفى آاخر سبع وثمانين المذكورة كانت الريح الشرقية المتوالـيـة والقحط الشديد ، وتوالا ذالك الى آاخر عام تسعين ، ولم ينزل مطر الى شهر ابريل من سنة تسعين ، فحرث الناس عند ذالك وحصدوا ماحرثوه من زرع عن أربعين يوما •

وفيها توفي الشيخ الفقيه أبو يعقوب الأشقر بالكندرتين من بلاد بنى بهلول (١٩٩) وانفسدت قطائع المسلمين فى شعبان سنة تسعين •

ونزل علي بن يوسف بن يزكاتن مدينة شريش فى عام تسعين •

وفى رمضان منها جاز أمير المسلمين يوسف برسم الجهاد ، فنزل حصن يحيا ، وفيه بني جامع تـازة ، وفيه نـزل سانشو مدينة طـريف فحاصرها حتىملكها فى آاخر شوال منه (عام ٦٩١ — الاثنين ١٣ اكتوبر ١٢٩٢ م) •

وفيه فتح الملك الاشرف مدينة عكا •

---

199) هو المعروف بمولاى يعقوب المنسوبة اليه الحمة الشهيرة قرب فاس ، وكانت وفاته سنة 689 هـ . انظر عنه **سلوة الأنفاس** 3 : 216 .

وفيه بنيت قبة مكناسة ورباعها ·

وفى شعبان منه نافقت تازوطة ·

وفيه أعطا ابن الأحمر الحصن الأبيض لسانشو الباسل ·

وفيه أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه فى جميع بلاده·

وفى سنة اثنتين وتسعين فتح حصن تازوطة ·

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمئة فرغ من بناء جامع تازة ، وعملت الثريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس ، وعدد كؤوسها خمسمئة كأس وأربعة عشر كأسا ، وأنفق فى بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية ءالاف دينار ذهبا ·

وفيها جاز ابن الأحمر الى العدوة برسم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار اليه مما صنعه فى أمر طريف ·

وفيها كسفت الشمس فغاب ثلثا قرصها ، وذالك يوم الأحد قرب الزوال فى التاسع والعشرين من رجب ، وصلا بالناس صلاة الكسوف الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) بجامع القرويين حتى انجلت ، فخرج من المحراب ولم يبق منه غير خمسة عشر رجلا من أهل العدالة وكانوا أربعة وتسعين ، وذالك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال ·

وفيها توفي الأمير عبد المومن ابن أمير المسلمين ·

وفي سنة ثلاث وتسعين بعث أمير المسلمين يوسف وزيره ابن السعود فجاز الى الأندلس ونزل مدينة طريف ·

وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وأفريقية ومصر ، هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواقى بدرهم ·

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة فيها صلح أمر الناس ورخصت الأسعار ، وفيها كسف بالشمس الكسوف العظيم الذي غاب القرص كله ورجع النهار ليلا كما يكون بين العشائين ، بدت نيرات النجوم وعظم

الأمر لولا ماتدارك الله سبحانه بسرعة الانجلاء ، وذالك بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة .

وفى سنة خمس وتسعين وستمئة بنا أمير المسلمين يوسف حصن تاوريرت .

وفى سنة ست وتسعين وستمئة نزل مدينة ندرومة .

وفيها أمر ببناء وجدة .

وفى سنة سبع وتسعين وستمئة نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان فأقام عليها أياما ورجع الى مدينة فاس .

وفيها قتل أشياخ مراكش عبد الكريم ابن عيسا ، وعلي ابن يحيا الهنتاتي .

وفى سنة ثمان وتسعين وستمئة ملك أمير المسلمين يوسف مدينة ندرومة .

وفيها نزل مدينة تلمسان برسم الحصار لها وأن لايرتحل عنها حتى يفتحها أو يموت دون ذالك .

وفيها فتح هنين وتاونت (٢٠٠) .

وفى سنة تسع وتسعين وستمئة فتح مدينة وهران ومستغانم وتنس ومليانة .

وفى سنة سبعمئة أسس مدينة تلمسان الجديدة وبنا سورها وحصنها وهو محاصر للقديمة .

وفيها فتح القصبات وبرشك وونشريس ومازونه والبطحاء وتامزجدرت وبنا المسجد الجامع .

---

200) **تاونت** : اسم حصن بقنة الجبل المطل على مرسا الغزوات ، وهنين اسم مرسا يقع الى الشرق منه ، ولا يزال الاسمان معروفين الى الآن .

وفى سنة احدا وسبعمئة مات محمد بن محمد بن يوسف ابن الأحمر ملك الأندلس ٠

وفى شوال من سنة خمس وسبعمئة غدر الرئيس أبو سعيد مدينة سبتة فملكها ٠

وفيها وقد على أمير المسلمين أمراء الترك من بلاد مصر بالهدية ٠

وفى سنة ست وسبعمئة توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وولي بعده حفيده عامر بن عبد الله ابن أمير المسلمين ٠

وفى سنة سبع وسبعمئة نافق يوسف بن محمد بمراكش ٠

وفيها غزا أمير المسلمين أبو ثابت العرب بأبى طويل ٠

وفيها غزا قلعة علودان وقلعة الدمنة من أحواز طنجة ٠

وفى سنة ثمان وسبعمئة فى صفر منها توفي أمير المسلمين أبو ثابت بقصبة طنجة وولي أبو الربيع سليمان ٠

وفى صفر من سنة تسع وسبعمئة فتحت مدينة سبتة وملكها أمير المسلمين أبو الربيع سليمان ٠

وفى جمادا الأولا من سنة عشر قام عمر بن عثمان برباط تازة ودعا لنفسه فلم يتم له أمر ٠

وفى منسلخ جمادا الأخرا منها توفي أمير المسلمين سليمان برباط تازة وولي أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبو سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق ٠

وفى يوم السبت السابع من شهر رمضان من سنة ست عشرة وسبعمئة توفي الصالح الشيخ المبارك أبو عمران التسولى فدفن فى قبلة مسجد الصابرين من داخل عدوة الأندلس ٠

وفى سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد فبنيت أتقن بناء ، ورتب فيها الطلبة لقراأة القرأان والفقهاء لتدريس العلم ، وأجرا عليهم المرتبات

والمؤونة فى كل شهر ، وحبس عليها الرباع والمجاشر ، كل ذالك ابتغاء وجه الله ورجاء مغفرته •

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة أمر الأمير الأجل الموفق أبو الحسن علي ابن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق رضي الله عنه ببناء المدرسة غربي جامع الأندلس بفاس ، فبنيت على أتم بناء وأحسنه وأتقنه ، وبنا حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكنا طلبة العلم ، وجلب الماء الى ذالك كله من عين بخارج باب الحديد من أبواب مدينة فاس ، وانفق فى ذالك أموالا جليلة تزيد على مئة الف دينار ، ورتب بها الفقهاء للتدريس ، وأسكنها بطلبة العلم وقراء القرأان ، وأجرا عليهم الانفاق والكسوة وحبس عليها رباعا كثيرة نفعه الله بقصده •

وفى سادس عشر ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة هبت ريح شديدة بمدينة مكناسة وفاس ورباط تازة وأحوازها استمر هبوبها يومين بليلتيهما هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار وأقعرت من زيتون مكناسة وزيتون القرمدة شيئا كثيرا •

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة فعدم فيها البياض (٢٠١) والحطب فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل •

وفى شهر محرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة بدم عبيط من نصف وقت العصر الى ثلث الليل وعادت الى حالها •

وفى مهل شعبان منها أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين شرفه الله تعالا بذكره، فبنيت على يد الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار ، ووقف أمير

---

201) الفحم من باب تسمية الشيء بضده ولا يزال هاذا الاطلاق شائعا على السنة العامة لاسيما بالارياف الى الآن .

المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى أسست وشرع فى بنائها نفعه الله بذالك وأجزل ثوابه عليه ، فجاأت آية فى الدهر لم يبن مثلها ملك قبله ، وأجرا بها ماء العين الغزير ، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وقدم فيها اماما ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها وأجرا على الكل منهم المرتبات والمؤون ، واشترا الأملاك ووقفها عليها احتسابا لله تعالا ورجاء ثوابه ٠

وفى شهر جمادا الأولا من السنة المذكورة احترق سوق العطارين الكبير من مدينة فاس ، فأمر أمير المسلمين أيده الله ببنائه وتجديده ، فبني وجدد من باب المدرسة المذكورة الى رأس عقبة الجزارين ، وعمل عليه هناك بابا عظيما مصفحا بالحديد ، وبنا على رأسه سورا مشرفا ، فجاأ كأنه باب مدينة ، وأسكن السوق المذكور بالعطارين من الباب المذكور الى المدرسة لايشاركهم فيه غيرهم ٠

وفيها كان القحط واستسقا الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة ٠

وفى سنة أربع وعشرين وسبعمئة كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب ٠

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة بعد صلاة العصر منه نشأ بخارج مدينة فاس من جهة جوفها سحاب وظلمة شديدة ورياح هائلة واعصار عظيم أعقب ذالك برد عظيم كبير الجرم ، زنة الحجر منه أربع أواقى وأقل وأكثر ، ونزل منه أمثال الجبال، وفى خلاله مطر وابل ، فجاأ منه السيول الطاغية ، فحملت الناس والدواب والمواشى والبقر والغنم والخيل والابل والدواوير ، وجاء وادى سد رواغ بسيل عظيم هلك فيه بشر كثير من الناس مايزيد على مئة وخمسين نفسا ، وأهلك جميع مابزالغ (٢٠٢) من الكروم والزيتون والشجر ٠

وفى ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادا الأولا من السنة

---

202) الجبل المطل على فاس من الجهة الشمالية .

المعروفة بخمس وعشرين وسبعمئة موافق العاشر من مايه أتا سيل بوادي مدينة فاس أول الليل منها لم يعهد قبله مثله ، فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف وبعض دور برزخ (٢٠٣) وسوق الصباغـيـن وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة التى عليها سوق بـاب السلسلة وهـدم سوق الرميلة ، وكـان جملة مـن هلك فيه مـن الناس المعروفين باسمائهم دون من لم يعرف سبعمئة وثلاثين نفسا ، ومن الديار ألف دار ومئة دار ، ومن المساجد خمسة ، ومن الأرحاء ثمانية بيوت ، ومن الأفران اثنين ، ومن الحوانيت أربعة وتسعون حانوتا ·

وفى شهر رجب من سنة خمس وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالا بناء القنطرة الكبرا التى عليها سوق باب السلسلة ، فبنيت وبنيت الحوانيت التى عليها من الجانبين ، وبني سوق الصباغين ، فعادت أحسن مما كانت ، وجاآت آاية فى الزمان نفعه اللـه بذالك وأجزل ثوابه ·

وفيها أمر أمير المسلمين ببناء جامع جزاء ابن برقوقة وجـامـع السمارين فبنيا أتم بناء ·

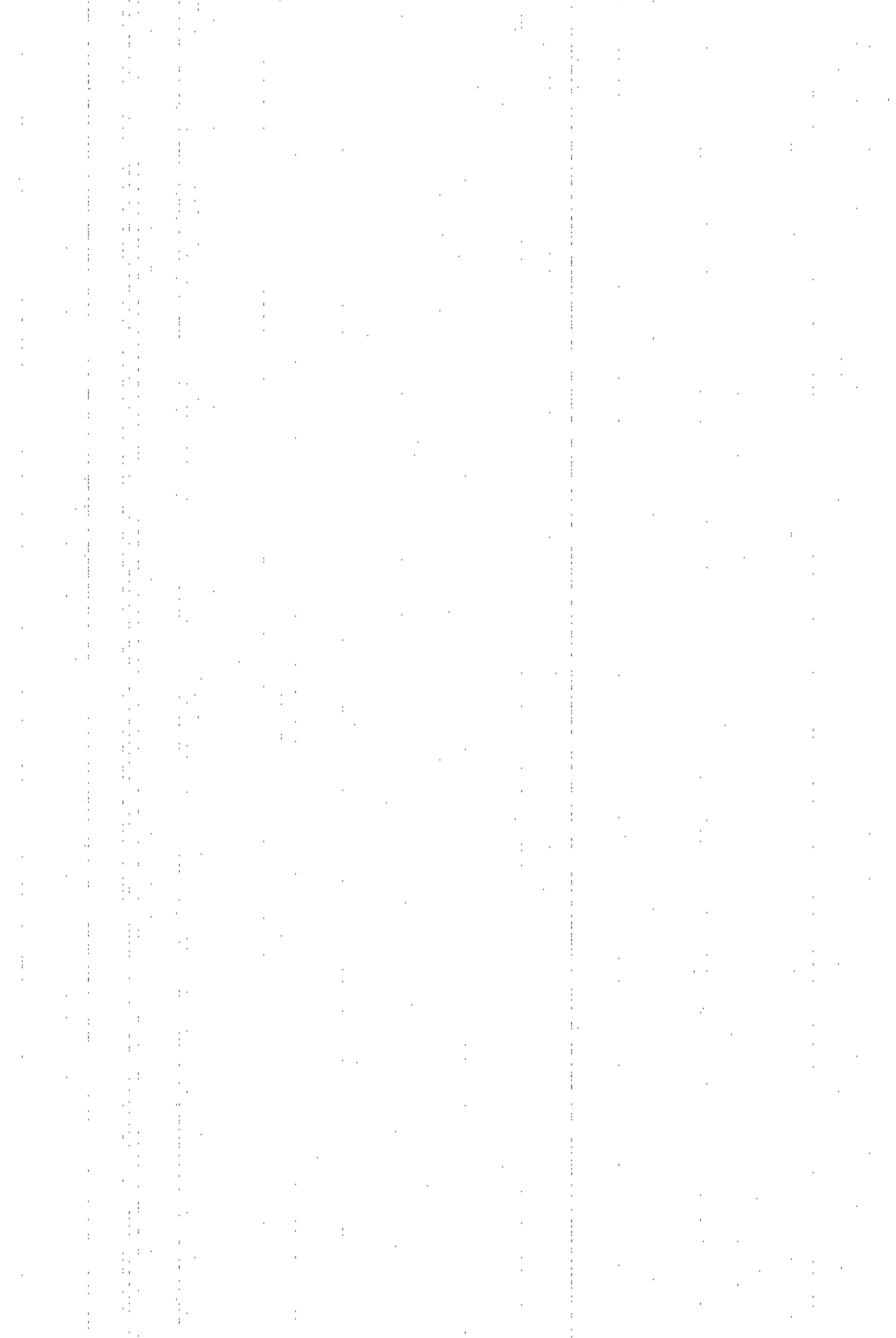
وفى سنة ست وعشرين وسبعمئة أمر امير المسلمين أبو سعـيـد عثمان أيده الله تعالا ونصره ببناأ القنطرة آاخر سوق الصباغين ، فشرع فى بنائها يوم الأحد التاسع عشر لشعبان المكرم من السنة المذكورة ، نفعه الله تعالا بذالك وأبقا أيامه وخلد ملكه وأبده ، وأمتع ببقائه المسلمـيـن وأسعده ، ولازال سعده متصلا وملكه فى ازدياد واعتلاء ، ماتـعـاقب الجديدان ، وأشرق النيران ، بمنه وطوله ·

وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفا الكريم ، وعلى آاله وصحبه أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، والحمد لله رب العالمين ·

---

203) الاسم القديم لحومة سيدى العواد .





الفهارس (1)

---

1) رتبت الفهارس ترتيب الألفبائية المغربية وهي : أ ـ بـ ـ پـ ـ تـ ـ ثـ ـ جـ ـ حـ ـ خـ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ طـ ـ ظـ ـ كـ ـ گـ ـ لـ ـ مـ ـ نـ ـ صـ ـ ضـ ـ عـ ـ غـ ـ ف ـ ڢـ ـ قـ ـ سـ ـ شـ ـ هـ ـ و ـ يـ .

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس أسماء الرجال والنساء

— أ —

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ث -

- ج -

- ح -

— خ —

— د —

— ذ —

— ر —

– ز –

ـ ط ـ

ـ ك ـ

ـ ڤ ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ ص ـ

– ض –

– ع –

– غ –

– ف –

– ق –

ـ س ـ

— ش —

ـ هـ ـ

ـ و ـ

— ي —

فـــهـــرس (1)

أسماء الاجناس والقبائل والبطون والجماعات

ـ أ ـ

ـ ب ـ

---

1) حذفنا من هاذا الفهرس بعض الأسماء التي تتكرر كثيراً مثل العرب والبربر والروم وبني مريـــن .

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- ر -

– ز –

– ك –

– ڨ –

– ل –

ـ م ـ

- ص -

- ع -

- غ -

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

- هـ -

- ي -

ـ أ ـ

فهرس (1)

(1) حذفنا من هاذا الفهرس بعض الأسماء التى تتكرر بكثرة فى صفحات الكتاب ، مثل المغرب والمشرق والأندلس وعدوة القرويين ومسجدها وعدوة الأندلس ومسجدها .

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

– ج –

- ح -

- خ -

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

- ز -

- ط -

ـ ك ـ

ـ ڭ ـ

– ل –

– م –

ـ ن ـ

ـ ص ـ

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ س ـ

— ش —

ـ هـ ـ

- و -

فهـــرس أسماء الكتب

— أ —

— ب —

— ت —

- ج -

- خ -

- ذ -

- ر -

- ك -

ـ ل ـ

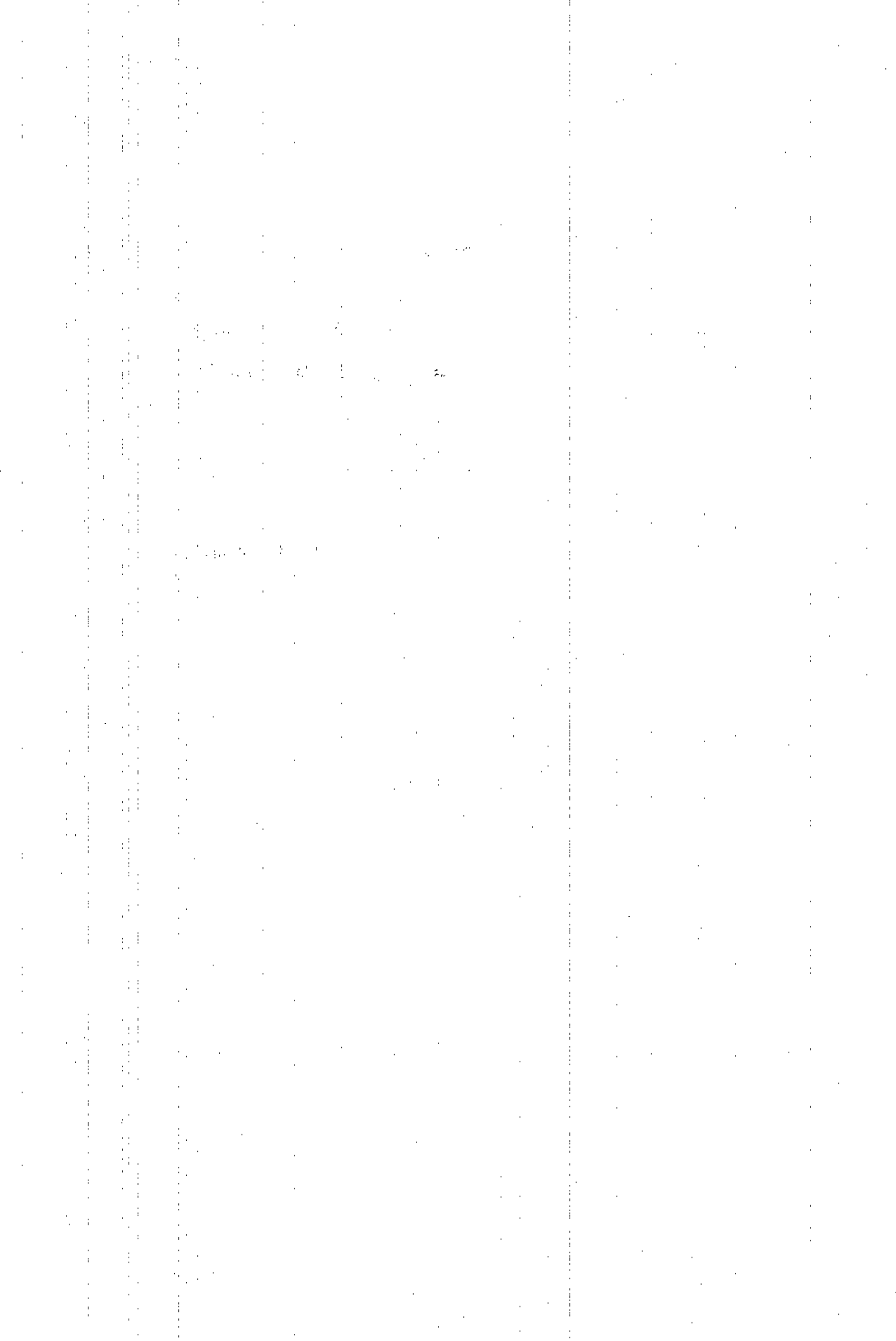
ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ ص ـ

ـ ق ـ

ـ هـ ـ



جدول الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
19	20	عبد الحميد	إسحاق بن محمد بن عبد الحميد
37	3	دارس	درّاس
42	11	الجوف	الجرف
97	17	بعد	بعده
116	12	الصديقى	الصدينى
124	5	ابراهيم بن يحيا	يحيا بن إبراهيم
129	13	رودة	درعة
129	22	براغواطة	برغواطة
143	20	والجلاقة	والجلالقة
179	3	محمد البشير	عبد الله البشير
205	4	موسا بن سهل	موسا بن سليمان
241	1	بالمستنصر	بالمنتصر
296	21	محمد	أبى محمد
301	26	أنفا	وأنفا
311	6	زيان	أبا زيان
326	16	مهباة	مهابة
369	20	بدمح	بمدح
372	1	مها	منها

طبعت هـاذا الكتاب ونشرته

دار المنصور

للطباعـة والـوراقـة

حي مابيلا ــ مجموعة ج ــ نمرة 9 ــ 10 ــ 11

الـربـاط

تـلـفـون : 511.04

السجـل التجـارى نمرة 22.098

الحـســاب الـبـريـدى 195.49

الصندوق الوطنى للضمان الاجتماعى نمرة 48.786

نمرة التعريف المالى 511.215